مؤلف كتاب علم النفس التطوري

النساء

الوقوف على الدوافع الجنسية
من الثأر إلى المغامرة



د. ديفيد ام. باس   د.سيندي ام. ميستون

ترجمة : أحمد الناصح



الوقوف على الدوافع الجنسية

من الثَّأر إلى المغامرة

النِّساء

الوقوف على الدوافع الجنسية

من الثَّأر إلى المغامرة



النِّساء

الوقوف على الدوافع الجنسية من الثَأر إلى المغامرة

الكاتب: د.ديفيد ام. باس

د.سيندي ام. ميستون

ترجمة: أحمد ألناصِح

صورة الغلاف للفنانة: Malika Favre

تصميم الغلاف: الفنان باسم المهدي

تدقيق سلامة اللغة العربية: جَرَّاح الموسوي

الطبعة الأولى، 2018



المعقدين للنشر والتوزيع

Almuakadeen for Publishing & Distribution

العراق ــ البصرة ــ شارع الفراهيدي

الهاتف: 0096597779850

Dar.Almuakadeen@gmail.com

Facebook: MUAKADEEN

Instagram: @muakadeenbooks

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 552 - 4



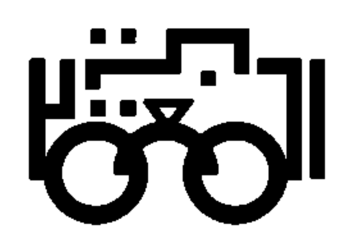
د.ديفيد ام. باس

د.سيندي ام. ميستون

النِّساء

الوقوف على الدوافع الجنسية
من الثَأر إلى المغامرة

ترجمة: أحمد ألناصِح








مكتبة
الفكر الجديد

إهداء المؤلِّفَين

إلى كلِّ النِّساء في دراستنا،

اللاتي شاركننا تجاربهنَّ الجنسية بشجاعة




مكتبة
الفكر الجديد

إهداء المترجم:

منذ دخول الانترنت إلى العالم العربيِّ، نشط شباب وشابات برفع عشرات الآلاف من الكتب في مختلف صنوف العلم والمعرفة، دون أنْ ينتظروا من أحد جزاء ولا شكوراً، فساهموا في اخراج الآلاف من أبناء هذه الدول من ظلمة الجهل والخرافة إلى آفاق العلم الرحبة النيرة

إليهم أُهدي عملي المتواضع هذا

وأذكر منهم بالخصوص السيد

علي مولا

وأعتذرعن ذكر بقية الأسماء إذ لا يتسع المقام لذكرهم جميعا




مكتبة
الفكر الجديد

مقدمة المترجم

من دواعي سروري أن أُقدِّم هذا الكتاب لاثنين من المع العلماء في حقل علم النفس، وبالخصوص د.ديفيد باس، وإني لأنتهز الفرصة هنا لاشكر الدكتور مطفى حجازي الذي قدم لنا أول كتاب ـ على حدِّ علمي ـ في علم النفس التطوري باللغة العربية، فمهد لنا الطريق بأنْ تلقَّى الكتاب استقبالا حسنا من القرا، مما شجعنا على ترجمة عمل آخر يشترك فيه باس مع د.سيندي ميستون في تشريح الدافعيات الجنسية للنِّساء من المنظورين التطوري والطبي ـ السريري ـ. إذ بقي السؤال عن الجنسانية عموما وجنسانية النِّساء خصوصا رهن الأساطير الشعبية والمحاولات الفلسفية غير الموضوعية، وكذا المعالجات الأيديولوجية السمجة ضيقة الافق لدهور طويلة، مما ساهم بزيادة سوء الفهم والأسطورية ألتي تحيط بهذا الموضوع. وهاهو المنهج العلمي الذي دأب على اكتساح جميع آفاق التفكير الاناني، يسلط نوره أخيرا على هذه الناحية من الظاهرة البشرية، فيقدم وعوداً بكشف أسرارها وإنارة ما غمض منها.

وتجنبا للإطالة فإني أود أنْ أضيف هنا بضع ملاحظات بسيطة تجنبا للمزايدات والنقد غير المتروي، وإن كان المؤلفان قد أشارا إليها ضمنا، لكنَّ التكرار يفيد الشطار كما يقال. أولا: إن الأوصاف التي وردت بعد



افادات النِّساء (شاذة،طبيعية زائد، مثلية، ليزبيانية..الخ) هي إما أوصاف كتبتها النِّساء مباشرة بانفسهن، أو اخترنها من بين الخيارات التي طرحها فريق الدراسة عليهن، وليست من اختراع المؤلفَين ولا المترجم. ثانيا: ترجمتُ كلمة Lesbian بـ ليزبيانية، لأنَّه ما من كلمة في العربية على حدِّ علمي لوصف من تمارس السلوك الجنسي المثلي عند إناث البشر غير «سحاقية»، وفي هذه الكلمة شحنة ثقافية قد لا تنسجم مع كتاب علمي، وكذا ترجمتُ كلمة gay بـ شاذ/ ة اعتمادا على المعنى الذي تستخدم به هذه الكلمة في أوربا وأمريكا. ثالثا: نقلت الكتاب بجميع فصوله كاملا بلا حذف ولا استقطاع توخيا للأمانة العلمية، كما أوردت إحالات المؤلفين بلُغتها ليسهل للقارىء المهتم الوصول إلى مصادر الدراسات التي يستمد منها الكتاب مادته، رابعا: هذا كتاب علمي يعرض نتائج الدراسات التي توصل إليها الباحثون من خلال رصد الظاهرة الجنسية عن البشر، أي أن الكتاب يعرض واقعا، لا يدعو إلى شيء، لايُحرِّض على شيء، ولا يستحسن ولا يستقبح شيئا، كما أنه لا يهدف إلى مهاجمة جماعة بعينها ولا الحط من شأن جماعة تحت أي عنوان، وخامسا: أرجو من القراء العفو عمَّا يُمكن أنْ يكون الكتاب قد احتواه من السهو أو الخطأ إن وجد، وهي أمور يصعب جدا تجنبها خصوصا في العمل الأول للمترجم.

وأخيرا لا بد ان اتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم في اخراج هذه الترجمة بافضل صورة وهم الصديق جراح كريم الموسوي لما بذله من جهود رغم مشغولياته الكثيرة، الصديق الفنان وِسام مناحي والفنان باسم المهدي: انا مَدِينٌ لكم جميعا. لا يفوتني هنا ايضا أن اشكر الأخ العزيز غسان البرهان على كل ما قدمه لي خلال الشهور الماضية من العون



والمشورة والتشجيع على جميع الأصعدة، ولم يدَّخِر جهداً في سبيل أن يخرج الكتاب بأفضل صورة ممكنة. كذلك أشكر السيد فارس الكامل صاحب دار المعقدين للنشر على احتضانه للكتاب ونشره، والآن أتمنى لكم قراءة ممتعة ومفيدة.




مكتبة
الفكر الجديد

تمهيد

من داخل العقل الجنسي

«لماذا تُمارس النِّساء الجنس» موضوع فائق الأهمية ومع ذلك فقليلا ما دُرِس. وواحد من أسباب اهماله يتلخص في أنَّ العلماء ـ وغيرهم ـ يفترضون أنَّ الأجوبة واضحة بالفعل: لتذَوُّق اللذة، للتعبير عن الحب، أو ـ على المستوى البيولوجي الصرف للغريزة الجنسية ـ لأجل التكاثر. وعليهِ، فقد أخذنا على عاتقنا منذ خمس سنوات مضت، البدء بمشروع بحث مركز، تناول أكثر من ثلاثة آلآف فرد، لجلاء الغموض عن جنسانية النِّساء women's sexuality.

عندما نُشرت مقالتنا «لماذا يمارس البشر الجنس» في دورية «Archivesof Sexual Behavior» عدد اغسطس 2007، سرى الاهتمام بها كالنَّار في الهشيم. على أنَّ ما كشفه الاعلام عن تلك المقالة لم يكن إلا الجزء الطافي من جبل الجليد فقط. في تلك الدراسة الأصلية، شَخَّصنا 237 دافعا جنسيا مختلفا تغطي طيفا متنوعا مُذهلا من الفروق السيكولوجية.

وتراوحت تلك الدَّوافع من البسيط المادي (كنتُ أشعر بالملل) إلى



الرُّوحي (أردت أنْ اقترب من الرَّب)، ومن الإيثاري (أردت أن يشعر رجلي على نحو أفضل حيال نفسه) إلى الثأري (أردت أن أعاقب زوجي على خيانته لي). وبينما تمارس بعض النِّساء الجنس ليشعرن بالسطوة، تمارسه آخريات لإذلال أنفسهنَّ. وبينما تمارسه بعضهن لغرض ابهار أصدقائهن، تمارسه آخريات بقصد إيذاء أعدائهن (أردتُ أنْ أُخرِّب علاقة غريمتي بشريكها من خلال ممارستي الجنس معه). تُعبِّر بعضهن عن الحب الرومانسي (أردت أن أصبح متوحدة مع شخص آخر)، فيما تعبِّر آخريات عن كراهية عمياء (أردت أن أصيب ذلك الشخص بمرض منقول جنسيا). لكن هذه التبريرات لم تجب عن الـ«لماذا» التي تكمن وراء كل من الدوافع.

قمنا من خلال عمليات احصائية، بتصنيف الدوافع في تجميعات طبيعية. من ثم شرعنا في استكشاف الحيوات الجنسية للنساء بتفصيل أكثر، في دراسة جديدة صُمِّمَت خصيصا لهذا الكتاب. وقد كاملنا بحثنا مع أحدث الكشوفات العلمية ـ سواء تلك التي توصلنا اليها في مختبراتنا أو تلك التي توصل اليها علماء آخرون عبر العالم في مخابرهم ـ لنقدم هنا ما نزعم أنَّه واحد من أغنى وأعمق ما تم التوصل اليه من فهم لجنسانية النِّساء حتى الآن.

«لماذا تمارس النِّساء الجنس»، يُقدِّم هذه الاستبصارات مع وصف دقيق مفصل للعلاقات الجنسية للنساء، الدوافع التي تحفِّز النِّساء لممارسة الجنس، والنظرية التي تفسر سبب وجود كلٍّ من هذه الدوافع في سيكولوجية النِّساء. رغم أنَّ جنسانية البشر كانت الهدف الرَّئيس لبحثنا لعدة سنوات، فإن بحثنا أثبت أنه أكثر أهمية مما توقعنا له فيما يتعلق بجنسانية النِّساء تحديدا.



كيف انتهى بنا الأمر إلى التشارُك في هذا المشروع البحثي الاستثنائي؟ بطبيعة عملنا، يقع مكتبانا مُتجاوِرَين في قسم علم النَّفس في جامعة تكساس في مدينة أوستن، حيث نعمل كاستاذين في علم النفس. وبحكم اهتماماتنا المهنية المشتركة، فقد جمعت بيننا الكثير من الحوارات عن الجنسانية البشرية. وقد تحول الحديث يوما إلى الدافعية الجنسية، من ثم شرعنا في مناقشة سؤال بسيط: لماذا يُمارس النَّاس الجنس؟

إنَّ تَشارُكَنا في تاليف هذا الكتاب، يعني مزجا فريدا من نوعه لخبراتنا المعرفية التي يكمل بعضها بعضا. احدنا، سيندي ام. ميستون، طبيبة نفسية، وواحدة من أشهر الخبراء على مستوى العالم في حقل الفيسيولوجيا النفسية لجنسانية النِّساء. والآخر، ديفيد ام. باس، عالِم نفس تطوري، وأحَد الخبراء العلميين العالميين في استراتيجيات الاقتران عند البشر. وقد مكننا تعاوننا من التوصل لفهم لجنسانية النِّساء، أعمق مما كان كلٌّ منا ليتوصل إليه لو عمل منفردا.

من كلا المنظورين ـ التطوريِّ والسريريِّ (الطبيّ) ـ يطرح موضوع جنسانية النِّساء أسئلة مثيرة للاهتمام. لماذا ترغب النِّساء في بعض الصفات في القرين، فيما تنفر من صفات أخرى؟ ما التكتيكات التي تستعملها النِّساء لاجتذاب الشركاء الجنسيين المفضَّلين؟ لماذا تدمج بعض النِّساء نفسيا بين الحب والجنس؟ لماذا تروق الروايات الرومانسية الشهوانية للنساء اكثر من الرجال؟ لماذا تمارس بعض النِّساء الجنس للاحتفاظ بقرين، بينما تمارسه أخريات للتخلص من قرين غير مرغوب به؟

تُعَدُّ الدراسة العلمية للجنس، او «السيكسولوجيا»، حقلاً دراسياً يمتد



عبر فروع علمية عديدة: علم النفس، علم الأَنَاسَة (الانثروبولوجيا)، علم الاجتماع، البيولوجيا التطورية، والطب. لقد ركزت السيكسولوجيا خلال العدة عقود المنصرمة على ثلاث قضايا رئيسة:

1 ـ تحديد وفهم أيِّ السلوكيات والمواقف والعلاقات الجنسية صحي أو طبيعي.

2 ـ تَحَرِّي كيف تشكل العوامل البيولوجية وأحداث الحياة والظروف أو التفضيلات الشخصية كُلَاَ من رغباتنا وهوياتنا الجنسية.

3 ـ استكشاف كيف تؤثر الجنسانية البشرية على العلاقات الاجتماعية وتتأثر بها.

يهتم الاطباء النفسيون بشكل خاص بمعرفة إلى أي حد او درجة يمكن اجراء التعديل والتحسين على الخيارات والاستجابات الجنسية للفرد. بينما يَدْرُس مختصو علم النفس التطوري الوظائف التكيفية لمكونات السيكولوجيا الجنسية البشرية، كما يدرسون أيضا لماذا تفشل بعض الدوافع الجنسية أحيانا في أداء وظيفتها بفعالية في بيئتنا الحديثة.

منذ أواخر القرن التاسع عشر، استخدم باحثو السيكسولوجيا ثلاث منهجيات علمية في دراسة السلوك الجنسي عند البشر: دراسات الحالة، المسوحات والاستبيانات، ومراقبة (رصد) وتقييم السلوك. تتضمن طريقة «دراسة الحالة" وصفا دقيقا وعميقا لأفراد لديهم مشاكل جنسية أو صفات جنسية شاذة. فعلى سبيل المثال، رصد ريتشارد فون كرافت ايبينغ (1840 ـ 1902 م) وهو من أوائل علماء السيكسولوجيا انتشارا كبيرا لممارسة الاستمناء بين مرضاه، ما قاده إلى استنتاج خاطيء مفاده



أنَّ الاستمناء هو منشأ جميع الانحرافات الجنسية. كما أن عالم النفس سيغموند فرويد (1856 ـ 1993 م)، نَظَّر مستنداً إلى دراسات الحالة، ان الغرائز الجنسية في مرحلة الطفولة هي التي تبلور وتشكل السلوك الجنسي عند البلوغ.

أمَّا رائد البحث باستخدام المسح، فقد كان هافلوك ايليس Havelock Ellis (1859 ـ 1939م)، والذي شدَّد على التَّنوع الواسع بين الأفراد في السلوك الجنسي، وقد كتب في مذكراته أنه كان منخرطا في «زواج مفتوح» من امرأة تُصنِّف نفسها على أنَّها ليزبيانية. وفي أربعينات وخمسينات القرن العشرين، قام الفريد سي. كينزي (1894 ـ 1956) وزملاؤه واردل بي. بوميروي، باول اتش. جيبارد، وكلايد أي. مارتن، بتقديم صورة جديدة للطريقة التي يرى بها الامريكان حيواتهم الجنسية، حيث نشروا تقريرين يصفان النشاطات الجنسية للنساء والرجال. صاغ كينزي وفريقه مقابلة معيارية منظمة واستخدموها لاستخلاص المعلومات عن التواريخ الجنسية المفصلة لِما يقرب من ثمانية عشر ألف رجل وامرأة في الولايات المتحدة الامريكية، فيما عُدَّ أكبر مسح على الاطلاق للممارسات الجنسية البشرية. وقد قام كينزي شخصياً بتسجيل 7958 من هذه التواريخ. لقد كان روبرت لاتو ديكنسون (1861 ـ 1950) Robert Latou Dickinson طبيب النِّساء الممارس في نيويورك، رائدَ المراقبة المختبرية لجنسانية النِّساء، حيث طوَّر انبوب المراقبة الزجاجي، لرؤية وتوثيق التشريح الجنسي الداخلي للنِّساء. كذلك استخدم كينزي تقنيات المراقبة المباشرة لدراسة الاستجابات الجنسية، لكن العصر الحالي لدراسة الجنس مختبريا، بدْءاً مع عمل ويليام اتش. ماسترز (1915 ـ 2001) William H. Masters



وفرجينيا أي. جونسون Virginia E. Johnson (تولد 1925)، والذَين كانا متزوجين منذ 1971 إلى 1992. وعلى العكس تماما من الرصد المحدود الذي قام به من سبقوهما من الباحثين، فقد جنَّد ماسترز وجونسون ما يقرب من سبعمائة رجل وامرأة للمشاركة في الدراسات التي أجرياها في مختبرهما، وقد وقفا من خلال تلك الدراسات على التغيرات الفيسيولوجية التي تحدث عند الاثارة الجنسية والنشوة (الاورغازم). واكتشفا دور السوائل الترطيبية المهبلية في الاثارة الجنسية، وكذا فيسيولوجيا النشوات المتعددة multiple orgasm، والتشابه بين النشوة المهبلية والبظرية عند النِّساء. ومنذ نَشْرِ كتابهما الشهير «الاستجابة الجنسية البشرية The Human Sexual Response» عام 1966، ظهر فرع مستقل نسبيا من الدراسات المختبرية: الفيسيولوجيا النفسية الجنسية. تُعنى دراسة الفيسيولوجيا النفسية الجنسية بالتحري عن التداخل والتفاعل بين النفسي (الشعور، الانفعالات والعواطف، وعملية التفكير) وبين الفيسيولوجي (الهرمونات، كيميائيات الدماغ، الاكتظاظ المنسلي(*)، والترطيب lubrication) في السلوك الجنسي البشري.

تُقاس الاثارة الجنسية النفسية نموذجيا من خلال الاستبيان، حيث يُسأل الشخص ما اذا كان يشعر بأنَّه مُثار أو غير مُثار في ظرف معين، وما إنْ كان مزاجه أو مزاجها ايجابيا أو سلبيا، مسترخيا أم قلقا. اهتم العلماء في البدايات المبكرة للفسيولوجيا النفسية الجنسية بقياس الاثارة الفيسيولوجية البشرية باستخدام وسائل مُعدَّلة كانت تُستخدم سابقا في

(*) يُقصد به امتلاء الاوعية الدموية لانسجة العضو التناسلي بالدم، وسياتي تفصيل ذلك لاحقاً..المترجم.



أنواع حيوانية أخرى. فعلى سبيل المثال، كان الجهاز الذي استخدم لقياس انتصاب القضيب عند الرجال، كان أصلا جهازا يستخدمه مربُّو الخيول لمنع ذكور الأحصنة المُكرَّسة لتلقيح الاناث من القيام بالاستمناء![1]. وفي بداية السبعينات، قام طبيبان بتطوير مِجَسٍّ ربما استُخدِم لقياس حرارة المهبل عند الاغنام، وقد ادعيا «أن الجهاز لم يسبب أيَّ ازعاج للنعاج المستيقظة» خلال الاختبارات التي استغرقت أربع ساعات تقريبا[2]. ورغم أنَّه قد ثبت أنَّ الجهاز مؤذٍ وغير صالح للاستخدام على النِّساء، فان النماذج الحديثة من المجسات المهبلية لا تختلف في التصميم كثيرا عنه.

أمَّا اليوم، فيقيس الباحثون الاستجابات الجنسية الفسيولوجية، وخصوصا سريان الدم في الاعضاء التناسلية، باستخدام تقنيات عديدة. فيما يتعلق بالنِّساء، تستخدم الدراسات تقنية رسم ازدياد الدم المهبلي photoplethysmography vaginal لتصوير المهبل، وهي تقنية تصوير حساسة للضوء. والتصوير بالموجات النبضية فوق الصوتية بالاستفادة من ظاهرة دوبلر، وتصوير الحوض باستخدام الرنين المغناطيسي، ومجسات لقياس التغير بدرجة حرارة المهبل والاشفار، والتصوير الحراري للفخذين والاعضاء التناسلية. بالاضافة إلى ذلك، يقوم علماء الفيسيولوجيا النفسية الجنسية بقياس معدل نبض القلب، معدل التنفس، درجة حرارة الجسم، ضغط الدم، ونشاط الغدد العرقية. على أن هذه القياسات التي ليس لها علاقة مباشرة بالاعضاء التناسلية، وإنْ كانت تعطينا معلومات عن الحالة الفسيولوجية للشخص في أثناء الاثارة الجنسية، فإنَّها لا تعد مؤشرات نوعية للاستجابة الجنسية، حيث إن انفعالات نوعية اخرى كالغضب، الخوف، القلق، وحتى الضحك، يمكن أن تُحدث نفس هذه التغيرات.



وقد تحول الباحثون مؤخرا، إلى استخدام الرنين المغناطيسي الوظيفي (FMRI) لتشخيص المناطق الدماغية التي تلعب دوراً في السلوك والاستجابة الجنسيين.

تُمَكِّن كل هذه التقنيات العصرية الباحثين في مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية والمختبرات المماثلة عبر العالم، من دراسة الاستجابة الجنسية على أوسع نطاق. وقد عكف مختبر ميستون طوال الاحد عشر عاما المنصرمة، على دراسة اسئلة مثل: ما العلاقة بين مستويات استثارة الاعضاء التناسلية وبين الشعور السيكولوجي بالاثارة؟ كيف تؤثر التجارب الجنسية الصادمة لامرأة ما في باكورة عمرها، على قابليتها للاستثارة عقليا وجسميا عند البلوغ؟ كيف تؤثر صورة جسم المرأة BODY IMAGE على مجمل الوظائف الجنسية والاشباع الجنسي لديها؟ ما تأثير تدخين السجائر والعقاقير الاخرى على قابلية النِّساء والرجال لأنْ يُصبحوا مستثارين جنسيا؟ كيف تُضعِفُ مضادات الاكتئاب من قابلية النِّساء للاستثارة والوصول إلى النشوة، وكيف يمكننا التغلب على هذه المضاعفات الجانبية الجنسية؟ هل يؤثر الجماع على الهرمونات الجنسية بشكل يمكن ان يؤثر على الغريزة الجنسية للنساء باكملها؟ ولماذا يُزيد القلق، او يُقلل أحيانا، من الرغبة الجنسية للنساء؟

كذلك يجري استخدام طرائق فسيولوجية وسيكولوجية، لاختبار فرضيات تطورية evolution – based hypotheses حول السيكولوجيا الجنسية للنساء، قد يبدو غريبا بالنسبة لبعض الناس، أنْ ننظر لهذه الاسئلة من منظار رغبات جنسية مطوَّرَة، تفضيلات قرين مطوَّرَة، وسيكولوجيا تنافس جنسي مطوَّرَة. في الحقيقة، ظلت البيولوجيا إلى فترة الخمسينات



من القرن العشرين، تنظر بازدراء للكلام عن دور للعمليات التطورية في تشكيل السلوك، حيث كان البيولوجيون الاقحاح عاكفين كُلِّياً على دراسة الفسيولوجيا والتشريح. إلا أنَّ علم البيولوجيا التطورية تغيَّر جذريا منذ ذلك الحين. فالاعضاء الجنسية ـ في النهاية ـ مصممة للسلوك الجنسي! ولا يمكن بحال من الأحوال أنْ نفصل بين التشريح، الفسيولوجيا، السيكولوجيا، وبين السلوك الذي صُمِّمت لتُحْدِثَه.

إنَّ الكثير من الناس، عندما يفكرون في التطور evolution، فإنَّهم يستدعون إلى اذهانهم تصورات من قبيل (مخالب الطبيعة الملطخة بالدم) و(البقاء للاصلح). ورغم أنَّ الصراع من اجل البقاء هو بالتاكيد جزء من نظرية التطور، إلا أنه في الحقيقة ليس الجزء الأهم فيها. بل إنَّ دَارِون نفسه كان منزعجا من بعض الظواهر التي لايمكن تفسيرها بما يدعى «انتخاب البقاء » survival selection. غرائب مثل ريش الطاووس الملون، على سبيل المثال، يستعصي تفسيرها بانتخاب البقاء. كيف أمكن لهذا الريش البرَّاق أنْ يتطور، فهو أولاً مُكلِف غذائيا، ودعوة مفتوحة للمفترسين ثانيا، وهي ـ بلا خلاف ـ صفات تحدُّ من فرصة بقاء الحيوان؟ وقد كتب داروِن في مراسلاته الشخصية، إنّ مرأى الطاووس قد سبب له الكوابيس، لأنَّه ببساطة تحدى منطق نظريته في الانتخاب الطبيعي. ولم تلبث كوابيس داروِن أنْ تلاشت عندما توصل إلى نظرية تطورية ثانية، والتي أصبحت فيما بعد محورية فيما يخص فهم السيكولوجيا الجنسية للنساء: نظرية الانتخاب الجنسي. يعالج الانتخاب الجنسي تطور صفات لا لأنَّها تمنح الكائن الحي ميزة بقائية، بل لأنَّها تمنحه ميزة تزاوجية (اقترانية). يعمل الانتخاب الجنسي من خلال عمليتين منفصلتين:



التنافس الداخل ـ جنسي (او الضمن ـ جنسي)intra ـ sexual وهو التنافس بين افراد نفس الجنس، والتنافس البين ـ جنسي inter ـ sexual أو ما يدعى بالانتقاء الاقتراني التفضيلي، والذي يعمل تفاعليا بين الجنسين. في التنافس الداخل ـ جنسي، يتنافس افراد من نفس الجنس بعضهم مع بعض، ويحصل المنتصرون على الوصول الجنسي إلى القرناء الذين يُفضِّلونهم. ويُعَدُّ العراك بالقرون بين ذكري الايل مثالا نموذجيا للتنافس الداخل ـ جنسي. ورغم ان دارون ركز على منافسة (ذَكَر ـ ذَكَر)، ففي ما يتعلق بالانسان، فإن منافسة (انثى ـ انثى) لا تقل ضراوة. فحيث إن الذكور في جميع الانواع، يختلفون عن بعضهم في الجاذبية الجسمانية، الحالة الصحية، القدرة على الاستحواذ على الموارد، النوعية الوراثية genetic quality، لذا فإنَّ الاناث اللواتي نجحن بالاستئثار بالوصول الجنسي إلى الذكور الحاملين للصفات المفيدة دون منافساتهن، قد احرزن تفوقا تكاثريا على باقي الاناث. وليس المُعَوَّل في عملية التطور على النجاح الفارقي في البقاء، على الاطلاق، بل على النجاح الفارقي في التكاثر.

وفي خِضَمِّ هذا التنافس الداخل ـ جنسي، تُمَرَّر الصفات التي تؤدي إلى الوصول الجنسي إلى المزيد من القرناء المرغوبين، بتكرار اكبر إلى الاجيال اللاحقة، لانَّ المنتصرين يتزاوجون بنجاح اكبر، وينجبون ذرية اكثر أو ذات صفات ارقى. اما الصفات التي تقود عادة إلى الهزيمة في هذا الصراع، فينتهي بها الامر إلى الاقصاء من الحلبة التطورية، لانها تُمَرَّر إلى ذرية أَقَل. ورغم ان هذه العملية يمكن رؤيتها بشكل أوضح في الذكور، والذين يشكل التنافس بالنسبة لهم محل تباهٍ واستعراض، فإن نفس المنطق ينطبق على الاناث، ولو أن العملية في هذه الحالة تاخذ



طابعا مستترا عموما. تشكل السمعة الاجتماعية، في حالة البشر كمثال، مكونا رئيسيا في عملية التنافس بين افراد الجنس نفسه. وتُكتسب السمعة الاجتماعية غالبا ـ أو تُفقد ـ من خلال الاشارات لفظية العابرة، النميمة، تكوين التحالفات، وغيرها من التكتيكات التي قد تمر أحيانا مرور الكرام. يَحْدُث التطور ـ والذي يعني ببساطة التغير بمرور الزمن ـ كنتيجة للتنافس بين افراد الجنس الواحد لأنَّ الفائزين يتمتعون بوصول جنسي أكثر إلى الشركاء الجنسيين المرغوبين.

يتضمن الانتقاء الاقتراني التفضيلي على الضفة الأخرى، الرغبةَ بالحصول على قرين يحمل صفات تقود في النهاية إلى نجاح تكاثري اعلى للفرد الذي يقوم بالانتقاء. فالنِّساء اللواتي يخترن ممارسة الجنس مع رجال اصحاء مثلا، يحرزنَ تفوقا تكاثريا على النِّساء اللواتي يخترن ممارسة الجنس مع رجال تفتك بهم الامراض. كما أن النِّساء من الفئة الأولى يحافظن على صحتهن أيضا، حيث يتجنبن الاصابة بالعدوى من هؤلاء الرجال المرضى. وسيكون اطفالهنَّ بصحة جيدة، لأنَّهم لن يلتقطوا العدوى من أب مريض. وإذا كانت الصفات المرتبطة بالصحة قابلة للتوريث جزئيا، وهو ما بتنا نعرفه الآن، فإنَّ اطفال هؤلاء النسوة سيرثون مورثات الصحة الجيدة. إذن فقد تطورت الرغبات التزاوجية للنساء، والصفات التي يجدنها جذابة جنسيا، لانها قادت الامهات السَوالِف إلى اختيارات حكيمة سواء فيما يتعلق بالشركاء الجنسيين وبالاقترانات طويلة الامد أيضا.

وتعمل الاليات النفسية المُطوَّرة على مستوى ابعد من التكاثر، لتشمل رغبات النِّساء الجنسية أيضا، انماط الجاذبية الجنسية، تفضيلات القرين،



ظهور عاطفة الحب، الغيرة الجنسية، والكثير غيرها. إن كل واحد من المكونات الرئيسية للسيكولوجيا الجنسية للنساء، يحل مشكلة تكيفية، يوفر ميزة نوعية للنساء ـ أو على وجه الدقة، وَفَّر ميزة لنساء سالفات، وقد ورثت النِّساء المعاصرات هذه الميزة منهن. لذا فعندما يَستعمِل علماء النفس التطوريون عبارات من قبيل «اليات نفسية مطوَّرة » او «تكيفات نفسية » فإنَّهم لا يعنون أنَّها غرائز آلية روبوتية جامدة يُعبَّر عنها سلوكيا بغض النظر عن الظروف. بل إن التكيفات النفسية عند البشر مرنة جدا، وحساسة جدا للظروف، وتنشط فقط في بعض السياقات الاجتماعية. عاطفة مطوَّرة كالغيرة الجنسية مثلا، قد تدفع امرأة لممارسة الجنس مع شريكها بهدف صرف اهتمامه عن النِّساء الاخريات. لكن المرأة لا تشعر بالغيرة الجنسية عادة إلا إذا كان هناك تهديد جنسي لعلاقتها. على ذلك فإنَّ المرأة قد تتعامل بطرق عديدة مع تهديد جنسي ما، فقد تزيد من حذرها واحتراسها، أو تغرق شريكها بالحب الزائد. وحتى عندما يتم تنشيط التكيفات الجنسية عند النِّساء، فلا يعني ذلك انهن سيستجبن لها حتما. فقد يثير لقاء عابر مع رجل غريب وسيم اسمر طويل القامة، الرغبة الجنسية لامرأة ما، ولكنها قد تختار عدم الانصياع لرغبتها المطوَّرة تلك، اما بسبب رغبتها في الحفاظ على اخلاصها لشريكها الشرعي، أو خوفا من دمار سمعتها، أو بسبب قناعات اخلاقية أو دينية تتبناها. اذن، فالتكيفات النفسية ليست غرائز جامدة يعبر عنها حتميا في السلوك، بل هي اليات تتسم بالمرونة، بحيث إنَّ التعبير عنها سلوكيا يعتمد كثيرا على الظروف والسياق.

استعمل مختبر باس لعلم النفس التطوري عبر العشرين سنة



الماضية، تنوعا من الطرائق البحثية لاستكشاف السيكولوجيا الجنسية للبشر. وتراوحت الطرائق من دراسات مراقبة تكتيكات النِّساء في الجذب الجنسي في حانات العُزَّاب، إلى التسجيلات الفسيولوجية، إلى تخيل الشريك الرومانسي وهو يمارس الجنس مع شخص اخر. وتضمنت أيضا التقارير الذاتية (التي يعدها الاشخاص بانفسهم) عن قيامهم باغواء قرين شخص اخر جنسيا، والدراسات التجريبية لانجذاب النِّساء جنسيا إلى خصائص مظهرية جسمية في الرجال، والفحوصات الهرمونية لاختبار تأثير الإباضة على الرغبة الجنسية للمرأة. وشملت العينات طلابا جامعيين، معجبون بدئوا بالمواعدة حديثا، متزوجون حديثا، متزوجون منذ مدة، وعيِّنة متنوعة ثقافيا، مكونة من أكثر من عشرة آلاف فرد، من ثلاثة وثلاثين بلدا حول العالم. دَرَسَ مختبر باس أيضا عاطفة الغيرة الجنسية الخطرة، لماذا تُقْدِم النِّساء على مغامرات جنسية خارج الزواج؟ التكتيكات التي يستخدمها الوالدين لتقييد جنسانية بناتهم، تطور الحب، الخداع الجنسي، تأثير الاباضة على جنسانية النِّساء، ودرس أيضا ما ان كان من الممكن للرجال والنِّساء ان يكونوا «مجرد اصدقاء»، الصفات الشخصية التي تتنبأ بالاشباع الجنسي، الاشارات التي تستشرف خيانة الشريك، النميمة والانتقاص من المنافسين الجنسيين، و«الذكاء الجنسي».

إنَّ فكرة كون العديد من عناصر السيكولوجيا الجنسية للنساء ذات وظائف تكيفية، لا تقتضي أنْ تكون جميع مكونات هذه السيكولوجيا تكيفية، او أنَّ جميع السلوكيات الجنسية للنساء لها فوائد. على العكس تماما. كما سنرى في هذا الكتاب، فإنَّ بعض الاسباب التي تدفع بالنِّساء



للانخراط في علاقات جنسية، تودي بهن إلى تدمير انفسهن، وتسبب لهن مشاكل شخصية، أو تفقدهن احترامهن لانفسهن، أو حتى حياتهن. وقد يصل الحال ببعضهن إلى مشاكل مرضية سريرية تتطور إلى اضطراب جنسي اكتئابي. وقد غطينا سيكولوجيا جنسانية النِّساء بكامل مداها، من اسافلها متمثلة بالاضطرابات الجنسية وكيف يمكن معالجتها، إلى اعاليها متمثلة بالحصول على حياة جنسية مشبعة والمحافظة عليها.

إنَّ دراستنا الجديدة حول لماذا تمارس النِّساء الجنس، والتي لم يكشف عنها سابقا، قد نُفِّذَت على الانترنت، بين حزيران 2006 إلى نيسان 2009. وتم استخدام روابط ويب، واعلانات مبوبة على الانترنت طلبت من النِّساء المشاركة في دراسة مصممة لفهم الدافعيات الجنسية. وقد استُضيف المسح على قاعدة بيانات تستخدم نظام تشفيرٍ يتكون من (128) مَرْتَبَة، لحماية المعلومات من القرصنة وللحفاظ على اقصى حد من الخصوصية للنساء المشارِكات في تلك الدراسة[3]. وقَّعت النِّساء المشاركات في البدء استمارة موافقة، اطلعن من خلالها على كامل موضوع المسح، وتمت طمئنتهن أنَّه بوسعهن الانسحاب من المسح في أيِّ وقت يشئن ذلك.

وقد نشرنا ما قالته تلك النِّساء حرفيا، بعد حذف التفاصيل التي قد تكشف عن شخوصهن، للحفاظ على الخصوصية. وأعْلمْنا المشاركات أيضا، بأنَّه اذا أُصِبْنَ باي قلق بخصوص الدراسة، أو شَعَرْنَ بالضيق بعد اجابة الاسئلة أو مشاركتهن حكاياتهن معنا، فسيكون هناك طبيب نفسي على استعداد لأنْ يُناقش معهن مخاوفهن. أُسْتُهِلَّ البحثُ بسؤال النِّساء عما اذا كان قد سبق لهن ممارسة الجنس لواحد من الاسباب



الـ 237 التي حددناها في دراستنا الأصلية، فإنْ اجابت المرأة بنعم، يطلب منها أنْ تصف تجربة محددة، أما إنْ اجابت بلا، فتُسأل عن السبب الاخر الذي دفعها لممارسة الجنس. عَززت اجابات النِّساء، واكدت، واغنت النتائج الكمية التي توصل اليها بحثنا الأولي: «لماذا يمارس البشر الجنس؟» والاكثر اهمية، هو انه تم اعطاء نساء حقيقيات الفرصةَ ليوضحن بكلماتهن الخاصة، دوافعهن لممارسة الجنس، ليقَدِّمن فهما عميقا من داخل السيكولوجيا الجنسية، اعمق مما كان يمكن الحصول عليه من التحليلات الاحصائية المجردة. قامت 1006 من النِّساء من خلفيات متنوعة، بمشاركة تجاربهن معنا خلال هذه الدراسة. وقد انحدرن من سِتٍّ واربعين ولاية من الولايات الامريكية الخمسين، حيث غابت فقط ولايات (نبراسكا، ديلاوير، الاسكا ومونتانا)، وثمانية مقاطعات من اصل عشرة في كندا(غابت فقط جزيرة الامير ادوارد، مقاطعة ساسكاتشوان) وواحد من الاقليمين (الشمالي الغربي)، ثلاثة اقطار أوربية (بلجيكا، المانيا وفرنسا)، استراليا، نيوزلاندا، اسرائيل، والصين. وتراوحت أعمارهن بين الثامنة عشرة (وهو الحد الادنى من العمر اللازم للاشتراك في الدراسة)، إلى السادسة والثمانين، وموزعات عرقيا بين هنديات امريكيات، اسيويات، سوداوات، بيضاوات (غير هسبانيات)، ولاتينيات. اعتبرت نسبة 57% منهن انفسهن تابعات لمذهب ديني محدد، مسيحيات من طوائف عدة (الانجليكانية، المعمدانية، الكاثوليكية، الاسقفية، اللوثرية، الميثودية، الخمسينية، المورمونية، البروتستانتية، والسبتية)، يهوديات، مسلمات، بوذيات، هندوسيات، طاويّات، توحيديات عالميات، ووثنيات أو ويكا،



بينما قالت 26 % منهن بأَنَّهنَّ لا ادريات agnostics فيما قالت 14 % إنَّهنَّ لادينيات. ومع أنَّ المسح تم عبر الانترنت، فإنَّ المشارِكات ينحدرن من أوضاع اجتماعية اقتصادية متنوعة، 17 % قلن إنَّ دخل عائلاتهن يبلغ 25 الف دولار فأقل سنويا، فيما تراوح دخل عائلات 31% منهن بين 25001 دولار إلى 50 الف دولار سنويا، 33% يتراوح دخل عائلاتهن بين 50001 إلى 100 الف دولار، و19% منهن بدخل عائلي يزيد على 100 الف دولار سنويا.

بالطبع، فقد سألْنا النِّساء أيضا عن حالتهن العلائقية، وعن ميلهن الجنسي، وقد افادت80 % منهن تقريبا بإنَّهنَّ في علاقة حاليا، بينما كانت 10 % يقمن بالمواعدة، ولكنهن لم يكن في علاقة طويلة الامد. 93% منهن أفدن بأنَّهن غيريات الجنس تماما ـ او غالبا ـ، و2% يصنفن انفسهن كثنائيات التوجه الجنسي bisexual، 5% يصفن أنفسهن على أنَّهنَّ مثليات الجنس تماما ـ او غالبا ـ. في الواقع، امتنعت 11% من المشاركات عن اختيار احد الخيارات اعلاه، مكتفية باختيار «اخرى» وقد كتبن في هذا الحقل (شاذة، ليزبيانية، لاجنسية، غيرية الجنس مرنة، مختلطة الميل الجنسي، كُلِّية الميل الجنسي، طبيعية +، غيرية غالبا وثنائية أحيانا، متقلبة الميل، منفتحة، متعددة الشركاء، لا اعلم ولازلت اتسائل، وتنويعات اخرى عديدة مثل «غيرية الجنس غالبا مع مُسحةِ شُذوذ»).

وقد كانت واحدة من المفاجآت التي اسفرت عنها دراساتنا، هي إنَّه مع كل سبب يدفع امرأة لممارسة الجنس، اكتشفنا نجاحات واخفاقات. غالبا ما كانت ممارسة الجنس ممتعة بشكل كبير، تعطي النِّساء احساسا بالمتعة، الحب، الترابط، واستكشاف الذات:



«لقد ادركتُ.. شيئين مهمين، القابلية على أنْ أكون منهمكة جنسيا بشكل تام مع أحدهم، وأكون قادرة على الضحك من قلبي في نفس الوقت، والاستمتاع بكوني معه بطريقة مختلفة. لَكَإنَّ الضحك والجنس يشبعان رغبتين بشريتين اساسيتين في ان واحد»

امرأة غيرية الجنس، العمر 42

تستمتع النِّساء بشبقهن وجنسانيتهن. ولكن في بعض الاحيان، لا يتسنى لهن احراز ما كن ينشدن تحقيقه من خلال ممارسة الجنس، واقعا فإنَّ ممارسة الجنس تنتهي أحيانا بجعل النِّساء شاعراتٍ بالوحدة والمرارة والندم، تطلعت احدى النِّساء في دراستنا إلى الجنس للخلاص من وحدتها وشعورها بانها غير جذابة، ولكن ما كانت تصبو اليه لم يتحقق:

«مارستُ الجنس في علاقتي الاخيرة لكيلا اشعر باني منبوذة وحيدة. كان عملا غبيا لأنَّه انتهى بأنْ جعل مشاعري السلبية اسوء مما كانت عليه من قبل، انا نادمة الآن لأنَّنا لم نكن نعرف أحدنا الآخر جيدا ولم نكن متاكدين مما نريد الوصول إليه، وقد انفصلنا بعد شهر»

امرأة غيرية الجنس، العمر 39

وفي مقابل كل اخفاق على أيَّة حال، اكتشفنا علاقات جنسية حققت نجاحا باهرا وعواطف لاهبة، هنا تصف امرأة الجنس كوسيلة تشحذ بها ثقتها بنفسها:

«لقد مارست الجنس مع اثنين من الرجال (في مناسبتين منفصلتين) لأنَّني شعرت بالاسى عليهما، لقد كانا بَتولَين واشفقت عليهما لانهما لم يمارسا الجنس من قبل، لذا فقد مارست الجنس معهما. وشعرت بانني



قدمت لهما خدمة عظيمة لم يفعلها احد من قبل. لقد شعرت بسطوتي عليهما، كما لو أنهما كانا ضعيفين بين يدي وأنا مسيطرة عليهما. ورفع ذلك من ثقتي لأكون الموجِّهَةَ في ذلك الموقف، وجعلني اشعر بأنِّي مرغوبة اكثر»

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

اعتقدتْ امرأة اخرى أنَّ الجنس وسيلة لتجربة الرب:

«لا استطيع أنْ أصف هذه التجربة بدقة.. لكن ما اشعر به من المتعة الخالصة والامتزاج مع شخص آخر، يُقَرِّبُني من دورات الحياة، والطاقة التي تكمن وراء العالم.. الرب بالمعنى الاساسي»

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

من خلال أصوات نساء حقيقيات، وكشوفات علمية وسريرية واسعة المدى، وبالاستعانة ببحثنا الاصلي، يمكن أنْ تُرى جنسانية النِّساء بكل تفاصيلها، سواء كانت العلاقة الجنسية تؤدي إلى الرضا، الندم، الارتباط العاطفي، أو الحب المتعالي (الترانسيندينتالي).

إنَّنا نعتقد انَّ النتيجة النهائية ستساعد في اتخاذ قرارٍ جنسي واعٍ ـ متى، أين، وبالطبع «لماذا» ممارسة الجنس ـ سواء في علاقةٍ أو خارجها. ورغم ان هذا الكتاب لم يصمم ليكون كتابا في مساعدة الذات، فإنَّنا نعتقد أنَّ القراء سيستخلصون منه معلومات يمكنهم الاستفادة منها في حياتهم الشخصية، ويتشاركوها مع شركائهم الجنسيين. نأمل أنْ يزود هذا الكتاب القراء بعدسات جديدة يتمكنون بواسطتها من رؤية الجوانب المتعددة الدقيقة من السيكولوجيا الجنسية للنساء.



هوامش وإحالات المؤلِّفَين على المقدمة

1 ـ Rosen, R. C., and Beck, J. G. (1988). Patterns of Sexual Arousal: Psychophysiological Processes and Clinical Applications (New York: Guilford Press), 17 – 18.

2 ـ Abrams, R. M., and Stolwijk, J. A. J. (1972). «Heat Flow Device for Vaginal Blood Flow Studies,» Journal of Applied Physiology 33:143 – 46.

3 ـ فَضَّلتْ قِلَّةٌ من النِّساء ارسال اجاباتهن عبر البريد الالكتروني أو البريد الورقي بدلا من استخدام الموقع الالكتروني.




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الأول

ما الذي يثير النِّساء جنسيا؟: الرائحة، الجسم، الوجه، الحركة، الشخصية، و-نعم- حس الدعابة

«جمال الشخص تزكية له تفوق أي رسالة تعريف يكتبها عن نفسه»

ارسطو (384 ـ 322 ق.م)

تُعد الجاذبية الجنسية اكسير حياة، ابتداءً بالحب من النظرة الأولى، إلى شرارة الحب التي تخلق علاقة تدوم اعواما. اذ تكسو ـ الجاذبية الجنسية ـ قصص الحب العظيمة في الادب وفي السينما، سواء تعلق الامر بالعشاق سيئي الحظ في مسرحية شكسبير (روميو وجولييت)، أو فلم المخرج جيمس كاميرون «تيتانيك»، أو الانجذاب الطويل بين شخصيتي همفري بوغارت وإنغريد بيرغمان في فلم كازابلانكا. وعلى العكس من الحكمة التقليدية السائدة، فإنَّ الكيمياء الحيوية الاساسية للجاذبية هي السبب رقم واحد الذي حددته النِّساء، في اجابتهن عن لماذا يمارسن الجنس.

على الرغم من التجاهل النسبي لموضوع الجاذبية الجنسية عبر تاريخ علم النفس، فإنَّه ليس موضوعا يمكن الاستخفاف به. فهو يتخلل أحاديثنا ـ ابتداءً بأعمدة الصحف المخصصة للاشاعات، والتي تتربص



باخطاء المشاهير في اختيار ازيائهم، إلى مواقع الشبكة المكرسة لتصنيف مَنْ مِنهُم جذاب «ساخن» ومن منهم ليس كذلك، كذلك فإن المعلنين يستغلونه لبيع كل شيء، من السيارات إلى اجهزة الاي بود. حيث إن الافتقار إلى الجاذبية الجنسية كفيل بافشال أي علاقة أو شراكة قبل أن تبدأ حتى. وعندما تتلاشى الجاذبية الجنسية مع الزمن، فقد يدفع هذا بالشريك للارتماء في احضان شريك اخر يتمتع بتلك الجاذبية. يوفر الجنس للكثير من الناس احساسا عميقا بالانتعاش والبهجة يجعلهم يشعرون بالحياة. على أنَّنا غالبا ما لا نستطيع أنْ نصف بالضبط ما الذي يجذبنا إلى شخص آخر. قد نلجأ أحيانا إلى نماذج جاهزة ـ مقتصرة على خصال يسهل تشخيصها، أو مستمَدَّة مِن أحد المشاهير ممن يحوزون على صفات تروق لنا وللكثير من الناس أيضا.

ذكرت العديد من النِّساء في دراستنا، صفات مميزة جسمية أو معنوية (متعلقة بالشخصية)، قد جذبتهن، على أنَّ أخريات اكتفين بوصف دافعيتهن الجنسية بابسط صورة: كنتُ منجذبة إلى ذلك الشخص.

قالت النِّساء أيضا: كان وجه ذاك الشخص جميلا، كان جسمه مرغوبا، كانت عيناه جميلتان، كانت رائحته رائعة، اثارني مظهره الجسمي جنسيا، كان راقصا جيدا، أو بشكل اكثر وضوحا: كان ذلك الشخص جذابا جسميا بشكل لم استطع مقاومته.

يهتم هذا الفصل بمعرفة ما الذي تجده النِّساء جذابا، ولماذا. لماذا تحرض روائح الجسم الزكية والاصوات الرنانة رغبات النِّساء؟

اذا كان صحيحا أنَّ استثارة النِّساء جنسيا عن طريق الصور المرئية اقل



من استثارة الرجال بذات الطريقة، إذن لماذا تثير وجوه بعض الرجال، لِنَقُل جورج كلوني وانطونيو بانديراس مثلاً، شغف الكثير من النِّساء؟

هل هناك في الواقع، شيء في الطريقة التي يتحرك بها الشخص، يمكن أنْ يؤثر في الغرائز الجنسية للنساء؟ كيف يمكن لصفاتٍ شخصيةٍ لامعة، إنَّ تُحَوِّل رجلا عادي المظهر، إلى شخص يشع جاذبية لا تقاوَم؟ ومتى تتفوق الجاذبية الجسمية على كل شيء آخر؟

لأنَّ شعلة الجاذبية تعمل غالبا دون مستوى وعينا، فإن بعض اجوبتنا على هذه الاسئلة تصدر عن منظور تطوري. ينطلق العلماء النفسانيون التطوريون من مقدمة مفادها، أنه على الأقل بعض الصفات التي تجدها النِّساء جذابة، ليست مُنتَجات ثقافية اصطناعية (نفس الشيء ينطبق أيضا على الصفات التي يجدها الرجال جذابة). هل توفر الصفات الجذابة جنسيا، لا شعوريا، مؤشرات على الميزات التي يمكن أنْ تجنيها المرأة من اقتران محتمل؟

يُقَسِّم علماء الاحياء الميزات التطورية إلى قسمين واسعين:

1 ـ الميزات الوراثية وهي الجينات فاخرة النوعية , التي يمكن ان تمنح اطفال امرأة ما , قدرة اكبر على البقاء والتكاثر.

2 ـ ميزات الموارد بما فيها الطعام , المأوى للحماية من قوى الطبيعة المعادية , والحماية المادية من اعتداءات الرجال الاخرين , كل هذه الميزات تساعد المرأة وذريتها على البقاء والازدهار.

كما سنرى، فإنَّ بعض الاشياء التي تجعل النِّساء يرغبن بممارسة الجنس، تعود جذورها الى الماضي التطوري للبشر، بينما نشأت دوافع اخرى بسبب الكيفية التي نعيش بها اليوم ونعمل ونتعاشر ونلبس.



أين يبدأ الانجذاب؟

يجد الناس انفسهم في مواجهة بعضهم البعض باستمرار، فنحن نجلس على مقاعد متجاورة في قاعات المحاضرات في الجامعات، نلتقي صدفة باناس غرباء في المقاهي، نلاقي جيراننا الذين يحيطون بمنزلنا، أو نقضي ساعات نعمل في دوائرنا جنبا إلى جنب مع زملاء العمل. وغالبا ما يكون هذا التقارب الخطوة الأولى في طريق الانجذاب إلى أحدهم.

تاريخيا، يمكنك أنْ ترى هذا بوضوح، في من يختارهم الناس كقُرَناء. بالعودة إلى ثلاثينيات القرن العشرين، قامت دراسة بفحص خمسة الاف زيجة حدثت خلال عام واحد هو 1931، لمعرفة اين كان يعيش كل من العريس والعروس قبل زفافهم[1]. في ثلث الحالات، عاش الشخصان على بعد أقل من خمسة مبانٍ عن بعضهما، وفي اكثر من نصف الحالات، عاش الشخصان على بعد اثني عشر مبنى عن بعضهما. وقد كشفت عدة دراسات عبر عقود من الزمن، عن نتائج مشابهة. فعلى سبيل المثال، في قاعات الدراسة التي تكون المقاعد فيها معينة، أي أنَّ لكل فرد فيها مقعد ثابت، فإنَّ العلاقات تُكَوِّن دالَّة لدرجة بعد الناس عن بعضهم البعض. فالطلاب الذين حَظوا بمقاعد في المنتصف، لهم على الارجح معارف اكثر داخل الصف، مقارنة بالطلاب الجالسين في اخر طابور المقاعد. وفي الصفوف التي يُرَتَّب فيها الجلوس ابجديا بحسب الاسماء، تتكون صداقات بين الطلاب الذين تبدأ اسمائهم بحروف متقاربة[2].

ومع أنَّ مجرد محاذاة أحدهم لا يعني بالضرورة أنَّ شرارة جنسية ستُقدح، اَلَا أنَّ الاحتكاك المتكرر بأحدهم (إلى درجة ما) يزيد من الاحتمالات. وجدت احدى الدراسات، أنَّ تكرار التواصل الوجيز ـ



أي بما لا يزيد عن 35 ثانية ـ وجها لوجه، وإنْ لم يتضمن الحديث، قد زاد من التفاعل الايجابي بين الشخصين[3]. بمعنى اننا نميل إلى ان نَوُدَّ الاشخاص الذين نراهم بتكرار اكبر، اكثر مما نَوُدَّ الاشخاص الذين نراهم بتكرارٍ اقل. وفي دراسة اخرى، حَضرت اربع نساء يعملن كمساعِدات بحثيات، متساويات في الجاذبية الجسدية، حضرن إلى قاعة محاضرات في احدى الكليات. حضرت واحدة منهن 15 مرة إلى قاعة المحاضرات خلال الفصل الدراسي، وحضرت اخرى10 مرات فقط، واخرى 5 مرات، ولم تحضر الاخيرة على الاطلاق. ولم تقم اية واحدة من النِّساء بتواصل شفهي مع الطلاب. وعند نهاية الفصل الدراسي، قام الطلاب، رجالاً ونساءً، بتقييم أي من المساعِدات البحثيات تروقهم اكثر. ازداد انجذاب الطلاب مع ازدياد عدد مرات حضور المساعِدة إلى القاعة، رغم أنَّ جميع النِّساء الاربع كُنَّ غريبات كليا عن الطلاب في الفصل[4].

كما تبين، فإنَّ مقدارا من الأُلفة يخلق مودة، سواء كنتم تتحدثون في لقاءاتكم عن شخص ما، أو عن كلمة في لغة اجنبية، أو عن منتَج جديد اُعلِن عنه مؤخَّرا، أغنية، مرشح سياسي، أو حتى في مجرد هراء لا معنى له.

كلما زاد تكرار رؤية شخص ما في المرحلة المبكرة الحاسمة من التعارف، كلما كانت استجاباتنا له ايجابية أكثر. لماذا؟ إنَّنا نتعامل عادة مع أي شخص، أو شيء، غريب أو غير مألوف بمقدار ملحوظ من عدم الارتياح، ان لم نقل بدرجة معينة من القلق والترقب. ولكن مع التعرض ـ الرؤية ـ المتكرر، يقل شعورنا بالقلق، فكلما كنا اكثر أُلفة بِأحدهم، كلما كانت قدرتنا على التنبؤ بسلوكه/ ها اكبر، من ثم نشعر بارتياح اكبر في جواره.



عندما يكون الناس على مقربة من بعضهم، يصبح التواصل بالعينين مهما. ويكون تأثير التحديق المتبادل بالعينين قويا بشكل خاص عند الرجال والنِّساء الذين هم «رومانسيين» بالولادة ـ نعني أولئك الذين يؤمنون بالحب من أول نظرة، و«ما الحب إلى للحبيب الأول»، ويعتبرون الحب مفتاحا للعلاقات ـ [5]. في احدى الدراسات، حضر إلى المختبر 48 رجلا وامرأة، وطلب منهم التحديق في عيني بعضهم في أثناء التحدث. وقد تبين فعلا أنَّ تأثير التحديق المتبادل قوي. أفاد الكثيرون منهم بأنَّ تحديقهم العميق في عيني شخص من الجنس الآخر، خلق مشاعر حب عارم. كما تقول إحدى النِّساء في دراستنا:

«يثيرني جِداً أنْ يكون المقابل غامضا ولا يكشف أسرار نفسه بسهولة. مارست الجنس ذات مرة مع رجل، لأنَّه كان ينظر إليَّ بلهفة، دون أنْ يقول الكثير. وقد كانت تجربة لاهبة»

امرأة غيرية الجنس، العمر 33

في دراسة أخرى، طُلب من أناس غرباء عن بعضهم، أنْ يتبادلوا حديثا عن أسرار حميمية في حياتهم، لمدة نصف ساعة، ثم طلب إليهم التحديق البصري في بعضهم لمدة 4 دقائق دون تبادل الحديث ودون قطع التواصل بالعينين بين كل اثنين منهما. ومرة اخرى أفاد المشاركون بانجذاب عميق نحو شريكهم في التحدث والتحديق[6]. حتى إنَّ الامر انتهى باثنين من هؤلاء المشاركين ـ والذين كانوا غرباء عن بعضهم تماما ـ إلى الزواج!

على أنَّ أُلفة اكثر من اللازم، قد تقود إلى نتائج عكسية. حيث إن الصفات التي أُعتُبِرت في البداية جذابة، قد تتحول إلى مصدر ازعاج.



والرجال الذي كانوا يوصفون بأنَّهم «ظرفاء ومُسَلُّون»، قد يصبحون «مسببين للأحراج على الملأ». وتتحول «العفوية « الجذابة إلى «لامبالاة « مُنَفِّرَة. «ناجح وطموح» قد تتحول إلى «بغيض مدمن على العمل»، «قوي الشكيمة» قد تتحول إلى «عنيد». في الحقيقة، فان مقدارا معينا من الـ«غموض» يمكن ان يكون محفزا جنسيا للنساء، أو للرجال على حد سواء. اذن، فليس الامر أنَّ الغموض يمكن أنْ يقدح شرارة الجاذبية فحسب، بل إنَّ ألفة وإلماما بالشخص أكثر من اللازم، قد تدمرانها تماما. وكما كتبت امرأة في مذكراتها الجنسية، «المُلازَمة يمكن أنْ تقتل الجنس سريعا جدا»[7]. وبما أنَّ الأُلفة الزائدة قد تطفئ لهب الجاذبية الجنسية، فإنَّ ضدها ـ الغرابة ـ قد يُذكي نيرانها. ويلخص عالم النفس داريل بيم Daryl Bem القضية بقوله «يكون الغريب مُشْتَهَىً»[8]. واقعا، عندما يطلب التدريسيون من الطالبات في الفصول الجامعية، ان يكتبن قائمة بالصفات التي يجدنها جذابة جنسيا، فان صفة «غامض» لا تغيب عن القائمة ابدا[9]. يولَد البشر وهم مزودون بخمس حواس ـ البصر والشم والتذوق واللمس والسمع ـ، وتميل المحفزات الحسية لان يكون لها تأثير أكبر عند التقارب الجسدي، وتزداد اهمية هذه الحقيقة بالخصوص فيما يتعلق بواحد من أهم عناصر الجاذبية الجنسية، عنصر لطالما تم تجاهله من قبل المجتمع العلمي: حاسة الشم الحادة لدى النِّساء.

رائحة الجاذبية الجنسية

من المعروف أنَّ الروائح مشهورة بأنَّها تحمل تداعيات نفسية قوية ـ تأمَّل كيف إن شَمَّك لنفحة من عطر أو كولونيا الشخص الذي تحبه، قد



يستدعي إلى عقلك الشخص الذي يستعمله، مصحوبا بكم من العواطف والانفعالات. يعود هذا جزئيا إلى التصميم غير العادي للعصب الشمي، والذي يمتد بشكل شبكة تتخلل الدماغ ـ خلافا للأعصاب التي تنقل المعلومات الخاصة بالحواس الرئيسية الاخرى، والتي هي أقل انتشارا. تساعد هذه البنية الهندسية على ربط ذكريات الاحداث العاطفية بمعلومات شَمِّية. ويعد الجزء المثير للعواطف من الرائحة مُهِمَّاً، وللدهشة فقد تبين أنَّ الرائحة مهمة أيضا للنساء عندما يتعلق الامر بأُسس الجاذبية الجنسية.

وجد باحثون في جامعة براون، باستخدام وسيلة تدعى «مسح الجنسانية والمحفزات الحِسِّية»، أنَّ النِّساء يقيمن رائحة الرجل على أنَّها أهم العوامل الحسية في اختيار من يُحببن، متفوقة على منظره (العامل التالي مباشرة)، صوته، وملمسه[10]. رَتَّبت احدى النِّساء في دراستنا عوامل الجاذبية في شريكها الجنسي:

«كنت منجذبة إلى رائحته، عينيه، اسلوبه، وكذا لكنته الفرنسية»

امرأة غيرية الجنس، العمر 23

وعلى العكس من ذلك، فإنَّ رائحة المرأة تبدو اقل اهمية ضمن مجمل جاذبيتها الجنسية بالنسبة للرجل. ربما يعود هذا لكون حاسة الشم عند الرجال اقل حدة منها لدى النِّساء. أوربما لأنَّ المحفزات البصرية تهيمن على عوامل الاثارة الجنسية لدى الرجال. وليس الامر فحسب، إنَّ النِّساء يعقدن كبير أهمية على رائحة رجل ما في مسألة انجذابهن اليه، بل إنَّ روائح الجسم الجيدة، تزيد الاثارة الجنسية عند النِّساء، بينما تمحق الروائح الكريهة تلك الاثارة.



إنَّ واحداً من أهم الاسباب التي تجعل روائح الجسم تلعب دورا مهما كهذا، لم يسلط عليه العلم اضوائه إلا مؤخرا فقط. وقد جاء بصيص النور الأول من اكتشاف غير اعتيادي: وهو إن حاسة الشم لدى المرأة تصل أوج حِدَّتِها حوالي وقت الاباضة، أي بالضبط في فترة الـ24 ساعة خلال الدورة الشهرية، التي يمكن للمرأة فيها ان تحبل[11].

وقد جعل هذا العلماءَ يرجحون أنَّه ربما لعبت حاسة الشم عند النِّساء دوراً في التكاثر. ولم يَمضِ وقت طويل حتى بدأ الباحثون اكتشاف دفاعات الجسم ضد الامراض، وبدأ الضباب ينقشع.

تقع المُوَرِّثات (الجينات) المسؤولة عن عمل الجهاز المناعي ـ أي مكافحة الفيروسات والبكتيريا المسببة للأمراض ـ ضمن مورثات ما يدعى بمعقد التوافق النسيجي الاكبر major histocompatibility complex أو يرمز له (MHC)، والموجود على الصِبغي (الكروموسوم) رقم 6. ويحمل مختلف الناس صوراً (أليلات) مختلفة من مورثات الـ(MHC)، وبمصطلح المختصين بالوراثة، فان مورثات (MHC) عديدة الاشكال (polymorphic). وقد تبين ان النِّساء يمكن ان يكسبن فائدتين من التزاوج مع رجال يختلفون عنهن في مورثات الـ (MHC).

الأولى، إنَّ قرينا تزاوجياً يحمل مورثات (MHC) مختلفة، يحمل مورثات مختلفة في العموم، وعليه، فربما ساهم الانجذاب إلى شخص يحمل مورثات (MHC) مختلفة، في منع التزاوج الداخلي (تزاوج الاقارب). حيث إن أثَرَ التكاثر مع اقارب وراثيين قريبين، قد يكون كارثياً على الذرية الناتجة، كأن يؤدي إلى تشوهات وِلادية، ذكاء منخفض، ومشاكل اخرى. اما الفائدة الاخرى من التزاوج مع قرين يختلف عن



المرأة في مورثات الـ (MHC)، أي مكملا لمورثاتها الخاصة بهذه الصفة، فهي إنَّ الذرية الناتجة ستحوز مناعة اقوى، مما يجعل أجسامها اكثر قدرة على مكافحة الطفيليات المسببة للأمراض. واللُغزُ الآن اذن، كيف أمكن للنساء ان يخترن قرناء تزاوجيين يحملون مورثات (MHC) مُكَملةً لمورثاتهن لإكساب ذريتهن هاتين الفائدتين؟

في دراسة قَيِّمة، قام باحثون برازيليون بإلصاق قطع قماش قطنية على جلد 29 رجلا لخمسة ايام، لإمتصاص عرقهم، وبالتالي روائح أجسامهم[12]. ومن ثم قامت عينة من 29 امرأة بشمِّ القطع القطنية، وتقييم الروائح على تَدَرُّجٍ من جذاب إلى غير جذاب. وقد قام العلماء بتشخيص معقد التوافق النسيجي الاكبر (MHC) لجميع الرجال والنِّساء المشاركين في الدراسة باستخدام فحوصات الدم. وَجدت النِّساء روائح الرجال الذين يختلفون عنهن في مورثات الـ (MHC) اكثر مرغوبية. بينما جعلتهن روائح الرجال الذين يماثلونهن في مورثات الـ (MHC) ينفرن في تقزز. إنَّه لأمر مدهش حقا، إنَّ النِّساء يستطعن ـ حرفيا ـ شَمَّ رائحة مورثات يُعرف أنَّ لها دوراً محورياً في وظائف الجهاز المناعي. يمكن لحاسة الشم المتطورة جداً هذه، أنْ تؤثر بشكل كبير على جنسانية النِّساء. دَرَستْ عالمة النفس التطورية في جامعة نيومكسيكو، كريستين غارفر ـ ابغار Christine Garver ـ Apgar وزملاؤها، التشابه في الـ (MHC) بين 48 ثنائيا couples على علاقة رومانسية[13]. وقد وجدوا أنَّه كلما ازدادت درجة التماثل في الـMHC بين كل رجل وشريكته، كلما قل تجاوبها جنسيا معه. وقد أفادت النِّساء اللواتي لهن شركاء يماثلونهن في مورثات الـMHC بأنَّهنَّ يشعرن برغبة اقل في ممارسة الجنس مع شركائهن. كما



افدن بأنَّ لديهنَّ دافعية اقل لإرضاء شركائهن جنسيا، مقارنة بالنِّساء اللواتي على علاقة عاطفية برجال يحملون مورثات MHC مُكمِّلة لمورثات MHC خاصتهن (مختلفة عنها). وربما كانت الحقيقة الاكثر ازعاجا لشركائهن (لو قُدِّر لهم ان يعرفوا)، هو إنَّ النِّساء اللواتي كُنَّ على علاقة بشركاء جنسيين يماثلونهن في مورثات MHC، افدن باختبارهن لخيالات جنسية مع رجال اخرين (غير شركائهن)، اكثر بالمقارنة مع النِّساء اللواتي لهن شركاء مختلفين عنهن في مورثاتMHC، وبالخصوص خلال الفترة الاكثر خصوبة من دورتهن الشهرية. كما إن تلك الخيالات الجنسية لم تبق قابعة في رؤوسهن فقط. فغالبا ما انتهى الامر بهؤلاء النسوة بين ذراعي رجال اخرين، مما يفيد بوجود معدلات خيانة جنسية اكبر بينهن ـ 50 % من الشراكات التي كان فيها الشريكان يتماثلان في 50% من مورثات الـMHC، حصلت فيها خيانات جنسية. وعليه فعندما تقول امرأة انها مارست الجنس مع رجل لأنَّ رائحته كانت لطيفة، فإنَّ دافعيتها الجنسية لها جذور تكيفية تطورية. فعلى المستوى اللاشعوري، تنجذب النِّساء نحو رجال يتوافقون معهن وراثيا.

إنَّ سببا آخر لكون رائحة الرجل مهمة إلى هذا الحد، جاء من اكتشاف ان تناظرية الجسم لها جاذبية جنسية. حيث إن لأجسام غالبية البشر تناظرٌ جانبي: فالمِعصم الايسر له عموما نفس أبعاد المعصم الايمن؛ وطول الاذن اليمنى عموما يماثل طول اليسرى؛ وهكذا من العينين إلى أصابع القدم، يعمل نصفا الجسم كمرآة دقيقة أحدهما للآخر. على أنَّ كل فرد يحمل انحرافات ضئيلة عن التناظر التام. إنَّ هناك عاملين بامكانهما أنْ يتسببا بلاتناظرية أكبر للجسم والوجه. العامل الأول وراثي



ـ عدد الطفرات الوراثية التي يحملها الفرد، والتي يدعوها علماء الوراثة بـالحمولة الطَفرية mutation load. ورغم أنَّ كل شخص يحمل بعض الطفرات الوراثية (تشير التوقعات إلى أنَّ كل شخص يحمل في المعدل عدة مئات منها)، إلا أن بعض الناس يحملون حمولة طفرية أكثر من الآخرين، وتميل أجسام هؤلاء الذين يحملون طفرات أكثرإلى أنَّ تكون اكثر ابتعاداً عن التناظر. أما العامل الثاني فهو العامل البيئي. يعاني بعض الناس خلال نموهم، امراضا وطفيليات واعتلالات واصابات بدنية، اكثر مما يعانيه الاخرون، وتؤدي هذه الاضرار البيئية إلى الإخلال بتناظرية الوجه والجسم. وباختصار، فالتناظر هو مؤشر على صحة جيدة، يشير إلى أنَّ الشخص يحمل حمولة طفرية قليلة، وعانى من اضرار بيئية اقل، أو أنَّه على الاقل كان قادراً على تحمل اصابات بيئية والخروج منها بسلام دون أنْ تترك أثرا عليه. وإذا كان تناظر الجسم جذابا بسبب كيفية تطوُّرِنا، فهل إنَّ كون النِّساء قادرات على شم رائحة التناظر، يوفر مهارة مفيدة، سيما إذا اخذنا بالحسبان أنَّ بعض حالات اللاتناظر، لاتكون جلية واضحة للعيان من الوهلة الأولى؟

ولكن هل أمكن للنساء فعلا، شَمُّ رائحة التناظر؟ في إحدى الدراسات، ارتدى عدةُ رجال، قُمصانا قطنية بيضاء لليلتين[14]. ومن ثَمَّ تم حفظ تلك القمصان في حقائب بلاستيكية محكمة. وقام العلماء في المختبر باستعمال ادوات القياس، بقياس الأبعاد المختلفة لأجسام هؤلاء الرجال، بما فيها المعصمين، الكاحلين وشحمتي الأُذن، لتقييم درجة تناظر جسم كل واحد منهم. ثم قامت مجموعة من النِّساء بِشَمِّ تلك القمصان، وتقييم رائحة كل واحد منها، ما اذا كانت رائحة زكية ام لا. حكمت النِّساء على



الروائح الخاصة بالرجال ذوي التناظر الكبير بانها الاكثر جاذبية، بينما اعتبرت تلك الخاصة بذوي التناظر الاقل بانها منفرة. وقد اظهرت اربع دراسات مستقلة اخرى نفس النتائج.

تجد النِّساء رائحة التناظر جذابة بالخصوص في الفترة الخصبة من دورتهن الشهرية، على وجه الدقة، في الفترة التي يرتفع فيها احتمال حملهن إلى أَوجِهِ. وهذا يعكس بوضوح تكيفاً تطورياً في النِّساء، للتناسل مع رجال يحملون مؤشرات صحة جيدة، بما فيها مورثات ذات نوعية ممتازة. وحتى حينما تقوم النِّساء بمغامرات جنسية خارج الزواج، فإنَّهن يَمِلن إلى اختيار شركاء ذوي تناظرٍ عالٍ، في مؤشر اخر على اهمية التناظر في الجاذبية الجنسية[15].

قوة عبير الرجل

تؤثر رائحة الرجل لا في اختيار المرأة للقرين فحسب، بل أيضا في متى، وكم من المرات تريد ممارسة الجنس معه، وربما أيضا في فرصة حَمْلها منه.

وقد اكتشف باحثون أنَّ تعرض المرأة إلى الفيرمونات الذكرية، يمكن أنْ يزيد من خصوبتها.و الفيرمونات هي مواد كيميائية تُفرَز من قبل غدد موجودة في الشرج، تحت الابطين، مخرج البول، والفم. ويوجد في غير البشر من الثدييات، تركيب شَمِّي متخصص يدعى العضو المَيكَعي الانفي vomeronasal organ، يعمل كمستقبل للاشارات الفيرمونية، والتي تتحكم بدورها بطقوس التزاوج عند معظم الحيوانات والحشرات. وجدت احدى الدراسات، ان اللقاء الجنسي المتكرر (على الاقل مرة في الاسبوع) مع



الرجال، ينظم الدورة الحيضية لدى النِّساء، ويرفع درجة حرارة الجسم الاساسية في فترة الخصوبة، كما انه زاد من افراز الاستروجين في الطور من الدورة الحيضية الذي يلي الاباضة، والذي يدعى بالطور الاصفري او اللوتيني Luteal phase[16]. كما أظهرت دراسة اخرى أنَّ النِّساء اللواتي ضاجعن رجلا مرتين أو اكثر خلال مدة 40 يوما، كانت نسبة حدوث الاباضة لديهن اعلى بشكل دالٍ من النِّساء اللواتي ضاجعن رجلا عدداً اقل من المرات[17].

ومرة اخرى، فإنَّ الجاذبية الجنسية تلعب دوراً. فقد خرجت الدكتورة وينفريد كتلرDr. Winnifred Cutler، مديرة معهد اثينا، بنتيجة مفادها أن تَعَرُّض المرأة للفيرمونات الذكرية، يؤثر في انجذابها جنسيا للرجل[18]. قامت كتلر في دراستها بتسجيل المنحنى أو الخط الاساسي للسلوك الجنسي والمواعدات لثمانية وثلاثين رجلا تراوحت أعمارهم بين 26 إلى 42 عاما، لمدة اسبوعين. ثم جعلت قسما منهم يستخدمون كولونيا ما بعد الحلاقة العادي الذي كانوا يستخدمونه في حياتهم اليومية، وقسما اخر منهم معطر حلاقتهم العادي بعد اضافة فيرمونات مصنعة، مماثلة لتلك التي تُفرز طبيعيا من جسم الرجل. ولم يتم إعلام كلا الفئتين من الرجال بذلك. واستمر الرجال خلال هذا الشهر، بتسجيل انشطتهم الجنسية ومواعداتهم. وقد اظهرت النتائج ان الرجال الذين استعملوا كولونيا ما بعد الحلاقة المدعمة بالفيرمونات، قد انخرطوا في عدد اكبر من المغازلات والعلاقات الجنسية، وحصلوا على مواعيد غرامية عفوية اكثر، وقضوا وقتا اطول على السرير مع شريكة جنسية، مقارنة بما كان عليه خطهم او منحناهم الاساسي للنشاط الجنسي قبل استخدامهم



للفيرمونات المصنعة. وخلال نفس الفترة، أي الشهر، أفاد اؤلئك الرجال بعدم حصول تغير في عدد مرات ممارستهم للإستمناء، وعليه فلا يمكن عَزْو الزيادة في بقية نشاطهم الجنسي ـ أي غير الاستمناء ـ إلى زيادة هياجهم الجنسي بسبب تعرضهم هم إلى الفيرمونات. ولا توفِّر الحساسية تجاه الروائح وسيلة للتعرف على علامات النظافة العالية أو الروائح المثيرة للعواطف فحسب، بل توفر للمرأةِ أيضا مؤشرات تخص الجهاز المناعي، وتناظر الجسم عند الشريك، ويمكن للفيرمونات أنْ تُحدد كيف تثار النِّساء وتنجذب جنسيا.

الحجم مهم

لقد رأينا كيف أنَّ تناظرية الجسم جذابة للنساء، لكونها تشير إلى صحة جيدة. كذلك فإنَّ تناظرية الجسم مرتبطة بالعَضالَة (*) muscularity عند الرجال، وقد أظهرت دراسات في كل من الولايات المتحدة الامريكية وجزيرة دومينيكا الكاريبية، إنَّ الرجال ذوي التناظر الجسمي، لهم عدد اكبر من الشريكات الجنسيات مقارنة بنظرائهم الاقل تناظرا جسميا.عندما تحدد النِّساء الصفات النوعية التي تجذبهن نحو شريك جنسي، فإنَّهن في كثير من الاحيان يذكرن « كان لذلك الشخص جسم مرغوب» ـ ويترتب هذا السبب في المرتبة رقم 16 من حيث تكرار ذكره على لائحة الأسباب التي حددتها النِّساء في دراستنا الاصلية، للقيام بممارسة الجنس. لكن أي نوع من الأجسام تجده النِّساء جذاباً جنسياَ؟

ربما يكون طول القامة هو أوضح الصفات. تظهر الدراسات دائما أنَّ

(*) المراد منها كبر حجم العضلات...المترجم.



النِّساء يعتبرن الرجال طوال القامة جذابين جنسيا، على أنَّ ذلك إلى درجة محددة فقط ـ اطول من المعدل، ولكن ليس طولا مفرطا.

في تحليل للإعلانات الشخصية (اعلانات الاشخاص عن انفسهم)، أبدت 80% من النِّساء رغبتهن في رجال بطول 6 أقدام فاكثر. كذلك فإنَّ الرجال الذين اعلنوا في بياناتهم الشخصية أنَّهم طوال القامة، تلقوا استجابات من عدد اكبر من النِّساء[19]. تفضل النِّساء الرجل طويل القامة في شراكات الزواج، ويولين طول القامة اهمية اكبر من ذلك في حالة الشراكة الجنسية قصيرة الأمد[20]. حتى أنَّ النِّساء يأخذن طول القامة في الاعتبار، عند اختيار المتبرعين بالحيامن![21]. وجدت دراسة أُجريت على رجال بريطانيين، أنَّ الرجال المتميزين بطول قامة اعلى من المعدل، لهم عدد اكبر من العشيقات المُساكِنات، مقارنة بنظرائهم الاقصر قامة. كذلك فقد توصلت دراستان أنَّ الرجال الاطول من المتوسط، يميلون لأنْ يكون لهم عدد اكبر من الاطفال، وبالتالي يكونون أنجح تكاثريا.

تجد النِّساء الرجال طوال القامة مرشحين افضل سواء للعلاقات العاطفية أو للتكاثر.

أيمكن أنْ يكون هناك منطق يكمن وراء رغبة النِّساء في رجال طوال القامة؟ يميل الرجال طوال القامة في الثقافات التقليدية لأنْ تكون لهم مكانة اعلى. إنَّ «الرجال الكبار» في مجتمعات الصيد والالتقاط ـ الرجال ذوي المكانة العالية والذين يحظون بالتبجيل والاحترام ـ هم رجال كبار حرفيا من الناحية الجسمانية. وفي الثقافات الغربية، يميل الرجال طوال القامة لأنْ يكونوا ذوي مكانة اجتماعية اقتصادية اعلى من قصار القامة[22]. وجدت دراسة اخرى ان لجان التوظيف تختار الاطول قامة



من بين مُتقدمَين اثنين لوظيفة عامل مبيعات في 72% من الحالات. كل بوصة تضاف إلى طول قامة الرجل تضيف عدة الاف من الدولارات إلى مرتبه السنوي. قدَّرت دراسة اخرى أنَّ الرجال بطول 6 اقدام يكسبون في المتوسط، وخلال مسيرة مهنية امدها 30 عاما، 166000 دولار اكثر من الرجال الذين يقلون عنهم طولاً بمقدار 7 بوصات.

يتعرض رجال الشرطة الاطول قامة، إلى عدد اقل من الاعتداءات، مقارنة بنظرائهم رجال الشرطة الاقصر، مما يشير إلى أنَّ قامتهم تحظى بهيبة اكبر من جانب المجرمين، أو أنَّها تجعلهم يفكرون مرتين قبل مهاجمتهم. يردع طول القامة الرجال الآخرين عن الاعتداء. وبمصطلحات البيولوجيا التطورية، فإنَّ طول القامة «مؤشر لا لبس فيه» على قدرة الرجل على الحماية. وتُعَبِّر النِّساء انهن ببساطة يشعرن بامان اكثر مع قُرناء طويلي القامة.

تأتي اجابة أخرى من اكتشاف حديث لميزات اخرى ترتبط بطول القامة. يميل الرجال طوالُ القامة، لأنْ يكونوا اكثر صحة من القصار في المتوسط، على أنَّ الرجال الذين يقعون على اقصى النهايتين، العظمى والصغرى لمنحنى الطول، يعانون من مشاكل صحية اكثر. وعليه فان الرجال طوال القامة يميلون لأنْ تكون لهم فرص توظيف اعلى، وموارد اقتصادية اكثر، ويتمتعون بمكانة اجتماعية مرتفعة، كما يوفرون حماية بدنية اكبر، ويكونون اكثر صحةَ ـ وهي تشكيلة من الميزات التكيفية.

(سنرى كيف يشكل الحجم فارقا في ميادين اخرى أيضا، في الفصلين الثاني والسابع).



اللياقةُ من أجل الجنس

ليس طول القامة هو الخصيصة الوحيدة التي تثير النِّساء جنسيا في الرجال. تكشف دراسات تفضيلات القرين، أن النِّساء يرغبن برجال اقوياء، ذوي عضلات نامية، ورياضيين، سواء للاقتران طويل الامد أو للعلاقات الجنسية القصيرة. تظهر معظم النِّساء تفضيلا مُمَيَّزَا لشكل محدد من الجسم ـ والذي يسمى: الجذع بشكل حرف V والذي يُظهر نسبة (كتف ـ ورك) عالية (اي اكتاف واسعة نسبة إلى الورك)[23].

وبالمثل تنجذب النِّساء إلى المعدة (البطن) المستوية، وجذع أعلى معضل (لكن ليس معضلا بافراط إلى حد صعوبة الحركة).

في الواقع فان كلا الجنسين يرون الرجال ذوي نسبة (أكتاف ـ ورك) عالية على انهم اكثر هيمنة جسمانيا واجتماعيا ـ وهذا قد يعطي تفسيراً لسبب انجذاب النِّساء إلى هذه الصفة، حيث إن النِّساء عموما لا ينجذبن إلى الرجال الذين يظهرون وكإنهم يسهل الهيمنة عليهم من قبل رجال اخرين. يبدأ الرجال الذين يظهرون نسبة (أكتاف ـ ورك) عالية، بممارسة الجنس في عمر مبكر (16 عاما أو أقل). كما أنَّهم يفيدون بحصولهم على عدد من الشريكات الجنسيات، اكبر مما يحصل عليه نظرائهم الأضيق أكتافا. كما أنَّ لديهم عددا اكبر من المغامرات مع شريكات جنسيات خارج العلاقة، في الوقت الذي يكونون فيه على علاقة بشريك. كذلك فقد افصحوا عن وقوع اختيار النِّساء المرتبطات فعلا،عليهم كشريك في مغامراتهن الجنسية خارج علاقتهن الاساسية، اكثر من نظرائهم الاضيق اكتافا. لنسبة (اكتاف ـ ورك) دور في إذكاء نار الغيرة أيضا: حيث يثير المنافسون المحتملون ذوو نسبة (اكتاف ـ ورك) عالية الغيرة عند الرجال[24].



يميل الرجال ذوو الأجسام الرياضية، ذات الشكل V إلى ان يتفوقوا في المنافسات اكثر مقارنة بنظرائهم الاضعف. وعبر الثقافات، تسمح المسابقات البدنية كالمصارعة، الرماية، والتسابق، تسمح للنساء بتقييم القدرات البدنية للرجال، بما فيها السرعة، التحمل، والقوة.

على أنَّ الابحاث العلمية اظهرت أنَّ الرجال يُغالون في تقدير درجة العَضَالة التي تكون جذابة للنساء، فيظنون أنَّ عليهم الوصول إلى حجم اكبر، لكي يكونوا جذابين. قارنت دراسة بين عضالة أجسام الرجال المصورين في مجلة Cosmopolitan (والتي تشكل النِّساء نسبة 89% من قرائها)، مع تلك المصورة في مجلة Men's health (والتي يشكل الرجال 85% من قرائها)[25]. وقام الباحثون بتقييم عضالة الرجال المصوَّرين في كلتا المجلتين. وقد كان مستوى العضالة المصور في كوزموبوليتان، وهو (4.26)، قريبا من مستوى العضالة الذي تجده النِّساء مثاليا في الشريك الجنسي، وهو (4.49). وعلى العكس من ذلك فإنَّ الرجال متيقنون خطئاً، بأنَّ النِّساء يرغبن بشريك جنسي اكثر عضالة (5.04)، والذي يقارب مستوى العضالة الذي تصوره مجلة مينز هيلث في صور العارضين الرجال فيها وهو (5.77).

لقد عززت صور الرجال مفتولي العضلات جداً، من سوء تقدير الرجال للمستوى الذي تجده النِّساء جذابا جنسيا ـ تماما كما جعلت الصورُ التي تظهر العارِضات بنحافة مستحيلة، النِّساءَ يبالغن في تقدير مستوى النحافة الذي يجده الرجال اكثر جاذبية.

فبعد تكرار رؤيتهم لصور رجال ذوي أجسام بشكل V، يتناقص رِضى



الرجال عن أجسامهم باستمرار، تماما كما تصاب النِّساء بالاحباط من رؤيتهن لصور العارِضات ذوات المقاسات المثالية[26]. أفاد 90% من الرجال في الولايات المتحدة الامريكية بأنَّهم يريدون أنْ يصبحوا اكثر عضالةً. ويقل الرقم في دولة غانا الاقل تخمة بوسائل الاعلام، ليصل إلى 49% من الرجال. بينما يقع الرجال الأوكرانيون بين الاثنين، حيث أفاد 69% منهم بانهم يرغبون بتنمية عضلات اكبر. وكما لخص احد الباحثين المسالة، فإنَّ الرجل العادي «يشعر بأنَّه كلارك كينت، ولكنه يطمح لأنْ يصبح مثل سوبرمان»[27].

وَجْهُ الجاذبية

«كان يصلح أنْ يكون عارضا (موديل). وعندما ابدى اهتمامه بي، لم اَكَدْ اصدق. مارسنا الجنس لمرة. والاغرب من ذلك، انه استمر بمحاولة الاتصال بي على الهاتف. إلا أنِّي لم اواصل تلك العلاقة لعدة اسباب. أولاً لم يكن اكثر من مجرد وجهٍ جميل، ولو أنه كان مشغوفاً بي فيما اعتقد. ثانيا، لاتواعدي ابدا رجلا اجمل منكِ. فهذا مدمر لثقتك بنفسك وصحتك النفسية»

امرأة غيرية الجنس، العمر 26

تتاثر ملامح الوجه الذكورية تاثرا كبيرا بافراز هرمون الشحمون الخصوي (التستوستيرون) خلال مرحلة المراهقة، الوقت الذي تاخذ فيه عظام الوجه شكلها النهائي. من منظور تطوري، فإنَّ البلوغ هو تلك المرحلة العمرية التي يدخل عندها الرجال والنِّساء ميدان التنافس الاقتراني. حيث يبدئون بتكريس الوقت والجهد والطاقة لمهام جذب



واختيار القرين. عند الرجال، تساهم كمية الكتلة العضلية كما رأينا في التفوق على الرجال المنافسين، وجذب النِّساء جنسيا. ويتضح ان الشحمون الخصوي هو الهرمون السحري الذي يُنَمِّي الكتلة العضلية عند الرجال ويعزز ملامح الوجه الذكورية.

إذن لماذا لا يمتلك كل الرجال وجوها ذكورية وأجساما مفصلة (ناشفة)؟ وللمفارقة فإنَّ الاجابة تتعلق بالتأثيرات الجانبية السلبية للشحمون الخصوي. إنَّ انتاجاً كثيراً من هذا الهرمون، يؤدي إلى إضعاف الفعالية المناعية للجسم في المقابل، جاعلا أجسام الرجال اقل قدرة على مواجهة الطفيليات والامراض. وهنا تكمن المفارقة، فقط الرجال الذين يتمتعون بصحة أعلى من المتوسط لهم قدرة على «تحمُّل» انتاج المستويات الاعلى من الشحمون الخصوي، الذي يعزز ذكورة الوجه. اما المراهقون الاقل صحة فلا يمكنهم تحمل تبعات ذلك على فعالية جهازهم المناعي الذي هو اساسا ليس بالمستوى المطلوب، ولذا ينتجون مستوى اقل من الشحمون بالضبط في الوقت الذي تأخذ فيه عظام الوجه شكلها النهائي. إنَّ الوجه ذو المنظر الذكوري يشير إلى صحة الرجل، قدرته على النجاح في منافسة الرجال الآخرين، وقدرته على توفير الحماية. وهذا افضل تفسير للسبب الذي يجعل النِّساء تجد وجوها اكثر ذكورة على أنَّها الاكثر جاذبية، وليس الوجوه الأكثر ذكورة بإطلاق.

لكن عندما نأخذ بالحسبان وضع المرأة من حيث الخصوبة، وما إذا كانت تُقَيِّم رجلا لأجل زواجٍ أو لأجل لقاء جنسي عابرٍ، فإنَّ الديناميات تتغير. ففي سلسلة من الدراسات العلمية، طُلِبَ إلى مجاميع من النِّساء تقدير جاذبية مجموعة من الوجوه لعدد من الرجال، في أوقات مختلفة



من دورتهن الشهرية ـ خلال الطور الاكثر خصوبة (الخمسة ايام التي تسبق الاباضة)، وخلال الطور الاقل خصوبة (الطور اللوتيني الذي يلي الاباضة). وقد قيمت المشاركات الوجوه من حيث جاذبيتها، على مستوى شراكة جنسية عابرة، وعلى مستوى اقتران طويل الامد.

وجَدت النِّساء الوجوه ذات الذكورة الأعلى من المتوسط، اكثر اثارة وجاذبية جنسيا لعلاقة جنسية عابرة. وعلى العكس من ذلك، فقد وجدت النِّساء الوجوه الاقل ذكورة بعض الشيء، اكثر جاذبية على مستوى اقتران طويل الامد. كما ان رغبة النِّساء في وجوه ذات ملامح ذكورية اشد، كانت في أوجها خلال الطور الخصب من دورتهن الشهرية[28].

ويكمن الجواب عن هذا التناقض، في حقيقة أنَّ الرجال الاكثر ذكورية، اقل اخلاصا جنسيا. حيث غالبا ما يصبحون «الفتيان السيئين» المُخاطِرين ذوي العلاقات النسائية الكثيرة[29]. وبالتالي، تواجه النِّساء اختياراً حَدِّياً أو مقايضة: فإما أنْ يخترن الرجل ذا المظهر الاقل ذكورة، فيحصلن على أب جيد لأطفالهن، وشريك اكثر اخلاصا جنسيا، ولكنهن يدفعن الثمن من خلال عدم حصول ذريتهن على مورثات صحة جيدة. وأما أنْ يخترن الرجل ذا المظهر الاكثر ذكورة، فيمنحن اطفالهن مورثات صحة جيدة، ولكنهن يدفعن ثمن ذلك بشكل اخر، حيث يُنفِقُ هذا النوع من الرجال شطراً من طاقته الجنسية مع نساء اخريات. ولذا تظهر تفضيلات النِّساء استراتيجية اقتران مزدوجة في محاولة للفوز بكلا الحسنيين، لا إحداهما فحسب.

فقد تختار المرأة الانخراط في علاقة طويلة الامد مع رجل اقل ذكورة بقليل، والذي سيكون مخلصا جنسيا، ويستثمر في اطفالها، بينما تنتهز



الفرصة لممارسة الجنس مع رجل اكثر ذكورة في الوقت الذي ترتفع فيه امكانية حَبَلِها. تكشف بعض الدراسات على تسلسل الـDNA إن 12% من النِّساء تقريبا يحبلن من رجال غير قرنائهن طويلي الأمد، مما يُظهر ان بعض، لا كل، النِّساء يتبعن هذه الاستراتيجية الاقترانية المزدوجة. على ان الثقافات تتباين في درجة انجذاب النِّساء لملامح الوجه الذكورية. فقد وجد عالم النفس ايان بينتون ـ فوك Ian Penton ـ Voak وزملاؤه، ان النِّساء الجامايكيات يقيمن جاذبية الرجال ذوي الوجوه الذكورية، اعلى مما تفعل النِّساء البريطانيات. وقد فسروا هذا التباين الثقافي على أنَّه عائد إلى كثرة الامراض المعدية في جامايكا مقارنة بانكلترا[30]. ففي الثقافات التي تشكل فيها الامراض المُعْديَة مشكلة شائعة، يبدو أنَّ النِّساء يوجهن اختياراتهن الجنسية صوب الرجال الذين يُظهرون مؤشرات واضحة على الصحة الجيدة ـ أي الرجال الذين نَحَتَ التيستوستيرون عظام وجوههم.

وسيم على نحو تقليدي

ينساق الناس إلى هؤلاء الذين يعتبرون اجماليا جذابين بشكل كبير إلى حد أنَّ بعض النِّساء المشاركات في دراستنا أفدن بانهن مارسن الجنس مع رجال جذابين حتى مع عدم رغبتهن في متابعة علاقة طويلة الامد معهم:

«اقمت صداقة مع رجل وسيم جدا، ولكني لم اشعر برغبة في اقامة علاقة معه. وقد طلب مني ان ابقى لليلة في فراشه، ورغم شكوكي تجاهه.... فلم استطع المقاومة. لقد كان وسيما على نحو تقليدي، ولكنه كان نزقا ومشاغبا، وكنت اروق له كثيرا»

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 36



ما الذي يعنيه أنْ يكون شخص ما وسيما «على نحو تقليدي»؟ تدرس اخصائية علم نفس النمو جوديث لانغلويسJudith Langlois معنى «الجاذبية» في وجوه البشر، عن طريق قيام العينة المشاركة بالدراسة بتقييم صورِ وجوهٍ مركبةٍ ـ والصورة المركبة هي صورة مصنوعة من مزج صور 16 وجهاً أو أكثر ـ مقارنة بصور الوجوه المفردة التي تم تركيب الصورة المركبة منها. وقد تم تقييم الصورة المركبة على أنَّها اكثر جاذبية من كل صورة مفردة استخدمت في تركيبها، وبحسب لانغلويس «لو اخذتَ صورة وجه مركبة (بمقاسات متوسطة)لانثى، مركبة من 23 صورة وجه، ورَكَّبْتَها على موضع الوجه لصورة عارضة جذابة جدا، فإنَّ الصورتين ستتلائمان بشكل مثالي تقريبا، مما يشير إلى ان ملامح وجه العارضة، تُماثِل جداً ملامح الوجه في الصورة المُركبة من الوجوه العديدة. وقد انطبق ذات الشيء على وجوه الرجال أيضا.

كذلك وجدت لانغلويس أنَّ الرُضَّع بعمر عام واحد حتى، يستجيبون لهذا النوع من الجاذبية «المُعدَّلة» في وجوه البالغين. نُوَّع الباحثون في دراستها من مستويات جاذبية وجوههم بارتداء اقنعة جذابة واخرى غير جذابة، بشكل واقعي ومحكم على وجوههم. ومن ثم حاول هؤلاء الباحثون والباحثات، التفاعل مع الاطفال بعمر عام واحد واستدراجهم إلى اللعب. وقد اكتشفوا ان الاطفال عبروا عن مزاج ايجابي واستعداد اكبر للعب مع الباحثين الذين كانوا يرتدون اقنعة جذابة[31]. وحتى عندما يكون المثير المدروس هو دمية (عروسة)، تظهر الدراسات ان الرُضَّع يمضون وقتا اطول في اللعب بالعروسة الجذابة مقارنة بغير الجذابة. كذلك فإنَّ هناك كمَاً كبيراً من البحوث يشير إلى أنّنا ننجذب إلى الناس



ذوي المظهر الجيد، لأننا نفترض أنهم يحوزون كثيراً من الخصال الحميدة الاخرى. فيُنْظَر اليهم على أنَّهم أيضا مثيرون للاهتمام، طيبو المعشر، مستقلون، ملهبون للحماس، جذابون جنسيا، متزنون، متمتعون بالمهارات الاجتماعية، وناجحون. على أنَّ هناك ما يدعم هذه الافكار النمطية الشائعة عنهم. اذ تتلازم الجاذبية إلى حد ما بحيازة الشعبية، واجادة العلاقات الشخصية، والنجاح المهني، وإلى حد معين بالصحة البدنية، الصحة العقلية، والخبرة الجنسية، وربما تُعْزى هذه المميزات جزئياً إلى انَّ الاشخاص الجذابين غالباً ما يُعامَلون بمحاباة اكثر [32].

صوت يَخلِب الألباب

إنَّ المطربين ابتداءً من الفيس برسلي في الخمسينات والبيتلز في الستينات، وجيم موريسون من فرقة THE DOORS في السبعينات مرورا بمغني الراب المعاصرين مثل كانييه ويست، جي زي، وفيفتي سينت، كانوا ومازالوا مشهورين بجاذبيتهم للنساء. لاشك أنَّ جزءاً من فتنتهم الجنسية يعود إلى شعبيتهم الواسعة والمكانة الاجتماعية التي يحظون بها. إنَّما هناك أيضا صوتٌ للجاذبية الجنسية، شيء ما في اصوات الرجال، يُسمِع النِّساء همسا جنسيا.

تُعَد نبرة الصوت، الخصيصة الاكثر بروزاً في كلام البشر. إذ تكون أصوات كل من الذكور والاناث متماثلة جد التماثل قبل البلوغ. اما عند البلوغ فتحدث تغيرات ملحوظة. حيث يحدث للفتيان ازدياد دراماتيكي في طول حبالهم الصوتية، اذ تصبح اطول بنسبة60% من الحبال الصوتية عند الفتيات. تُسبِّبُ هذه الزيادة في طول الحبال الصوتية والتجاويف



الصوتية، صوتا رنانا ذا نبرة اعمق. يطلق التيستوستيرون هذه التغيرات في الفتيان عند البلوغ، ويتنبأ المستوى العالي لافراز التيستوستيرون بصوت اعمق عند الرجال البالغين. إنبثق أول دليل علمي على تفضيل النِّساء للاصوات الذكرية الأعمق، من دراسة قَيَّمت فيها النِّساء الاصوات العميقة، كصوت لوسيانو بافاروتي، على انها اكثر جاذبية من الاصوات رفيعة النبرة، كصوت ترومان كابوتي[33]. ولا يشكل هذا الكشف مفاجأة كبيرة. لكن ثلاث دراسات اجريت مؤخراً، بينت ان السياق الاقتراني حاسِمٌ في كيفية اختيار النِّساء بين اصوات الرجال. سَجَّل عالم الانثروبولوجيا التطورية ديفيد بوتس David Puts شرائط صوتية لرجال يحاول كل منهم اقناع امرأة للخروج في موعد رومانسي. ثم قامت 142 امرأة غيرية الجنس بالاستماع للتسجيلات، ومن ثم تقييم جاذبية كل رجل من الثلاثين، في سياقين اقترانيين، العلاقة الجنسية العابرة، والعلاقة الملتزمة طويلة الامد. وعلى الرغم من انَّ النِّساء قلن ان الاصوات الاعمق اكثر جاذبية في كلا السياقين، فإنَّهن فضَّلن بشكل كبير الاصوات الاعمق، عندما يتعلق الامر بمجرد علاقة جنسية عابرة. والاكثر من ذلك، فإنَّ النِّساء في الفترة الخصبة من دورة الاباضة لديهن، اظهرن الحد الاعلى من الانجذاب الجنسي للرجال ذوي الاصوات العميقة[34]. عندما نتحرَّى السبب في ذلك، ياتينا بصيص اجابة من الدراسات التي اجريت على اناث الضفادع، حيث تبين أن الاناث تنجذب إلى نقيق ذكور ضفدع الثور bullfrogs الرنان والعميق، حيث تمثل ـ عند الضفادع ـ مؤشرا موثوقا على صحة وكبر حجم القرين[35]. أما اليوم، فقد كشفت الدراسات على البشر، عن سببين مشابهين يفسران لماذا تجد النِّساء اصوات بعض الرجال اكثر



جاذبية من اصوات بعضهم الآخر. يتعلق السبب الأول بالتناظر الجانبي للجسم،و الذي يعد علامة على الصحة والمورثات الجيدة وعلى كون الشخص قادرا على الصمود بوجه الامراض، الاصابات، والطفرات الوراثية خلال نموه. يُنتج تناظر الجسم غالبا اصواتا اعمق. لذا فعندما تجد المرأة ضخامة صوت الرجل اشد جاذبية جنسيا بشكل اكبر خلال الطور الخصب من دورة الاباضة، فانها منجذبة إلى صوت التناظر في ذريتها المحتمَلة. كذلك فان الاصوات الجذابة الرنانة تشير إلى شكل الجسم لدى الرجال. توصلت عالمة النفس سوزان هيوزSusan Hughes ان الرجال ذوي الاصوات الجذابة جنسيا، على العكس من نظرائهم ذوي نبرة الصوت الرفيعة، لديهم في أجسامهم نسبة (أكتاف ـ ورك) اكبر، أي الجسم الجذاب على شكل حرف V[36]. تُقَيِّم النِّساءُ الرجالَ ذوي نبرة الصوت الخفيضة على انهم اكثر صحة، واكثر رجولة، واكثر غَلَبَةً بَدَنِيّاً، أكبر سِنّاً بعض الشي، اكثر هيمنة اجتماعيا، واكثر حظوة بالاحترام من قبل نظرائهم.

ولكن هل تُتَرجم انجذابات النِّساء جنسيا نحو الاصوات الجذابة جنسيا، إلى نجاح جنسي للرجال ذوي نبرة الصوت الخفيضة؟ خَلُصَت احدى الدراسات إلى ان الرجال ذوي نبرة الصوت الخفيضة في الولايات المتحدة، كان لهم عدد اكبر من الشريكات الجنسيات مقارنة بنظرائهم من الرجال ذوي نبرة الصوت الرفيعة الحادة. كما ان دراسة اخرى على شعب الهادزا، وهو شعب يعتمد على الصيد والالتقاط ويعيش في تنزانيا، توصلت إلى أنَّ الرجال ذوي نبرة الصوت الاخفض، لهم عدد اكبر من الاطفال، ربما كنتيجة لنجاحهم في وصول جنسي اكثر إلى نساء خصبات[37].



إذن، فما يصنع الفارق ليس مجرد حيازة نبرة الصوت، فربما تكمن فتنة الصوت العميق، كصوت الممثل جيمس ايرل جونز، في أنَّه مؤشر على الصحة الجيدة، المورثات الجيدة، القدرة على توفير الحماية، والتفوق في التراتبيات الاجتماعية.

إنَّ للكثير من هؤلاء الموسيقيين الجذابين، صفة جذابة اخرى: الطريقة المميزة في تحرك الجسم.

شيء خاص في الطريقة التي يتحرك بها

تعتمد الحركة البدنية على قوة عظام الفرد، توتر عضلاته، والتحكم الحركي. إنَّ القدرة على التحرك المتناسق، خصوصا في الحركات التكرارية كالمشي والرقص، تكشف معلومات عن النمط المظهري للشخص: فهي ترسل معلومات عن عمر الشخص، لاحظ الفرق بين براعة الراقصين الشبان وأولئك الاكبر سنا. كذلك فهي تحمل في طياتها معلومات عن الصحة، مستوى الطاقة والكفاءة الميكانيكية الحيوية، سواء عرفنا بذلك ام لا. لقد وجدنا ان هناك نساء مارسن الجنس مع رجال ببساطة لأنهم كانوا راقصين بارعين:

«قيل لي إن الرجل الذي يرقص ببراعة يبلي بلاء حسنا في السرير. لم اصدق ذلك واردت ان اتاكد بنفسي. التقيت بشخص رقص بطريقة تشبه رقص التعري. وقد رقص لي مرتين. وانتهى بنا الامر إلى ممارسة الجنس، وبالفعل لم تكن براعته في السرير تقل عن براعته على حلبة الرقص.. لقد كان ـ حرفيا ـ يرقص في أثناء ممارسة الجنس. كان ذلك مدهشا»

امرأة غيرية الجنس، العمر 29



«لقد كان مثيراً. وكَونه راقصا بارعا جعلني اشتهيه اكثر. أنا نفسي استمتع كثيراً بالرقص، ولذا عندما اجد شخصا يجيد التناغم في الرقص، فان هذا يثيرني جنسيا»

امرأة غيرية الجنس، العمر 26

تكشف الأبحاث أن النِّساء ينجذبن إلى حركات جسمانية معينة اكثر من الاخرى. عرضت احدى الدراسات على النِّساء صورا مضلَّلة لرجال يرقصون[38]. وقد انجذبت النِّساء للرجال الذين يظهرون حركات على نطاق أو مجال أوسع. كذلك فقد قيمن هؤلاء الرجال بانهم اكثر اثارة جنسيا. وكما تختلف وجوه الرجال عن بعضها في درجة الرجولة، كذلك تتباين درجة الرجولة فيما بينهم في مشياتهم. للرجال والنِّساء مشيتان مختلفتان عن بعضهما: يتارجح القسم العلوي من الجسم جانبيا عند الرجال في أثناء المشي، اكثر مما عند النِّساء. وعلى العكس من ذلك، للنساء حركة دورانية للورك، في طور معاكس للحركة العمودية لأرجلهن، وهو مايخلق ارجحة الورك الكلاسيكية.

في تجربة مدهشة، قامت عالمة النفس ميغان بروفوست Meghan Provost وزملاؤها بتسجيل شرائط فديو لنساء ورجال يمشون[39]. وقد ارتدى كل منهم بدلات أُلصِقَت عليها مُعَلِّمات عاكسة للضوء، وقد الصقت معلمات اخرى على المناطق المكشوفة من جلدهم. ثم قام الباحثون بصياغة برنامج حاسوبي، قام باخذ البيانات من شرائط الفديو وتحويلها إلى نقاط ضوئية، ورتب «المشيات» على تدرج يتراوح مابين انثوي جداً إلى رجولي جداً. ثم عُرضت شرائط النقاط الضوئية الماشية المفرغة من صورة الجسم الحقيقية، على 55 امرأة لا يتناولن موانع الحمل



الفموية(*)، باستخدام شاشة كوبيوتر، وقامت النِّساء باختيار حركة المشي الدقيقة التي يجدنها الاكثر جاذبية. وقد فضلت النِّساء الرجال الذين تتجاوز رجولة مشياتهم المستوى المتوسط. ومرة اخرى اظهرت النِّساء اللواتي في الطور الخصب من دورتهن الشهرية تفضيلا اقوى للرجال ذوي المشية الرجولية، اكثر مما اظهرته النِّساء الاخريات ممن لم يكنَّ في الطور الخصب من دورتهن الشهرية. توفر هذه النتائج دعما أكبر لقيمة الجاذبية التي تصنعها الرجولة ـ الملامح التي تصنعها المستويات العالية من الشحمون الخصوي خلال البلوغ، والتي تزود النِّساء بمؤشر موثوق على صحة الرجل. توفر انماط اخرى من حركات الرجال، توفر للنساء معلومات اقترانية بالغة الاهمية عنهم. ان التَرْبيتَ غير المُتبادَل بين افراد الجنس نفسه Nonreciprocal same ـ sex touching(**) ـ مثلاً عندما يُرَبِّتُ رجل على ظهر رجل اخر، يعد اشارة صريحة على الهيمنة والسيطرة.

ترى النِّساءُ الرجالَ «المرَبِّتين» على أنهم أصحاب مكانة أعلى، وهي احدى المكونات الرئيسية لقيمة الرجل في سوق الاقتران. كَذلك فان حركات التوسع المكاني، كما عندما يمدد الرجل ذراعيه أو رجليه مثلاً، تعد أيضا مؤشراً على الهيمنة. إذ يعتبر هؤلاء الذين يتميزون بوضعية جسد

(*) حيث ان موانع الحمل تحتوي اساساً على هرمون المُودِق estrogen والذي يزيد الرغبة الجنسية للمرأة..المترجم.

(**) المراد منها قيام رَجُل بتربيت ظهر او كتف رجل اخر، دون ان يرد له الاخر الربتة، ففي حالة رده الربتة، يِعتبر الاثنان متساويان في المكانة الاجتماعية، ونُحيل هنا الى ما حدث في اللقاء التاريخي بين الرئيس الامريكي اوباما ونظيره الكوبي راؤل كاسترو عام 2016، اذ حاول اوباما تربيت ظهر كاسترو، ففاجأه الاخير بتفادي التربيتة بطريقة أحرجت الرئيس الامريكي.



مفتوحة ـ على سبيل المثال لا يقومون بشبك اذرعهم على صدورهم ـ على انهم ذوو إمكانيات أكبر واكثر قدرة على الاقناع. أجرى عالم النفس التطوري كارل غرامرKarl Grammer وزملاؤه دراسة شملت ثلاث حانات للعزاب في بينسلفانيا[40]. فقد قاموا بتصنيف السلوكيات غير الشفوية للرجال، ومن ثم قاموا باستكشاف أي منها كان مرتبطا بـ «التواصل الناجح «مع امرأة ما في الحانة، والذي حددوه بانه النجاح في استدراج المرأة إلى محادثة مستمرة لمدة دقيقة على الاقل.

وقد وجدوا خمسة اصناف من حركات الرجال ترتبط بالتواصل الناجح: إلقاء لمحات متكررة ومقتضبة ومباشرة على المرأة، حركات توسع مكاني اكثر، تغييرات اكثر للموقع، عدد أكبر من التربيتات غير المَردودة، وعدد اقل من حركات الانغلاق الجسمي.

تنجذب النِّساء إلى الرجال الذين يبدون اهتماما من خلال التواصل بالعينين، القوام الجسدي المفتوح، والمكانة الاجتماعية من خلال الوسع المكاني، تربيتات ضمن جنسية غير متبادلة، وطريقة رجولية في المشي.

الشخصية الجذابة جنسيا

ليست الجاذبية الجنسية مسالة جسدين ينجذبان مغناطيسيا إلى بعضهما بحثا عن التوافق. فبالنسبة لبعض النِّساء، تُعادل الشخصية من حيث الاهمية، أنْ لم تكن تفوق، الجاذبية الجسدية، في قَدح الشرارة الجنسية:

«من الممكن بالتاكيد أنْ تمارس الجنس مع شخص يتمتع بالجاذبية الجنسية فقط، أو تشعر بالارتباط العاطفي معه فحسب، لكن عند ممارسة الجنس مع شخص لا يمتلك كلا النوعين من الخصائص، تظل تشعر



بان ممارسة الجنس ليست كاملة بعض الشيء. كان لي شريك كنت قد انجذبت اليه في البداية، ولكنه اظهر لاحقا علامات الشخصية المتقلبة، وبَلادة الإحساس. ورغم انني بقيت منجذبة اليه جسديا، ولكنني كلما امعنت النظر في تصرفاته كلما قلت رغبتي بمواصلة ممارسة الجنس معه. وعلى العكس من ذلك، فقد كنت على علاقة بشخص شدتني اليه شخصيته الفذة، وليس مظهره».

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

اكتشفت دراستنا صفتين للشخصية تدفعان النِّساء لممارسة الجنس، حس دعابة جيد، وثقة عالية بالنفس. سَنورِدُ هنا ما أفادت به امرأتان عن الصفة التي جعلت الشريك الجنسي جذاباً بالنسبة لكل منهما:

«مارستُ الجنس مع شخص له حس دعابة رائع، لأنَّني في كل مرة أكون برفقته اقضي وقتا ممتعا. ولم يُسَلِّني شخص قط كما كان يفعل. وقد جعلتني كل تلك المشاعر الجميلة التي كان يثيرها الضحك اشعر بمشاعر جميلة أيضا في نواحي اخرى. ولم تكن ممارسة الجنس إلَا امتدادا لذلك»

امرأة غيرية الجنس، العمر 27

«كان لي حبيب لم يكن جذاباً جداً من الناحية الجسدية، ولكنه كان رومانسيا جدا، وكان بوسعه اضحاكي بمجرد أنْ ينظر الي. كان لديه حس دعابة فريد كان يثيرني جدا... وفي مرحلة ما خانني، وكسر قلبي وقلبه أيضا، وانهيت العلاقة... وبعد عدة سنوات بدأنا نتواعد مجددا، ولو أن السحر الأول لم يعد موجودا. لكن ذلك لم يمنعني من طلب ممارسة الجنس معه، فقد كان لايزال مسليا وفكاهيا بشكل مبهر!»

امرأة غيرية الجنس، العمر 40



وقد أوجزت امرأةٌ اخرى اهمية حس الدعابة باختصار «ان لم يكن هناك ضحك، فانا متاكدة ان ممارسة الحب لن تكون ممتعة». إنَّ أحد المؤشرات على اهمية امتلاك حس دعابة جيد، هو أنَّ هذه الصفة من الصفات الشخصية القليلة التي لها رمز اختصاري يُدْرِجُهُ مستخدمو مواقع المواعدة ضمن ملفاتهم التعريفية وهو GSOH، اختصارا لـ: good sense of humor. كما ان النِّساء المتزوجات من رجال يصفنهم بانهم ظرفاء، يشعرن برضاَ أكبر من مثيلاتهن اللواتي لا يصفن ازواجهن بذلك. كذلك فإن النِّساء يعتبرنه ـ حس الدعابة ـ صفة مرغوبة سواء في العلاقة الجنسية قصيرة الامد أو الرومانسية طويلة الامد. كما خَلُصت دراسات اجراها مختبر باس لعلم النفس التطوري، إلى أنَّ اظهار امتلاك حس دعابة جيد، هو التكتيك الاكثر فعالية الذي يمكن للرجال استخدامه لاجتذاب النِّساء[41]. لكن لا يتفق جميع الرجال مع هذا، فمثلا يقول الممثل الكوميدي جيم ماكفارلاند «واحدٌ من الاشياء التي تدَّعي النِّساء انها من الاكثر اهمية في الرجل، هو حس الدعابة. وما توصلت اليه بعد اعوام من العمل كممثل كوميدي، فقد تعلمت انهن يقصدن حس الدعابة الخاص برجال مثل براد بيت، توم كروز، وراسل كرو، من الواضح ان هؤلاء الاشخاص مرحين».

لقد كانت مسألة لماذا يشكل حس الدعابة هذه الاهمية البالغة في الجاذبية الجنسية، موضع نقاش علمي عريض. لا بد لنا أولاً من التمييز بين انتاج الدعابة (جعل الاخرين يضحكون)، وبين تلقي وتقدير الدعابة (الضحك على نكات الاخرين). وهناك فرق بين الجنسين، فمثلا يعرِّف الرجال المرأة المرحة، بأنها المرأة التي تضحك من دعاباتهم! إذ إن



الرجال تروقهم المرأة التي تبدي تقبلا لدعاباتهم وتفاعلا معها، خاصة في العلاقات الجنسية المجردة. وعلى العكس من ذلك، فإن النِّساء ينجذبن إلى الرجال القادرين على انتاج الدعابة، سواء تعلق الامر بعلاقة لليلة واحدة، أو اقتران يدوم طوال العمر. إن التفسير الاكثر ترجيحا، لمسالة لماذا ينجذب الرجال والنِّساء على حد سواء إلى من يمتازون بالدعابة والمرح، هو لأن الضحك يستحث حالة مزاجية ايجابية. وقد شرحت عدة نساء في دراستنا كيف أن التأثير المريح للدعابة حفزهن لممارسة الجنس:

«الجسم الرائع جذاب حقا، ولكن خصوصا مع تقدمي في العمر، فان الشخصية تصبح اكثر اهمية. ان شخصا فكاهيا بامكانه ان يجعلك تشعر براحة واسترخاء أكبر، خفة الدم ـ بذكاء ـ جذابة بحد ذاتها»

امرأة غيرية الجنس، العمر 38

«جميع الاشخاص الذين انجذبتُ اليهم، ومارست الجنس معهم، كان لديهم حس دعابة رائع. يصبح الامر اكثر متعة عندما يكون بامكانكما الاسترخاء والضحك في الفراش، حتى خلال ممارسة الجنس! فهذا يجعله اكثر امتاعا وعفوية، حيث تستطيع أن تجرب فعل أشياء مختلفة دون ان تخشى عدم تقبلهم لها أو مقابلتهم اياها بالصمت المطبق وكذلك فإذا حصل شيء غريب أوغير متوقع، فبامكانكما ان تضحكا عليه»

امرأة غيرية الجنس، العمر 51

إن حالة الشخص المزاجية في اللقاء الأول عامل مهم فيما يتعلق بالانجذاب، إذ إن المشاعر الايجابية تؤدي إلى تقييمات ايجابية للاخرين، بينما تقود المشاعر السلبية إلى تقييمات سلبية. في الواقع، ان أي شيء أو



أي شخص يكون موجوداً في حضور مشاعر ايجابية أو سلبية، فانه يميل لأن يعجبنا أو لا يعجبنا على التوالي، كنتيجة لتلك المشاعر. ومن هنا جاء المثل «لا تقتل ساعي البريد». اذا حدث بمحض الصدفة ان تواجد اشخاص معك في الوقت الذي يكون شعورك ايجابيا، فستميل إلى ان تَوُدَّهم، والعكس صحيح. ويمكن تفسير هذه النزعة للانجذاب نحو الاشخاص الذين يجعلوننا نضحك، ويُحَسِّنونَ مزاجنا، في ضوء الإشراط conditioning. فبعد اقتران شخص معين بحالة مزاجية معينة لعدة مرات، يكون الشخص وحده في النهاية قادراً على إحداث تلك الحالة المزاجية. واقعا، فإن عدة دراسات وجدت أنه عندما تُعرض على النِّساء صور رجال غرباء، في أثناء تشغيل موسيقى ممتعة، فإنهن ينجذبن اليهم، اكثر مما لو كانت الموسيقى الدائرة غير محببة لهن(42). ربما يعني هذا أن من المرجح أن تنجذب النِّساء إلى معلمي الرقص الذين يدربونهن، ومدلكي المساج، اكثر من انجذابهن إلى محاسبي الضرائب ومنظمي رَكن السيارات.

إن المقدرة على جعل الاخرين يضحكون، تكشف عن درجة معينة من التعاطف، أو القدرة على رؤية الامور من منظور الاخرين ـ ذلك انك تقوم بوضع نفسك في عقول الاخرين وتتصور ما الذي يمكن ان يضحكهم ويسليهم ـ. وربما يعد حس الدعابة الظريف، كذاك الخاص بروبن ويليامز، أو جون ستيوارت، أو الين دي جينيريس، مؤشراً على الذكاء. قد يؤشر حس دعابة رائع على الاريحية، وحب الفكاهة، والشخصية المتكيفة. يتطلب ابداء حس الدعابة حيوية اجتماعية ورباطة جأش، وثقة بالنفس. فالقاء نكتة تفشل في اضحاك الجمهور قد يكون مهينا ومحرجا، لذا يمتنع الاشخاص الخجولون عادة عن محاولة ذلك. وقد اظهرت



البحوث أن النِّساء يرين الرجال المرحين على أنهم ماهرون اجتماعيا وواثقون. وهذا يجرنا للحديث عن الثقة بالنفس، خصلة أساسية تجدها النِّساء جذابة جنسيا. عبَّرت احدى النِّساء في مقابلة اجراها عالم الاجتماع جيرالد كلويد Jerald Cloyd في احد حانات العُزَّاب عن ذلك كالتالي: «بعض الرجال يظهرون انهم يعرفون ما يفعلونه تماما. يعرفون كيف يقدمون انفسهم لك ويشعرونك بالارتياح. ثم هنالك اؤلك المعقدون المهزوزون... الذين لا يجيدون فعل أي شيء. يظهرون بقوة على الساحة أولا.. ولكنهم لا يستطيعون ابقاء الامور على مايرام..يبقون حواليك إلى أن تضطر للتخلص منهم بالذهاب إلى بيت الراحة أو إلى صديق والتكلم معه»[43]. يترافق حس الدعابة غالبا مع الثقة بالنفس:

«لقد كنت على علاقة يوما بشخص قبيح جداً جداً، ولكنه كان قادراً على اضحاكي. كان واثقاً من نفسه جداً، وهي صفة تلازم الاشخاص المرحين عادة فيما اظن، وذلك ما شدني اليه»

امرأة غيرية الجنس، العمر 29

إنَّ الثقة بالنفس جذابة بحد ذاتها. فهي مؤشر على وفرة الموارد: حيث يكسب الرجال الذين يسجلون مستوى أعلى من الثقة بالنفس، اموالا اكثر بكثيرمن نظرائهم الاقل ثقة بأنفسهم[44]. وهي كذلك مؤشر على إدراك الشخص نفسه لقيمته الاقترانية أو قيمته في سوق الاقتران. طبقا لاحدى الدراسات، فقط الرجال الذين يتمتعون بثقة عالية بالنفس، قاموا بطلب مواعدة نساء جذابات جسديا، بغض النظر عن مستوى جاذبيتهم هم انفسهم[45]. وبالضد من ذلك، فإن الرجال الاقل ثقة بانفسهم يتجنبون ذلك خوفا من الفشل.



إغراء الأبناء الجذابين جنسيا

«لقد خرجت مع عدد من حملة شهادة الدكتوراه، اطباء، اساتذة في القانون ومدراء تنفيذيين، بالخصوص لأنني كنت اظن دائما انهم اناس من نوعية اخرى. وكنت معتقدة انهم اكثر ذكاءً مني بكثير بسبب شهاداتهم. اردت بشدة أنْ أعرف ما الذي يجعلهم أفضل مني. وقد نمت معهم جميعا. وتبين لي أنهم لايختلفون عن الميكانيكي أو عامل المصنع، كل ما هنالك أن لديهم اموالا اكثر»

امرأة غيرية الجنس، العمر 42

لهنري كِسنجر مقولة مشهورة بهذا الخصوص «سلطة الشخص تجعله مثيراً جنسياً»، كما أن له مقولة أخرى وإنْ كانت أقل شهرة: «الآن عندما اتسبب بإملال الحاضرين في الحفلات وأُضجرهم، فهم لا يلومونني، بل يعتقدون أن دمهم ثقيل لدرجة أنهم لا يفهمونني وأن هذا خطأهم». لا خلاف أنه محق ـ على الاقل في ما يخص الجاذبية الجنسية التي تضفيها الشهرة ـ. ندرج هنا ما قالته احدى النِّساء في دراستنا عن الموضوع:

«كان هؤلاء الناس مشاهير من الدرجة الثانية. أغلبهم مغنو روك. لا احتاج أن اطيل الكلام لاشرح لك لماذا. فهناك امتياز في ممارسة الجنس مع شخص من المشاهير..اعتقد اني امثل اغلبية الفتيات عندما اقول اني اردت ان يغني لي أحدهم اغنية باسمي. كما غنوا ماجي مي، سوزي كيو، جوليا»

امرأة غيرية الجنس، العمر 28

إنَّ احد الاسباب التي تجعل النِّساء يجدن الشهرة جذابة جنسيا، هو أن الشهرة تاتي غالبا مترافقة مع علو المكانة الاجتماعية، وحيازة الموارد



الكثيرة ـ موضوع الفصل الثامن ـ. إذ إن الموارد يتم تشاركها في العلاقة طويلة الامد، وفي بعض الاحيان يستمر تدفق الموارد على المرأة حتى بعد انتهاء العلاقة. لكن الحصول على الموارد والمكانة الاجتماعية لا يفسر لماذا تجد النِّساء السلطة والمكانة الاجتماعية العالية عنصر جذب جنسي حتى في العلاقات الجنسية العابرة. اذن، نحتاج مفتاحا اخر نفسر به لماذا تريد النِّساء ممارسة الجنس مع نجوم السينما أو الرياضيين المشهورين، حتى ولو عرفن أن العلاقة لن تستغرق سوى ساعات معدودة أو ليلة واحدة فقط.

إنَّ واحدا من التفسيرات الممكنة هو ما يدعوه علماء الاحياء بـ«نسخ القرين». إذ تَستخدم اناثُ انواعِ حيوانيةٍ عديدة، الاختيارات الاقترانية للاناث الاخرى، كاساس لاختياراتهن الاقترانية. حيث يفضلن التزاوج مع ذكرسبق انْ تم اختياره من قبل اناث اخريات. وكلما كانت جودة الاناث اللاتي تزاوجن مع ذكرٍ ما عاليةً، كلما كان نسخ القرين اشد. وقد وجد مختبر باس تأثيراً مماثلا عند البشر[46]. اذ عرض الفريق البحثي على مجموعة نساء، رجالاً في حالات مختلفة ـ صور كل منهم وهو منفردا، صور كل منهم وهو محاط برجال، وصور كل واحد وهو محاط بمجموعة نساء. كذلك فقد عَرَضْنا على الرجال صوراً لنساء وهن منفردات، محاطات بنساء، ومحاطات برجال. وقد وجدت النِّساء اللواتي عرضت عليهن الصور، الرجل عندما يكون محاطا بمجموعة نساء، اكثر جاذبية منه نفسه عندما يكون منفرداً أو محاطاً بمجموعة رجال. وكلما كانت جاذبية النِّساء اللواتي يُحِطْنَ بالرجل اشد، كلما كان اكثر جاذبية في عيون النِّساء اللاتي عُرِضت عليهن الصور. وقد وجد أنَّ هذا التأثير



الذي يزيد المرغوبية، اكثر قوة بالخصوص فيما يتعلق بتقييم الجاذبية الجنسية للرجل. الامر المثير هنا إنَّ الرجال اظهروا رد فعل معاكسا تماما. اذ وجدوا النِّساء المحاطات برجال، اقل مرغوبيةً.

في الاسماك، وانواع حيوانية اخرى من التي لا يقوم فيها الذكور بالاستثمار الوالدي(*)، فإن ما تجنيه الاناث من التزاوج مع الذكر المرغوب من قبل اناث اخريات، هو الوصول إلى مورثاته الممتازة. إن لجودة هذه المورثات ناحيتين: الأولى هي إنها مورثات صحة جيدة، وقدرة أكبر على البقاء، وبالتالي فإنها تمنح ذرية الانثى هذين الميزتين الحيويتين. أما الناحية الثانية فتدعى «مورثات الإبن الجذاب جنسيا». حيث تستفيد الاناث من التزاوج مع ذكر مرغوب بشدة من قبل الاناث الاخريات، ببساطة لأن هذا التزاوج سينتج ابناءاً ذكوراً سيَكونون بدورهم جذابين للأناث أيضا. ولذا فإن الأناث اللواتي ينسخن أو يُحاكين اختيار الأناث الاخريات للقرين، سيحققن نجاحا تكاثرياً بواسطة ابنائهن الذكور الجذابين جنسيا. إن فرضية الابن الجذاب جنسيا، هي تفسير معقول لسلوك نسخ القرين عند البشر. حيث إن النِّساء اللواتي يتزاوجن مع رجال يُشِعُّون جاذبية جنسية في عيون النِّساء، سيكون لديهن فرصة لانجاب أبناء سيكونون جذابين جنسيا أيضا للنساء في الجيل التالي. نحن لا نقول هنا بالطبع إن النِّساء يفكرن بشكل واعٍ بهذه الميزات التكيفية، إنهن فقط

(*)المراد من الاستثمار الوالدي للاب هو انفاق الموارد والطاقة والوقت من قبل الاب في تغذية وتنمية وحماية الذرية بعد ولادتها او تفقيسها، راجع كتاب: علم النفس التطوري، ديفيد ام. باس، ترجمة مصطفى حجازي، الباب الرابع: تحديات التنشئة الوالِدية والقرابة..المترجم.



يجدن الرجال المرغوبين من قبل نساء اخريات، جذابين جنسيا. كما ان هناك اختلافا بين البشر من جهة وبقية الانواع الحيوانية من جهة اخرى في هذه الناحية، حيث تستفيد النِّساء فائدة اخرى من ممارسة الجنس مع هذا النوع من الرجال: الوصول إلى الدوائر ذات المكانة الاجتماعية الاعلى، خارج طبقتهن الاعتيادية.

هل تتجاذب الأضداد؟

لا شك أننا ننجذب أحيانا إلى اناس يختلفون عنا. على انه حينما يتعلق الامر باختيار قرين لعلاقة طويلة الامد، تنعكس المسألة، حيث تتجاذب «الاشباه» بدلا من ذلك. فقد اظهرت عدة دراسات، تشابهاتٍ جوهرية بين الازواج وزوجاتهم، في ما يتعلق بالموقف من الايمان، الحرب، السياسة، وكذا تشابهات في صحتهم البدنية، الخلفية العائلية، العمر، الإثنية، الدين، والتحصيل الدراسي. اذ يتشابه الاقران المتزوجون أو المتواعدون في الجاذبية الجسدية، حتى أن الاقران الشبان المتزوجون يميلون لان يكونوا متطابقين في الوزن.

إن «فرضية التطابق» أو التكافؤ، كما يدعوها علماء النفس الاجتماعيين، قوية جدا إلى درجة أنه عندما يرى الناس قرينَين غير متكافئين في مستوى الجاذبية، فإنهم يستنكرون ذلك. على أن هناك استثناء جديرا بالملاحظة، امرأة جميلة مع رجل اقل وسامة. ففي هذا السيناريو، وطبقا للمنطق التطوري، فإن الناس الذين يحكمون على هذا النوع من القرناء بعدم التكافؤ، ينسبون للرجل ميزات اخرى كالثروة والذكاء والنجاح.

لماذا يتجاذب الأشباه؟ في ما يتعلق بالجاذبية الجسدية، فإن أحد



الاسباب التي تدفع الشخص إلى البحث عن شخص مكافئ له جسديا، هو الخوف من الرفض. إذ يفضل الناس اؤلئك الاشخاص الذين يماثلونهم اجمالا في «القيمة الاقترانية»، أو المرغوبية في سوق الاقتران.

حيث إن محاولة الاقتران بشخص اكثر مرغوبية بشكل كبير، موقف خاسر، لكل من النِّساء والرجال. واذا حصل ان قام احد باجتذاب قرين اكثر مرغوبية منه نفسه، فسيتعين عليه أن يدفع ثمنا لذلك، كالحاجة إلى اليقظة الدائمة والاحتراس من المنافسين الذين قد يغوون هذا القرين. إن ايجاد شخص مشابه في المواقف والمعتقدات يُعد جذابا لأنه يوفر نوعا من التوافق والتأييد المتبادل لما نؤمن به. أي أنَّ شريكا يشاطرنا الرأي في مسالة ما، يقدم لنا دليلا على أننا لابد أنْ نكون محقين بالفعل. كذلك فإن المواقف المتشابهة بين القرناء تولد مشاعر إيجابية، والعكس صحيح وطبقا لمختصِّي عِلم النفس الاجتماعي، فإن الـ «توازن» هو حالة عاطفية هانئة، وشعور بالانسجام، يظهر عندما يكون الشخصان محبان لعضهما، ويتوافقان حول موضوع ما[47]. وعندما يكون الشخصان محبان لبعضهما ومع ذلك غير متفقين على رأي بخصوص ذلك الموضوع، فإن ذلك التوازن يختل. ولاصلاح اختلال التوازن هذا، فإن أحد أو كلا الطرفين يسعى لاستعادته بتغيير موقفه/ موقفها، او بمحاولة تغيير موقف الطرف الاخر. وعلى هذا فإن من الواضح، إن الوصول إلى مستوىً مُرضٍ من التوازن والحفاظ عليه، يكون اسهل اذا كان الطرفان متوافقان منذ البداية على اغلب المواضيع.

واخيراً، فإن التشابه يبشر بنجاح أكبر للعلاقة طويلة الامد. فهو يَقُود إلى الترابط العاطفي، التعاون، التواصل، السعادة في الاقتران، وخطر



انفصال اقل. اذن، ورغم ان الاضداد تتجاذب أحيانا، فعندما يتعلق الامر بالاقتران فإن «الطيور على اشكالها تقع».

إنَّه نوعي المفضل

يمكن للعلم أن يفسر لماذا تنجذب النِّساء عموما إلى نماذج بعينها من الجسم والشخصية، لكن هل بامكانه انْ يفسر الاختلافات الدقيقة جدا بين ما تجده كل واحدة من النِّساء جذابا جنسيا؟ فبعض النِّساء يروقهن الشعر الاشقر المجعد، وتفضل بعضهن الشعر الاسود القصير، فيما تنجذب نساء اخريات إلى الرأس الخالي من الشعر تماما. تفضل بعضهن الرجال ذوي الوجه الحليق تماما، وتفضل اخريات المنظر الاشعث غير الحليق، الذي يشبه وضعية المفيق من نومه للتو.كما أنه من الشائع أن نسمع امرأة تقول « انه ليس نوعي المفضل». يعتقد عالم السيكسولوجيا جون موني John Money، ان كل واحد منا يحمل في عقله قالبه او نموذجه الخاص للمواصفات التي يجدها جذابة، «خارطة حب» كما اسماها. ويقول موني ان «خارطة الحب» خاصتنا، هي ما يقودنا لايجاد قريننا المثالي، او «توأم الروح» كما يحلو للبعض تسميته. وبحسب موني، فان خارطة الحب تبدأ بالتشكل منذ الطفولة، على أساس تجاربنا والناس الذين نواجههم في المرحلة المبكرة من نمونا. فان صادَفَتْ الطفلة عامل متجر اشقر لطيفا يهديها الحلوى، فستميل إلى ذوي الشعر الاشقر عند البلوغ. وإذا كان ابوها الذي تحبه، يحب دائما أن يكون الشخص الذي يحكي القصص ويسمعه الآخرون، فستكون الطفلة محبة للشخصية الانبساطية المنفتحة. وان حصل ان كان في طفولتها طبيب ملتحٍ بائس المنظر قليل الابتسام،



ويحقنها بالابر أيضا، فلن يروقها الرجال الملتحون على الارجح، ولا الاطباء أيضا. وبمعنى ما، فإن خبرات الطفولة هذه، تخلق إِشراطاً يجعلنا نجد ملامح معينة على أنها جذابة، واخرى على انها غير جذابة.

لقد اظهر اخصائي علم النفس الحيوي في جامعة كونكورديا في مونتريال، كندا، جيم فاوس Jim Pfaus إنه يمكن إحداث حالة من الاشراط في التفضيلات الجنسية عند اناث الجرذان ـ والتي لا تميل إلى الارتباط الزوجي الثنائي ـ وذلك بإحداث تلازم بين خصيصة مميزة في القرين الجنسي، وبين الحصول على تجربة جنسية مشبعة. لربما مما يثير حسد النِّساء، إن اناث الجرذان تتميز بسلوكيات معقدة تسمح لها بالسيطرة على كل نواحي التفاعل الجنسي مع الذكور. تفضل الاناث كثيرا التحكم بنفسها بوتيرة عملية الجماع، حيث يُطلق هذا مواد كميائية في الدماغ تحدث الاشباع ـ أي إنها آلية مكافأة. وعليه، فعن طريق الملازمة بين جماع تتحكم الأنثى بوتيرته، وبين حمل الذَكَر لرائحة اللوز، استطاع فاوس وفريقه البحثي، إحداث حالة تفضيل عند الأناث لممارسة الجنس مع الذكور الذين يحملون رائحة اللوز[48]. وبعد مدة من الزمن، حتى عندما كانت الأناث بكامل حريتهن لاختيار أي ذكر للتزاوج معه، فإنهن سَعينَ للتزاوج مع الذكور الذين تعبق منهم رائحة اللوز. يعتقد بعض الباحثين أنَّ كل المعلومات التي جمعها الفرد خلال نموه تكون منطبعة في دماغه عند البلوغ. وبما أنه من المستحيل العثور على من يطابق خارطة الحب خاصتنا على جميع الاصعدة معا، فإننا نتطلع إلى شخص يمتلك عددا كافيا من الصفات التي تتطابق مع خارطتنا تلك، وعندها يقدح التجاذب. وبالاضافة إلى قدرة فرضية خارطة الحب على تفسير الاختلافات الدقيقة



بين الصفات التي تجدها النِّساء جذابة في القرين، كذلك فإن بامكانها ان تفسر لماذا تميل كل واحدة من النِّساء لمواعدة «النوع» نفسه من الرجال مرارا وتكرارا.

تبقى الدافعيات التي تكمن وراء جعل بعض الصفات جذابة جنسيا للنساء، مسالة مجهولة جزئيا، وخارج الادراك الواعي. إذ تسعى النِّساء إلى الاصوات والروائح الجذابة جنسيا في الرجال. ولكنهن لسن على علم دائما لماذا يحفز بعض الرجال حواسهن، بينما يطفئها بعضهم الاخر. تعرف النِّساء أنهن يجدن بعض الوجوه والأجسام جذابة، ولكنهن يبقين غير واعيات بالمنطق التكيفي الذي يكمن وراء رغباتهن. كذلك فإن انجذابهن نحو الرجال الاكثر رجولة في فترة الاباضة والاقل رجولة في ما عداها من الدورة الشهرية، يكشف عن حكمة تزاوجية منظمة، ولو أن معظم لنساء على غير وعي بهذه التقلبات التكيفية الشهرية.

هوامش وإحالات المؤلِّفَين على الفصل الأول

1 ـ Brossard, J. (1932). «Residential Propinquity as a Factor in Marriage Selection،» American Journal of Sociology (September): 288 ـ 94.

2 ـ Segal, M. W. (1974). «Alphabet and Attraction: An Unobtrusive Measure of the Effect of Propinquity in a Field Setting, » Journal of Personality and Social Psychology 30:654 ـ 57.

3 ـ Saegert, S., Swap, W., and Zajonc, R. (1973).



«Exposure, Context, and Interpersonal Attraction, » Journal of Personality and Social Psychology 25(2): 234 – 42.

4 – Moreland, R. L., and Beach, S. (1992). «Exposure Effects in the Classroom: The Development of Affinity Among Students, » Journal of Experimental Social Psychology 28:255 – 76.

5 – Williams, G. P., and Kleinke, C. L. (1993). «Effects of Mutual Gaze and Touch on Attraction, Mood, and Cardiovascular Activity, » Journal of Research in Personality 27:170 – 83.

6 – Huston, T. L., and Levinger, G. (1978). «Interpersonal Attraction and Relationships, » Annual Review of Psychology 29:115 – 56.

7 – Slater, L. (2008). «Overcome » in P. Derrow (ed.), Behind the Bedroom Door (New York: Bantam Dell), 55.

8 – Bem, D. J. (1996). «Exotic Becomes Erotic: A Developmental Theory of Sexual Orientation, » Psychological Review 103:320 – 35.

9 ـ ديفيد. أم.باس , 2009 , نتائج بحث لم يُنشر بعد.

10 – Herz, R. S., and Cahill, E. D. (1997). “Differential Use of Sensory Information in Sexual Behavior as a Function of Gender,” Human Nature 8:275–86.



11 _ Doty, R. L., et al. (1981). «Endocrine, Cardio _ vascular, and Psychological Correlates of Olfactory Sensitivity Changes During the Human Menstrual Cycle, » Journal of Comparative and Physiological Psychology 95:45 _ 60.

12 _ Santos, P. S. C., et al. (2005). «New Evidence that the MHC Influences Odor Perception in Humans: A Study with 58 Southern Brazilian Students, » Hormones and Behavior 47:384 _ 88.

13 _ Garver _ Apgar, C. E., Gangestad, S. W., et al. (2006). «MHC Alleles, Sexual Responsivity, and Unfaithfulness in Romantic Couples, » Psychological Science 17:830 _ 35.

14 _ Thornhill, R., and Gangestad, S. W. (2008). The Evolutionary Biology of Human Female Sexuality (New York: Oxford University Press).

15 _ Gangestad, S. W., and Thornhill, R. (1997). «The Evolutionary Psychology of Extra _ Pair Sex: The Role of Fluctuating Asymmetry, » Evolution and Human Behavior 18:69 _ 88.

16 _ Cutler, W. B., et al. (1980). «Sporadic Sexual Behavior and Menstrual Cycle Length in Women, » Hormones and Behavior 14: 163 _ 72.

17 _ Veith, J. L., et al. (1983). «Exposure to Men Influences



Occurrence of Ovulation in Women, » Physiology and Behavior 31(3): 313 _ 15.

18 _ Cutler, W. B., Friedmann, E., and McCoy, N. L. (1998). «Pheromonal Influences on the Sociosexual Behavior of Men, » Archives of Sexual Behavior 27(1): 629 _ 34.

19 _ Sugiyama, L. S. (2005). «Physical Attractiveness in Adaptationist Perspective،» in D. M. Buss (ed.), Evolutionary Psychology Handbook (New York: Wiley), 292 _ 343.

20 _ Buss, D. M., and Schmitt, D. P. (1993). «Sexual Strategies Theory: An Evolutionary Perspective on Human Mating،» Psychological Review 100:204 _ 32؛ Greiling, H., and Buss, D. M., unpublished data.

21 _ Scheib, J. E. (1997). «Female Choice in the Context of Donor Insemination،» in P. A. Gowaty (ed.), Feminism and Evolutionary Biology: Boundaries, Intersections and Frontiers (New York: Chapman & Hall), 489 _ 504؛ Scheib, J. E., Kristiansen, A., and Wara, A. (1997). «A Norwegian Note on Sperm Donor Selection and the Psychology of Female Mate Choice،» Evolution and Human Behavior 18:143 _ 49.

22 _ For summaries of these studies, see Ellis, B. J. (1992). «The Evolution of Sexual Attraction: Evaluative Mechanisms in Women،» in J. Barkow, L. Cosmides, and J. Tooby (eds.),



The Adapted Mind (New York: Oxford University Press), 267 – 88؛ Buss, D. M. (2008). Evolutionary Psychology: The New Science of the Mind, 3rd ed. (Boston: Allyn & Bacon).

23 – Hughes, S. M., and Gallup, G. G. (2003). «Sex Differences in Morphological Predictors of Sexual Behavior: Shoulder to Hip and Waist to Hip Ratios،» Evolution and Human Behavior 24:173 – 78.

24 – Dijkstra, P., and Buunk, B. P. (2001). «Sex Differences in the Jealousy – Evoking Nature of a Rival's Body Build،» Evolution and Human Behavior 22 (5):335 – 41.

25 – Frederick, D. A., and Haselton, M. G. (2007). «Why Is Male Muscularity Sexy? Tests of the Fitness Indicator Hypothesis،» Personality and Social Psychology Bulletin 33:1167 – 83.

26 – Olivardia, R. S. (2001). «Mirror, Mirror on the Wall... Are Muscular Men the Best of All? The Hidden Turmoils of Muscle Dysmorphia،» Harvard Review of Psychiatry 9:254 – 59.

27 – Frederick, D. A., Buchanan, G. M., et al. (2007). «Desiring the Muscular Ideal: Men's Body Satisfaction in the United States, Ukraine, and Ghana،» Psychology of Men & Masculinity 8:103 – 17.

28 – Penton – Voak, I. S., Perrett, D. I., et al. (1999). «Female



Preference for Male Faces Changes Cyclically،» Nature 399: 741 _ 42. Roney, J. R., and Simmons, Z. L. (2008). «Women's Estradiol Predicts Preferences for Facial Cues of Men's Testosterone،» Hormones and Behavior 53:14 _ 19.

29 _ Jonason, P. K., Li, N. P., et al. (2009). «The Dark Triad: Facilitating Short _ Term Mating in Men،» European Journal of Personality 23:5 _ 18.

30 _ Penton _ Voak, I. S., Jacobon, A., and Trivers, R. (2004). «Population Differences in Attractiveness Judgments of Male and Female Faces: Comparing British and Jamaican Samples،» Evolution and Human Behavior 25:355 _ 70.

31 _ Langlois, J. H., et al. (1990). «Infants' Differential Social Responses to Attractive and Unattractive Faces،» Developmental Psychology 26:153 _ 59؛ Langlois, J. H., et al. (1994). «What's Average and Not Average About Attractive Faces?» Psychological Science 5:214 _ 20.

32 _ Langlois, J. H., Kalakanis, L., et al. (2000). «Maxims or Myths of Beauty? A Meta _ Analytic and Theoretical Review،» Psychological Bulletin 126:390 _ 423.

33 _ Puts, D. A., Gaulin, S. J. C., and Verdolini, K. (2006). «Dominance and the Evolution of Sexual Dimorphism in Human Voice Pitch،» Evolution and Human Behavior 27:283 _ 96.



34 _ Puts, D. A. (2005). «Mating Context and Menstrual Cycle Phase Affect Women's Preferences for Male Voice Pitch،» Evolution and Human Behavior 26:388 _ 97.

35 _ Trivers, R. (1985). Social Evolution (Menlo Park, Calif.: Benjamin Cummings.(

36 _ Hughes, S. M., Dispensa, F., and Gallup, G. G., Jr. (2004). «Ratings of Voice Attractiveness Predicts Sexual Behavior and Body Configuration،» Evolution and Human Behavior 25:295 _ 304.

37 _ Apicella, C. L., Feinberg, D. R., and Marlow, F. W. (2007). «Voice Pitch Predicts Reproductive Success in Male Hunter _ Gatherers،» Biology Letters 3:682 _ 84.

38 _ Grammer, K., Fink, B., et al. (2002). «Female Faces and Bodies: N _ dimensional Feature Space and Attractiveness،» in G. Rhodes and L. A. Zebrowitz (eds.), Facial Attractiveness: Evolutionary, Cognitive and Social Perspectives (Westport, Conn.: Greenwood).

39 _ Provost, M. P., Troje, N. F., and Quinsey, V. L. (2008). «Short Term Mating Strategies and Attraction to Masculinity in Point _ light Walkers،» Evolution and Human Behavior 29:65 _ 69.

40 _ Grammer, K., Renninger, L., and Fischer, B. (2004).



«Disco Clothing, Female Sexual Motivation, and Relationship Status: Is She Dressed to Impress?» Journal of Sex Research 41:66 _ 74.

41 _ Buss, D. M. (1988). «The Evolution of Human Intrasexual Competition: Tactics of Mate Attraction،» Journal of Personality and Social Psychology 54:616 _ 28.

42 _ Comins, H., May, R. M., and Hamilton, W. D. (1980). «Evolutionarily Stable Dispersal Strategies،» Journal of Theoretical Biology 82: 205 _ 30.

43 _ Cloyd, J. W. (1976). «The Market _ place Bar: The Interrelation Between Sex, Situation, and Strategies in the Pairing Ritual Homo Ludens،» Urban Life 5(3): 300.

44 _ Twenge, J. M. (2002). «Self _ Esteem and Socioeconomic Status: A Meta _ Analytic Review،» Personality and Social Psychology Review 6:59 _ 71.

45 _ Kiesler, S. B., and Baral, R. L. (1970). «The Search for a Romantic Partner: The Effects of Self _ Esteem and Physical Attractiveness on Romantic Behavior،» in K. H. Gergen and D. Marlow (eds.), Personality and Social Behavior (Reading: Addison _ Wesley), 155 _ 65.

46 _ Hill, S. E., and Buss, D. M. (in prep.). «The Multiple Determinants of Self _ esteem.» Unpublished manuscript, Department of Psychology, University of Texas, Austin.



47 _ Hummert, M. L., Crockett, W. H., and Kemper, S. (1990). «Processing Mechanisms Underlying the Use of the Balance Schema،» Journal of Personality and Social Psychology 58:5 _ 21.

48 _ Coria _ Avila, G. A., et al. (2005). «Olfactory Conditioned Partner Preference in the Female Rat،» Behavioral Neuroscience 119:716 _ 25.



الفصل الثاني

لذة الجنس

الاشباع الجنسي والنشوة

«سهام لحمية كهربائية..تجوب الجسد. قوس قزح ملون يسقط على الاجفان. رغوة موسيقية تغرق الآذان. هكذا تحدث النشوة»

اناييس نين، كاتبة من اصل كوبي (1903 ـ 1977)

لقد شاعت لعقود، إن لم نقل لقرون، مقولة مفادها أن الرجال يمارسون الجنس من أجل اللذة، وأن النِّساء يمارسنه لاجل الحب. لكن هل هي حقيقة أم أنها مجرد تراث شعبي؟ هل يمكنها أن تفسر لماذا لبعض العقاقير مثل الفياغرا شعبية وتأثير عند الرجال وليس عند النِّساء؟ هل يكمن السبب في ان هذه العقاقير يمكنها إحداث الانتصاب، ولكن لايمكنها إحداث الحب؟

لا شك ان العقاقير الشبيهة بالفياغرا يمكنها ان تُحدِث الاثارة الجنسية عند الرجال بشكل اسهل منه عند النِّساء. ولكن، كما سنرى، فإن هذه العقاقير لايمكنها ان تفعل شيئا للنساء اللواتي يحتجن إلى الحب كاساس للحصول على اللذة من الجنس. أفادت العديد من النِّساء في دراستنا، بأنهن أحيانا مارسن الجنس ببساطة لأنه يمنحن لذة حسية:



«لقد مارست الجنس في الماضي مع رجال كانوا مجرد اصدقاء فقط، وكان ذلك لاجل اللذة الجنسية الصرفة. اما عاطفيا، ففي الحقيقة لم تكن لدي عواطف تجاههم، عدا الخوف من ان يطالبونني بمزيد من الجنس مستقبلا»

امرأة غيرية الجنس، العمر 27

وفي بعض الاحيان، تكون اللذة الجنسية هي الأولوية العظمى:

«كانت اللذة الجنسية دافعي الرئيسي في معظم تجاربي الجنسية. لا استطيع أن اتصور نفسي أُقْدِم على ممارسة جنسية دون ان اتوقع ان اخرج منها بتجربة مشبِعة، لن يكون ذلك منطقيا بالنسبة لي».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 36

في الواقع، فإن من بين الثلاثة اسباب الاكثر تقديما من قبل النِّساء كدافع لممارسة الجنس هما «اردتُ ان اجرب اللذة الجسدية»، و«انه يمنحني احساسا جميلا». وقد كان هذان السببان من ضمن الثلاثة اسباب الاكثر تقديما من قبل الرجال أيضا.

اذن، هل صحيح ان الرجال اكثر بحثا عن اللذة في ممارستهم للجنس من النِّساء؟ طبقا للنساء اللواتي نعرض افاداتهن في هذا الفصل: كلا.

فقد عبرت نساء من أعمار مختلفة، عن أنهن يحصلن على اللذة الجنسية من التغيرات الفسيولوجية وتلك النفسية التي تحدث في أثناء الاثارة الجنسية والنشوة، وكذلك من اللمسات الشهوانية. سنغوص خلال هذا الفصل عميقا لاستكشاف ما الذي يحدث في عقل المرأة وجسدها، بحيث يجعل ممارسة الجنس احساسا رائعا عندها.



اللمسة السحرية

«لقد كنت في علاقة لم تتضمن الجنس لمدة 13 سنة. وبعد انتهائها، أَرَدتُ أن يلمسني بشر ليذكرني بأنني ما زلت قادرة على أن اشعر. الجنس واللذة الجسدية ساعداني على أن استعيد شعوري ببشريتي مجددا»

امرأة غيرية الجنس، العمر 42

يُعَدَ الجلد العضو الجنسي الأكبر عند المرأة. فهو يتضمن جهازا معقدا من الاعصاب الحساسة للتغير في درجة الحرارة، التلامس، ونعومة أو خشونة الملمس. غالبا ما يشار إلى المناطق من الجلد التي تتميز بحساسيتها العالية للتحفيز أو الاثارة بـ«المناطق الحساسة جنسيا erogenous zones»، لأنها تقود إلى الاثارة واللذة الجنسيتين. واكثر المناطق الحساسة شهرة هي الرقبة، شحمة الاذن، الفم، الشفاه، الاثدية وحلماتها، الردفين، المناطق الداخيلة من الفخذين، الاعضاء التناسلية، ظهر الركبة، الشرج، واصابع القدم. وعند بعض النِّساء واقعا، فإن أي جزء من الجسم يمكن ان يكون منطقة حساسة جنسيا. ويمكن ان تزداد اللذة الجنسية للمرء، بمجرد احساسه بلمس جلده، بغض النظر عن المنطقة التي استهدفتها تلك اللمسة، وسواء كانت مداعبة أو دغدغة صغيرة للخد بواسطة ريشة صغيرة، أو من الدفء والرقة التي يخلقها التلامس المباشر بين بشرتين عاريتين، أو من تلقي تدليك من شخص اخر أو القيام بتدليكه:

«يحوي الجنس الكثير من اللذة الجسدية. مجرد ملامسة جسد الشخص لجسد شخص اخر له لذة، اشبه بالحصول على تدليك أو عناق. يُحدث التقبيل شعورا بالاثارة والدفئ، فيما يؤدي تلامس الاعضاء



التناسلية و/ أو الايلاج المهبلي إلى النشوة. ومجمل هذه العوامل هي ما يجعل الجنس أحب الي من الاستمناء »

امرأة غيرية الجنس، العمر 28

إن حلمات الثدي عند المرأة، وكذلك هالة الثدي areola (الدائرة الملونة المحيطة بالحلمة)، مزودة بنهايات عصبية كثيرة، مما يجعلها أكثر حساسية للَّمس. وعندما يتم تحفيز ثدي المرأة من خلال اللمس أو التدليك، يتدفق الدم إلى انسجة الثدي، وإلى الياف عضلية صغيرة مسببا انتصاب الحلمات. وهذا قد يتسبب بجعل الحلمات وهالة الثدي حتى اكثر حساسية، مما قد يزيد من اجمالي الاثارة الجنسية التي تختبرها المرأة:

«كان الالتقاء به مرة اخرى صدفة رائعة.. كل ما استطعت التفكير به هو الشعور بيديه على جسدي، وفي داخلي، الاحساس بالتوسع والامتلاء بينما قضيبه يدخل جسمي، وقد سالته ان كان بامكانه أن يأتي معي لساعتين.. كنت اشعر بالبلل وهو يتسرب إلى سروالي الداخلي.. والتقلص في فخذَي.. والاحساس بحلماتي تكاد تخترق قميصي.. الهدف من ممارسة الجنس هو اللذة.. هذا شيء مؤكد. كان الامر ببساطةِ وتعقيدِ عبارة (انا أريدك)»

امرأة غيرية الجنس، العمر 41

تتباين النِّساء فيما بينهن كثيرا في مقدار حساسية الثديين. ففي دراسة قام بها مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية، أفادت 82% من النِّساء الجامعيات اللاتي اجري عليهن المسح، بأن تحفيز الثديين، اما أَحدَثَ



أو زاد من الاثارة الجنسية لديهن[1]. وفي المقابل، فإن ما يقارب 50% فقط من الرجال أفادوا بانهم يجدون تحفيز حلماتهم مثيرا جنسيا. فيما 7% من النِّساء (والرجال أيضا) كان لتحفيز الثديين والحلمات عندهم اثرٌ معاكس، إذ قلل من اثارتهم الجنسية. لبعض النِّساء حلماتٌ تصبح فائقة الحساسية في أثناء الاثارة الجنسية بحيث تصبح اقل لمسة مسببة للألم أو لعدم الارتياح. واحد من العوامل الموثرة هو حجم الثدي، إذ تكون الاثدية الاصغر حجما اكثر حساسية من تلك الأكبر. كذلك فإن حساسية ثديي المرأة يمكن ان تتغير بمرور الزمن، كنتيجة للتغيرات الهرمونية في أثناء الدورة الشهرية أو الحمل، أو كنتيجة لبلوغها سن اليأس. بينما تتقدم المرأة في السن، تميل حساسية ثدييها للانخفاض. على الارجح، فإن كون النِّساء يجدن تحفيز حلمات الثديين مثيرا جنسيا اكثر من الرجال، يعود إلى ما يحدث في جسد المرأة عند البلوغ، وهو ازدياد حساسية جميع المناطق في الثدي، بشكل أكبر مما يحصل عند الرجال.

هل هناك اهمية لمن يقوم بتحفيز الحلمات؟ ليس كثيرا. رغم أن بعض النِّساء يجدن تحفيز الثديين مثيرا جنسيا فقط في حالة قيام شريكهن الجنسي بذلك، فإن اغلبية النِّساء يجدن لذة جنسية كبيرة من تحفيز اثدائهن بانفسن، أو حتى عند سقوط الماء عليها في أثناء اخذ دوش، أو نتيجة احتكاكها بالملابس.

اثارة الأعضاء التناسلية

مع أن الجلد بالتاكيد هو العضو الجنسي الأكبر، فإنه لاينظر اليه على أنه الرئيسي. مع الشعور بالاثارة الجنسية، تحدث للاعضاء التناسلية تغييرات



تخلق عند المرأة احاسيس لذيذة من جميع الأنواع. فعندما تثار المرأة جنسيا، يتدفق الدم إلى المنطقة الحوضية، المهبل، الاشفار، البظر، وإلى مناطق اخرى كالاحليل، الرحم، ومن الممكن حتى إلى انبوبي فالوب والمبيضين. يعرف هذا التدفق الدموي إلى المناسل بـ«اكتظاظ الأوعية الدموية التناسلية genital vasocongestion». في غير حالة الاثارة الجنسية، يكون مهبل المرأة تقريبا بحجم وشكل حبة مكرونة كانيلوني مطبوخة (مجوفة). بطول 4 بوصات، وبجدران مجعدة افقيا وغير مرنة. وعندما يحدث الاكتظاظ أو الامتلاء الدموي، يكبر الثلثان الداخليان من انبوبة المهبل، طولا وعرضا بمقدار ملحوظ، مما يسمح بدخول القضيب، أو أي جسم تحفيزي اخر. وينتفخ الجزء الاعلى من المهبل، ويرتفع الرحم، ويمتليء الجزء الاسفل من المهبل. تزيد هذه التغيرات من انفتاح المهبل، وتسهل اطباقه على أي جسم يدخله. تزداد الاشفار أو الشفاه الداخلية في السمك مرة أو مرتين عندما تمتليء بالدم. وهذا ما يدفع الاشفار الخارجية، إلى الخارج، جاعلا مدخل المهبل اكثر انكشافا. وبينما تزداد الاثارة الجنسية، يزداد قطر وطول البظر، فيما يختفي الاخير تحت قلنسوته لحماية نفسه من التعرض المفرط للتحفيز. يؤدي اكتظاظ الأوعية الدموية أيضا إلى ترطيب المهبل. يعتقد اغلب الناس ان السوائل الترطيبية أو التزليقية المهبلية تُفرَز من غدة بداخل المهبل، وهذا ليس صحيحا. عندما تُثار المرأة جنسيا، فإن الضغط الناتج من احتقان الدم في انسجة المهبل يؤدي في الواقع إلى دخول السوائل المرطبة إلى قناة المهبل. وحتى عندما لا تكون المرأة مثارة جنسيا، فإن قُطيرات ضئيلة من السائل الترطيبي تَنِزُّ من خلال جدران المهبل، ليمنع جدران الـ«مكرونة» من الالتصاق



ببعضهما. وبالتالي، فإن بين امتلاء المهبل بالدم، وافراز السوائل الترطيبية، علاقة وثيقة، وكلاهما مؤشران على اثارة المرأة جنسيا. قام بعض الباحثين بقياس اثارة الاعضاء التناسلية، عن طريق ادخال فتيلة قطنية معلومة الوزن في المهبل في الحالة الطبيعية للمرأة (غير مثارة جنسيا)، ومن ثم يقومون باخراج قطعة القطن بعد أن تختبر المرأة حالة اثارة جنسية. ثم يتم قياس وزنها الجديد، حيث يمثل الفرق بين وزنها القديم ووزنها الجديد، كمية السوائل التي امتصتها. حقا انها طريقة ذكية، ولكنها ليست بالدقة المطلوبة لقياس السوائل المهبلية. اذ يجري غالبا قياس اثارة الاعضاء التناسلية عند النِّساء، باستخدام جهاز يدعى رسم ازدياد الضوء المهبلي:VAGINAL PHOTOPLETHYSMOGRAPH، والذي يبدو شكله كسدادة TAMPON اسطوانية بلاستيكية شفافة، وتحتوي خلية لتحسس الضوء، والتي تقوم بعد ادخالها في المهبل، بقياس كمية الضوء المنعكسة عن جدرانه، حيث تعد كمية الضوء المنعكسة، مؤشرا على مقدار التدفق أو الاكتظاظ الدموي في الأوعية الدموية للمهبل.

غالبا ما تصف النِّساء امتلاء الأوعية الدموية المهبلية، على أنه شعور بـ «الامتلاء» في الحوض، أو «تنميل» أو «انقباضات وخفقان». وتمنح هذه الاحاسيس بعض النِّساء شعورا لذيذا بالدفء. كذلك فإنها تجعل بعض النِّساء يردن ممارسة الجنس كطريقة لـ «حل» هذه العقدة أو الذروة ـ كما التهيج الجلدي الذي يتطلب الحك باليد ـ. وبالنسبة لبعض النِّساء، فإن هذه الاحاسيس المهبلية تزودهن بميزة اضافية: ليس فقط شعورا عذبا، بل انه يزودهن بتغذية راجعة تخبرهن بأن أجسامهن مثارة جنسيا. وادراك هذا يمكن أن يضيف اثارة اخرى إلى ما تختبره المرأة من الاثارة الجنسية. على



أنه بالنسبة لبعض النِّساء، فإن الشعور بالأثارة الجنسية والاشباع الجنسي لا يتأثر ـ ان تأثر ـ الا قليلا بكيفية استجابة وعمل العضو التناسلي ـ بمعنى أن الاثارة الفسيولوجية لا تؤدي بالضرورة إلى الاثارة النفسية.

إن حقيقة كون اثارة الاعضاء التناسلية عند النِّساء، لا تؤدي حتما إلى المتعة أو اللذة النفسية، ربما تفسر السبب في كون الفياجرا والعقاقير الشبيهة بها، لا تساعد في حل مشكلات الاثارة الجنسية عند النِّساء مثلما تفعل في حالة الرجال الذين يعانون من مشاكل في الانتصاب، رغم أن انسجة الاعضاء التناسلية للنساء، مشابهة جدا لمثيلاتها عند الرجال. إن الانسجة التناسلية لكِلا الرجال والنِّساء، تتكون من شبكة من الأوعية الدموية الدقيقة، محاطة بتراكيب عضلية معقدة. ولتحقيق انتصاب القضيب عند الرجال، وانتفاخ أو امتلاء البظر والأنسجة الاخرى للعضو التناسلي عند النِّساء، يجب ان يتدفق الدم خلال الأوعية الدموية لهذه الأنسجة. ولكي يدخل الدم إلى انسجة الاعضاء التناسلية، لابد ان ترتخي العضلات المحيطة بالأوعية الدموية. عقاقير مثل الفياغرا، ليفيترا، سياليس، تعمل عن طريق ارخاء هذه العضلات في الاعضاء التناسلية لوقت اطول، فتوفر بالتالي وقتا اطول لدخول الدم إلى الأوعية الدموية لتلك الاعضاء. لقد توصلت دراسات عديدة إلى أن كمية الدم المتدفقة إلى العضو التناسلي للمراة عند الاثارة الجنسية، يمكن زيادتها بتنأول المرأة للفياغرا قبل مدة من الجماع. كذلك فإن وصفات عشبية معينة، مثل الايفيدرين[2]، وyohimbine plus L - arginine glutamate[3]، ومستخلص الجينكوبيلوبا[4]، يمكن ان يكون لها ذات التأثير على تدفق الدم إلى الاعضاء التناسلية للنساء.



لماذا يُرَجَّح أنْ يسبب الامتلاء الدموي للعضو التناسلي عند الرجال افكارا واحاسيس جنسية لذيذة ورغبة جنسية، بينما لايكون بنفس قوة التأثير عند النِّساء؟ ان احد التفسيرات هو ان الرجال «على تواصل» اكثر، وعلاقة اقرب مع اعضائهم التناسلية، مقارنة بالنِّساء. وسواء عَزَونا هذا إلى التشريح أو إلى التنشئة الاجتماعية، فإن هذا التفسير يبدو منطقيا. فالقضيب أكبر كثيرا من البظر، وعلى العكس من المهبل، فإنه ظاهر للعيان ويمكن ملاحظته بسهولة ـ خصوصا في حال الانتصاب. كذلك يستخدم الرجال قضبانهم للتبول، حيث يتم تعليمهم لمس ومسك قضبانهم عند تدريبهم على استخدام المرحاض في طفولتهم المبكرة.

أما على الجهة الاخرى، فإن النِّساء غالبا يتلقين رسالة مفادها «لا تلمسي هذا المكان»، كما لو أن اعضائهن التناسلية منطقة موبوءة بالجراثيم الخطرة. وبالتالي، فإن بعض النِّساء افنين أعمارهن دون ان يعرفن حتى عدد الفتحات التي تحتويها اعضائهن التناسلية. وقد خمن بعض الباحثين، ان هذه الاختلافات الجندرية أو النوع ـ اجتماعية gender differences في التشريح، ربما تفسر لماذا يبدأ الرجال في ممارسة الاستمناء في وقت ابكر مما تفعل النِّساء، وكذا لماذا يكون عدد الرجال الذين يمارسونه أكبر كثيرا من عدد النِّساء اللواتي يمارسنه، واخيرا، لماذا يمارسه الرجال بتكرار اكثر. لم تتغير هذه الفروقات الجندرية في ممارسة الاستمناء كثيرا خلال الخمسين سنة الماضية. فمثلا، وجدت دراسة اجريت في أواخر الثمانينات[5]، ان 93% بالمئة من الرجال، في مقابل 48% من النِّساء فقط، مارسوا الاستمناء قبل سن الخامسة والعشرين، وهي نسب مماثلة تقريبا لتلك التي خرجت بها دراسة الفريد كينزي وزملاؤه قبل 20 عاماً من ذلك



التاريخ[6]. وفي دراسة اجراها مختبر ميستون على طلبة جامعيين، قال 85% من الرجال القوقازيين، و74% من الرجال الاسيويين، انهم يمارسون الاستمناء، في مقابل 59% من النِّساء القوقازيات و39% من الاسيويات[7]. وربما تفسرهذه الفروقات الجندرية في التشريح أيضا لماذا هناك تسميات للقضيب اكثر كثيرا من تسميات المهبل والبظر.

الإيلاج، وبقعة جي G ـ SPOT المراوِغة

كما الحال مع اغلب الاشياء التي لها دور في اللذة الجنسية عند النِّساء، هناك تباين كبير في درجة استمتاع النِّساء بايلاج أجسام في المهبل (أو استعدادهن لتحملها) وليكن القضيب، الاصابع، الهزاز vibrator، القضيب الاصطناعي، المنظار الطبي، اللسان، أو اي أجسام اخرى حية أو غير حية. ان جميع النهايات العصبية في المهبل، تقع في الجزء الخارجي منه، قرب الفتحة. وهذا يعني ان النِّساء حساسات للّمس الرقيق أو التحفيز للمهبل، فقط عندما يُطَبَّق على هذه المنطقة الخارجية. اما إلى الداخل، عميقا في المهبل، فهناك مستقبلات تستجيب للضغط الاكثر قوة. وربما تطور المهبل على هذا النحو لأن انتشار النهايات العصبية الحساسة على طول المهبل كان لِيجعل الايلاج المهبلي الكامل عملية مؤلمة.

وبسبب تصميم المهبل بهذا الشكل، فإن بعض النِّساء يجدن الاثارة والتحفيز الذي تتعرض له فتحة المهبل، الجزء الاكثر إمتاعا من عملية الايلاج. وبما ان النهايات العصبية تصبح اقل حساسية بعد التحفيز المتكرر، فإن بعض النِّساء يفدن ان الايلاج يكون اكثر لذة في أول عملية ادخال من الممارسة الجنسية الواحدة. وعليه فإن اخذ استراحات توقف



قصيرة خلال النشاط الجنسي، يتم فيها التحول إلى مناطق أخرى حساسة جنسياً، يوفر للنهايات العصبية في المهبل وقتا تستعيد فيه حساسيتها. حيث تسمح هذه الاستراحات للنساء بإعادة تذوق لذة الادخال الأول.

هناك منطقتان داخل المهبل، تحدثان لذة جنسية لدى الكثير من النِّساء عند تطبيق ضغط عليهما. المنطقة الأولى هي عنق الرحم cervix وهي التركيب المُدَوَّر على النهاية البعيدة للمهبل، ويقوم بدور بوابة الرحم. ورغم ان عنق الرحم لا يحوي أي نهايات عصبية، فإنه ذو حساسية عالية للضغط والحركة. وبينما تجد بعض النِّساء الضغط المتكرر على عنق الرحم شعورا غير مريح أو حتى شعورا مؤلما، فإن اخريات يجدن في الضغط المتناغم ايقاعيا على عنق الرحم، لذة فائقة. حتى انه بالنسبة لبعضهن، امر لا بد منه للوصول إلى النشوة.

أفادت بعض النِّساء اللاتي خضعن لجرحة استئصال الرحم، بما فيه عنق الرحم، بنقصان الاثارة الجنسية والنشوة واللذة التي يختبرنها في أثناء ممارسة الجنس. على أن اخريات خضعن لنفس الجراحة، افدن بعدم حصول أي تغييرات على الاطلاق في الوظائف الجنسية أو اللذة الجنسية لديهن. وربما يتعلق هذا التباين بين هذين الفئتين من النِّساء، بالدور الذي يلعبه التحفيز العنق ـ رحمي، أو التقلصات الرحمية، في مجمل تجربتهن الجنسية. ولذات الاسباب، فإنه من الشائع أن نسمع ان «الحجم غير مهم»، لكن هذا ليس صحيحا على الدوام، فلو كانت المرأة من الطراز الذي يستمتع بالـ«تحفيز العنق ـ رحمي»، فإن الحجم مهم حقا. ولسوء الحظ، فإن التكلف في لَيِّ الجسم في محاولة الوصول لتصويب افضل نحو عنق الرحم، لا يفيد الا بشكل محدود.



أما المنطقة الاخرى التي تستجلب الاثارة الجنسية لدى نساء بعينهن، فهي بقة جي، او بقعة غرافنبرغ Grafenberg spot:

«دخلتُ في علاقات مع الكثير من الرجال في حياتي ـ ربما 100 رجل تقريبا ـ، ومن بين كل هؤلاء الرجال، واحد فقط تعلم كيفية تحفيز بقعة جي خاصتي. انا متزوجة الآن، وأحب زوجي، ولكني ما زلت أفكر بممارسة الجنس مع ذلك الرجل ذي الاصابع السحرية! اقسم انه عندما كان يضغط على تلك البقعة الخاصة كان يركبني الجنون، لم اكن أريد مداعبات تسبق الجنس أو ماشابه، بل المزيد من الايلاج فقط».

امرأة غيرية الجنس، العمر 50

ان هذا الرجل الذي حالفه الحظ بتسمية جزء من جسم المرأة باسمه، هو الطبيب الالماني ايرنست غرافينبرغ Ernst Grafenberg، والذي يُزْعَم انه أول من وصف هذه المنطقة. وقد كان هناك الكثير من الجدل حول ماهية بقعة جي هذه على وجه الدقة، وحول ما اذا كانت موجودة في جميع النِّساء حقا. اعلن باحثون من جامعة لاكويلا في ايطاليا مؤخرا، انهم يعتقدون انهم قد حدَّدوا اخيرا بقعة جي المراوغة هذه[8]. حيث قام هؤلاء العلماء باستخدام الموجات فوق الصوتية، بقياس شكل وحجم النسيج الموجود في الجدار الامامي للمهبل. كانت تسعٌ من النِّساء العشرين الذين قام هؤلاء الباحثون بفحصهن، قادرات على الوصول إلى النشوة الجنسية من التحفيز المهبلي وحده، بينما لم تكن الاحدى عشرة امرأة المتبقيات قادرات على ذلك. وقد بينت النتائج التي اسفر عنها التصوير باستخدام الموجات فوق الصوتية، إن النسيج الذي يقع بين المهبل والاحليل ـ المنطقة التي يُعتقد أنها تحوي بقعة جي ـ كان اكثر سمكا بكثير عند النِّساء



اللواتي كن قادرات على الوصول إلى النشوة المهبلية (التسع)، مقارنة بِسُمكه عند النِّساء الاحدى عشرة اللواتي لم يكنَّ قادرات على ذلك. وهذا يعني ان بعض النِّساء لهن مناطق مهبلية مزودة بالياف عصبية بشكل اكثر كثافة، مما يجعلها اكثر حساسية وبالتالي تكون هؤلاء النسوة اكثر قابلية للوصول إلى النشوة من خلال الايلاج المهبلي بمفرده.

واسهل طريقة لكي تعرف المرأة ما اذا كان مهبلها يحوي منطقة كهذه، هو بالاستكشاف بواسطة اصابعها، ويُفَضَّل استخدام اصبعين أو ثلاثة. لايجاد المنطقة، يجب ان تقوم المرأة ـ أو شريكها ـ بتطبيق ضغط مُنَغَّم وقوي داخل المهبل، إلى الاعلى باتجاه السرة، في المكان الذي يقع تقريبا تحت فتحة الاحليل. تفيد بعض النِّساء ان أول احساس يعتريهن عند لمس بقعة جي خاصتهن، هو الرغبة بالتبول. لكن باستمرار الضغط، سرعان ما يُستبدل هذا الشعور باحساس فائق باللذة. ويمكن ان يؤدي التحفيز المستمر لبقعة جي إلى نشوة عميقة ربما تكون اكثر لذة من النشوة التي يُتوصل اليها بتحفيز البظر وحده. وبالنسبة لمعظم النِّساء على اية حال، فإن الوصول إلى نشوة بقعة جي، اكثر صعوبة بكثير من الحصول على النشوة البظرية. وينطبق هذا بالخصوص فيما يتعلق بايلاج القضيب في المهبل، حيث من الصعب اصابة المنطقة المطلوبة بالضبط. فيما توفر أوضاع جنسية معينة مثل الايلاج في المهبل من الخلف، ووضع المرأة في الاعلى، فرصة أكبر في اصابة بقعة جي. تدعي نسبة صغيرة من النِّساء ان الوصول إلى النشوة من خلال تحفيز بقعة جي، يُحدِث لديهن قذفا. وقد قام باحثون بتحليل هذا السائل الذي يخرج خلال القذف، وقد وجدوا انه، وعلى الرغم من كونه يخرج من الاحليل، فإنه ليس ببساطة بولا يُخرج



خلال النشوة.على أنه لم يكن هناك بحوث علمية جادة حول القذف عند الأناث، لكن بعض الباحثين في موضوع الجنس يعتقدون ان هذا السائل يخرج من غدة سكين Skene's gland وهي غدة داخلية تقع بالقرب من بقعة جي ذاتها.

ما النشوة؟

فيما يتعلق بالرجال، فالجواب بسيط جدا. رغم أن النشوة (الذروة) والقذف، تتحكم بهما آليات فيسيولوجية مختلفة، فإنه يندر جدا أنْ تحدث نشوة دون ان تكون مصحوبة بالقذف. وعليه، فلو كان قضيب رجل منتصبا في لحظة ما، ثم حدث قذف للسائل المنوي، وتلاه ارتخاء للقضيب، فإن النشوة قد حدثت له غالبا. وهذه العلامة الصريحة التي ترافق النشوة عند الرجل، تجعل من المستحيل تقريبا له ان يدعي كذبا وصوله للنشوة. بينما لاتكون علامة الوصول إلى النشوة بمثل هذا الوضوح في النِّساء، وهذا ما يجعل تحديدها اصعب. كذلك فإن هذا يصعب اكثر معرفة متى، وما اذا قد حدثت النشوة ام لا. في الواقع، فإن الاخصائيين الجنسيين، غالبا ما تاتيهم للعلاج، نساءٌ لا يعرفن ما ان سبق لهن الوصول إلى النشوة طوال حياتهن. طرح كينزي وفريقه من الباحثين الجنسيين في خمسينيات القرن العشرين ما مفاده انَّ «التوقف المفاجيء، للحركات المجهدة والتوترات الشديدة للنشاط الجنسي السابق، والسلام الذي يميز الحالة التي تتلوه « كان مؤشرا اكيدا على أن نشوة قد حدثت للمرأة[9]. وفي الستينيات من القرن ذاته، وصف ويليام ماسترز وفرجينيا جونسون النشوة على أنها «احساس بالتوقف أوالتعليق [10]». وبحلول عام 2001، اصبح هناك مالايقل عن 26



تعريفا مختلفا للنشوة عند النِّساء في الادبيات البحثية[11]. انعقدت في عام 2003 في العاصمة الفرنسية باريس لجنة النشوة النسائية في منظمة الصحة العالمية، وقد حُمِل على عاتقها واجب مراجعة الابحاث العلمية الواسعة عن النشوة عند النِّساء، والخروج بتعريف نهائي لها. وقد خرجت اللجنة بالتالي:

النشوة عند انثى البشر، هي احساس مؤقت متباين فائق بلذة عارمة، يسبب حالة استثنائية للوعي، مصحوبةً عادة بتقلصات ايقاعية لاارادية للعضلات المخَطَّطة الحوضية المحيطة بالمهبل، ترافقها غالبا تقلصات في الشرج والرحم، وتوتر عضلي يؤدي إلى ابطال حالة احتقان الأوعية الدموية التي سببتها الاثارة الجنسية (أحيانا بشكل جزئي فقط)، وتخلق عادة حالة من الاشباع والرضا[12].

قد يدهشنا أحيانا، كيف ان الباحثين يأخذون تجربة غير عادية، من ثم يجعلونها تبدو وكأنها حالة مرضية مستعصية (للعلم فإن ميستون كانت رئيسة اللجنة). بدلا من ذلك، تصف احدى النِّساء في دراستنا نشوتها كالتالي:

«تكون مستغرقا في لحظتك. تبدأ بالتوجع وتتعرق. يمكنك ان تشعر بكل بوصة من جسم شريكك. تشعر بدفء جسمه وتطلق لخيالك العنان»

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

تذوق النشوة جسديا

إن أحد الاشياء التي يتوافق عليها الباحثون والنِّساء عموما، هو ان النشوة



حدثٌ يتضمن كلا من الذهن والجسم. فبعد ثوانٍ قليلة من بدء النشوة، تحدث للمهبل والرحم والعضلة العاصرة الشرجية، سلسلة تقلصات لا ارادية. وغالبا ما تُعتبر الانقباضات المهبلية على أنها الصفة المميزة للنشوة عند النِّساء. تتوإلى هذه الانقباضات بفواصل زمنية تقارب الثانية الواحدة تقريبا بين انقباض واخر، وتختلف كثيرا في عددها وقوتها بين مختلف النِّساء. وتعتمد هذه الانقباضات أيضا على المدة الزمنية للنشوة، وعلى قوة العضلات الحوضية للمرأة. وقد ادعى ماسترز وجونسون، انه كلما كانت النشوة اقوى، كلما كان عدد التقلصات أكبر وبالتالي تكون مدة النشوة اطول13. وقد صنفا «النشوة الخفيفة» على أنها تتضمن في المتوسط 3 ـ 5 انقباضات مهبلية مدة كل واحد منها 2، 4إلى4 ثوانٍ، و«النشوة العادية» على أنها تتضمن 4 ـ 8 انقباضات مهبلية مدة كل واحد منها 4إلى 4، 6 ثانية، و«النشوة الشديدة» على أنها تتضمن 8 ـ 12 انقباضا مهبليا مدة كل واحد منها 4إلى 9، 6ثانية، بمجموع اكثر من دقيقتين من النشوة اللذيذة.

«توجُّعٌ في المناطق المهبلية ورجفة في الافخاذ. تتوتر كل عضلة في الجسم ثم تتحرر كمية كبيرة من الطاقة. احس كما لو أنها تاتي من بين ساقي، ثم تصعد عبر عمودي الفقري مكهرِبةً دماغي بالطبع. أحبس انفاسي غالبا، اغلق عيني بشدة، فتظهر الوان على أجفاني. وفي اللحظة التالية أكون حساسة جدا للضوء، دائخة بسعادة، شاعرة بالتنميل والراحة، وممتلئة بالطاقة»

امرأة غيرية الجنس، العمر 24

على أن باحثين اخرين، قد فشلوا في ايجاد رابط بين التقلصات المهبلية ومدة وشدة النشوة التي تشعر بها النِّساء. وبينما أفادت الكثير من النِّساء



بانهن اختبرن النشوة دون حصول انقباضات مهبلية، فربما كان الامر ان تلك الانقباضات كانت من الضعف بحيث لا يمكن الاحساس بها.

إن وظيفة التقلصات المهبلية ليست واضحة. فتقول بعض النِّساء ان تلك الانقباضات تضاعف كثيرا اللذة التي يختبرنها في أثناء النشوة. وإلى ذلك فمن الجدير بالذكر، ان تقليص هذه العضلات اراديا، لا يسبب متعة تستحق الذكر. وإذا كنتِ امرأة يمكنكِ أن تجربي ذلك بنفسك. ولكي تعرفي العضلات التي تشترك في تلك الانقباضات، ففي المرة القادمة للتبول، حاولي ايقاف التدفق واطلاقه بالتناوب. فالعضلات التي تستخدمينها في هذه العملية هي نفسها العضلات التي تشترك في الانقباضات في أثناء النشوة. طرح بعض المُنَظِّرين فرضية مفادها أن تلك الانقباضات المهبلية تطورت لتكون وسيلة لتحفيز الشريك الجنسي الذكر على القذف في أثناء الجماع، ليتيح للأنثى ادخال السائل المنوي إلى الداخل[14]. والثغرة في هذا التفسير، وهي التي تسبب الاحباط للنساء بالمناسبة، هو ان الرجال في كثير من الاحيان يقذفون قبل أنْ تصل النِّساء إلى نشوتهن.

فيما يتعلق بالنسبة المئوية الصغيرة من النِّساء اللواتي يقذفن في أثناء النشوة بواسطة تحفيز بقعة جي، يُرَجَّح ان تساعد التقلصات المهبلية على اطلاق السائل من الاحليل. ومن المرجح كذلك، ان هذه التقلصات المهبلية في أثناء النشوة، تساعد على تبديد امتلاء الأوعية الدموية للعضو التناسلي، الذي تُحدِثه الاثارة الجنسية، حيث كما ذكرنا انفا، يتجمع مقدار كبير من الدم في الأوعية الدموية للمهبل، البظر والاشفار عند حصول الاثارة الجنسية.حيث تساعد النشوة على سريان الدم بسرعة، إلى خارج



انسجة العضو التناسلي. واذا لم تحدث النشوة، فإن الامر يتطلب وقتا كبيرا ـ حتى ساعة كاملة ـ ليخرج الدم من هذه الانسجة. وعندما يبقى هذا الاحتقان الدموي قائما، فإنه يسبب للنساء احباطا حيث إنه يشعرهن بعدم الراحة، وهو احساس يناظر ذلك الشعور الذي يدعوه الرجال بـ «الخصى الزرقاء»(*). كذلك فإن الدم يهاجر من هالَتَي وحلمتي الثديين بعد حدوث النشوة بسرعة. في الواقع، ان هجرة الدم من هالة الثدي عند النشوة تكون من السرعة بحيث تترك هالة الثدي مجعدة لفترة، قبل ان تعود إلى حالتها المستوية غير المُثارة. ويعتبر هذا التجعد دليلا موثوقا على حدوث النشوة.

يرتفع مستوى هرمون البرولاكتين إلى الضعف مباشرة بعد النشوة، ويبقى مرتفعا لمدة ساعة بعد ذلك. يُعتقَد ان البرولاكتين مسؤول عن حدوث ما يدعى دور الجموح أو دور الحِرَان refractory period عند الرجال، الفترة التي تلي القذف، والتي لا يستطيع الرجل خلالها تحقيق انتصاب مجددا. ويتباين دور الجموح كثيرا بين الرجال من مختلف الأعمار، ولكن مدته تزداد مع التقدم في السن، حيث يتطلب الامر المزيد من فترة الراحة بين الانتصاب والانتصاب الذي يليه عند الرجال الأكبر سنا. اما في النِّساء، فلا يبدو ان البرولاكتين له ذات التأثير المُثَبِّط (الكابح). وبالتالي فإن النِّساء قادرات على الحصول على نشوات متعددة، أي سلسلة من النشوات، تكون النشوات الاخيرة منها بنفس شدة النشوة الأولى واقوى منها أحيانا. وخلافا للرجال، فإن النِّساء قادرات على الوصول إلى ما اسمياه ماسترز وجونسون «وضعية النشوة status

---

(*) كلمة في العامية الامريكية، تشير الى حالة الاحتقان والالم الذي يصيب الخصيتين بسبب الاحجام إرادياً او لسبب اضطراري عن القذف في اللحظة الحاسمة..المترجم.



orgasmus»، وهي نشوة تتواصل لعدة دقائق. كذلك فإن هناك اختلافا آخر بين النشوة عند الذكور ونظيرتها عند الأناث، وهو انه عندما يصبح الرجل مثارا جنسيا بشكل عالٍ، فإنه يصل إلى «نقطة اللاعودة»، وهي مرحلة تصبح بعدها النشوة عملية اوتوماتيكية حتى لو توقف التحفيز. اما في النِّساء، فعندما يتم وقف التحفيز في أثناء حث النشوة البظرية أو المهبلية، فإن النشوة تتوقف فجأة. يجدر بالشركاء الجنسيين أخذ هذا الأمر بالحسبان.

تذوق النشوة نفسيا

تصف النِّساء تنوعاً من التجارب الذهنية والانفعالية القوية التي تحدث في أثناء النشوة أو بعدها مباشرة. تستخدم النِّساء كلمات مختلفة لوصف ما يختبرنه نفسيا في أثناء النشوة: لا يُصَدَّق، قوي، مشبِع، مُرضي، شديد، مهيِّج، مبهج،ممتع، مفرح، جذل، مفعم بالحب، رقيق، حميمي، منعش، موحِّد، مُرخي، مُهدئ، مطَمئِن، انتشائي، وجامح. وصفت احدى النِّساء في دراستنا الامر ببلاغة شديدة:

«اشعر كأنني اختبر تحررا جسديا، وانتشاءً أو ثمَلاً عاطفيا بعد النشوة. على أنني استمتع بسير العملية، فليس الهدف هو الوصول إلى النتيجة النهائية، بل ان التجربة باكملها مثيرة، ممتعة، وخلاقة. أحيانا، أريد أن اعاود الاثارة الجنسية لكي اكرر خيالا جنسيا أو جزئية فنية. غالبا ما تشتمل تجربتي الجنسية على قدر كبير من الجنس الفموي، حيث اختار ان اعطي أو اتلقى جنسا فمويا، أو اقوم بالاثنين في وقت واحد!، حسب حالتي المزاجية. وطريقتي المفضلة في الوصول إلى الذروة، هي ان يقوم زوجي



بمداعبة عضوي بفمه، بينما أنا اتخيل شيئا ما (يختلف باختلاف الوقت والحالة المزاجية، أحيانا تخيلات مثلية الجنس، وأحيانا غيرية الجنس، وأحيانا اركز على اللحظة الحاضرة فحسب). استمتع باحاسيس الجنس»

امرأة غيرية الجنس، العمر 28

هل التجربة النفسية للنشوة، هي نفسها عند الرجال والنِّساء؟ لإجابة هذا السؤال، طلب باحثون من مجموعة من النِّساء والرجال، كتابة مقالات يصفون فيها ما يختبرونه ذهنيا في أثناء النشوة. ثم قام رجال ونساء آخرون، بقراءة تلك المقاطع الكتابية لاحقا، محاولين تخمين ما اذا كانت النشوة الموصوفة في المقطع مكتوبة من قبل رجل أو امرأة. في اغلب الحالات، لم يستطع القراء ان يحددوا بدقة ما ان كان الكاتب رجلا أو امرأة. وهذا يرجح ان التجربة النفسية للنشوة متشابهة جدا بين الرجال والنِّساء.

يُطلَق خلال النشوة عدد من الهرمونات ـ الأوكسيتوسين بالدرجة الأولى، بالاضافة إلى البرولاكتين المذكور آنفا. يتلازم اطلاق الأوكسيتوسين مع الشعور بالترابط العاطفي، وربما يفسر هذا لماذا تشعر بعض النِّساء بترابط أو تعلق شديد بشركائهن الجنسيين بعد حدوث النشوة. وبينما يمكن أن تؤدي النشوة إلى الشعور بالتعلق أو الترابط عند النِّساء، فإن الترابط العاطفي بالتاكيد ليس ضروريا لكي تصل النِّساء إلى الذروة أو النشوة الجنسية:

«مارستُ الجنس عدة مرات مع اشخاص لم اكن اشعر تجاههم باي تعلق عاطفي، لكني فعلت ذلك لأني كنت أريد أن اشعر باللذة الجسدية والنشوة الجنسية، احدى الحالات كان صديقا لي منذ عدة سنين. وقتها



كنت لم امارس الجنس منذ مدة طويلة، وقد اردت ان انهي ذلك. تعشَّينا في منزلي، وانتهى بنا الامر لاحقا متعانقين على السرير. شعرت بالارتياح معه لأنه كان صديقا لي، وكانت ممارسة الجنس جد ممتعة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 28

كيفية الوصول إلى النشوة

اذا كان لِدافعِ اللذة الجنسية كل هذه القوة، لنتسائل اذن ما الذي يطلق النشوة عندَ المرأة؟ في ستينيات القرن العشرين، اعتُقِدَ ان النشوة عند النِّساء هي نوع من المنعكس النخاعي SPINAL REFLEX، تحدثه الاعصاب التي تطلق اشاراتها الكهربائية إلى العضلات الحوضية، كرد فعل على احتقان الدم في أوعية العضو التناسلي. وفي السبعينات، اصبح البظر المرشح الاقوى للقيام بتنشيط هذه النبضات الحسية، والتي كان لايزال يُعتقَد انها تطلق ذلك المنعكس النخاعي المفترَض. ولاحقا في الثمانينات، طرح علماء ما مفاده انه عندما تصل الاثارة الجنسية إلى درجة معينة من الشدة، فإنه يتم تفعيل «مركز نشوة» يُفترَض وجوده في الدماغ. لا يستطيع العلماء اليوم ان يحددوا بدقة ما الذي يطلق النشوة عند النِّساء، وما اذا كان هناك حقا «أورغازماترون»(*) من نوع خاص داخل الدماغ. (مؤخرا فقط بدأ الباحثون باستخدام تقنيات التصوير الدماغي لتشخيص المناطق المسؤولة عن النشوة في الدماغ ولمعرفة ما اذا كانت تختلف عند الرجال عنها في النِّساء).

(*) اسم جهاز يفترض انه قادر على تحفيز النشوة الجنسية، ظهر في فلم الخيال العلمي THE SLEEPER عام 73، من اخراج وودي الن..المترجم.



نحن نعرف بالفعل، ان النشوة عند النِّساء، يمكن إحداثها بطرائق مختلفة. إنَّ تحفيز البظر والمهبل هما الطريقتان الاكثر شيوعا. وعادة ما تصل النِّساء إلى النشوة من خلال التحفيز البظري، على نحو اسهل كثيرا من الوصول اليها من طريق الجماع. في الواقع، تظهر المسوحات ان حوالي 60% فقط من النِّساء القادرات على الوصول إلى النشوة، يستطعن الوصول إلى النشوة من خلال الجماع وحده. بمعنى ان الكثير من النِّساء يحتجن إلى تحفيز بظري اكثر من ذلك الذي يوفره مجرد الجماع (الايلاج) وحده، لكي تتحقق النشوة. تتخوف بعض النِّساء، أو يعتقدن انهن قد فقدن شيئا مهما لأنهن غير قادرات على الوصول إلى النشوة من خلال الجماع وحده. ولو كان هذا ينطبق عليكِ فلتطمئني، فإن تلك النشوة المحفزة مهبليا، ليست اكثر معنوية أو لذة أو شدة من النشوة المحفزة بظريا (رغم ان بعض النِّساء القادرات على الوصول إلى النشوة من كلا الطريقين، يفاضلن بينهما بشكل أو اخر).

إن الاعتقاد بإن النشوات المهبلية افضل نوعا ما من البظرية، يمكن تتبع جذوره إلى توكيد سيغموند فرويد في عشرينات القرن العشرين على أن النشوات البظرية كانت «طفولية»، بينما عَدَّ المهبل مركز الاستجابة الجنسية للمرأة الـ«بالغة». لقد صَعُب على فرويد تصوُر ان القضيب لم يكن المرتكز الذي تستند عليه الاثارة الجنسية عند المرأة، ونتيجة لذلك، فإن ملايين النِّساء ممن لا يعيبهن شيء في وظائفهن الجنسية، قد شككن في قدراتهن الجنسية.

في ستينات القرن العشرين، أفاد ماسترز وجونسون، ان جميع انواع النشوات عند النِّساء متماثلة فسيولوجيا، بغض النظر عن نوع التحفيز الذي



يطلقها، مسدِلَيْن الستار على نظرية فرويد. واليوم، تظهر بعض الابحاث المختبرية المحدودة، ان هناك انماطا مختلفة من الأنشطة العضلية الرحمية والحوضية، تحدث خلال النشوات المحفزة مهبليا مقارنة بتلك المحفزة بظريا. وعلى اية حال، فحتى لو صحت نتائج هذا البحث الاخير، فإنه يبقى عاملا صغيرا ضمن مجمل تجربة النشوة الجنسية.

تستطيع بعض النِّساء الوصول إلى النشوة من خلال تحفيز البظر، بقعة جي أو عنق الرحم، فيما تصل اخريات إلى النشوة من خلال تطبيق ضغط على ما يعرف بجبل العانةMons pobis، وهي الكتلة اللحمية المكتنزة المغطاة بشعر العانة، والتي تقع فوق عظم العانة مباشرة. فيما أفادت بعض النِّساء أيضا بوصولهن إلى النشوة من خلال تحفيز الثديين أو الحلمتين، أو التصور والخيالات الجنسية، أو حتى من خلال التنويم الايحائي أو خلال النوم. وعليه فإن النشوة الجنسية يمكن ان تحدث في النِّساء دون ان تتضمن دورا لاعضائهن التناسلية على الاطلاق. وحقيقةُ ان النشوة يمكن ان تحدث للمراة حتى في حال نومها، ترجح الَّا يكون الوعي شرطا اساسيا للنشوة. وقد وَصَفَتْ ادبيات الطب العقلي أحيانا، حدوث حالات «نشوة تلقائية» وصلت من خلالها المرأة للنشوة دون ان يتضمن الامر مثيرا جنسيا واضحا للعيان.

مع شريك أمْ من دونه؟

بالنسبة للنساء اللواتي يجدن ممارسة الاستمناء مقبولة، فإن معظمهن يجدن الوصول إلى النشوة بانفسهن اسهل كثيرا من الوصول اليها بممارسة الجنس مع شريك:



«لم اصل إلى النشوة اَبَدَاً الا بنفسي، لذا فإني اُعَرِّف «المتعة غيرية الجنس» على أنها حسية اكثر منها جنسية».

امرأة غيرية الجنس، العمر 54

في مسح شمل اكثر من 1600 امرأة امريكية تتراوح أعمارهن بين 18 ـ 59 عاما، قالت 29% منهن فقط، انهن كن قادرات على الوصول إلى النشوة الجنسية بواسطة الشريك. فيما قالت 61% (اكثر من الضعف) انهن كن قادرات على الوصول اليها عن طريق الاستمناء[15].

ان السبب الذي يجعل وصول النِّساء للنشوة من خلال الاستمناء اسهل منه بواسطة ممارسة الجنس مع شريك، بسيط جدا: وهو ان غالبية النِّساء اللاتي يمارسن الاستمناء، يمضين وقتا في تحسس واستكشاف المناطق الحساسة جنسيا في أجسامهن. فيتعلمن من خلال التجريب، مكان ومقدار التحفيز المطلوب للوصول إلى تجربة جنسية اكثر امتاعا. وبما ان كل امرأة تختلف عن الاخريات في مكان وتوقيت وكمية اللمس المطلوب للوصول إلى النشوة، فحتى الشريك الجنسي شديد الحذق، يحتاج إلى خارطة طريق في المرات القليلة الأولى. فما جعل ليزا تصرخ لَذَّةً، من الممكن جدا ان يجعل ليندا تخرج هاربة من غرفة النوم. تامل هذا الوصف على لسان احدى النِّساء في دراستنا:

«استمتع بممارسة الجنس مع زوجي لأنه يعرف كيف يمتعني جسديا مع قليل جدا من الارشاد من قِبَلِي الآن (نحن مع بعضنا منذ 6 سنوات).. لايتوجب علي «العمل» من اجل الوصول للذة، فقط استرخي واستمتع».

اذا كانت المرأة تريد الوصول للَّذة الجنسية والنشوة، فإن التفاهم



يساعد على ذلك. ويتم ذلك اما لفظيا، أو بواسطة اشارات اليد الوجيزة، أو باعادة توجيه الاطراف والاصابع إلى مناطق جديدة من جسمها، لتعرِّف شريكها على المناطق التي تحبذ قيامه بتحفيزها، والمناطق التي تريد منه تجنبها. غالبا ما تواجه النِّساء صعوبة في هذا. فالكثير منهن يخشين أن يعتبر شركائُهن هذا الامر اهانة. في الواقع، فإن الشركاء الذين يعتقدون أنهم وصلوا إلى الاتقان الكامل في ممارسة الجنس، قد لا يستسيغون تلقي هذا النوع من التعليمات. بالاضافة إلى هذا، فإن الكثير من النِّساء، قد تعلمن من الوالدين، الاجداد، معلمي المدرسة، الزعماء الدينيين، انه فيما يتعلق بالجنس، فإن هناك ادواراً جندرية مختلفة لكل من النِّساء والرجال ينبغي اتباعها: الرجل هو المبادر في الجنس، ويجب على المرأة «الفاضلة» ان تترك له زمام القيادة. لذا فمن الشائع عند النِّساء اللواتي يتركن لشريكهن مسؤلية تحديد ما يمتعهن جنسيا، ان يبقين غير مُشبَعات جنسيا لسنين عديدة:

«عندما تكون شابا، فالجنس شيء رائع بحق، انتظر إلى ان تبلغ سن الخامسة والخمسين، وسواء تزوجتَ ام لا، فلن يبقى الجنس بنفس الاهمية بالنسبة لك..لكنه يجب أنْ يكون مهما بالفعل. يعلق الرجال عليه اهمية كبرى، ولكنهم لايعرفون شيئا عن مداعبات ما قبل الجنس أو اهميتها، مهما بدت اهميتها صغيرة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 54

انَّ تَحَكُّمَ المرء بزمام جنسانيته، رغم صعوبة التفاهم الجنسي أو الاحراج الذي يسببه، يؤدي على المدى البعيد إلى تعزيز المتعة الجنسية:



«بدأتُ اتساءل عما اذا كانت تجربتي الجنسية تعتمد علي بالكامل، أو ان شريكي يلعب دورا رئيسيا في امتاعي. كانت لدي علاقات مع شركاء عديدين في الماضي، ولم ابدأ الاستمتاع بالجنس بطريقة مُرضية ومشبعة إلا مؤخرا فقط. لقد كنت لمدة من الزمن اعتقد أن الامر يتعلق بشركائي اياهم، بالتاكيد يعتمد الامر عليهم بدرجة ما، ومع ذلك فإني اليوم اعتقد ان الجزء الأكبر من الموضوع يتعلق بي انا. ربما أكون عارفة بنفسي وبجسمي بشكل افضل، أو ربما لأني اختار شركاء افضل، لكني اعرف ان الامر يعود الي في النهاية في ما يخص الوصول إلى المتعة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 27

وبينما يتطلب الامر ليكون الجنس مع الشريك جيدا، مقدارا من التجاوب، فإن بعض النِّساء يركزن على ارضاء رغبات شركائهن إلى درجة اهمال متعتهن الخاصة:

«عندما كنت عزباء، مارست الجنس من اجل متعتي الشخصية. وبما انني متزوجة الآن فإنني أمارس الجنس لامتاع زوجي. ولا تبدو متعتي على نفس القدر من الاهمية مع متعته. واعتقد انه يشعر بذات الشعور».

امرأة غيرية الجنس، العمر 26

عند ممارسة الجنس مع شريك، قد تفقد النِّساء أحيانا التركيز على إحساسهن الذاتي بالمتعة، لينشغلن بأمور أخرى من قبيل كيفية مَوضَعَة أجسامهن في وضع يجعلهن اكثر فتنة. وكما سنرى، فإن هذا النوع من الافكار يجعل من الصعب على المرأة الوصول إلى مستوى من الاثارة مرتفع بما يكفي لإحداث النشوة.



مشاكل النشوة

غالبا ما تتساءل النِّساء غير القادرات على الوصول للنشوة، أو لايصلن اليها الا قليلا جدا، ما اذا كُنَّ مصابات بِعِلَّةٍ جسدية. حقا، ان بعض الحالات الطبية، كالاعتلال العصبي السكري، جراحات معينة في الحوض، والاضطرابات التي تضعف تدفق الدم إلى العضو التناسلي، كامراض القلب التاجِيَّة، وارتفاع ضغط الدم، يمكن ان تؤدي إلى مشاكل في النشوة عند النِّساء، كما يمكن ان تؤدي بعض الوصفات العلاجية إلى مشاكل أيضا.

الخبر الجيد، ان العلماء لم يجدوا في النِّساء الصحيحات بدنيا، أي شيء جسماني يميز النسوة القادرات على الوصول للنشوة من اؤلئك غير القادرات عليه.يتفق اخصائيو علم النفس العيادي، والاطباء العقليون، على أن السببين الاكثر شيوعا لحدوث مشاكل النشوة عند النِّساء، هما عدم تلقي المرأة من التحفيز الممتع ما يكفي لاحداث النشوة، أو ان هناك شيئا ما يُشَتِّتها عن التركيز على الاستمتاع بذلك التحفيز.

بالاضافة إلى محاولة المرأة ارضاء شريكها، او قلقها بشان كيف يبدو منظرها، فإن هناك مشتتات اخرى مثل القلق بخصوص ما ان كان الاطفال (أو الوالدان) في الغرفة المجاورة يتنصتون للصوت، التفكير بالاعمال أو المهام التي يجب القيام بها في اليوم التالي، اعادة تقييم القيمة الاقترانية للشريك، و- ربما «قاتل النشوة» الأول - الشعور بالذنب. فاذا كانت المرأة قد تَرَبَّتْ على قناعة دينية أو غيرها مفادها أن الغرض من الجنس هو الانجاب فقط، وانه يجب ان يمارس في نطاق الزواج فحسب، فستختبر المرأة على الارجح جرعة كبيرة من الشعور بالذنب بدلا من النشوة، عند ممارسة الجنس خارج هذا السياق.



كذلك يمكن ان تؤثر التوقعات الثقافية cultural expectations(*) على قدرة المرأة على الوصول للنشوة. فقد وجد الانثروبولوجيون الذي قاموا بدراسة الجنسانية عبر العالم، انه في المجتمعات التي تتوقع من المرأة ان تستمتع بالجنس كما يستمتع الرجال، فإن النِّساء يصلن إلى النشوة. ان الكثير من نساء هذه المجتمعات، كنساء جزيرة منغايا،يُعَلَّمن ان يصلن إلى النشوة لا مرة واحدة فحسب، بل مرتين أو ثلاثة في مقابل كل نشوة يصل اليها شريكها الرجل. حتى ان رجال منغايا الذين يفشلون في ايصال شريكتهم إلى النشوة غالبا ما ينظر اليهم بازدراء[16]. (تُنَظِّم شركة Air Rarotonga حاليا اربع رحلات جوية في الاسبوع إلى جزيرة مانغايا، اقصى جنوب جُزُر كوك). وعلى العكس من ذلك، ففي الثقافات التي تعتقد أن النشوة عند النِّساء أما انها غير مهمة أو حتى غير موجودة أصلا، فإن النِّساء يواجهن صعوبة في الوصول إلى النشوة. وافضل تفسير لهذا، هو انه اذا كان يُتوقع من المرأة أن تصل إلى النشوة، فإنها على الارجح ستحاول ان تتعلم أو تتدرب على كيفية الوصول اليها. حيث إن غالبية النِّساء، خلافا للرجال، عليهن ان يتعلمن كيفية الوصول إلى النشوة.

اذا كانت المرأة غير قادرة على الوصول إلى النشوة لأنها متاثرة بعوامل تشتتها عن التركيز على الاحاسيس الجنسية الممتعة، فإن افضل طريقة للتغلب على هذه العقبة هي ان تستكشف، ربما بمساعدة اخصائي، ما هي هذه العوامل المشتتة المختلفة، وكيف يمكن التخلص منها. هنا تصف امرأة كيف اصبحت تستمتع بالجنس بعد أن تحررت من الشعور بالذنب:

«بعد سنين من الشعور بالصراع حول فكرة ممارسة الجنس مع

(*) الأعراف بمعنى من المعاني..المترجم.



شخص ما لمجرد كونه جذابا ولمجرد توقع تجربة جنسية ممتعة، حققت اخيراً رغبتي تلك بالكامل. انا استمتع بممارسة الاغراء والجنس اللذيذ والخالي من الشعور بالذنب. اعتقد ان الجنس شيء رائع. وقد استطيع ان أَعُدَّه هوايتي المفضلة. احس وكإني امتلك غريزة جنسية قوية ولا ارى اي سبب يمنعني من اشباعها. استمتع بالشعور بالجاذبية، والمغازلات، وتقييم مدى اهتمام الشخص الاخر، وعندما ينجذب الشخص الاخر بدوره الي، فإنني اتطلع إلى خوض تجربة جنسية ماجنة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 33

ومن الجهة الاخرى، اذا كانت المرأة غير قادرة على الوصول إلى النشوة، بسبب عدم تلقي ما يكفي من التحفيز لإحداثها، فإن افضل علاج لهذه الحالة هو ما يدعى بالـ «الاستمناء المُوَجَّه directed masturbation». يتضمن الاستمناء الموجه سلسلة من تمارين الاستكشاف الذاتي تقوم بها المرأة بنفسها. والغرض منها هو ان تتعلم المرأة تحديد الاماكن الحساسة التي تمنح الشعور بالاثارة الجنسية، ومن ثم القيام بتحفيزها يدويا لزيادة شدة اللذة إلى ان «يحدث شيء ما». وقد اظهرت عدة دراسات على هذه التقنية، انها حققت نسبة نجاح ملحوظة في علاج النِّساء اللواتي لم يسبق لهن الوصول إلى النشوة من قبل ابدا. اذ وجدت احدى الدراسات، ان 100% من النِّساء اللواتي خضعن للعلاج بهذه الطريقة لمدة شهرين، اصبحن قادرات على الوصول للنشوة من خلال الاستمناء الذاتي، فيما اصبحت 47% منهن قادرات على الوصول اليها من طريق الجماع. حيث خضعت هؤلاء النسوة لـ10 جلسات مع اخصائي قام بتعليمهن كيفية القيام بتمرينات المداعبة الموجَّهة هذه في البيت[17]. على أن نفس



الدراسة، وجدت نسب نجاح أيضا عند النِّساء اللواتي قمن بمجرد قراءة هذه التمارين وتطبيقها، دون ان يخضعن لمقابلة الاخصائيين. حيث استطاعت 47% من هؤلاء النسوة واللاتي لم يسبق لهن ابدا الوصول للنشوة، ان يصلن اليها من خلال الاستمناء الذاتي، بينما استطاعت 13% منهن تحقيقها من خلال الجماع.

ان كتاب Becoming Orgasmic: A Sexual and Personal Growth Program for Women، من تاليف Julia Heiman وJoseph LoPiccolo يزود النِّساء بدليل ارشادي مفصل ممتاز لاداء هذه التمارين[18].

عوائد(فوائد) النشوة

بقدر ماكان هناك نقاش علمي عريض حول ماهية النشوة بالتحديد، كان هناك أيضا قدر كبير من الجدل حول ما اذا كانت النشوة عند الأناث تخدم وظيفة تكيفية، أو انها مجرد ناتج عرضي، كما الحال مع حلمات الثديين عند الذكور والتي تعد نواتج عرضية لعملية التطور، بلا اية وظائف معروفة. ولأن التغييرات الفسيولوجية العديدة التي تحدث للمرأة خلال النشوة، تزيد من فرصة حَبَلِها، فربما كان للنشوة هدف تكاثري. ومن منظور تطوري، فربما وفرت النشوة معلومات عن مدى جودة جينات الرجل، واحتمالية كونه ابا جيدا، وبالتالي، دليلا على صلاحيته على المدى البعيد.

طرح المُنَظِّرون الأوائل فرضية مفادها أنه عندما تصل المرأة إلى النشوة خلال الجماع فإن هذا يطلق عندها عملية الاباضة، مما يؤدي بالتالي إلى حدوث الحمل[19]. وعلى الرغم من أن الاباضة التي يحفزها الجماع،



تحدث فعلا في بعض أنواع مملكة الحيوان، فإن هذه الفرضية تم دحضها بعدما تبين أن الاباضة تحدث عند النِّساء في منتصف الدورة الشهرية بغض النظر عن حدوث جماع أو عدمه، وكذا حدوث نشوة أو عدمه. فيما طرح منظرون متاخرون فرضية ان الانقباضات التي تحدث خلال النشوة تسبب نوعا من الامتصاص الرَحِمِي الذي يقوم بدفع الحيامن بكفاءة أكبر عبر عنق الرحم، الرحم فانبوبي فالوب. بينما اظهرت دراسات ان اسرع طريقة لنقل الحيامن إلى داخل رحم المرأة، هو ان تدخل تلك الحيامن في وقت لاتكون فيه المرأة مثارة جنسيا[20].

كما ذكرنا آنفا، فإنه عند الاثارة الجنسية، يتمدد المهبل، ويصعد الرحم. وتصنع هذه التغيرات بشكل مؤقت حاجزا يقلل فرصة دخول الحيامن بسرعة إلى الرحم. مما يوفر الوقت للحيامن لتخوض ضربا من عملية الانتخاب الطبيعي، تكون خلالها الحيامن ذات الصحة الممتازة اقدر على الدخول إلى انبوبي فالوب، فيما تبقى الحيامن الضعيفة في مؤخرة السباق لتموت. وهنا تلعب النشوة دورها في تبديد الاثارة الجنسية. وفي تلك اللحظة، ينفتح الممر امام الحيامن الافضل لتشق طريقها باتجاه انبوبي فالوب. وقد وجدت احدى الدراسات، ان النِّساء يصلن إلى النشوة مرات اكثر عند ممارسة الجنس مع شريك يتمتع بالتناظر الجسمي، مقارنة بممارسته مع شريك لا يتمتع به[21]. وكما رأينا في الفصل الأول، فإن هذه النتائج تقترح ان النشوة عند النِّساء قد تساعد على تأمين جينات اكثر صحة، لتمريرها لذرية المرأة.

ان واحدة من النظريات المثيرة للاهتمام والخلاف نوعا ما، حول الغرض من النشوة عند النِّساء، هي ان النِّساء قادرات على استخدام النشوة



كوسيلة لتوجيه السائل المنوي المقذوف في المهبل[22]. عندما يقذف الرجل في مهبل المرأة، فإن جزءا قليلا فقط من السائل المنوي يتخذ طريقه إلى عنق الرحم. اما الباقي، والذي يدعى بـ«الدَفْق الراجِع flowback» فيتسرب خارجا من المهبل. وطبقا لهذه النظرية، فإن كمية الدفق الراجع الحاوي على الحيامن، يختلف بحسب العلاقة بين توقيت النشوة عند المرأة، ووقت ادخال السائل المنوي في المهبل. وبتعبير آخر، فإن وقت حدوث النشوة عند المرأة، يحدد كمية الحيامن التي ستدخل عميقا. اذ يُعتقد ان دخول اقل كمية من الحيامن، يكون عندما تحدث النشوة عند المرأة قبل اقل من دقيقة من قذف السائل المنوي في المهبل، وان كمية الحيامن الداخلة، ترتفع إلى حدها الاعلى عندما تحدث النشوة عند المرأة بعد برهة قصيرة من قذف السائل المنوي في المهبل. واذا حدثت النشوة قبل اكثر من دقيقة من قذف الرجل، فإن كمية الحيامن الداخلة تكون مساوية، بحسب احدى الدراسات، لكمية الحيامن الداخلة في حالة عدم حدوث نشوة اطلاقا[23]. ان النشوة بما تحدثه عند المرأة من شعور بالاسترخاء والسكينة، تؤدي ببعض النِّساء إلى الاستلقاء على ظهورهن مسترخيات بعد ممارسة الجنس. ويقلل البقاءُ في وضع الاستلقاء الافقي هذا كمية الدَفق الراجع، وربما يسهل أيضا حدوث الحمل.

وربما كان هناك دورا آخر للنشوة عند النِّساء في عملية التكاثر، وهو انه في حالة النِّساء اللواتي مارسن الجنس مع رجال بطيئي القذف، ربما ساعدت تلك الانقباضات المهبلية التي تحدث خلال النشوة،على تحفيز القذف عند الرجال. كذلك فإنه عندما يُطلَق هرمون البرولاكتين في أثناء النشوة، فإنه قد يصل إلى السوائل المهبلية والرحمية والعنق ـ رحمية، مما



قد يساعد على ادخال الكالسيوم إلى الحيامن. وهذا بدوره يسهل دخول الحيامن إلى داخل المجرى التناسلي للمراة[24].

مما يمكن تصوره ان النشوة ربما زادت من النجاح التكاثري للمراة عن طريق زيادة فرصة حبلها بهذا الوسائل الفسيولوجية المتنوعة التي ذكرناها. لكنها ربما ساعدت على ذات المهمة أيضا من الناحية النفسية. وبقدر ما يمكن للنشوة ان تكون تجربة فائقة اللذة، فربما انها قد عملت أيضا كـ «اغواء» أو «مكافأة» للنساء لممارسة الجنس مع شريك بمواصفات خاصة. وفقا لهذه الرؤية، فإن النِّساء اللواتي جربن المكافأة الجنسية للنشوة عبر ماضينا التطوري، كان لديهن دافعية أكبر لممارسة الجنس مقارنة بالنسوة اللواتي لم يجربن تلك النشوة. ودافعية أكبر تعني ممارسات جنسية اكثر، وبالتالي فرصة أكبر للحمل والتكاثر.

على الصعيد التطوري، فإن النجاح التكاثري لا يعني مجرد القدرة على الانجاب، بل يقتضي أيضا حيازة الموارد والامكانيات اللازمة للاعتناء بالاطفال إلى أن يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم. وبقدر تعلق الامر بهذه الناحية، فإن القدرة على الوصول إلى النشوة مع رجل بعينه، يمكن ان تكون قد أفادت النِّساء كوسيلة لاختيار القرين. ومن وجهة نظر شريكها، فإن قدرة المرأة على الوصول إلى النشوة الجنسية معه، تؤشر على أنها مشبَعة جنسيا برفقته ولن تبحث عن الاشباع الجنسي عند رجل اخر. وعندما يكون الرجال متاكدين من ابوتهم، فسيكونون على الارجح اكثر التزاما مع المرأة ومستعدين للاستثمار في اطفالها. ان اهتمام رجل باللذة الجنسية لامرأة ما إلى درجة انه يتعلم ما الذي يثيرها وما الذي يوصلها إلى النشوة، هو مؤشر على اللا ـ أنانيةِ الجنسية. وبالقدر الذي



يمكن لهذه اللا ـ أنانيةِ الجنسية ان تمتد إلى ميادين اخرى، فإنها يمكن ان تكون مؤشرا على أن هذا الرجل يصلح كشريك طويل الامد، وكأَب جيد، اكثر من الرجل الذي يتصف بالانانية الجنسية. وعليه، فعندما تختار المرأة البقاء مع رجل تصل بممارسة الجنس معه إلى النشوة، فربما تكون في الحقيقة تختار رجلا مستعدا للبقاء معها، والاستثمار بسخاء فيها وفي اطفالها. وهذا ما سيقودنا للحديث عن الحُب.

هوامش واحالات المؤلِّفَين على الفصل الثاني

1 ـ Levin, R., and Meston, C. M. (2006). «Nipple/Breast Stimulation and Sexual Arousal in Young Men and Women،» Journal of Sexual Medicine 3:450 ـ 54.

2 ـ Meston, C. M., and Heiman, J. R. (1998). «Ephedrine ـ Activated Physiological Sexual Arousal in Women،» Archives of General Psychiatry 55:652 ـ 56.

3 ـ Meston, C. M., and Worcel, M. (2002). «The Effects of Yohimbine plus L ـ Arginine Glutamate on Sexual Arousal in Post ـ menopausal Women with Sexual Arousal Disorder،» Archives of Sexual Behavior 31:323 ـ 32.

4 ـ Meston, C. M., Rellini, A. H., and Telch, M. (2008). «Short ـ term and Long ـ term Effects of Ginkgo Biloba Extract on Sexual Dysfunction in Women،» Archives of Sexual Behavior 37:530 ـ 47.



5 _ Atwood, J. D., and Gagnon, J. (1987). «Masturbation Practices of Males and Females،» Journal of Sex Research 10:293 _ 307.

6 _ Kinsey, A. C., Pomeroy, W. D., and Martin, C. E. (1948). Sexual Behavior in the Human Male (Philadelphia: W. B. Saunders Company), 628؛ Kinsey, A. C., Pomeroy, W. D., Martin, C. E., and Gebhard P. H. (1953). Sexual Behavior in the Human Female (Philadelphia: W. B. Saunders Company), 628.

7 _ Meston, C. M., Trapnell, P. D., and Gorzalka, B. B. (1996). «Ethnic and Gender Differences in Sexuality: Variations in Sexual Behavior between Asian and Non _ Asian University Students،» Archives of Sexual Behavior 25:33 _ 72.

8 _ Gravina, G. L., et al. (2008). «measurement of the Thickness of the Urethrovaginal Space in Women With or Without Vaginal Orgasm،» Journal of Sexual Medicine 5:610 _ 18.

9 _ Kinsey, A. C., et al. (1953). Sexual Behavior in the Human Female.

10 _ Masters, W. H., and Johnson, V. (1966). Human Sexual Response (Boston: Little, Brown and Co).

11 _ Mah, K., and Binik, Y. M. (2001). «The Nature of



Human Orgasm: A Critical Review of Major Trends،» Clinical Psychology Review 21:823 _ 56.

12 _ Meston, C. M., et al. (2004). «Women's Orgasm،» in T. F. Lue et al. (eds.), Sexual Medicine: Sexual Dysfunctions in Men and Women (Paris, France: Health Publications), 783 _ 850.

13 _ Masters, W. H., and Johnson, V. (1966). Human Sexual Response.

14 _ Levin, R. J. «The Physiology and Pathophysiology of the Female Orgasm،» in Goldstein, I., Meston, C. M., Davis, S. R., and Traish, A. M. (eds.) (2006). Women's Sexual Function and Dysfunction (London: Taylor & Francis Group), 231.

15 _ Laumann, E. O., et al. (1994). The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States (Chicago: University of Chicago Press).

16 _ Marshall, D. S. (1971). «Sexual Behavior on Mangaia،» in Marshall D. S., and Suggs, R.C. (eds.), Human Sexual Behavior: Variations in the Ethnographic Spectrum (New York: Basic Books), 103 _ 32.

17 _ Heinrich, A. G. (1976). «The Effect of Group and Self _ Directed Behavioral _ Educational Treatment of Primary



Orgasmic Dysfunction in Females Treated Without Their Partners،» Ph.D. dissertation, University of Colorado, Boulder, Colo.

18 _ Heiman, J. R., LoPiccolo, L., and LoPiccolo, J. (1976). Becoming Orgasmic: A Sexual Growth Program for Women (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice _ Hall).

19 _ Laqueur, T. (1990). Making Sex: Body and Gender from the Greeks to Freud (Cambridge, Mass.: Harvard University Press).

20 _ Levin, R. J. (2002). «The Physiology of Sexual Arousal in the Human Female: A Recreational and Procreational Synthesis،» Archives of Sexual Behavior 31:405 _ 11.

21 _ Thornhill, R., Gangestad, S. W., and Comer, R. (1995). «Human Female Orgasm and Mate Fluctuating Asymmetry،» Animal Behavior 50:1601 _ 15.

22 _ Baker, R. R., and Bellis, M. A. (1995). Human Sperm Competition: Copulation, Masturbation and Infidelity (London: Chapman and Hall).

23 ـ المصدر السابق.

24 _ Reyes, A., et al. (1979). «Effect of Prolactin on the Calcium Binding and/or Transport of Ejaculated and Epididymal Human Spermatozoa،» Fertility and Sterility 31:669 _ 72.




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الثالث

(الشيء المُسمَّى الحب)

إرتباطٌ روحيٌ وعاطفي

«في أول عهدهما، يشتعل قلبا العاشقين لهباً ويكون شغفهما ببعضهما عظيما. وبعد برهة تبرد النار وتبقى على ذلك الحال. يستمران على حبهما لبعضهما، لكن بطريقة مختلفة ـ دافئة ومستقرة».

نيزا، امرأة من شعب اليوكونغ! من بوتسوانا

الحب شيء مفعم بالروعة. وربما لهذا السبب تشيع قصص الحب الرومانسي ـ كنظير للنوع الآخر من الحب كذاك الذي قد نشعر به تجاه الوالدين، الاطفال، الاخوة، الاصدقاء الافلاطونيين، أو حيواناتنا الأليفة. في اليونان القديمة، هناك قصة اليتيمين دافنيس وكلوي، واللذَينِ يترعرع حبهما بينما يكبران ويتحولان من طفلين إلى عاشقين، وقصة أوديسيوس وبينيلوبي، واللذين يعانيان المِحَنَ طوال سنين فراقهما. كذلك أحبت الإلهة الهندية ساتي زوجها شيفا، إلى درجة انها قتلت نفسها بسبب شعورها بالذنب ـ حتى ان هناك طقسا هندوسيا على اسمها تقوم فيه المرأة بالتضحية بنفسها في أثناء حرق جثة زوجها الميت، كبرهان اخير على الوفاء. وفي



اسطورة شعب الماوري، سَبَحَت هينيموا مِيْلَيْنِ عبر المحيط الهائج لتلتحق بحبيبها توتانيكاي. كذلك فقد فضل الامبراطور أي AI الصيني من سلالة هان، قَطْعَ كُمِّ معطفه على أن يوقظ حبيبه دونغ شيان(*). اما في الولايات المتحدة الامريكية، فقد قيل ان حب ابراهام لينكولن الأول، آن روتليدج، والتي توفيت في ريعان شبابها، كانت السبب في معاناته طوال الفترة التالية من حياته من السوداوية (الميلانخوليا)، كما ان العِشرة الطيبة بين جون وابيغايل ادامز، ساعدتهما على الصمود وهما يخوضان غمار الثورة الامريكية حتى عندما لم يكن بوسعهما الا مجرد كتابة الرسائل لبعضهما. كذلك فإن«الحب الرومانسي» هو موضوع اكثر من الف فلم على شبكة نيتفليكس Netflix، وتظهر كلمة «حب» في أسماء اكثر من ألفي اغنية تُباع على تطبيق ايتونز (محاولةُ حساب عدد مرات ذكر كلمة حب في كلمات الاغاني ستكون صفقة فاشلة). ان الحب الرومانسي شيء قوي إلى درجة انَّ السياسيين والسلطات الدينية حاولوا عبر التاريخ وعبر مختلف الثقافات، التحكم به خوفا من ان يزعزع النظام الاجتماعي والسياسي والديني[1]. لقد بين علماء النفس ان شعور المرء بانه محبوب من، او مرتبط عاطفيا مع شخص ما، يشكلان مُتَنَبِّئين مهمين بالسعادة الاجمالية للمرء ورضاه عن حياته. إن قَمْعَ عواطف كهذه، اودى بالعديد من ابطال مسرحيات شكسبير إلى نهايات مأساوية: فبالاضافة إلى روميو وجولييت، فقد سممت كليوباترا نفسها بلدغة افعى، اما اوفيليا فقد جُنَّت وماتت غرقا.

(*) يظهر انه قد كانت هناك علاقة جنسية مثلية بين الرجلين، حتى ان هناك مَثلاً صينيا عن المثلية الجنسية مستمد من هذه القصة، انظر كتاب:

Hinsch، Bret. (1990) **Passions of the Cut Sleeve**: The Male Homosexual Tradition in China، University Of California Press ..المترجم.



و في دراستنا، قاد السعي وراء الحب والتعلق العاطفي، الكثيرات من النِّساء إلى غرفة النوم.

في الواقع، من بين المئتي سبب التي ذكرتها النِّساء لممارستهن الجنس، فإن الحب والقرب العاطفي، كانا ضمن الاثني عشر سببا الأولى. ما هي هذه العواطف التي هي من القوة بحيث يمكن ان تثير الخوف واليأس، السعادة والطمأنينة، والتي يمكن ان تقود إلى سلوكيات تنتهي بنهايات سعيدة أو حزينة أو مأساوية؟ ولماذا خرج العلماء الذين يدرسون الدماغ، بخلاصة مفادها أن الحب يشبه اضطرابا عقليا أو ادمانا على العقاقير؟ وهل يمكننا تغيير قابلية أو رغبة شخص ما بالارتباط بشخص اخر، من خلال تغيير كيميائيات دماغه بنفس الطريقة التي نستطيع بها فعل ذلك في الحيوانات؟ هل يمكن لممارسة الجنس مع شخص لا يروق لنا الا بالكاد، ان تجعل دماغنا يفرز كيميائيات تجعلنا نتعلق به اكثر من ذي قبل؟ نستكشف في هذا الفصل، عواطف الحب والارتباط القوية، ولماذا وكيف ترتبط بجنسانية النِّساء بشكل متكامل.

ما الحب؟

بحسب «نظرية مثلث الحب» لعالم النفس المشهور روبرت ستيرنبرغ، يتألف الحب من ثلاثة مكونات مختلفةهي الحميمية، الولع، والالتزام. الحميمية هي شعورٌ بالدفء نحو شخص آخر، والذي يتاتى من خلال القرب والترابط. ويتضمن الرغبة بتقديم الدعم العاطفي له وتلقيه منه، ومشاركة اكثر الافكار والتجارب خصوصية معه. ههنا احدى النِّساء في دراستنا تحكي تجربتها في هذا البعد من الحب:



«اشعر ان الجنس يمكن ان يكون احد التعبيرات الجسدية العديدة عن الحب، رغم ان الجنس لا يكون دوما تعبيراً عن الحب. عندما أمارس الحب مع زوجي، فهو حميمية، وثقة، وكشف لنفسي لا اشاركه مع احد غيره..لأنني أحبه. يمكن ان يكون الجنس طريقة لاشباع حاجات زوجي (الجسدية والعاطفية والنفسية) والتي لا يمكن اشباعها باية وسيلة أخرى، وكذلك فإن هذا يجعله يعلم باني أحبه والعكس صحيح. ورغم اني مارست بعض الحميمية (التقبيل،الملامسات،الخ) مع اشخاص لم اكن أحبهم، فإنني لم امارس الجنس الا مع من أحببتهم».

امرأة غيرية الجنس، العمر 29

يشيرالشَغَفُ أو الولع، المكون الثاني، إلى مشاعر رومانسية حادة، ورغبة جنسية تجاه شخص اخر. قضت عالمة النفس البارزة في جامعة هاواي، ايلين هاتفيلد Elaine Hatfield عقودا في دراسة الحب الولعي وكيف يُعَبَّر عنه. تعرِّف هاتفيلد الحب الولعي على أنه «عاطفة جياشة ساخنة»، تتميز بلهفة للتوحد مع شخص آخر. إنه الجزء من الحب الذي يدعى»الهيام» والذي تعتقد هاتفيلد أنه موجود في جميع الثقافات. في الواقع، فإن بعض الثقافات لها معايير مخصصة لتشخيص «اعراض» الاشخاص عندما يقعون في الحب الهيامي أو الولعي. فمثلا، تُفيد هاتفيلد انه في شعب التاميل جنوب الهند، يقال عن الشخص الواقع في الهيام انه يعاني من المايا كام Mayakkam، متلازمةٌ تتميز بالدوار والتشوش والثَمَل والأوهام[2]. اماعندما يكون متبادَلاً فيصاحبه شعور بالرضا والنشوة:

«بصراحة، لم يكن الجنس بالنسبة لي عملية اشباع. بل دائما ما كان يعبر عن شيء اكثر من ذلك.. اشعر بسعادة عظمى كوني على علاقة



بالرجل الأروع..ربما حدث هذا لأننا عندما عِشنا بعيدين عن بعضنا مدة طويلة جدا، فقد اتيحت لنا الفرصة لكي يعرف كل منا ما يعنيه الآخر بالنسبة له، وانْ يعي ماهو الحب الحقيقي، الآن بينما انظر في عينيه عندما نمارس الحب، يعتريني شعور يصعب جدا وصفه بالكلمات، لَكإنما تُزْهِر وردة حبنا باكمل صورة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 38

وبالنسبة لإحدى النِّساء في دراستنا، فقد كان للحب الولعي والرومانسية دور إضافي ـ فقد جعلاها تغض الطرف عن فوضوية وعدم ترتيب منزل حبيبها:

«اخذني حبيبي إلى مطعم ماكولات بحرية فاخرٍ في يوم عيد ميلادي العشرين، وقد قضينا وقتا رائعا. عاملني كاميرة. وقد شعرت بانني محبوبة جدا، وكنت واقعة في الحب جدا، وقد انْتَقَلَتْ كل تلك المشاعر التي اثارها الجو الرومانسي في المطعم، انتقلت معي إلى مسكنه غير المرتب ومارسنا الحب على سريره. وربما كانت تلك المرة اروع المرات التي مارسناه فيها».

امرأة غيرية الجنس، العمر 20

يتطلب الالتزام، المكون الثالث للحب، صنع قرار. قرار على المدى القصير، يتعلق فيما اذا كان المرء فعلا يُحب الشخص الاخر ام لا، وقرار بعيد الامد، يتضمن النية بالحفاظ على العلاقة في السراء والضراء. تحدثت العديد من النِّساء في دراستنا حول كيف أنَّ الالتزام كان مُكَوِّنَاً اساسيا للحب بالنسبة لهن. في الواقع، قالت بعض النِّساء



إنهنَّ استخدمن ممارسة الجنس كوسيلة لحمل الشريك الذي شعرن أنهن يحببنه على الالتزام:

«تجربتي الجنسية الأولى مع رجل كانت لأنني اردت منه ان يلتزم بالعلاقة. كان كلانا بعمر 16 عاما، وبَتولَيْن، وكنا نتواعد منذ 3 أشهر. انا من اصررت على أن نمارس الجنس لكي ابين له أنني احبه. اردت ان اعطيه شيئا لم يعطه اياه احد من قبل».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

«لماذا مارست الجنس مع زوجي السابق؟ لقد كنت يافعة بعمر 16عاما، وكنت أريد أن يبقى معي. وقد اعتقدت أنني بممارسة الجنس معه ساضمن التزامه. ولم افلح في ذلك، لكن في وقتها، لم تكن لتنجح في اقناعي بالعدول عن رأيي. كنت أساوي بين الجنس والحب. وباني كُلَّمَا مارست الحب معه اكثر، كلما أحبني اكثر. كنت حمقاء».

امرأة غيرية الجنس، العمر 41

يعتقد بعض الباحثين أن «مقدار» الحب الذي يختبره الشخص يعتمد على قوة المكونات الثلاثة، وان الأزواج couples يتوافقون على النحو الامثل اذا كان لهم نفس المستوى من الحميمية، الولع، والالتزام.

شخَّص ستيرنبرغ سبعة من «انماط الحب» بناء على التشكيلات الممكنة للعلاقة من الحميمية، الولع، والالتزام[3]. فمثلا يسمي ستيرنبرغ الحب الذي يتضمن الالتزام فقط، دون حميمية ولا ولع، بـ«الحب الفارغ». وتجده عند الزوجين اللَّذَينِ يأكلان في المطاعم بصمت، واللذينِ يحبان بعضهما كثيرا بدافع الاحساس بالواجب أو بسبب انعدام



الخيارات الاخرى. اما الحب الذي يتضمن التزاما وولعا دون حميمية، فهو «الحب الاخرق». وهي العلاقات التي تبدأ قوية جارفة ثم ما تلبث أن تتلاشى عندما يكتشف احد الطرفين أو كلاهما الحقيقة المحزنة، وهي ان لاشيء يجمع بينهما ـ اللهم الا الجنس. فيما يتضمن «حب الاعجاب» حميمية بلا ولع ولا التزام، وكما يشي اسمه فإنه يمثل صداقة مقربة. بينما يسمي ستيرنبرغ الحب الذي يحوي ولعا وحميمية بلا التزام بـ«الحب الرومانسي». يتضمن «حب الوَلَه» ولعاً بلا حميمية ولا التزام، فيما يتضمن «حب العِشرة» الالتزام والحميمية ولكنه يفتقر إلى الولع. يعد حب العشرة نموذجيا في العلاقات الطويلة الامد، التي يمكن للرغبة الجنسية فيها ان تتلاشى بمرور الزمن وازدياد الالفة.

بالطبع فإن النمط السابع والاخير من انماط ستيرنبرغ هو النمط الشامل، «الحب الكامل» والذي هو مزيج تام من الالتزام والحميمية والولع. ولا يختبرُ»الحبَّ الكاملَ» هذا الا قلة قليلة فقط من الازواج الذين مضى على علاقتهم فترة طويلة دون انقطاع. في اغلبية العلاقات، فإن مستويات الحميمية والولع والالتزام ترتفع وتنخفض تبعا للزمن والظروف. لذا فإنه من الشائع أن يختبر العاشقان أو الزوجان اشكالا عدة من انماط الحب هذه عبر مسيرة علاقتهما.

مخدِّر الحب

لربما يكون من المحبط للناس الذين يعتقدون أن تعريف الحب يجب أن يُترَك للشعراء وكتاب الاغاني، أو للعشاق انفسهم لكي يعبروا عنه، إن العلماء يحاولون استكشاف ما اذا كان الحب ـ ابتداء من الوَلَهِ



إلى الحُبِّ الكامل مرورا ببقية الأنماط ـ يمكن تفسيره بيولوجياً. لقد كان عالم الاعصاب نيلز بيربومر Niels Birbaumer وزملاؤه من أوائل العلماء الذين يدرسون هذه الامكانية حاليا[4]. قام الباحثون بتثبيت اقطاب كهربائية electrodes على فروة الرأس لمجموعة من النِّساء والرجال، وقاموا بقياس النشاط الكهربائي لادمغتهم بجهاز التصوير الكهربائي للراس electroencephalograph أو EEG في أثناء قيام المشاركين بتَصَوُّر مشهدِ رفقةٍ ممتعةٍ مع شخص يحبونه، مشهد مثير للغيرة، ومشهدٍ ضابطٍ (محايد) ـ غرفة معيشة فارغة. وقد كان نصف الرجال والنِّساء في علاقة حب جارفة في ذلك الوقت، فيما لم يكن احد من النصف الآخر منخرطا في علاقة عاطفية. عندما قارن الباحثون الموجات الدماغية للاشخاص المتولعين بالحب، مع اؤلئك غير المحبين، وجدوا فرقا هائلا في نشاط الدماغ عند تخيل المشاركين مشهدا يجمعهم مع من يحبون. اذ يُظهر المشاركون من فئة المحبين، انماطا اكثر تعقيدا بكثير من الموجات الدماغية، ونشاطا دماغيا ذا انتشار أوسع، مقارنة باؤلئك الذين لم يكونوا على علاقة حب بأحدهم. وكما قال باحثو تلك الدراسة «ان المشاركين الذين كانوا واقعين بالحب، يحملون معهم حملهم من العواطف إلى مختبر الفسيولوجيا». وعلى اساس هذه النتائج، خلص الباحثون إلى ان الحب يشبه «فوضىً عقلية».

وفي عام 2003، بعد عقد من اكتشاف بيربومر، بدأ اثنان من علماء الاعصاب في لندن، اندريس بارتلز وسمير زكي Andreas Bartels and Semir Zeki، بمسح ادمغة بعض العشاق اليافعين لمعرفة مايعنيه «الوقوع في الحب»[5]. اذ قاما باختيار 17 رجلا وامرأة ممن توفرت فيهم



المعايير اللتي حدداها وهي ان يكونوا «واقعين في الحب حقا، بعمق وبجنون»، وقاما بمراقبة ادمغتهم باستخدام جهاز التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي FMRI، وهو جهاز يستطيع تسجيل التغيرات في سريان الدم إلى اجزاء مختلفة من الدماغ. عندما تنشط الخلايا العصبية في الدماغ، فإنها تستهلك الأوكسجين، يُحمَل الأوكسجين إلى الدماغ بواسطة خضاب الدم (الهيموكلوبين) الموجود على كريات الدم الحمراء عبر الأوعية الشعرية التي تتخلله ـ الدماغ ـ. وعليه فإن سريان الدم إلى الدماغ، ومقدار النشاط الدماغي، مترابطان بشدة.

وبينما كان يتم مسح ادمغة المشاركين، عَرَضَ عليهم الباحثون أما صُورَ محبوبيهم، أو صوراً لاصدقائهم العاديين (غير الرومانسيين). فقط عندما كان المشاركون ينظرون إلى صور محبوبيهم، اظهر المسح نشاطا قويا في المناطق الدماغية المرتبطة بالبهجة والمكافأة، ونُقصاناً في نشاط المناطق المرتبطة بالحزن، الخوف، والقلق. في الواقع، إنَّ نمط النشاط الدماغي الذي يظهر عند رؤية المشاركين لصور محبوبيهم، لايختلف عن نشاط الدماغ الذي يظهر عندما يكون الشخص تحت تأثير العقاقير المخدرة كالكوكايين. كذلك فانَّ الادمغة المنتشية بالحب، تظهر نقصا في نشاط المناطق الدماغية المرتبطة بالتفكير النقدي، وهذا قد يفسر لماذا يبدو الاشخاص المتيمون حبا كما لو أنهم «شاردو الذهن». أو ربما كما يقترح الباحثون الذين قاموا بهذه الدراسة، عندما يقرر شخص انه أو انها واقع/ة بالحب، فإنه لن يعتبر التفكير النقدي ضروريا لتقييم خصال الشخص الاخر الذي وقع بحبه.

إن معادلة «الحب هو مخدر»، سجَّلها أيضا طبيب الامراض



العقلية في معهد ولاية نيويورك للطب العقلي ميتشيل ليبويتز Michael Liebowitz، والذي يضاهي بين ولع الحب وثمل أو نشوة عقار الامفيتامين6. فكلاهما يسبب سكراً أو ثملا يُحسِّن الحالة المزاجية، وكلاهما يسبب انسحابه القلق، الخوف، أو حتى نوبات هلع واضطراب. في الحقيقة، يفرز الجسم اصنافا كثيرة من المواد الكيميائية عندما يقع الشخص في الحب لأول مرة ـ دوبامين، نورأيبينفرين، وبالخصوص مادة فينيل اثيل امين PEA، والذي يعد ابن عم مقرب للأمفيتامين. لسوء الحظ، فإن «الثمَل الطبيعي» الذي تحدثه هذا المركبات الكيميائية لا يدوم للابد. ويعتقد ليبويتز، ان هذا هو السبب الذي يجعل بعض الاشخاص الذين ندعوهم «مدمني الانجذاب» يتنقلون من علاقة إلى اخرى بحثا عن «ثمل الحب» من جديد في بداية كل علاقة.

الحب، الاضطراب العقلي

بالاضافة إلى العواطف الرائعة التي يمكن للحب أن يسببها ـ البهجة، الحماس، الطمأنينة ـ يمكن للحب أن يسبب أيضا اضطرابا أو اختلالاً عقليا. غالبا ما يُعبر الاشخاص الواقعون في الحب عن شعورهم بالقلق، الياس، والكآبة، عندما لايكونون برفقة محبوبيهم، حتى اذا كان الافتراق لم يحدث الا منذ مدة قصيرة نسبيا. اذ يميلون إلى قضاء ساعات وساعات يفكرون خلالها بشكل هَوَسِيٍّ بمحبوبيهم، بشكل شبيه جدا بما يعانيه المصابون باضطراب الوسواس القهري OCD من الانشغال بافكار قهرية.

في نهاية التسعينات من القرن العشرين، رجَّحت الطبيبة العقلية دوناتيلا مارازيتي Donatella Marazziti وزملاؤها في جامعة بيزا في



ايطاليا، ان الاشخاص المتولعين بالحب، واؤلئك الذين يعانون من الـ OCD يتشابهون في شيء معيَّن، نقصان في كمية السيروتونين في الدماغ.

لطالما تم الربط بين انخفاض مستوى السيروتونين وبين الاكتئاب واضطرابات القلق مثل الـOCD، إذ إن مضادات الاكتئاب كالبروزاك Prozac تعمل أساسا عبر محاولة رفع مستوى افراز السيروتونين في الجسم. ولاختبار فرضيتهم، اختار الباحثون ثلاث مجموعات منفصلة من الرجال والنِّساء[7]. تألفت احدى المجموعات من اناس وقعوا في الحب خلال الستة اشهر الاخيرة، ولكنهم لم يمارسوا الجنس مع محبوبيهم بعد، ويعانون من التفكير الهوسي في محبوبيهم لمدة لا تقل عن اربع ساعات في اليوم. ضمت المجموعة الثانية اشخاصا تم تشخيص اصابتهم باضطراب الوسواس القهري، ولم يكونوا يتلقون علاجا. اما المجموعة الثالثة «الطبيعية»، فقد تالفت من اشخاص لا يعانون من الوسواس القهري وليسوا واقعين بحب أحدهم. قام الباحثون باخذ عينة من دم كل واحد من المشتركين لفحص مستوى السيروتونين فيه. وكما هو متوقع، كان دم افراد المجموعة الثالثة غير العاشقين ولا المُوَسْوسِين، يحتوي على المستوى الطبيعي من السيروتونين. بينما كان دم الاشخاص المصابين بالوسواس القهري يحمل مستوى من السيروتونين اقل مما يحمله دم افراد المجموعة الضابطة (الثالثة) بشكل دال. لكن النتيجة الصادمة كانت ان مجموعة العشاق، مثل مجموعة المصابين بالوسواس القهري، اظهرت انخفاضا في مستوى السيروتونين بمقدار 40% عن مستواه في المجموعة الضابطة.

بعد انقضاء عامٍ على اجراء هذه التجربة، قام الباحثون بقياس مستوى



السيروتونين عند مجموعة العشاق مرة اخرى، وطبعا بما أنهم قد عبروا الطور الأولي الحاد من الحب الولعي، فقد اظهر الفحص ان مستوى السيروتونين في أجسامهم عاد إلى الطبيعي. لحسن الحظ فإن نقصان السيروتونين لم يكن دائميا.

كذلك تعتقد الباحثة هيلين فيشر Helen Fisher من جامعة روتجرز، والتي عكفت ـ الباحثة لا الجامعة ـ على مسح ادمغة الكثير من الاشخاص الواقعين في الحب ـ أو الشهوة كما تسميه هي ـ باستخدام التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي، انَّ الحب الولعي الجارف يماثل الوسواس القهري OCD. تعتقد هيلين انَّ من الممكن «علاج» أو تثبيط هذه الحالة اذا قام الشخص المبتلى «بالشهوة» باخذ مضاد للاكتئاب كالبروزاك في مرحلة مبكرة، عندما يبدأ شعور الحب بدغدغته، لموازنة الانخفاض في مستوى السيروتونين المُمَيِّز لحالة الوسواس القهري. ولكن، تقول هيلين، عندما يتحول الاشتهاء إلى حب رومانسي فإنه يصبح دافعا قويا بحيث لا يمكن لجرعة بروزاك صغيرة ان تخمده.

الوقوع الأبدي في الحب

سواء كان الحب شعورا بالحميمية والترابط، أو عواطف لاهبة، أو مزيجاً من المواد الكيميائية التي تُفرَز في الدماغ، فإن هناك شيئا واحدا مؤكدا، الحب مستمر وعالمي. يمكننا ان نجد البرهان على استمرارية الحب حتى في المجتمعات التي حاولت انهاء وجوده عبر سماحها للرجل بان يتخذ لنفسه اكثر من زوجة واحدة. فمثلا، كان افراد مجتمع اونيدا Oneida، وهم مجتمع مشاعي يوتوبي كان موجودا في نيويورك



في القرن التاسع عشر، كانوا يرون ان الحب الرومانسي ماهو الا رغبة جنسية مستترة. وقد كان مجتمع اونيدا يُقِيم «زواجات مركبة او معقدة»، لايكون مسموحا فيها للافراد بعلاقات رومانسية أو جنسية احتكارية مع بعضهم البعض، بل يتنقلون دوريا في العلاقات للحيلولة دون تشكل «الحب الخصوصي». كذلك نَظَر المورمون الأوائل إلى الحب على أنه شيء معيق، وحثوا على تجنبه. ومع ذلك بقي الحب الرومانسي موجودا بين افراد كل من هاتين المجموعتين، بشكل مخفي أحيانا، بعيدا عن انظار زعماء الطائفة.

وينطبق الشيء نفسه على المجتمعات التي تسمح للرجل بتعدد الزوجات، والتي تلتزم بتقليد الزيجات المدبَّرة، اذ لا يتم اقصاء الحب الولعي، لكنه يُفْصَل ببساطة. ففي العديد من الثقافات العَرَبية، يختار وجهاء القوم للرجل زوجته الأولى، بينما يستطيع أن يختار بنفسه زوجته الثانية. وعند شعب التايتا Taita في كينيا، تُفضل المرأة ان تكون الزوجة الثانية أو الثالثة للرجل، لا الأولى. اذ تعتقد النِّساء أن الرجل بعد زواجه الأول، من المرجح أن يتزوج بدافع الحب، وبالتالي فإنه سيفضل زوجاته الاخيرات على الأولى، وسيشاركهن قدرا أكبر من التقارب العاطفي والحميمية[8]. حيث إن الزواج الأول يكون بدافع الواجب، بينما يمكن ان تكون الزيجات التالية شموعاً تتوقد حباً.

يأتي التدليل على عالمية الحب من الدراسات التي تسال الرجال والنِّساء ببساطة ما اذا كانوا واقعين في الحب حاليا. قامت سوزان سبريكر Susan Sprecher وزملاؤها بمقابلة 1667 رجلا وامرأة من روسيا، اليابان، والولايات المتحدة الامريكية لسؤالهم عما اذا كانوا واقعين في حب



شخص ما، وتقريبا في كل الحالات، فإن الاغلبية قالت بلى: 73%من النِّساء الروسيات، 61% من الرجال الروس، 63% من النِّساء اليابانيات، 41% من الرجال اليابانيين، 63% من النِّساء الامريكيات، 53% من الرجال الأمريكيين، وهذا يطرح تساؤلا مثيرا للفضول عن سر هذا التباين بين اجابات النِّساء والرجال[9]. اظهرت الدراسات على الحب في ثقافات اخرى ان الاغلبية الساحقة من اللغات، اهتمت كثيرا بوصف تجربة الحب، بما في ذلك المصارحة بالحب، اغاني الحب، والتعابير عن الالم عند فراق الحبيب أو عندما يكون الحب غير متبادَل[10].

أظهرت أكبر دراسة لتفضيلات القرين على الاطلاق ـ غطت 37 ثقافة في 6 قارات و5 جُزُر، واجريت على 10047 فرداً ـ ان «الانجذاب والحب المتبادَلين» تربعا على القمة أو قريبا منها، في كل من تلك الثقافات، كشيء لا غنى عنه في الاقتران طويل الأمد[11]. وفي دراسة على الربط بين الحب والزواج، قام عالم النفس روبرت ليفين Robert Levine وزملاؤه بسؤال عدد من طلبة الكليات في 11 دولة، هل من الممكن أن يتزوجوا شخصا لا يحبونه ولكنه يمتلك كل الصفات التي يتمنونها في القرين[12]. في بلدان كالولايات المتحدة، البرازيل، اليابان، استراليا، وانكلترا، شدد غالبية النِّساء والرجال على أنهم لن يتزوجوا من شخص لايحبونه. اما في البلدان الاقل ثراء ـ الهند، الفلبين، تايلند، وباكستان ـ فقد قالت اغلبية اكثر من الطلبة إنهم ارادوا في يوم ما الزواج من شخص لا يحبونه. من الواضح اذن، إنه في البلدان التي يكون فيها التحكم الديني أو الوالدي في الزواج هو الشائع، والفقر منتشر بين السكان، فإن اختيار المرء لمن سيتزوجه سيكون في بعض الاحيان عمليا اكثر منه عاطفيا[13]. لقد وجد



علماء النفس الذين درسوا مفهوم الحب في ثقافات مختلفة ان كيفية تعريف النِّساء والرجال للحب لا تختلف كثيرا بين الثقافات، ولتكن الصين، اندونيسيا، ميكرونيسيا، بالاو، تركيا، روسيا، اليابان،أو الولايات المتحدة. اذن يعرِّف الرجال والنِّساء الحب بتعابير متشابهة، لكن هل يتشابهون أيضا في ما يختبرونه عند الوقوع في الحب أو الخروج منه؟[14] على الرغم من الصورة الشائعة للفتيات المراهقات وهن يقعن في حب فتيان بالكاد التقينهم ـ او لم يلتقينهم ابدا من قبل ـ، والصورة النمطية الاخرى عن كون النِّساء ذوات نزعة رومانسية، فإن البحوث تظهر ان الرجال اكثر استعداداً من النِّساء «للوقوع في الحب» من أول نظرة، وهذا قد يكون تكيفا تطوريا. إن الرجال عموما تتنازعهم المظاهر الجسدية عند اختيار الشريك اكثر مما هو عليه الحال عند النِّساء اللواتي يملن في المقابل لاعتماد طيف أكبر من المؤشرات، بما فيها الرائحة والشخصية، لكي تقدح شرارة الانجذاب. يبحث الرجال عبر الثقافات من الارجنتين إلى زيمبابوي، عن نساء بخصر اصغر بالنسبة إلى الورك، وهو مؤشر صادق ولا واعي، على صحة المرأة وخصوبتها. اما الصفات التي تبحث عنها النِّساء، وبالخصوص عندما يتعلق الامر باقتران طويل الامد، فإنها تستغرق وقتا أكبر لتقييمها. اذن فالـ«حب من أول نظرة» ابسط كثيرا عند الرجال.

وإلى جانب العاصفة الأولى من العاطفة، يبدو ان الرجال يبقون مغرمين لفترة اطول: فَنَّدت دراسة امتدت خلال الفترة (1972 ـ 1974) أجريت على 231 ثنائياً متواعداً dating couples من طلاب الجامعات، فندت الصورة النمطية عن أن النِّساء هن العاشقات وان الرجال هم



المبادرون للخروج من العلاقة[15]. وجدت الدراسة ان احتمالية انهاء العلاقة من طرف النِّساء، اعلى من احتمالية انهائها من طرف الرجال، كما أن من المرجح اكثر ان تتنبا النِّساء بانهيار العلاقة قبل مدة طويلة من حدوثه. وبالتالي، فبعد أن حدث الانفصال، رأت النِّساء أن هذه النهاية كانت عملية تدريجية، بينما رآها الرجال كحدث مفاجيء، بحيث بَدَا وكأَنَّهُ صاعقة نزلت عليهم بلا سابق انذار. وعندما تأملت النسوة علاقاتهن السابقة لتقديم افادة بالمشاكل التي تخللتها، فقد مِلْنَ إلى تسجيل عدد من المشاكل، أكبر مما أفاد به الرجال.

كذلك فإن هناك ادلة تشير إلى ان انهاء العلاقة يكون جارحا للرجال اكثر من النِّساء. يعتمد ذلك بالتاكيد على الظروف التي احاطت بكل من العلاقة والانفصال، لكن على وجه العموم، عند انتهاء علاقة، فإن الرجال يميلون إلى ان يفصحوا عن اكتئاب ووحدة اكثر من النِّساء. وقد فسر الباحثون نتائج دراستهم في ضوء الاختلافات الجندرية في القوة الاجتماعية والاقتصادية. فعلى الرغم من ان هذه الدراسة على الانفصال نُفِّذَت في السبعينات، فإن النِّساء ما زلن إلى اليوم يعتمدن على الرجال في مجالي الثروة والمكانة على الاغلب، اكثر من العكس (اعتماد الرجال عليهن). ولهذا، فإن من الاهمية بمكان للمرأة، أن تقوم بالتمعن في فحص من تختاره كشريك، وتقارنه بالبدلاء الممكنين، وهذا ما يزودها بـ«فرملةٍ» تمنعها من الوقوع الفجائي في الحب. اما بالنسبة للرجال وبسبب وضعهم الاقوى فيما يتعلق بالمكانة والثروة، فإنهم يميلون إلى أن يبالوا اقل مقارنة بالنِّساء بنتائج الخيارات التي يتخذونها في هذا المجال. وعليه، فإن الرجال اكثر قدرة من النِّساء على «تحمل كلفة» الإقدام على «الحب



من أول نظرة»، والبقاء في علاقة فقط لاجل الرومانسية. وربما كان للامر علاقة بما تسميه عالمة النفس في جامعة كاليفورنيا، لوس انجلوس شيلي تايلور Shelley Taylor «غريزة الحَدَب». حيث إن لدى النِّساء نزعة سواء بسبب استعدادات بيولوجية أو نتيجة لتقبل ثقافي أكبر، إلى الاستجابة للظروف الضاغطة بتقديم العون والمساعدة للاخرين. وعليه فإن للنِّساء شبكاتٌ من الداعمين، تقدم لهن مساندة أكبر عند حدوث الانفصال مقارنة بالرجال.

الربط بين الحب والجنس

يتضمن الحب اِذَن ويخلق، عواطف قوية ـ بنوعيها الايجابية والسلبية ـ ويمكنه أن يغير ولو مؤقتا من كيمياء دماغنا. ولكن، ولنستعر هنا مع قليل من التغيير عنوان أغنية تينا تيرنر «ما علاقة الجنس بالموضوع؟ what's sex got to do with it؟»(*) والجواب، بحسب دراستنا، ان هناك علاقة كبيرة بينهما. فمن بين العشرة اسباب الاكثر تكرارا بحسب ما أفادت به به النِّساء لممارستهن الجنس، نجد سببين هما «اردت أن اعبر عن حبي لذلك الشخص» و«ادركت انني واقعة بالحب». وقد كتبت النِّساء افادات كثيرة عن كيف انهن مارسن الجنس كطريقة للحصول على الحب. أحيانا، وكما كنَّ ياملن، فإن الجنس أَمَّنَ لهن فعلا الحب والالتزام من جانب الرجل:

«ربما فقدت عذريتي بسبب حاجتي لأن أُحَب. لقد عشت في بلدة صغيرة وقد اهملتني امي كثيرا، لأنه كان لديها مشاكلها الخاصة لتهتم

(*) عنوان اغنية تيرنر الاصلي هوwhat's love got to do with it ما علاقة الحب بالموضوع؟..المترجم.



بها. لم أُعجب باي فتىً ابدا خلال فترة المدرسة الابتدائية، وعند دخولي المدرسة الاعدادية التقيت بشاب اعجبني بشدة، ومارست الجنس معه بسرعة. وقتها لم اكن قد قبّلت أي فتى من قبل، لكني انتقلت معه من القُبلة الأولى إلى ممارسة الجماع الكامل خلال شهر واحد. لقد جعلني اشعر باني مرغوبة، فريدة، واخبرني انه قد أحبني.. ولحسن الحظ فقد كان اختياري جيدا، فقد بقينا معا لاربع سنوات»

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 25

أما في أحيان اخرى فلا تجلب ممارسة الجنس للنساء الحب الذي يطلبنه واقعيا، بل تمنحهن بدلا من ذلك شعورا موهوما بانهن محبوبات:

«كنت غِرّة جدا انذاك، وكنت متولهة بشكل لافكاك منه بحبيبي في ذلك الوقت. عميقا كنت اعرف انه غير مهتم بي قدر اهتمامي به، لكنني اقنعت نفسي، لأنني اردت ان اصدق ذلك. وعندما مارست الجنس معه ابتهجت وشعرت بانني انتصرت تقريبا، لأن سذاجة عقلي قد صورت لي ان الجنس هو صِنْو الحب وان ممارسته الجنس معي هي «اثبات» على أنه يحبني. هكذا سوغت الامر لنفسي».

امرأة غيرية الجنس،العمر 25

«بدأت أول عمل لي بدوام كامل، وقد كان زميلي في العمل رجلا جذابا جدا. كنت في ذلك الوقت أُمًّا بالفعل.. ولم أكن اعتقد اني واجِدةٌ من يحبني يوما.. لكني (وقعت في حب زميل العمل) ذاك..لقد كان يفوقني خبرة بكثير وعلمني كلاميا الكثير من الاشياء عن الجنس. وقد طبقنا معا ما كان يلقيه علي من دروسه تلك واعتقدت أنه سيحبني اذا نفذت ما كان



يطلب مني فعله. ومنها مثلا الجنس الفموي والتعري والحديث الفاحش معه عبر الهاتف. لم اكن امتلك خبرة كافية انذاك، واعتقدت أنني اذا فعلت هذه الاشياء فسيقع في غرامي في النهاية. لم يحصل ذلك، ومازلت اكن له مشاعراً حتى اليوم».

امرأة غيرية الجنس، العمر 46

لكن أحيانا،لا تحقق ممارسة الجنس للنساء الحب ولا حتى وهم الحب:

«اغرمتُ برجل واعتقدتُ أنه سيحبني في المقابل إذا اعطيته ما أراد. لقد مارست الجنس معه رغم أنه أوضح لي أنه لا يريد الاستمرار بمواعدتي وأنه يريد أن نكون اصدقاء فقط. نمت معه خمس مرات على الاقل حتى رفض أن يواصل ممارسة الجنس معي بعد ذلك قائلا ببساطة إن الاصدقاء لا يفعلون هذا..كانت التجربة باكملها مؤلمة جدا بالنسبة لي».

امرأة غيرية الجنس، العمر 28

مارست بعض النِّساء اللاتي شملتهن دراستنا الجنس لا لمجرد الحصول على الحب، بل تعبيرا عن حبهن للطرف الاخر:

«ممارسة الجنس للتعبير عن الحب تعني القدرة على إعمال المشاعر. فحيث إن هناك انواعا مختلفة من الحب، فهناك أيضا طرق مختلفة للتعبير عن ذلك الحب عمليا. عندما أرغب بأحدهم جسديا و/ أو ذهنيا فإني قد اختار التعبير عن تلك الرغبة من خلال الممارسات الجنسية».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25



وبالنسبة للكثير من النِّساء الأخريات،فإن الحب والجنس متداخلان بشدة:

«همم... هل هناك أي سبب آخر لممارسة الجنس حقا؟ بالنسبة لي، الحب هو السبب الاهم عموما».

امرأة غيرية الجنس، العمر 35

ليس الربط بين الحب والجنس بالشيء الجديد. واقعا، يعود هذا الربط إلى الوقت الذي اخترعت فيه الكتابة. عُثِر في أواخر العقد التاسع من القرن التاسع عشر على لوح في المنطقة التي تعرف اليوم بالعراق. يعود اللوح إلى اربعة الاف عام، وقد خُطَّ عليه ما يعتقد المؤرخون انه اقدم قصيدة حب عثر عليها حتى الآن[16]. في هذه القصيدة، تعترف امرةٌ كاهِنَةٌ لا بحبها لأحد الملوك فحسب، بل باشتهائها له أيضا:

«أي عريسي، عزيز قلبي،

جمالك أخَّاذ وحلو كالعسل.

لقد فتنتني، فدعني اقف مرتجفة بين يديك،

أي عريسي، خذني إلى الفراش».

ومن الواضح أن اسلوب الكاهنة الصريح، لم يجعل الملك يهرب مفزوعا، إذ تكتب لاحقا:

«عريسي، ها قد نلت لذَّتك مني

قُم واَخبر أمي، ستعطيك اشهى الطعام،

اَخبر ابي، وسيغدق عليك الهدايا».



ومع أن الجنس والحب متلازمان بالنسبة للكثير من النِّساء، فإن هذا لا ينطبق على جميعهن:

«عندما بدأتُ بممارسة الجنس لأول مرة، كنت اعتقد أنه يساوي الحب والالتزام. هكذا شعرت تجاه شريكي. وقد غيرت رايي مؤخرا».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

لقد كشف لنا البحث أيضا أشياء عن نوعية النِّساء اللواتي يتطلبن قَدْراً اقل من الحب والارتباط العاطفي لممارسة الجنس. ان النِّساء اللواتي يَقْبَلن غالبا ممارسة الجنس دون حب، يَمِلن إلى انْ يكن ذوات شخصية انبساطية، منفتحات اكثر على التجارب الجديدة من كل الأنواع، بما فيها تجربة انواع جديدة وغريبة من الطعام، والسفر إلى ثقافات أخرى[17].

رغم ان العديد من النِّساء لا يتطلبن الحب أو يبحثن عنه للاقدام على ممارسة الجنس، فإن النِّساء اكثر من الرجال، يعتقدن ان الجنس لا بد ان يكون مصحوبا بالحب. ففي مسح اجراه مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية، سُئِل اكثر من 700 من طلبة الجامعات ما إذا كانوا يوافقون على عبارة «ممارسة الجنس بلا حب ليست شيئا خاطئا»[18]. وقد كان نصف الطلاب تقريبا ينحدرون من اصل أوربي، فيما ينحدر نصفهم الاخر من جنوب شرق اسيا. وفي كلا المجموعتين الثقافيتين، كان الرجال اكثر موافقة من النِّساء على أن الجنس بلا حب شيء مقبول. وقد توصل عالم النفس ديفيد شميت David Schmitt إلى نتائج مماثلة في دراسة عملاقة شملت 56 بلداً[19].

تشير النتائج التي اظهرتها دراسة اُجْرِيَتْ في مختبر باس لعلم النفس



التطوري، إلى وجود اختلافات جندرية في الربط بين الحب والجنس. اذ طُلِبَ إلى 100 رجل و100 امرأة، ان يفكروا باناس يعرفونهم، كانوا أو لازالوا واقعين بالحب مع بعضهم. من ثم طلب اليهم ان يكتبوا على الورق قائمة بخمسة من الاشياء أو السلوكيات التي قام بها طيور الحب هؤلاء، والتي تعكس، أو تبرهن على، حبهم لبعضهم[20]. وقد اظهرت النتائج فروقا جندرية هامة: فبينما 8% فقط من النِّساء حددن «ممارسة الجنس» كَتَمَثُلٍ عملي للحب، فقد حدد 32% من الرجال الجنس كتمثل له. تكشف هذه النتائج، انه بمعنى ما على الاقل، فإن الجنس والحب على ارتباط وثيق اكثر عند الرجال ـ إذ يبدو ان الجنس يتبادر إلى أذهان الرجال كواحد من اهم مفردات الحب، اكثر مما هو عليه الحال عند النِّساء. وعليه، فرغم أن النِّساء غالبا ما يرين الحب كأحد الشروط المطلوبة للجنس، يبدو ان الرجال غالبا ما يرون الجنس احد الملامح المميزة للحب.

الربط بين الجنس والتعلق

كما بينت الكثير من النِّساء في دراستنا من انهن مارسن الجنس لمنح الحب أو الحصول عليه، فإن الكثيرات أيضا اخبرننا انهن مارسن الجنس لمنح، أو الحصول على، الشعور بالترابط العاطفي. إذ قلن إنهن «رغبن بالتقارب العاطفي والحميمية»، وإنهن اردن «تواصلاً على مستوى اعمق»، و«الشعور بالارتباط مع الشخص الاخر»، و«زيادة التآصر العاطفي بممارسة الجنس»، و«أَنْ أُصبح واحداً مع شخصٍ اخر». تعكس اجابات النِّساء موضوعة شائعة ـ رغبة بانشاء، أو تقوية ـ الرابطة العاطفية مع القرين من خلال ممارسة الجنس.



ومرة اخرى خلافا للصور النمطية الجندرية الشائعة، فقد وجدنا أنه ما من اختلاف كبير بين النِّساء والرجال ـ بعمر طلبة الجامعة ـ في عدد مرات ممارستهم الجنس لتقوية الرابطة العاطفية، بحسب اجاباتهم.

مارست بعض النِّساء الجنس لبناء ترابط عاطفي لاجل انقاذ علاقة من الانهيار:

«كانت علاقة قائمة عبر مسافة بعيدة، لم أواجه نفسي بحقيقة أنها لا تستحق العناء وأنني على وشك انهائها. وقد مارسنا الجنس لأنه كان ـ إلى حد كبير ـ كل ما نفعله في المناسبات النادرة التي نلتقي فيها. اعتقدت أنها قد تقربنا من بعضنا وتجعلنا نعتقد ان بوسعنا متابعة العلاقة. وهذا ما لم يحصل».

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر 18

وصفتْ نساء أخريات في دراستنا تجارب مماثلة عمليا. حيث افدن بان ممارسة الجنس للشعور بالترابط العاطفي، في اطار سعيهن لانقاذ علاقة متهالكة، لم ياتِ بالنتيجة المرجوة. بل غالبا ما كان له تأثير عكسي، جاعلا احد أو كلا الطرفين يدركان ما اصبحا عليه من التباعد العاطفي (وحتى الجسدي). اما اذا كان طرفا الثنائي يشعران بالترابط بالفعل، فإن ممارسة الجنس تكون بالتاكيد وسيلة لتقوية الرابطة بينهما:

«ممارسة الجنس مع شخص ما تخلق رابطة خاصة معه، لا يمكن بنائها باي وسيلة اخرى. امارس الجنس لزيادة انغماسي في العلاقة، ولاظهار كل ما فيَّ».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25



«شعرْتُ بأنني بدأتُ الوقوع في حب هذه الفتاة. أحببت مشاركة بعض الاشياء معها، سواء كانت قصصا أو اشياء في حياتي، أو التجارب التي مررنا بها سوية. لقد ارتبطتُ بها عقليا وعاطفيا بحيث... اردت ان ارتبط بها جنسيا أيضا».

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر20

إن الكثير من النِّساء اللواتي كتبن افاداتهن عن ممارستهن الجنس لاجل الحب والترابط العاطفي، لم يُمَيِّزن بين الاثنين:

«دائما ـ تقريبا ـ ما كنت امارس الجنس لكي اشعر بالارتباط مع شخص ما على المستويين العاطفي والجسدي. أكون شاعرة بالترابط معه قبل ممارسة الجنس، وأريد أن اذهب بهذا الترابط إلى ابعد ما يمكن. هذا يخلق الفارق الدقيق جدا بين ممارسة الجنس والحب. فعندما اقع بحب أحدهم، فإنني ارتبط معه بطرق عديدة، وممارسة الجنس هي احداها».

امرأة غيرية الجنس، العمر 24

«لا امارس الجنس ما لم اكن واقعة بالحب، بالنسبة لي فإن الحب هو الرغبة بالالتحام بالشخص الذي اكن له تلك العواطف القوية. ان معاشرة شخصين لبعضهما ليست مجرد شيء جسدي، بل هي شيء ذهنيٌ وعاطفي. الجنس هو وسيلة لاشباع كل هذه النواحي».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

في الواقع فإن الشعور بالارتباط يخلق احساسا بالطمأنينة والامان في العلاقة، لا يكون مختلفا عن تجربة الحب. إن كُلَّاً من الشعور بالحب



والشعور بالترابط، يدرءان مشاعر الوحدة والكئابة، ويمكن ان يجعلا الشخص يشعر بأنه/ ها جزء من فريق، أو واحد من نصفين متكاملين:

«ان تكون واقعا في حب الاخر بشكل كامل، بحيث تريد ان تصبحا واحدا ـ كل واحد داخل الاخر ـ جسديا وروحيا،متفتحين بشكل كامل».

امرأة شاذَّة/ ليزبيانية، العمر 43

إن الموضوعات التي عبرت عنها النِّساء في دراستنا من قبيل «التوحد مع الاخر» و«الترابط» والشعور بالـ«اكتمال» شبيهة إلى حد كبير بتلك التي تظهر في تعريف اريستوفإن للحب والذي يظهر في كتاب الندوة Symposium الذي ألَّفه افلاطون. فطبقا لمحضر الحوارية تلك، فإن أوائل البشر لم يكونوا يبدون بنفس الشكل الذي نحن عليه اليوم. بل كان للانسان اربعة ارجل واربعة اذرع ووجهين على رقبة اسطوانية. ومع كل هذه الاطراف، كان بامكان البشر الركض بسرعة، وكانوا ذوي تحمل وقوة عاليين، وذوي قدرة عالية إلى درجة انهم حاكُوا مؤامرة لعزل زيوس وبقية الآلهة. فانتقم زيوس منهم بان قطع كل واحد منهم إلى نصفين. وامر ابولو بان يدير وجوههم وان يربط الجلد المقطوع في منتصف أجسامهم ليشكل ما اصبح لاحقا بالسرة. ومنذ ذلك الحين وكل منهم يتلهف لاعادة الالتحام مع نصفه المقطوع:

«والآن بعد ان انقسمت طبيعتهم إلى اثنتين، هرع كل نصف بلهفة إلى نصفه الاخر واحاط كل منهما الاخر بذراعيه وتعانقا، راغبين بان يمتزجا معا بشخص واحد، منهكين من الجوع والكسل أيضا، حيث لم يكن لكل منهما رغبة بفعل أي شيء عندما كانا منفصلين عن بعضهما، كل واحد



منهما كان مجرد بقايا كائن بشري، مقطوع كسمكة مفلطحة، اثنين من واحد، ومذاك وكل واحد منهما يبحث ابداً عن نصفه المتمم»[21]

ويبدو أن الناس كانو ولازالوا يبحثون عن نصفهم الاخر، ان لم يكن نصفهم الافضل، لالاف الاعوام.

وفي ما يتعلق بالنِّساء، فإن الجنس والتآصر أو الترابط العاطفي يمكن ان يكونا شيئين متقاربين. فمثلا، تحدثت بعض النِّساء في دراستنا عن جماع الصُلح (ممارسة الجنس بهدف المصالحة) make – up sex كنوع من الربط العاطفي. أحيانا، ارادت النِّساء ممارسة الجنس لاعادة المياه إلى مجاريها في العلاقة مع الشريك:

«كنا – انا وحبيبي – نمر بمنعطف خطير في علاقتنا. كان مقتنعا انني لم أعد أحبه ابدا. ورغم اننا قضينا الساعات تلو الساعات نناقش الامور، فإنني لم اشعر باننا قريبين من بعضنا كما كنا من قبل. وشعرت اني بحاجة لممارسة الجنس معه لاستعادة شيء من ذلك التقارب الذي كان بيننا سابقا».

امرأة غيرية الجنس، العمر 19

قالت نساء أخريات أيضا، إن شعورهن بالترابط في أثناء الجنس، قوَّى من رغبتهن ولذتهن في أثناء ممارسته:

«علاقتي الحالية شهدت أول مرة امارس فيها الجنس مصحوبا بالحب، حيث كان هناك ارتباط عاطفي شديد حقا، وكان الجنس شعورا مدهشا بالترابط. وهذا الشعور بالترابط العاطفي مع شريكي هو ما يجعل الجنس استثنائيا ويتيح لنا ان نرتبط ببعضنا اكثر. في أول ليلة ادركنا فيها



انا واقعين بحب بعضنا حقا، رغبنا بممارسة الجنس لاتمام ذلك الشعور، لنكمل انفسنا ان صح التعبير».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 22

في دراسة اجراها مختبر ميستون، شخَّصْنا اربعة اصناف رئيسية من الاحداث أو المحفزات التي ادت إلى شعور النِّساء بالرغبة الجنسية[22]. ثلاثة منها كانت متعلقة بالانجذاب والاثارة. فمثلا، هناك نساء اشعلت رغبَتَهن مثيراتٌ شهوانية صريحة كقراءة أو مشاهدة قصة جنسية، و«الكلام البذيء» مع الشريك، أو احساس المرأة بان جسمها في وضع استثارة، بما في ذلك اكتشاف افراز السوائل الترطيبية في العضو التناسلي. كذلك فقد استجبن لمثيرات المكانة، كرؤية أو التحدث مع شخص مشهور أو ذي سلطة. وكذا استجبن للمثيرات «الرومانسية» كالرقص مع الشريك في وضع متلاصق، أو تناول عشاء غرامي، او الضحك سوية. اما النوع الرابع من الاحداث التي زادت من رغبة النِّساء الجنسية، فقد كانت تتعلق بالترابط العاطفي. يمكن للشعور بالترابط ان يجعل النِّساء يرغبن بالجنس. حتى لو لم يكن يبحثن عن الجنس في البداية، في حال لم تستجب أجسام النِّساء جنسيا لمحاولات الشريك والمثيرات الاخرى، تستمد بعضهن اللذَّة من ممارسة الجنس من خلال ما يتبع الفعل الجنسي من امور ـ الضم والعناق والتدليل، والشعور بالترابط. وسنورد هنا كيف وصفت احدى النِّساء في دراستنا الامر:

«لِكوني لا جنسية asexual، فغالبا ما لا تكون لدي رغبة بممارسة الجنس لدافع جسدي، لكنني احصل منه على الاستمتاع العاطفي عندما أكون مع شريكي»

امرأة لا جنسية، العمر 20



تسمي الباحثة المشهورة في جنسانية النِّساء في جامعة كولومبيا البريطانية، روزماري باسون Rosemary Basson، تسمي هذا السلوك بممارسة الجنس لاجل»النواتج الثانوية أو الجانبية».

عندما لا تكون القُبلة مجرد قُبلة

لقد اتضح أن واحدا من الاسباب التي أفادت بها النِّساء لممارسة الجنس، سبب بسيط جدا: كان ذلك الشخص مُقَبِّلاً جيدا. اما لماذا قد يدفع التقبيل امرأة لممارسة الجنس، فقد تبين انه امر معقد. إذ يعد التقبيل من منظور علم الرئيسيات Primatology، نشاطا غريبا. فباستثناء قردة البونوبو، يبدو ان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يمارس التقبيل بين فصيلة الرئيسيات. إن التقبيل بين الشركاء الرومانسيين أو الجنسيين يحدث في اكثر من 90% من الثقافات[23]. يقبل الناس بعضهم بطرق وتنويعات كثيرة: بلطف، بخجل، بمودة، بجذل، بشهوانية، وبجوع. تحتوي الشفاه عند البشر على اعداد هائلة من الخلايا العصبية الحسية، اكثر من اعدادها في معظم مناطق الجسم الاخرى، إلا أن اعضاء أخرى تدخل في التقبيل أيضا كاللسان والانف والخدين[24]. يتضمن التقبيل نموذجيا، نقل معلومات بين اغلب الحواس، ويكون نصيب الاسد فيها لكل من الذوق والشم واللمس بشكل رئيسي، رغم أن للبصر (شِفاهٌ فاتنةٌ) والسَمْع (لاتوجد كلمة في اللغة الانكليزية لوصف هذا الشيء)[*] اهمية لا يمكن تجاهلها أيضا.

كشفت احدى الدراسات ان التقبيل أَحدَثَ انخفاضا في هرمون

(*) يقال في اللغة العربية عن الصوت الجذاب والانثوي للمرأة بانه (أَغَن)..انظر قصيدة (بانت سعاد فقلبي...)..المترجم.



الكورتيزول الذي يسبب التوتر العصبي، مما ادى إلى تقليل القلق. يحمل التقبيل معلومات عن الحالة الصحية، حيث إن النفس الكريه يمكن ان يكون مؤشرا على المرض أو اعتلال الصحة. كذلك يبدو ان النِّساء تستخدم التقبيل كوسيلة اختبار عاطفي، حيث يبنين على نتائجه قرارهن بمتابعة العلاقة والذهاب بها إلى مستوى ممارسة الجنس، أو انهائها عند هذه النقطة. حيث يبدو ان هذا هو ما يجعل التقبيل اكثر اهمية للنساء منه للرجال. فبينما قال 53% من الرجال ـ في احدى الدراسات ـ انه لا مانع لديهم من ممارسة الجنس دون تقبيل، لم توافق على ذلك الا 15% من النِّساء فقط[25]. لا يوفر التقبيل معلومات بالغة الاهمية عن الشريك فحسب، وانما يقوم أيضا بزيادة اللهفة الجنسية، الشعور بالبهجة، والاحساس بالقرب العاطفي.

يُشَكِّلُ التقبيل «السيء» بالتاكيد احد العوامل الكفيلة باخماد الاثارة الجنسية عند اغلب النِّساء. اذ كشفت احدى الدراسات ان 66% من النِّساء (مقارنة بـ 58% من الرجال) اعترفن بان اثارتهن الجنسية تبددت بعد قُبلة سيئة. وكما قال اليكس هيتشنز، الذي قام بدوره ويل سميث في الفلم الذي حاز شعبية واسعة عام 2005 (Hitch)، قال لزبونه «رقصةٌ واحدة، نظرةٌ واحدة، قبلةٌ واحدة، هذا كل ما لدينا...رميةٌ واحدة»، فاما «العيش في تباتٍ ونباتٍ معا» واما ان تقول عنك «أوه، كان مجرد شخص جربته يوما ما». وباختصار، يزود التقبيل المرأة بمعلومات عما اذا كان يجدر بها تصعيد العلاقة إلى المستوى الجنسي التالي، ويكشف عما اذا كان الرجل سيكون حبيبا جيدا، وربما يزودها بمعلومات عن صحة الرجل وتوافقه الوراثي معها، كما يزودها بمقياس لمدى جودة العلاقة.



أهمية المداعبة

رأينا في بداية هذا الفصل كيف ان الحب يسبب تغيرات في نشاط الدماغ، واطلاق مواد كيميائية معينة فيه. فهل يمكن لكيمياء الدماغ ـ أيضا ـ ان تفسر لنا مشاعر التعلق العاطفي والترابط؟ لقد اتضح أن لاثنين من الهرمونات التي تُفرَز في أثناء ممارسة الجنس ـ الأوكسيتوسين والفازوبرسين ـ علاقةً بالترابط عند الحيوانات، وربما تلعب دورا أيضا في التعلق عند البشر.

يحدث الارتفاع الاعظم لهرموني الفازوبرسين والأوكسيتوسين عند المرأة بعد النشوة. يرتفع الفازوبرسين بشكل رئيسي عند الرجال بعد النشوة، بينما يرتفع الأوكسيتوسين بشكل رئيسي عند النِّساء. لم تُجْرَ الكثير من البحوث على تأثيرات الأوكسيتوسين على العواطف عند البشر، لكن بعض الباحثين وجدوا أن تعريض الانف لرذاذ الأوكسيتيوسين يزيد مشاعر الثقة والسخاء[26]. بينما بيَّن اخرون أن اطلاق هذه الهرمونات يُحْدِثُ شعورا بالراحة، الامان، والتعلق. يُعتقَد ان للأوكسيتوسين، والذي يدعى أيضا «هرمون العناق» لانه يفرز أيضا عند الشخص عندما يتم تدليكه أو مداعبته، تأثيرات مضادة للقلق والاكتئاب. وبغض النظر عن كيفية افرازه، يعتقد اغلب الباحثين ان دفقة طبيعية من الأوكسيتوسين تجعل الشخص يختبر شعوراً جميلاً.

إن اثنين من مدربي العلاقات في نيويورك يعتاشان ـ حرفياً ـ على هذا الهرمون. ففي عام 2004، بَدأ ريد ميهالكو Reid Mihalko، احد مؤسسي تجمع المعانقة، بتنظيم حفلات يقوم بها أُناسٌ ـ معظمهم من العُزَّاب ـ بدفع 30 دولاراً مقابل فرصة لمعانقة الاخرين لمدة ساعة أو نحوها.



ويظهر ان حوالي 10000 شخص قد احتضنوا بعضهم في تلك الحفلات خلال السنوات القليلة الماضية، على امل ان يستعيدوا الشعور بالتلامس غير الجنسي، والحصول على جرعة منعشة من الأوكسيتوسين دون تحمل اعباء اخرى (تحتوي تلك الحفلات موظفين باسم «منقذي العناق»).

يشتهر الأوكسيتوسين في عالم البحوث العلمية، بالدور الذي يلعبه في سلوكيات الامومة. فمثلا، يحفز الأوكسيتوسين الانقباضات الرحمية ليسهل الولادة، ومن هنا تاتي التسمية اساسا، حيث تعني كلمة أوكسيتوسين الاغريقية «الولادة السريعة». ومما يؤيد تأثيره بهذا الخصوص، ان حوالي 75% من النِّساء في الولايات المتحدة يتم اعطائهن جرعة من الأوكسيتوسين المُصَنَّع ـ مثل البيتوسين Pitocin ـ في صالات الولادة، لتحفيز أو تعجيل الوضع. اما في الصين، حيث نسبة الوفيات في أثناء الولادة اقل بكثير مقارنة بالولايات المتحدة، فينصح بحمام بارد عندما تحتاج عملية الولادة إلى بعض العون. يحفز الحمام البارد حلمات الثديين، وهذا بدوره يحث الدماغ على اطلاق مزيد من الأوكسيتوسين الطبيعي. ولطالما عُرِف بين القابلات(*) ان وضع بعض الثلج على الحلمات يساعد في اطلاق الأوكسيتوسين. ويمكن ان يساعد هذا أيضا في حالات الولادة المتعسرة.

كذلك يتيح الأوكسيتوسين للثديين افراز الحليب عند النِّساء الحوامل والمرضعات ويلعب دورا رئيسيا في ارتباط الام بذريتها واعتنائها ـ الام ـ بها في العديد من انواع الحيوان. وقد اظهر الباحثون انه عند إعطاب آلية افراز الأوكسيتوسين الطبيعي باعطاء الحيوان عقاقير معينة، فانَّ الاُمَّ تَكُفُّ

(*) القابلة=الداية=المولِّدَة...المترجم.



عن القيام بسلوكيات الرعاية الامومية الطبيعية، وتنفر كليا من وَلِيدِها. كما أن العكس ممكن أيضا. فبعد حقن اناث جرذان لم يسبق لهن الولادة ولا التزاوج حتى بهذا الهرمون، بدأت هذه الاناث بمداعبة وحماية صِغارِ الاناث الاخريات كما لو كانت صغارها هي.

تَرابطٌ في الدماغ

رَبطت الكثير من البحوث بين الاوكسيتوسين والرابطة الامومية (رابطة الام ـ الوَليد) في الحيوانات، من الجرذان إلى الاغنام. ولكن العديد من الباحثين يعتقدون ان الأوكسيتوسين له دور في الترابط الجنسي أيضا، وينطبق هذا على بعض الحيوانات، ولا يُستثنى البشر من ذلك. تطرح دايان ويت Diane Witt الباحثة في جامعة بينغامتون Binghamton ما مفاده ان اطلاق الأوكسيتوسين يمكن ان يتم ربطه بآلِيَّة الإِشراط الكلاسيكي، برؤية اشخاص بعينهم. ولنتذكر هنا الحائز على جائزة نوبل، العالم الروسي بافلوف وكِلابَه. يَسيلُ لُعابُ الكلاب عندما ترى الطعام، حيث يلعب هذا دورا مهما في عملية الهضم لديها. جَرَّبَ بافلوف ان يقوم بقرع جرس كلما قام باطعام كلابه، وبعد فترة صار لعاب الكلاب يسيل بمجرد سماعها لقرع الجرس. حيث تم إِشراط الكلاب كلاسيكياً لافراز اللعاب عند سماع صوت الجرس. تعتقد ويت، انه وبنفس الطريقة، يمكن أن يتم إِشراط إِفراز الأوكسيتوسين كلاسيكياً من قبل الدماغ، لرؤية شركاء بعينهم.

فمثلا، تلتقي امرأة برجل ما، وفي موعدهما الأول تَرى أنه لا يرتقي تماما لمواصفات فتى أحلامها ـ كلينت ايستوود ـ ولكن لا باس



بمواعدته لمرات قليلة اخرى. وتدريجيا تقرر ممارسة الجنس معه، ويُفرَزُ الأوكسيتوسين، وتختبر ذلك «الشعور الرائع». وبعد ممارسة الجنس معه عدة مرات، وفي كل مرة يتم افراز الأوكسيتوسين، تتكون لديها مُلازَمَة إشراطية. وقريبا جدا، مجرد رؤيتها لهذا الرجل ستجعل دماغها يطلق الأوكسيتوسين دون ممارسة الجنس حتى! وفجأة يتحول «السيد لابأس به» إلى «السيد لاغنى عنه». يعتقد بعض الباحثين، ان الارتباط بشخص ما لمدة طويلة يسبب ارتفاعا حادا ومزمنا في مستوى الأوكسيتوسين وابن عَمِّه الفازوبرسين، ويمكن لهذا ان يحافظ على رابطة علاقة طويلة الامد بين الرجال والنِّساء.

منذ مدة ليست طويلة، وجد الباحثون لأول مرة ارتباطا بين الأوكسيتوسين وبين كون الحيوان احادي التزاوج او متعدِدَهُ. يُكَوِّنُ 3% فقط من الثدييات غير البشر رابطة تزاوج احادي، بينما تُكَوِّن الاغلبية الساحقة منها زيجات متعددة مع عدة شركاء. تُكَوِّن بعض فئران الحقل رابطة زوجية ثنائية تدوم طويلا (أحيانا مدى الحياة). إذ يتشارك الزوجان الوكر، ويتجنبان الالتقاء بالقرناء المحتملين الاخرين، ويعتنيان بالصغار سويةً. بينما يُظهر الفأر الجبلي، وهو شديد القرابة من فأر الحقل احادي الزيجة، نمطاً اقترانياً مختلفاً جداً. اذ لا يُكَوِّن هذا النوع رابطة ثنائية، ولا يهتم الذكور بالصغار ولا يشتركون بالعناية بهم. بل لا تبذل حتى اناث فئران الجبل الكثير من العناية بصغارها، حيث تترك صغارها بعد برهة قصيرة من الولادة. واذا اخذنا في الحسبان ان هذين النوعين من الفئران ـ الحقلي والجبلي ـ يتشاركان 99% من المورثات نفسها، الامر الذي يجعلهما متماثلين جدا على الصعيد الوراثي، لماذا اذن يسلكان سلوكين



مختلفين؟ كما تبين، يختلف هذان النوعان في كيفية انتاج ومعالجة الأوكسيتوسين والفازوبرسين. اذ تحتوي أجسام فئران الحقل المخلصة، التي تميل إلى التعلق، كميات أكبر بكثير من هذين الهرمونين الرابطين، وكذلك عددا أكبر من المستقبلات في الدماغ لهذين الهرمونين، حيث تتحسس هذه المستقبلات لهما وتستعملهما[27].

وقد اكتُشِف حديثا جدا انه في فئران الحقل (وليس في فئران الجبل غير المخلصة) تكون المنطقة الدماغية الغنية بمستقبلات الأوكسيتوسين والفازوبرسين، غنية أيضا بمستقبلات الدوبامين dopamine، وهي مادة كيميائية تُنتَج في الدماغ، وطالما ربطتها البحوث بالمكافأة[28]. عندما تقوم الحيوانات (بمافيها الانسان) بسلوكيات كالاكل، الشرب، والجنس ـ السلوكيات الضرورية للبقاء والتكاثر ـ فإن ادمغتها تطلق الدوبامين. وهذه الدفقة من الدوبامين تجعل الحيوان يختبر شعوراً مُحَبَّبا، أي تكافئهم على السلوك لكي تزيد من احتمال معاودتهم لممارسته (الاكل، الشرب، الجنس) مرة اخرى. ولأن فئران الحقل الوفية، تمتلك مستقبلات «مكافأة» في نفس المنطقة الدماغية التي تحتوي على مستقبلات «الترابط»، يُرجِّح هذا ان ممارسة الجنس مع فأر حقل مألوف، تكون اكثر مكافأة من ممارسته مع فأر حقل جديد. اما الفئران الجبلية، والتي لاتمتلك مستقبلات مكافأة في نفس المنطقة الدماغية التي تحوي مستقبلات الترابط، فلن تحصل فيها ملازَمةٌ بين مألوفية الشريك والشعور المحبب الناتج عن اطلاق هرمون المكافأة.

قامت الباحثة في جامعة ايموري في اطلانطا، ميراندا ليم Miranda Lim وزملاؤها من خلال عملهم على هذين النوعين من الفئران،



باكتشاف مذهل: فقد وجدوا ان بامكانهم تحويل ذكر فأر الحقل المخلص بالفطرة، إلى دون جوان من الطراز الأول، وذلك بتعطيل عمل مستقبلات الترابط ـ مستقبلات الاوكسيتوسين والفازوبرسين ـ في دماغه[29]. كما استطاعوا القيام بالعكس أيضا. حيث استخدموا فيروسا غير مُمْرِضٍ لِنَقْلِ مورِّثَة مستقبل الترابط من فأر الحقل إلى فأر الجبل، وقد ظهرت زيادة في عدد مستقبلات الترابط في منطقة المكافأة من الدماغ[30]. ولتحزروا ما الذي حصل؟ لقد اظهر ذكر فأر الجبل الداعر بالفطرة تفضيلا قويا لشريكته الحالية على الاناث الغريبات، كما كان على استعداد للتفرغ لتنشئة الصغار.

تُحَرِّض ممارسة الجنس اطلاق هرمونات الاوكسيتوسين والفازوبرسين في البشر كما في فئران الحقل، لكن هل يمكن للاختلافات الهرمونية ان تفسر لماذا يكون بعض البشر وحيدي التزاوج، بينما يكون اخرون عديدي التزاوج؟ يعمل مختبر ميستون بجد للتوصل إلى اجابة لهذا السؤال. فقد قامت الباحثة ليزا داون هاميلتون Lisa Dawn Hamilton بتحري ما اذا كانت هناك اختلافات في الادمغة بين الاشخاص احاديي التزاوج وعديدي التزاوج. وقد تبين ان الاشخاص الذين أعتُبِروا احاديي التزاوج، ليسوا فحسب يفضلون ممارسة الجنس مع شريكهم الحالي في الرابطة الثنائية التي كونوها، بل تبين أيضا انهم لا يختبرون خيالات تتعلق بممارسة الجنس مع شركاء اخرين، ولا يشتهونهم «سراً». بينما يظهر الاشخاص غير احاديي التزاوج في المقابل، نمط مواعدة عدة شركاء في نفس الوقت، او يمارسون الجنس خارج العلاقة الاساسية بشكل متكرر.



ولاجراء الدراسة قام فريق مختبر ميستون بمسح ادمغة اناس مشخصين على أنهم احاديي التزاوج واخرين غير احاديي التزاوج، في أثناء عرض صور لمشاهد مختلفة عليهم. تضمنت الصور مشاهد شهوانية (ثُنائيٌ يقومان بممارسة الجنس مثلا)، مشاهد رومانسية/ ترابطية (مثلا: ثنائيٌ يقومان بملامسة ايدي بعضهما أو يضحكان معا)، ومشاهد محايدة (منظر ريفي مثلا). ثم امعنَّا النظر لنرى ما اذا كان هناك اختلاف في نشاط المناطق الدماغية الغنية بمستقبلات المكافأة. وقد تنبئنا بان الاشخاص احاديي التزاوج سيُظهرون نشاطا أكبر في مناطق المكافأة في الدماغ عندما تعرض عليهم صور رومانسية أو صور مشاهد ترابط عاطفي اكثر من نشاط نفس المناطق في نظرائهم عديدي التزاوج. كما توقعنا أن الصور الجنسية ستُحدِث المكافأة عند كلا النوعين من الاشخاص. وأنها ستكون اكثر مكافأة من صور المشاهد المحايدة. حتى الآن اكملنا الدراسة على الرجال فقط، لكن النتائج تدعم تنبؤات مختبر ميستون. اذ اضاءت مناطق المكافأة في ادمغة الرجال احاديي التزاوج مثل شجرة عيد الميلاد عند عرض كلا الصور الجنسية وصور الترابط العاطفي. وعلى العكس من ذلك، لم تُظهر مناطق المكافأة في ادمغة الرجال عديدي التزاوج نشاطا الا عند رؤيتهم للصور المثيرة جنسيا، ولم يظهر في مناطق المكافأة في ادمغتهم الا قليل جدا من النشاط عند رؤيتهم لصور الترابط العاطفي[31]. ويحتاج مختبر مستون إلى مزيد من الاختبار لهذه النتائج على عدد أكبر من الرجال قبل أن نستنتج ان هناك رجالاً»حقليين» وآخرين «جبليين»، انما يظهر فعلا ان الترابط العاطفي اكثر مكافأة لبعض الرجال على المستوى البيولوجي الصرف من بعضهم الاخر.



تجربة متعالية (ترانسيندينتالية)

مع ما يبدو من المشتركات الكثيرة بين الرجال وذكور الفئران في الدافعيات الجنسية، فإن الجنسانية البشرية تُنحَتُ ثقافيا أيضا، ابتداءً من ما يشعر به الناس بخصوص الجنس إلى افكارهم عن الترابط العاطفي. وينطبق ذلك بشكل خاص فيما يتعلق بالدِين.

يتباين دور الجنسانية عبر الطوائف الدينية، حيث تكون بعض المِلل اكثر تقييدا جنسيا بكثير من الاخرى. لقد كان سِفْرُ اللاويين، وهو جزء من التوراة اليهودية والعهد القديم المسيحي، محورياً في تشكيل علاقة الجنس بالدين في اذهان الامريكيين. فوِفْقاً لما جاء في هذا السِفْر، قدَّم الرب لموسى قائمة بالسلوكيات الجنسية المحرمة، وبرفقتها قائمة بالعقوبات المناسبة لكل انتهاك للتعاليم بهذا الخصوص، والتي غالبا ما تضمنت القتل حرقا أو رجما بالحجارة. شملت السلوكيات المحرمة الزنا، سِفاح المَحارم، ممارسة الجنس في أثناء فترة الطمث، ممارسة الجنس بين الرجال وممارسة الجنس مع الحيوانات. لم يُحَرِّم سفر اللاويين الجنس بين الزوجين. بل في الواقع، هناك كثير من الفقرات في العهد القديم تُشيد بالمكانة الايجابية الاخلاقية للرابطة الزوجية، وبممارسة الجنس ضمن هذا الاطار. كذلك لم يحرم السفر ممارسة الجنس بين الرجل غير المتزوج والمرأة غير المتزوجة. على أن مقاطع اخرى أوضحت بما لاشك فيه ان النِّساء اللواتي يتبين انهن لسن عذراوات عند الزواج، يمكن اعدامهن (سفر التثنية 22: 13 ـ 29). بينما لم يُوقِع عقوبة مماثلة على الرجل الذي لا يكون بتولاً عند زواجه.

مما تم توثيقه جيدا في علم النفس، ان انتهاك القواعد الدينية الصارمة



يمكن أن يؤدي إلى الشعور بالذنب او الخطيئة الجنسية، وهذا قد يضعف من قابلية المرأة للاستمتاع بالجنس. ولذا فقد كان مدهشا بالنسبة لنا، ان نسمع من بعض النِّساء في دراستنا، ان الربط بين الجنس والدين يمكن ان يكون تجربة مفعمة بالايجابية. اذ بالنسبة لبعض النِّساء، فإن شعورهن بالتمازج مع شركائهن في أثناء الجنس، جعلهن يشعرن بالتمازج او الترابط مع الرب:

«في التعاليم اليهودية، تعتبر ممارسة الجنس يوم السبتِ ميتزفا ـ أي عملاً مُستَحَبّاً ـ وفي العرفإن/ التصوف اليهودي، هناك شكل من النشوة الجنسية تحاكي امتزاج الرب بالانسان، واعادة خلق العالم. في الحقيقة لا استطيع وصف هذه التجربة.. لكن ما اشعر به من متعة خالصة وامتزاج مع الشخص الاخر، يقربانني من دورات الحياة والطاقة الكامنة وراء هذا العالم، الرب بالمعنى الاساسي».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 21

«كان حلما تحقق، ان أكون برفقة هذا الرجل الرائع. كنت قادرة على أن انسى نفسي وأن ارى الرب، حيث تتداخل حدود عالم الاحلام مع العالم الحقيقي».

امرأة غيرية الجنس، العمر 23

«كنت اتفكر في أن كون الربِّ مُحايِثاً يعني ان يسوع حالٌّ فِيَّ، وفي الجميع. واذا كان يسوع بداخلي، فسيكون في شريكي أيضا. ثم فجأة خطرت ببالي فكرة مفادها أن رفقتنا ـ انا وشريكي ـ تعني ان يسوع يبحث عن يسوع، كم سيكون ذلك جميلا».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 20



وبالنسبة للبعض الاخر من النِّساء، لَمْ يَرْقَ الجنس إلى توقعاتهن الروحية:

«لقد ترعرعت في محيط لم نكن نتكلم فيه عن الرب، أو الجنس. ولذا فقد وضعتهما معا في خانة الاشياء التي بدت لي خاصة لانها كانت مجهولة بالنسبة لي. عندما بدأتُ مواعدة حبيبي، جعلتُه ينتظر لفترة طويلة جداً. وعندما حدث ذلك اخيراً، توقعت ان تكون تجربة ذات نكهة دينية تقريبا. ولم يكن الامر كما توقعت».

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

كيف يمكن للجنس ان يخلق شعورا بالتوحد أو الترابط مع الرب؟ يمكن تسليط بعض الضوء على اجابة هذا السؤال اذا اخذنا في الاعتبار ما يحدث للدماغ في أثناء التجارب الدينية العميقة. في كتابهما Why God Won't Go Away رصد استاذ طب الاشعة اندريه نيوبرغAndrew Newberg والطبيب العقلي يوجين دي اكويلاي Eugene D'Aquili، رَصَدَا انه في الاشخاص الذين يسعون للامتزاج أو الترابط الروحي العميق من خلال التأمل أو الصلاة ـ مثل الراهبات الفرانسيسكان والرهبان البوذيين ـ فإنَّ دماغهم يشهد خُموداً في نشاط المنطقة المُسماة بالفُصِّ الجداري. ان منطقة الفص الجداري مسؤولة عن تنسيق المعلومات الحسية ـ فتساعدنا مثلا على فهم كيف تترتب المعلومات البصرية داخل المحيط المكاني. وعليه، فإن خمود نشاط هذه المنطقة يقلل من قدرة الجسم على توجيه نفسه داخل الحَيِّز الفيزيائي، ووِفْقَاً لاندريه ويوجين أيضا، يقلل من قدرة الفرد على التمييز بين الذات وغير الذات. وربما يتعرض بعض الاشخاص إلى وابل من المعلومات البصرية والمكانية في أثناء الجنس بحيث يخلق ذلك تجربة مماثلة بعض الشيء.



وعلى الجهة الاخرى، تُلَمِّح اللوحات التشكيلية التي تُصوِّر التجارب الدينية، كمنحوتة (نشوة القديسة تيريزا) التي تعود للعصر الباروكي، والتي رسمها الفنان الايطالي جيانلورينزو برنيني Gianlorenzo Bernini، تلمح إلى ربط يعود لقرون، بين النشوة الدينية والنشوة الجنسية، ولو أن ممارسة الجنس لاجل الجنس ذاته لم تكن جزءاً من المعادلة بالنسبة لغالبية النِّساء الملتزمات دينيا في العصر الحاضر.

تطوِّر الحب والترابط

رغم أننا لم نجد في دراستنا الأولية فروقا كبيرة بين الرجال والنِّساء في تكرارية ممارستهم الجنس بدافع من التعلق العاطفي، فإن دراسة اجراها مختبر باس اظهرت فروقا جندرية كبيرة في ما يتعلق بالاهمية التي يعلقها كل من الرجال والنِّساء للترابط العاطفي مع الشريك الجنسي. في هذه الدراسة، سُئِل رجال ونساء غَيْرِيُّو الجنس من بلدان مختلفة كثيرة، سؤالا استفزازيا:

نطلب منكَ ان تفكر في علاقة رومانسية جدية ملتزمة كانت لك في الماضي، أو انت ملتزم بها الان، أو تود ان تكون لك في المستقبل. تَخَيَّل ان الطرف الثاني في هذه العلاقة اصبح مهتما بشخص اخر. ما الذي سيزعجك أو يضايقك اكثر:

تَخيُّلُ شريكك يُكَوِّن رابطة عاطفية عميقة مع ذلك الشخص؟، أو

ب ـ تَخيُّلُ شريكك يخوض علاقة جنسية لاهبة معه؟

بلا شك، كان تَخَيُّلُ تَعَلُّقِ الشريك عاطفيا بشخص اخر اكثر ازعاجاً



للنساء من تخيل قيامه بممارسة الجنس معه[32]. يبدو هذا منطقيا تماما من الناحية التطورية. فمن وجهة نظر المرأة، قيام الرجل بممارسة الجنس مع امرأة اخرى قد يعني وقد لا يعني أيضا انه متعلق بها عاطفيا ـ فقد يكون الامر مجرد شهوة جسدية. ولكن لو تعلق الرجل عاطفيا بامرأة اخرى، فهناك احتمال كبير انَّهُ يمارس الجنس معها أيضا (أو سيفعل ذلك قريبا). واذا كان الرجل على علاقة عاطفية بامرأة، ويمارس الجنس معها أيضا، فهناك احتمالٌ مرتفعٌ لأن يبدأ بتوجيه التزامه وموارده نحوها بدلا من شريكته الحالية ـ وهذا تهديد واضح من الناحية التطورية.

هل من الضروري أن نذكر هنا، انه وعلى الرغم من مثال فئران الحقل الذي تطرقنا اليه انفا، فإن ممارسة الجنس عند الاغلبية الساحقة من الانواع على هذا الكوكب لا تتضمن التزاما بأي شكل من الاشكال. ويُشَكِّلُ البشر استثناءاً نادرا ـ حتى بين الرئيسيات، في كونهم من الانواع القليلة التي يرتبط فيها الذكور بالاناث في ارتباطات ثنائية طويلة الامد تدوم لسنوات، عقود، ومدى الحياة في بعض الاحيان. تحدُثُ ممارسة الجنس بشكل رئيسي عند الشمبانزي، الحيوان الرئيسي الاقرب وراثيا للبشر، عندما تدخل الانثى في حالة الوِداق estrus[*]. خلال فترة الاباضة هذه، ينتفخ العضو التناسلي للانثى ويصبح لونه احمر فاقعا، كما يطلق جسمها روائح مميزة، تصيب هذه التغيرات ذكور الشمبانزي بنوبة سعار جنسي، اما فيما عَدا فترة الوداق، فلا يُظهر ذكور الشمبانزي ميلا للاناث أو اهتماما بهن. لذا لا تدوم العلاقات الجنسية طويلا عند الشمبانزي.

(*) الوداق، علم الاحياء: هو بلوغ الرغبة الجنسية ذروتها في فترة معينة من الدورة الشَهرية عند انثى الثدييات..المترجم.



أما في حالة البشر، فإن فترة الاباضة تكون مخفية ومستترة، على الاقل في اغلب الحالات. ورغم انه قد تحدث تغيرات جسدية يصعب ملاحظتها في جسم المرأة ـ تَوَرُّدٌ خفيفٌ في البشرة أو زيادة في الرغبة الجنسية ـ فليس هناك من الادلة العلمية على قدرة الرجال على اكتشاف كون المرأة في فترة الاباضة الا النزر اليسير. ومن منظور تطوري، فإن الاسلاف الناجحين من الرجال، احتاجوا على الارجح إلى ملازَمة المرأة كثيراً وممارسة الجنس معها طِوال فترة دورتها الشهرية. اذ في غياب وجود مؤشر على فترة الاباضة، فإن فرصة حدوث الحمل من ممارسة جنسية واحدة هي بحدود 3 ـ 4% فقط. لذا نادراً ما كان لممارسة جنسية عابرة واحدة مردود تكاثري. ولهذا يعتقد بعض الباحثين ان خَفَاء فترة الاباضة، ربما تَطَوَّرَ كوسيلة لتعزيز الرابطة الثنائية، أو لزيادة الالتزام في العلاقات الجنسية البشرية[33]. وهذا بدوره زاد من احتمالية توجيه الموارد إلى شريكة واحدة واطفالها.

لكن ذلك لا يفسر عواطف الحب القوية ولماذا تطورت عند البشر. يعتقد علماء النفس التطوريون ان هذه العواطف ربما تكون شكلاً من «التأمين لالتزام طويل الامد». فاذا كان شريكك مأخوذا بعاطفة لا ارادية ولا يستطيع التحكم بها، عاطفة تحفزها انت فقط ولا يستطيع شخص غيرك تحفيزها، عاطفة زاد من حدتها ارتباطها بعدد من الهرمونات التي تطلقها ممارسة الجنس، فإن احتمال انفراط الالتزام يَقِلُّ إلى حَدِّهِ الادنى، في السَرَّاء كما في الضَرَّاء. ومن جهة اخرى، فاذا اختارك الشريك بناء على معايير »عقلانية» ـ ولتكن حيازتك للموارد، أو افتقارك لها (وهو ما قد يؤدي إلى أكل الذرية) ـ فإنه أو انها قد يتركك أو تتركك بناء على نفس الاسباب، لصالح منافس حائز على اكثر مما لديك من الصفات المرغوبة.



هوامش وإحالات المؤلِّفين على الفصل الثالث

1 _ As cited in Hatfield, E., and Rapson, R. L. (2007). «Passionate Love and Sexual Desire: Multidisciplinary Perspectives،» in J.P. Forgas (ed.), Personal Relationships: Cognitive, Affective, and Motivational Processes, 10th Sydney Symposium of Social Psychology, Sydney, Australia.

2 _ As cited in Hatfield, E., and Rapson, R. L. (2009). «The Neuropsychology of Passionate Love،» in D. Marazziti (ed.), Neuropsychology of Social Relationships, Nova Science.

3 _ Sternberg, R. J. (1999). Love Is a Story: A New Theory of Relationships (New York: Oxford University Press(.

4 _ Birbaumer, N., et al. (1993). «Imagery and Brain Processes،» in N. Birbaumer and A. Öhman (eds.), The Structure of Emotion (Göttingen, Germany: Hogrefe & Huber Publishers(.

5 _ Bartels, A., and Zeki, S. (2000). «The Neural Basis of Romantic Love،» Neuroreport 11 (November 27): 3829 _ 34.

6 _ Liebowitz, M. R. (1983). The Chemistry of Love (Boston: Little, Brown(.

7 _ Marazziti, D., et al. (1999). «Alteration of the Platelet Serotonin Transporter in Romantic Love،» Psychological Medicine 29(3):741 _ 45.



8 _ Jankowiak, W. (1995). Romantic Passion: A Universal Experience? (New York: Columbia University Press(.

9 _ Sprecher, S., Aron, A., et al. (1994). «Love: American Style, Russian Style, and Japanese Style،» Personal Relationships 1:349 _ 69.

10 _ Jankowiak, W. R., and Fisher, E. F. (1992). «A Cross _ Cultural Perspective on Romantic Love،» Ethnology 31:149 _ 55.

11 _ Buss, D. M., Abbott, M., et al. (1990). «International Preferences in Selecting Mates: A Study of 37 Cultures،» Journal of Cross _ Cultural Psychology 21:5 _ 47.

12 _ Levine, R., Sato, S., et al. (1995). «Love and Marriage in Eleven Cultures،» Journal of Cross _ Cultural Psychology 26:554 _ 71.

13 _ As cited in Hatfield, E., and Rapson, R. L. (2007). «Passionate Love and Sexual Desire.».

14 ـ المصدر السابق.

15 _ Rubin, A., Peplau, L. A., and Hill, C. T. (1981). «Loving and Leaving: Sex Differences in Romantic Attachments،» Sex Roles 8:821 _ 35.

16 _ Arsu, S. (2006). «The Oldest Line in the World،» New York Times, February 14, 1.



17 _ Shaver, P. R., and Mikulincer, M. (2008). «A Behavioral Systems Approach to Romantic Love Relationships: Attachment, Caregiving, and Sex،» in R. Sternberg and K. Weis (eds.), The New Psychology of Love (New Haven, Conn.: Yale University Press).

18 _ Meston, C. M., Trapnell, P. D., and Gorazalka, B. B. (1998). «Ethnic, Gender, and Length of Residency Influences on Sexual Knowledge and Attitudes،» Journal of Sex Research 35:176 _ 88.

19 _ Schmitt, D. (2008). Unpublished data.

20 _ Buss, D. M. (1988). «Love Acts: The Evolutionary Biology of Love،» in R. Sternberg and M. Barnes (eds.), The Psychology of Love (New Haven, Conn.: Yale University Press).

21 _ Plato (1991). Trans. with comment by R. E. Allen. The Symposium (New Haven, Conn.: Yale University Press).

22 _ McCall, K. M., and Meston, C. M. (2006). «Cues Resulting in Desire for Sexual Activity in Women،» Journal of Sexual Medicine 3:838 _ 52.

23 _ Eibl _ Eibesfeldt, I. (1970). Love and Hate: On the Natural History of Behavior Patterns (New York: Methuen).



24 _ Walter , C. (2008) . «Affairs of the Lips،» Scientific American (February /March) :24 _ 29.

25 _ Hughes , S. M. , Harrison , M. A. , and Gallup , G. G. (2007) . «Sex Differences in Romantic Kissing among College Students: An Evolutionary Perspective،» Evolutionary Psychology 5:612 _ 31.

26 _ Kosfeld , M. , Heinrichs , M. , et al. (2005) . «Oxytocin Increases Trust in Humans،» Nature 435:673 _ 76.

27 _ Insel , T. R. , and Shapiro , L. E. (1992) . «Oxytocin Receptor Distribution Reflects Social Organization in Monogamous and Polygamous Voles،» Proceedings of the National Academy of Science 89:5981 _ 85.

28 _ Edwards , S. , and Self , D. W. (2006) . «Monogamy: Dopamine Ties the Knot.» Nature Neuroscience 9:7 _ 8.

29 _ Lim , M. M. , and Young , L. J. (2004) . «Vasopressin _ Dependent Neural Circuits Underlying Pair Bonding in the Monogamous Prairie Vole،» Neuroscience 125:35 _ 45.

30 _ Lim , M. M. , Wang , Z. , et al. (2004) . «Enhanced Partner Preference in a Promiscuous Species by Manipulating the Expression of a Single Gene،» Nature 429:754 _ 57.

31 _ Meston , C. M. , and Hamilton , L. D. (2009) . Unpublished data.



32 ـ Buss, D. M., Shackelford, T. K., et al. (1999). «Jealousy and Beliefs About Infidelity: Tests of Competing Hypotheses in the United States, Korea, and Japan،» Personal Relationships 6:125 ـ 50.

33 ـ يقترح باحثون آخرون وظائف أخرى لخَفَاء الاباضة عند النِّساء, كَمَنْعِ القرين من القيام بحراسة المرأة من المنافسين في الفترة التي تصلُ فيها خصوبتها إلى الذروة, مما يتيح لها الفرصة للاستفادة من تزاوجٍ خارج الرابطة الثنائية.




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الرابع

مُتعةُ الصيد
من الحصول على قرين إلى سرقته

« ليس كافياً أن أنجح، لا بد أن يفشل الآخرون».

جورج فيدال (1925 ـ 2012)

إنَّ حقيقة التنافس الجنسي بين النساء قد تم تصويرها، ولو بطريقة متصنعة مغالية، في البرنامج التلفزيوني ذي الشعبية العالية)الأعزب (The Bachelor ففي كل اسبوع يتسمر ملايين الامريكيين امام شاشات التلفاز لمشاهدة شاب أعزب (أعزب في العالم الحقيقي) يختار من بين 25 امرأة يقمن بالتزين، المغازلة، المواعدة، التبرج، الخروج، وأحيانا ممارسة الجنس على امل الفوز بالزواج من ذلك الشاب. ليس من المفاجيء أن هؤلاء العزاب الذين يتم اختيارهم للمشاركة في البرنامج يحوزون صفات تتطلع اليها الكثير من النساء ـ فَهُم وسيمون، واثقون بأنقسهم، ذوو شخصية ساحرة، وبنية جسمانية متناسقة، رياضيون، وناجحون مهنيا.

تَنَوَّعَ الرجال المشاركون في المواسم الثلاثة عشر الأولى للبرنامج: مستشار اداري ناجح، نائب رئيس سلسلة من البنوك الاهلية، مؤسس



ومالك شركة للرهن العقاري، لاعب كرة قدم محترف، ممثل سبق له أن أدى دور طبيب في المسلسل الشهير ER، مقاول مواد تجميلية، طبيب اتفق أيضا أنه لاعب العاب قوى وضابط في البحرية، مالك سلسلة من الحانات الناجحة، خبير مالي عالمي، ومدير تنفيذي.

يقوم الشاب خلال البرنامج بسلسلة من المواعدات مع النساء، سواء مواعدات فردية، او مع اثنتين، او مع مجموعة منهن. وفي ختام كل حلقة يتم إقصاء عدة نساء من المسابقة. وفي نهاية السلسلة، بينما تتصاعد التوترات إلى القمة، يختار الأعزب فائزة، وربما يعرض عليها الزواج أيضا. يكون التنافس الجنسي في أثناء ذلك ضاريا. فبالإضافة إلى اغتياب النساء بعضهن بعضا في حديثهن مع الأعزب، فإنهن يحرصن على أن يَكُنَّ مثيرات جنسيا من حيث مظهرهن وتصرفاتهن، رغم أن البرنامج لا يعرض في حلقاته ممارسات جنسية. وكما علَّق احد المشاهدين:»لقد نجحت هؤلاء النسوة دائما في نهاية كل موسم بجعل أنفسهنَّ يَبْدِينَ كفتيات مدرسة اعدادية ينحدرن من طبقة سفلى»[1]. هوجم البرنامج أحيانا ووُصِفَ بأنه منحط، غير حقيقي، مهين للنساء، استغلالي، سطحي، مزيَّف، وبائس. ومع ذلك فمازال يجذب نحو 11 مليون مشاهد، غالبيتهم من النساء طبقا لاحصائيات نيلسنNielsen ratings، نساء يغرقن في دراما مشاهدة التنافس الجنسي (في الموسم الأول من البرنامج الاخر العزباء The Bachelorette والذي استُوحي من برنامج الأعزب، قامت إحدى النساء اللواتي «خسرن » في برنامج الأعزب، بالاختيار من بين 25 رجلا يتنافسون للفوز بها).

عندما نفكر بالتنافس من أجل التزاوج، يستحضر الكثيرون منا في اذهانهم صور رجال يقاتلون بعضهم، او مشاهد البرامج الوثائقية عن



الحياة البرية التي تقاتل فيها الوعول بعضها بعضا بقرونها في صراع طقوسي من أجل الهيمنة[2]. عَبْرَ الثقافات البشرية المختلفة، يتنافس الرجال أكثر من النساء بالفعل في صراعات بدنية عنيفة. إذ يتصارعون من أجل الحصول على المكانة في ساحات اللعب، سواء في ملعب رياضة الاولاما ulama عند شعب الازتك قديما ـ والتي يساوي الفرق بين الفوز والخسارة فيها، الفرق بين الخصوبة والعقم ـ او في ملاعب كرة السلة المعاصرة. وتاريخيا، تنافس الرجال في صيد الطرائد الكبيرة الغنية بالسُعرات، للتغلب على منافسيهم، اما في المجتمعات المعاصرة، فيعرض غالبية الرجال مكانتهم ومواردهم من خلال طرائق أكثر رمزيةً، كامتلاك الهيبة والاحترام. وكما تصف إحدى مؤسِّسات رابطة « مواعَدة المصرفيين[*] dateing a banker anonymous» الأمر: انه رجل من الطراز الأول، مقدام، ذو عزم وطموح، لا يعرف الـ لا، واثق بنفسه، يحظى باحترام الناس، وهذا ما يخلق هالة السحر المحيطة به».[3]

في الواقع، فان التنافس بين الذكور ذو نزعة استعراضية، علني وواضح إلى درجة أنه ربما كان السبب في غفلة تشارلس داروِن ومن تبعه من العلماء عن ما بتنا نعرف اليوم أنه عامل تطوري ونفسي بالغ التأثير: التنافس الجنسي بين الاناث أنفسهنَّ[4]. افادت بعض النسوة في دراستنا بأنهن مارسن الجنس بدافع الحاق الهزيمة بغريماتهن:

(*) بحسب ما ورد في مقالة نيويورك تايمز التي اشار اليها المؤلفان في الهوامش، أُسِّسَتْ هذه المدونة على الانترنت لتلتقي فيها النساء اللواتي على علاقة حب او زواج برجل يعمل في مجال اسواق المال، حيث يتبادلن الخبرات ويساعدن بعضهن بعضا لمواجهة التغييرات التي تطرأ على مزاج ونفسية ازواجهن بسبب التقلبات والخسائر في اسواق المال والبورصة..المترجم.



«يعشق حبيبي اثارة الاهتمام، وفي الفترة الأولى من علاقتنا، بدأ بعلاقة سطحية مع فتاة أخرى من وراء ظهري، وعندما علمت بذلك اول مرة، تَحَطَّمْتُ، لكن تدريجيا، وضعت هدفا لي أن أجعله يدرك أنني الفتاة الوحيدة التي يريدها. ومع أني كنت اسعد بممارسة الجنس معه، أُدرِكُ الآن أني كنت أمارسه أيضا بهدف أنْ اثبت له أني أفضل من الفتاة الأخرى».

امرأة غيرية الجنس، العمر 18

ورغم هذا النقص في البحوث التي تخص هذا الموضوع، فإن الجميع تقريبا متفقون على أن النساء يتنافسن جنسيا بقدر ما يتنافس الرجال. ومن المنظور التطوري، فإن السبب واضح جدا: يختلف الرجال فيما بينهم كثيرا في مدى مرغوبيتهم من قبل النساء، وكما في القول المأثور: يصعب ايجاد رجل جيد. لذا فإن كل امرأة تعيش اليوم، هي قصة نجاح تطوري، وتستحق منا التوقف لنسأل: لماذا؟

في ماضينا التطوري، فإن النساء اللواتي انتصرن على الاخريات في الوصول الجنسي إلى الرجال الأكثر مرغوبيةً، حصلن على ميزات تكاثرية متنوعة ـ الحصول على مورثات أفضل لاطفالهن، احتمالية أكبر لانجاب ابناء وبنات أفضل، حيازة موارد أكثر، وتعزيز لمكانتهن الاجتماعية. و قد تُرجِمَت مجمل هذا الميزات في بيئة الاسلاف إلى نجاح تكاثري أكبر، مباشرةً من خلال انجاب وبقاء عدد أكبر من الاطفال، وبشكل غير مباشر من خلال تكوين عدد كبير من الاحفاد، لان الاطفال كانوا بصحة ممتازة ومرغوبين جنسيا أكثر. كل امرأة تعيش اليوم إنما انحدرت من خط طويل وغير منقطع من الامهات اللواتي نجحن في التنافس الجنسي.



هناك جدل بناء بين علماء النفس اليوم حول مدى تأثير هذه الضرورات التطورية في تشكيل دافعيات النساء في عصرنا الحاضر وسلوكياتهن، وإلى أي حد يمكن أن نعطي الاولوية للتفسيرات الواعية التي يقدمها الافراد أنفسهم لما يقومون به من سلوكيات، في مقابل العمليات الموثقة علميا بشكل كبير والتي قد تؤثر على سلوكياتهم دون أن يشعروا بها. لحسن الحظ فإن هناك أحيانا نقطة التقاء في المنتصف. فقد وجدنا في دراستنا توافقا كبيرا بين الفرضية التطورية للتنافس الجنسي بين النساء من جهة، وبين ما صرحت به النساء من دوافعهن لممارسة الجنس.

بشكل ما، يبدو أن التنافس الجنسي بين النساء قد تعاظم في العقود الاخيرة، ربما بسبب التغطية الاعلامية الكبيرة جدا لما يفترض أنه منافسات جنسية بين المشاهير، ابتداءً من ديبي رينولدز ضد اليزابيث تايلور، إلى جينيفر انيستن ضد انجيلينا جولي.ومع كل هذا الضوء المسلط على المشاهير، والتقبل الثقافي للعروض الترفيهية ذات النكهة الجنسية، فإن الناس أيضا قد يعتبرون هؤلاء المشاهير ذوي المكانة المرموقة جدا منافسين جنسيين لهم، ولو ان احتمال مجرد التقاء شريكهم بنجم سينمائي ضئيلة، ناهيك عن احتمالية ممارسته الجنس معه.

ومن ثم بَدَلَاً من محاولة الانتصار على منافس يعيش في الجوار القريب، تقلق النساء (والرجال أيضا) بخصوص ما اذا كان شريكهم الجنسي يتخيل ممارسة الجنس مع احد المشاهير ـ ومن ثم يبدئون باستخدام تكتيكات متنوعة لحمل الشريك على الاخلاص الجنسي.

يستكشف هذا الفصل كيف تجري المنافسة بين النساء للفوز بشريك مرغوب لعلاقة قصيرة الأمد، او علاقة طويلة ملتزمة، وكيف يجري



التنافس بين النساء من أجل التفوق الجنسي على المنافسات أنفسهنّ. وقد عالجْنا هنا نموذجا محددا يدعى إغواء القرين، والذي يتضمن السعي لاجتذاب شريك جنسي هو بالفعل على علاقة بشريك آخرحاليا. وسنبدأ باثنتين من أهم الاستراتيجيات التي تستخدمها النساء للتنافس على الشركاء الجنسيين المرغوبين: تعزيز جاذبيتهن الجنسية، والتأثير على السمعة الجنسية لغريماتهن.

مسالة جاذبية

ليس سرا أنَّ الرجال يُقَدِّرونَ المظاهر عالياً في الشريكة الجنسية، سواء لعلاقة عابرة او لعلاقة ملتزمة.ولكن على العكس مما ظلَّ علماء الاجتماع يزعمونه لعقود، فإن هذا الاهتمام بالمظهر ليس مقتصرا على الولايات المتحدة اوالمجتمعات او الثقافات الغربية المُتخَمة بوسائل الاعلام البصرية الحديثة. سواء كان هذا خبرا سيئا او طيبا فإن الأهمية الكبيرة التي يعلقها الرجال على المظهر، هي شيء عالمي يشمل كل البشر[5]. يشير منطق الانتخاب الجنسي، إلى أن تفضيلات كل جنس، تحدِّد بشكل كبير مجالات التنافس عند الجنس الاخر. وكما يتنافس الرجال لحيازة ما تريده النساء في الشريك الجنسي، تتنافس النساء لحيازة ما يريده الرجال في الشريكة الجنسية. وكما يصارع الرجال بعضهم بعضا للحصول على المكانة، تامين الموارد، اظهار حس الدعابة، الذكاء والبراعة الرياضية لان النساء يَجِدْنَ هذه الصفات جذابة جنسيا، فإن النساء يتنافسن لاحراز وتنمية الصفات التي يجدها الرجال جذابة جنسيا. ومن أهم هذه الصفات الجمال الجسدي.



تفيد عالمة النفس في جامعة هارفارد نانسي ايتكوف Nancy Etcoff إن الامريكيين ينفقون على تعزيز جمالهم من الاموال، أكثر مما ينفقونه على التعليم او الخدمات الاجتماعية(6). ففي داخل الولايات المتحدة فقط، يشتري الامريكيون في اليوم الواحد (2136960) احمر شفاه و (2959200) علبة من مواد العناية بالبشرة. وتُجري 300000 امرأة عملية جراحية لتكبير الصدر خلال العام الواحد.

اجرى مختبر باس مقابلات مع النساء لمعرفة أي التكتيكات أكثر شيوعا وايها أكثر فعالية من بين تلك التي يستخدمنها للفوز بالقرين ـ وقد تبين أن الكثير منها يتمحور حول المظهر الجسمي للمرأة:

- تعلم كيفية وضع الماكياج.
- استخدام مكياج الوجه.
- اتباع الحمية للحفاظ على تقاطيع جسم جميلة.
- الحفاظ على الهندام.
- تسريح الشعر بتسريحات جديدة وجذابة.
- قضاء أكثر من ساعة في اليوم للعناية بمظهرها.
- الاعتناء بالشعر.
- الاستلقاء في الشمس لاكتساب بعض السمرة.
- ارتداء القلائد, حَلَقَ الإذن, او مجوهرات من أنواع أخرى لتحسين مظهرهن.

ليس من المفاجيء أن النساء افدن باستخدام زينة الوجه (الميك اب)



أكثر بكثير جدا من الرجال (يستخدم بعض الرجال زينة الوجه هذه الايام). كما أن استعداد النساء لقضاء أكثر من ساعة يوميا في الاعتناء بالمظهر هو ضعف استعداد قضاء الرجال لنفس الوقت في نفس الغرض، كما أنهن أكثر منهم استعدادا بنسبة50% للاستلقاء في الشمس، او تحت مصباح صناعي بهدف اكتساب لمعة وسمرة جميلة، ولو أنها مضرة بالبشرة كثيرا. وحتى مع تزايد ما ينفقه الرجال من الجهد والمال للاعتناء بجاذبيتهم الجنسية فإن التفاوت يبقى كبيرا جدا ـ اذ تنفق النساء عشرة امثال ما ينفقه الرجال على مواد التجميل.

وسواء كُنَّ على وعي بهذا ام لا، فإن النساء تاريخيا كُنَّ ولا زلن مستهلكات للازياء ومواد التجميل التي تزيد من جاذبيتهن للرجال. ترتدي النساء الكعوب العالية ليَبْدينَ اطول قامة وأكثر رشاقة (كما فعل الرجال ذلك لعدة قرون)، كما يرتدين ملابس تُبْرِز او تخلق نسبة (خصر ـ ورك) واطئة (وجذابة (، ويستعملن منتجات العناية بالشعر للحفاظ عليه صحيا ولامعا، كما يُبَطِّنَّ أيضا ملابسهن لمحاكاة تقاطيع الجسم التي تدل على الخصوبة. تعمل كل هذه الاجراءات لجعل المرأة تبدو شابة، وخالية من النُدَب والتشوهات، ومفعمة بالصحة، بتعبير اخر، مرغوبة جنسيا.

وجد باحثون قاموا بتتبع النساء في حانات العُزَّاب أن «الكثير من النساء قلن إنهن ذهبن إلى البيت بعد انتهاء دوامهن قبل أن يأتين إلى الحانة، ذلك للقيام بـ تجديد كُلّي' يتضمن غالبا أخذ دُش، غسل الشعر، وضع زينة جديدة، وقد قامت بعضهن بتغيير ملابسهن ثلاث مرات قبل أن يخرجن للحانة ـ التزين مهم بالنسبة لنا أكثر بكثير من أهميته بالنسبة للرجال ـ حيث لا يتوجب عليهم أنْ يقلقوا كثيرا بشأن مظهرهم.»[7] يفتح



تحسين المظهر للمرأة آفاقاً اوسع من المهتمين المحتملين، ولذا يمنحها طيفا اوسع من القرناء للاختيار من بينهم. ويلعب نوع العلاقة التي تبحث عنها المراة (ما إذا كانت طويلة الأمد او عابرة قصيرة الأمد) دوراً كبيراً جداً في توظيفها لتكتيكات الجذب المختلفة. في الواقع، ثبت أن تجميل المظهر الجسمي أكثر فعالية عند استخدامه من قبل النساء لجذب شريك لعلاقة عابرة، منه عند استخدامه لجذب شريك لعلاقة طويلة الأمد، يعود ذلك يقينا إلى أنه في حالة العلاقة طويلة الأمد، ياخذ الرجال في الاعتبار صفاتً أخرى بما فيها الذكاء والشخصية والصدق والاخلاص.اما النساء اللواتي يبحثن عن شراكة قصيرة الأمد، فيرجح كثيراً أن يقمن بجعل مظهرهن أكثر اثارة جنسيا، كارتداء ملابس ضيقة، كنزات مكشوفة الصدر تُبدي مُفتَرَق النهدين، قمصان عارية الاكتاف او الظهر، او تنورات قصيرة تظهر الكثير من الساقين. يعمل هذا التكتيك غالبا عندما تبحث المرأة عن شريك جنسي. كذلك فإن ارسال بعض الاشارات السلوكية الجنسية ينشط السيكولوجية الجنسية عند الرجال كثيرا: الانحناء لجعل النهدين يبدوأن أكثر جمالا، الميلان للامام لكشف مفترق النهدين قليلا، الحفاظ على التواصل بالعينين للحظة أكثر من المعتاد، المبالغة في تدوير الورك في أثناء المشي، ولعق الشفتين باغراء. تثير كل هذه التكتيكات شغف عدد أكبر من الرجال، مما يوسع افاق الخيارات الممكنة، لتختار منها المراة شريكها الجنسي.

الايقاعات التنافسية للإباضة

من المثير للاهتمام، أن الدورة الشهرية للنساء تتحكم بدرجة او



مقدار زيادتهن لشهوانية مظهرهن ـ على الأقل في حالة النساء اللواتي لا يتناولن موانع الحمل الفموية.قامت العالمة النفسانية التطورية كريستينا ديورانتي Kristina Durante وزملاؤها، باحضار مجموعة من النساء (لا يتناولن حبوب منع الحمل) إلى المختبر مرتين، مرة في فترة خصوبتهن، ومرة أخرى خلال الطور غير الخصب من دورتهن الشهرية (). وقد التقط الباحثون صوراً لكامل الجسم لهؤلاء النسوة في كل من المرتين، وطُلِبَ اليهن أن يرسمن صورا للازياء التي يودن ارتدائها لو دُعين إلى مناسبة اجتماعية في مساء اليوم.ارتدت النساء اللواتي في طور الاباضة ملابس أكثر كشفا واثارة جنسيا عند حضورهن للمختبر، ورَسمنَ ملابس أكثر انكشافا بكثير كن ليرتدينها في المناسبة المتخيَّلة، مقارنة بما ارتدينه ورسمنه)نفس النساء) في غير فترة الاباضة. وقد ظهر تأثير الاباضة هذا عند النساء غير المتقيدات جنسيا ـ اولئك النسوة اللواتي قلن إنهن يملن إلى نشاطات جنسية أكثر انفتاحا ويتطلعن لممارسة الجنس مع العديد من الشركاء ـ بشكل اقوى منه عند النساء الاخريات. وتحاجج ديورانتي وزملاؤها إن هذا التحول نحو الملابس الأكثر اثارة جنسيا يعكس ازديادا في تنافس (أنثى ـ أنثى) في أثناء طور الاباضة للفوز بالشركاء الأكثر مرغوبية.

وقد وجدت دراسات اجريت في المانيا نفس التأثير، حيث قامت بالتصوير الرقمي لما ارتدته النساء في حانات العزاب، ثم تم اجراء مقابلات مع النساء لاحقا. وباستخدام برنامج حاسوبي لحساب النسبة المئوية من البشرة المكشوفة من جسم المراة، توصل الباحثون لنتيجة مفادها أن النساء ارتدين في الطور الخصب من دورتهن الشهرية أي فترة



الاباضة، ملابس تكشف نسبة أكبر من بشرتهن، مقارنة بالنساء اللواتي لسن في فترة الاباضة. ترتدي النساء في فترة الاباضة ملابس تعزز من فرص نجاحهن الجنسي. وجدت مجموعة أخرى من الباحثين برئاسة عالم النفس في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس مارتي جي. هاسلتون Martie G. Haselton أن النساء في الفترة الخصبة ارتدين ملابس أكثر أناقة وملائمة للموضة وكشفن مقداراً أكبر من بشرة اسفل واعلى الجسم مقارنة بالنساء أنفسهنَّ عندما كن في غير الطور الخصب[9].

كذلك تؤثر الدورة الشهرية في نمط السلوك الاستهلاكي للنساء. قام فريق بحثي في إحدى الدراسات بتصميم برنامج محاكاة للشراء عبر الأنترنت، لتسجيل أنماط انفاق النساء على اشياء مثل الملابس، الاحذية، الملابس الداخلية، المجوهرات، وملحقات الموضة الأخرى[10]. وكما راينا، فإن كل هذه الاشياء هي منتجات تستخدمها المراة لتعزيز مظهرها للتنافس مع الغريمات من بنات جنسها. مالت النساء قرب فترة الاباضة إلى تحويل انفاقهن نحو الملابس واللواحق الأخرى الأكثر كَشفا واثارة جنسيا. وكان التحول أكثر دراماتيكية عندما تم اخبار النساء أن هناك منافِسةً جذابة في الجوار!

تؤيد عدة دراسات أخرى نظرية أن النساء في طور الاباضة يزدن من شهوانية مظهرهن من أجل النجاح في التنافس الاقتراني.كما عبَّرت النساء عن رغبة أكبر بالذهاب إلى الحفلات والنوادي التي يمكن أن يلتقين فيها بالرجال، عندما كن في الفترة الخصبة من الدورة الشهرية[11]. كما أنهن أكثر استعدادا لمغازلة الرجال غير شريكهن الاساسي، عندما يكن في، او قرب طور الاباضة. كذلك فإن النساء قرب منتصف دورتهن الشهرية



يحكمن على النساء الاخريات بأنهن أقل جاذبية ـ تفسر العالمة النفسانية التطورية ماريان فيشر Maryanne Fisher ذلك على أنه دليل على أن النساء يتنافسن جنسيا مع النساء الاخريات بشكل اشد، قرب فترة الاباضة، ويشعرن بالرغبة في «سحق» المنافسات المحتمَلات[12]. وأخيراً، عندما قام عالم النفس التطوري كارل غرامر Karl Grammer باجراء مقابلات مع نساء في احد المراقص، فإن اولئك النسوة اللاتي وصفن ملابسهن بأنها «جريئة»و»مثيرة»، ابدين كذلك دافعية جنسية نوعية: رغبة بمغازلة الرجال او ايجاد شريك جنسي.

من منظور تطوري، تتنافس النساء أكثر من أجل الفرص الاقترانية قرب فترة الاباضة لأن هذه الفترة هي بالضبط الفترة التي يكون فيها اختيار القرين في اوج خطورته. فهي الطور الذي تكون فيه الاخطاء في الاقتران هي الافدح ثمنا، وهي كذلك الطور الذي تكون فيه المراة في قيمتها التكاثرية العظمى، والفترة التي يحقق فيها الانتصارُعلى المنافِسات في الحصول على القرين الأكثر مرغوبية، المردودات التكيفية الأعظم[13].

السمعة المشينة

إن النساء اللواتي يزدن من شهوانية مظهرهن يخضن مجازفة: إذ قد يخربن سمعتن الجنسية. وصفت إحدى النساء في دراستنا كيف وجدت نفسها في موقف لاختيار أحد الخيارين فقط، فاما التنافس الجنسي واما السمعة الجنسية:

«كنت خارجة من علاقة استمرت شهورا، وكنت اشعر..بالحرية.وقَدِم رجل بهي الطلعة لزيارة إحدى صديقاتي..وقد عرفت مذ رأيته أنني أريد



أن اعابثه. ثم أدركت أن أن كل الفتيات في الجوار يتكلمن في الامر نفسه. وكانت (عاهرة) الحي أكثر من ارادت ذلك.. وقد قَدَّرْتُ أنها ستفوز به في نهاية الليلة... لقد أردت بشكل ما إن أشعر بما شَعَرَتْ به كل مرة عادت إلى منزلها بصحبة رجل غريب. لذا فقد تنافستُ معها في لعبتها.. وفزت.. ولكني دفعت ثمنا لذلك».

امرأة غيرية الجنس، العمر 20

إن نتيجة النجاح في هذا التنافس قصير الأمد، تتباين كثيرا بحسب الثقافة. اذ تخاطر النساء بأن يتم تصنيفهن تحت واحدة من عشرات الاوصاف اللفظية المُهينة في اللغة الانكليزية وحدها، واللتي يتم اطلاقها على النساء اللواتي يتبعن استراتيجية جنسية قصيرة الأمد. تتضمن المصطلحات الحديثة في هذا المجال، slut، whore، skank،tart، tramp، بينما تشمل المصطلحات الاقدم، harlot، hussy،strumpet، fanny، canvasback، ـ wench bawd، mattressback، window girl، fast hipflipper، breechdropper، trollop، spreadeagle، and stump thumper و scarlet woman (*) وفضلا عن هذه الاوصاف، تستخدم بعض النساء النميمة الجنسية لغرض الحط من سمعة منافساتهن الجنسيات. كشفت دراسة اجراها مختبر باس، إن التنافس الجنسي يتضمن افعالا من قبيل نعت المنافِسة بالداعرة، إخبار الاخرين بأن المنافِسة تريد ممارسة

(*) رَأَيْنا كتابة هذه الكلمات كما هي باللغة الانكليزية لانَّ المؤلفين بصدد عرض ما تحتويه اللغة الانكليزية من ذخيرة لوصف النساء اللواتي يتبعن هذه الاستراتيجية، وهذه الالفاظ تقارب في المعنى عموما كلمات عربية من قبيل: عاهرة، سافلة، منحطة، قحبة، مومس، فاجرة، فاسقة، بَغِي، زانية...الخ، ..المترجم.



الجنس فحسب، إخبار الاخرين بأنه كان لها علاقات جنسية كثيرة جدا سابقا، أنها تضاجع اياً كان، أنها على استعداد لمضاجعة ايٍ كان، ونعت المرأة المنافسة بالـ«واسعة».

إن للحَطِّ من السمعة الجنسية للمنافِسة وظيفة محددة: جعل المنافِسة أقل مقبولية كصديقة عند النساء الاخريات، وأقل مرغوبية من الرجال كشريكة في علاقة طويلة الأمد. ففي التنافس التكاثري، خسارة المنافِسة تعود بفوائد جمة. فعندما تقوم امرأة بتقليل الفرص الاقترانية لمنافِستها، فإنها في الآن ذاته تقوم بزيادة فرصها الاقترانية هي نفسها ـ على الأقل لو استطاعت تنفيذ مكيدتها باتقان. فمثلا توصل مختبر باس، إلى أن هؤلاء النسوة اللاتي يستخدمن تكتيكات الحط من سمعة منافساتهن، يَنْأينَ بأنفسهنَّ عن الاساءة باستخدامهن لعباراة من قبيل «لقد وصل إلى مسامعي أنها ضاجعت كل اعضاء فريق كرة القدم» او «تدور اشاعة عن أنها مصابة بالهربس(*).»[14] herpes

قد تعتقد أنه في عصر المساواة الجنسية المزعومة هذا، لا وجود للكيل بمكيالين، وقد تعتقد أنه كما أن الرجل الذي يضاجع العديد من النساء لا يعاني من تبعات تخص سمعته الا نادرا، فإن المرأة التي تضاجع العديد من الرجال لن تعاني ـ او يجب أن لا تعاني ـ من تبعات ذلك على سمعتها. لكن هذا غير صحيح.ليس الأمر فحسب ان المعايير المزدوجة لا زالت موجودة، بل أكثر من ذلك، اذ يبدو أن هذا الكيل بمكيالين تقوم به النساء أنفسهنَّ أكثر مما يقوم به الرجال.

(*) مرض فايروسي يتميز بتقرحات تصيب الجلد في الوجه وفي المناطق التناسلية، قابل للانتقال بممارسة الجنس..المترجم.



قامت العالمة النفسانية التطورية انًّا كامبل Anne Campbell باجراء عدة دراسات على السمعة الجنسية للفتيات وقد رصدت أن «للفتيات أنفسهنَّ القِدْحُ المُعَلَّى في المحافظة على هذا التقليد او هذه السنة»[15]. فقد تجنبت الفتيات انشاء علاقة صداقة مع الاخريات المعروفات بأنهن «عاهرات»، وقاطَعْنَهُنَّ بالمرة، حفاظا على سمعتهن الجنسية. اذ كن يخشين أن مصاحبتهن لهذا النوع من الفتيات قد يكسبهن ذات السمعة السيئة. وكما أوضح أحد العلماء: «أن اخطر الاسرار هي تلك التي تتعلق بالسلوكيات والمشاعر الجنسيتين. نادراً جداً ما تتحدث امرأة عن رغبة جنسية او عن سلوك جنسي قامت به فعلا، حتى لاقرب صديقاتها، ذلك خوفا من أن تفشي صديقتها اسرارها هذه (فتنتشر اشاعة عن كونها منحطة). اما في حالة الفتيان فليس هناك خطر مماثل ينتج عن افشاء اسرارهم الجنسية، هذا الخطر الذي قد يدمر الوضع الاجتماعي للفتاة باكمله» [16]. إن وَصْم امرأةٍ باحد الاوصاف التحقيرية يضعها في موقف بالغ الصعوبة لأنَّه مامِن طريقة مباشرة لدحض هذه الاتهامات التي تهدد فرصها الاقترانية مستقبلا[17].

ثَمَلُ الفوز

إذا ما اخذنا في الحسبان هذه القيمة العظمى التي تعطيها النساء للسمعة الجنسية، فإنه يبدو من المناقض للبداهة أن النساء يمكن أن يمارسن الجنس بدافع المنافسة. لكن بالنسبة لبعض النساء، فإن متعة التَصَيُّد تشكل دافعا كافيا لهن لممارسة الجنس:

«في ايام المدرسة الاعدادية، اتذكر أني كنت اشعر بفخر كبير بعدد



شركائي الجنسيين... كنت اشعر بالاثارة حالما يوشك احد الفتيان على ممارسة الجنس معي، قائلة لنفسي (فتىً اخر! فتىً آخريقع في حبائلي)»

امرأة غيرية الجنس، العمر26

«أرى أن الجنس تجربة ممتعة، استمتع بالالتقاء بشخص ما وإغوائه. شعور الصيد شعور منعش، كإنه الثَمَل».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر20

«مؤكد أننا جميعا في لحظة ما نريد أن نركز عقلنا على الحصول على شيء ما.عندما افعل هذا، اي احقق هدفي بأن اعود إلى المنزل مع شخص ما، اشعر وكأنني حققت فتحا».

امرأة غيرية الجنس، العمر26

كذلك فإن التفاخر او التباهي يمكن أن يكون دافعا جنسيا. ففي دراستنا، قالت إحدى النساء إنها تفاخرت بإحدى ممارساتها الجنسية لا من حيث إنها الحقت الهزيمة بغريمة محددة لها، بل بوصفها تحقيقا لسطوتها الجنسية:

«اوه، حقا كان شيئا تافها..أنا أنزعج من هؤلاء الشبان الذين يبدو بوضوح أنهم شاذين جنسيا وغالبا ما يغازلون النساء بطريقة (همم، أنا أحب جماليات جسم الأنثى و..ولكن)، ثم لا يوضحون إن كانوا مهتمين بالامر ام لا.و في احد المساءات عندما كنت ثملة تحديت احد هؤلاء الفتيان بهذا الخصوص - وانتهى بنا الامر إلى الفراش. وقد اعتقدت أن هذا شيء جدير بأن افتخر به، أي قيامي بتحويل ذلك الشاب الشاذ...»

امرأة مثلية الجنس غالبا، العمر22



كذلك فقد اكتشفنا أن عددا من النساء عبَّرن عن التنافس بشكل مباشر ـ أي ليس مجرد الفوز بممارسة الجنس مع شخص ما، بل القيام بهَزْم المرأة المنافسة من خلال ممارسة الجنس:

«اردتُ أن افوز. كان الكثير من الفتيان في الاعدادية مهتمين بصديقتي المقربة. وعلى الرغم أنني لم اكن مهتمة فعلا بالشباب، فإن هذا الوضع ازعجني. لذا فقد بدأت بملاحقة نفس هؤلاء الشبان لأُبرهن لهم أنني مثلها، إن لم اكن أفضل منها. وحالما تقوم صديقتي بإبداء اعجابها باحد الفتيان، كنت اتتبعه ثم افوز به بأن اعرض عليه فوراً ممارسة الجنس. بما في ذلك ممارسة الملامسات الساخنة تحت المنضدة في أثناء حصة الدرس، او الجماع الكامل في الاركان المنزوية الخفية في المدرسة».

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر23

تنجح هذه العروض الفورية لممارسة الجنس عندما تستغل رغبة الرجال في العلاقات الجنسية قليلة الكلفة منخفضة الخطورة ـ وهي صفات مغرية من منظور تطوري وسريري[18].

في الواقع فإن من الاسهل اجتذاب شريك جنسي ذي قيمة اقترانية عالية إلى علاقة جنسية عابرة، من اجتذابه إلى علاقة اقتران ملتزمة. وفي هذه الحالات، فإن التنافس الجنسي بين النساء قد يكون وسيلة لاكتساب التفوق على صديقاتهن:

«مارست الجنس مع شخص مشهور جدا ومحبوب، خصوصا في منطقتنا. لم افعل ذلك لأني كنت أنوي انشاء علاقة معه، ولكن بعض الفتيات كُنَّ مهتمات به جدا.. وقد عرفتُ أن الفتيات الاخريات اردن



مواعدته، ولكني أردت أن اسبقهن وافوز به. أردت أن أكون الفتاة التي تسرقه من بقية الفتيات. وحالما حصلتُ على موعد معه، عرفت أنني سأعاشره جنسيا.. وكنت جد متلهفة لليوم التالي حيث عرفتْ الفتيات أنني كنت برفقته.كان شعورا رائعا. وقد حسدتني صديقاتي عليه».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

«عندما كنت يافعة، كنت اذهب برفقة صديقتي إلى الحانة. وقد كان هناك شعور بالمنافسة دائما حول من ستستطيع أن تحصل على الرجل. وبعد الشرب والاستمتاع، كنت أحيانا احظى بمرافقة الرجل إلى سكني. المشترك وأمارس الجنس معه لكي تعلم صديقاتي أنني حصلت على الرجل في تلك الليلة».

امرأة غيرية الجنس، العمر26

بالطبع فإن متعة او اثارة الفوز ليست محدودة بمجرد منافسة لليلة واحدة. ففي واحدة من المنافسات المفترضة التي تم تغطيتها اعلاميا بشكل كبير، ظهرت عام 2008 الممثلة والمطربة جيسيكا سيمبسون برفقة حبيبها توني رومو لاعب خط وسط فريق دالاس كاوبويز لكرة القدم الامريكية، ظهرت مرتدية قميصا كُتِبَ عليه»الفتيات الحقيقيات يأكلن اللحم» وقد أَوَّل المعجبون ذلك بأنه تعريضٌ بمنافِسَتها حبيبة رومو السابقة، والتي كانت نباتية.

التنافس من أجل الاقتران الملتزم

لا تتنافس النساء من أجل العلاقات العابرة قصيرة الأمد فحسب، بل يتنافسن أيضا لأجل العلاقات الملتزمة طويلة الأمد. ويقوم كل من



برنامجي العزباء والأعزب اللذين ذكرناهما آنفا على فكرة التنافس لعلاقة طويلة الأمد اساسا ـ رغم أنه لم تحصل في الواقع الا حالة زواج واحدة، في برنامج العزباء وليس في الاخر. ويمكن للتنافس الجنسي غالبا أن يكون واضحا في حالة الاقتران طويل الأمد:

«كنت اتطلع إلى تلك المرأة، وقد كانت مهيبة بسبب عمرها وثروتها، وكانت تواعد أناسا آخرين كانوا جميعا ما عداي من الذكور.لم ارضخ في أول مرة حاوَلَت فيها اغوائي، لأنني لم أكن متأكدة من نفسي. أما في المرة الثانية فقد تركت الامور تأخذ مجراها، لأنني اعتقدت أن هذا سيقربني منها...»

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر 20

ومع أن ممارسة الجنس كاستراتيجية لتامين الالتزام بعلاقة طويلة الأمد قد تؤتي أُكُلَها، فإن عدة نساء في دراستنا أفدن أن هذه الطريقة لم تاتي بالنتيجة المرجوة في حالتهن:

«عندما كنت في الاعدادية، كنت مفتونة بذلك الفتى.و أخيرا بدأ بالانتباه لي، وقد أردت أن أكون حبيبته ومارست الجنس معه معتقدة أنني أن فعلت هذا فإنه سيهتم بي..أبدأ..كل ما اراده مني هو الجنس».

امرأة غيرية الجنس، العمر 35

«كمراهِقَة، اعتقدت أحيانا أن ممارسة الجنس مع احدهم قد يجعله يبقى معي، او أنني اذا لم أمارس الجنس معه فإنه سيفقد اهتمامه بي. وقد كان الأمر على مايرام أنذاك، وبمرور الوقت اصابني شعور بما يشبه الاكتئاب، خصوصا وان ما قمت به لم يأت بالنتائج المرجوة»

امرأة غيرية الجنس، العمر 33



في المنافسات الجنسية، هناك خاسرة واحدة على الأقل مقابل كل رابحة، وعندما يفشل الجنس في انشاء علاقة طويلة الأمد، تقول الكثير من النساء إنهن يشعرن بالامتهان والكآبة. وكما سبق أن راينا في الفصل الثالث، فإن اطلاق الاوكسيتوسين في أثناء ممارسة الجنس يخلق موجة من المشاعر اللطيفة والترابط العاطفي، وهذا ما قد يفسر هذا التحول في المزاج. بحسب عالمة النفس السويدية كرستين يونفاس موبيرغ Kerstin Uvnäs Moberg، فإن الاوكسيتوسين جزء من «نظام ترابط وسَكِينَة، يستصحب معه الثقة والفضول بدلا من الخوف، والصداقة بدلا من الغضب. اذ يهدأ كل من القلب والدورة الدموية، فيما يرتفع نشاط الجهاز الهضمي. وعندما يسودنا الشعور بالسكينة والسلام فإننا نتخلى عن دفاعاتنا ونصبح بدلا من ذلك حساسين، منفتحين، ومهتمين بالاخرين من حولنا»[19]. رغم أن هذه التغيرات مفيدة عندما ينجح الشخص بتكوين رابطة ثنائية مع شخص آخر، فإنها قد تجعل المحاولة الفاشلة في المنافسة الجنسية مؤذية عاطفيا. واقعا، يعتقد بعض العلماء أن «انسحاب الاوكسيتوسين» قد يَحْدُثُ عند انتهاء العلاقات، وأن الاكتئاب الذي تشعر به النساء لاحقا قد يعود جزئياً إلى هذا الهبوط المفاجيء في افراز هذا الهرمون.

العين بالعين والسِّن بالسِّن

يحدث التنافس الجنسي أحيانا لا بسبب أن المراة تسعى للانتشاء بالفوز برجل أو للتفوق على غريماتها فحسب، بل سعيا منها للثأر من منافِسة جنسية لها:



«حسنا، كنت برفقة صديقاتي في رحلة في يوم عطلة، وكان هناك مجموعة من الفتيان في نفس المنتجع الذي كنا فيه. وقد كان من بينهم فتى يروقني ويروق لإحدى صديقاتي أيضا. قد لا يكون لهذا علاقة بالامر، لكني اقول إنَّه قد حدث شجار عنيف بيني وبين صديقاتي. ولا استطيع أن اتذكر السبب حتى. وقد عزمت على الامر، وقمت بمغازلة ذلك الشاب. كنت يافعة (بعمر ثمان عشرة سنة)، ومفتقرة للخبرة الجنسية. ولكني قررت أنني ساضاجع ذلك الرجل، كنوع من الثار من صديقتي، وكبرهان على أني الأفضل والأكثر جاذبية. وقد قمت بما اعتزمت القيام به. لقد كنت غاضبة منها وشعرت بالفخر لأني قد فزت»

امرأة غيرية الجنس، العمر26

وبالنسبة لامرأة أخرى في دراستنا، فإن ممارسة الجنس مع حبيب سابق لامرأة أخرى يمنحها احساسا بالانتصار والثأر في آن واحد:

«في المدرسة الاعدادية، كانت هناك فتاة تكرهني لأنني كنت على صداقة قوية مع حبيبها أنذاك. وقد حاوَلَتْ أن تجعل حياتي جحيما بملاحقتي وافتعال الشجارات. ولذا وبعد مرور عامين، ضاجعت حبيبا سابقا لها (ليس ذات الشخص في الاعدادية) على أمل أن يغيظها ذلك بشكل ما. وقد جعلني ذلك احس بالانتصار في النهاية»

امرأة غيرية الجنس، العمر22

يحدث تنافس جنسي أيضا من أجل الفوز باهتمام القرناء الجنسيين قصيري الأمد ذوي المكانة المرموقة، تحديداً هؤلاء الاشخاص الموسيقيين والرياضيين المشهورين.يكشف ما يسمى «تأثير عازف



الباس «bass ـ player effect» بعضا من التراتبية التنافسية بين المشجعات المرافقات groupies للفرق الموسيقية: عادة ما يقوم عازف الباس بالعزف في مؤخرة الفرقة، ولذا فإن مكانته أقل فيها، وعليه فإنه يكون أقل جاذبية جنسيا من المطرب وعازف الكيتار اللذين يقودان الفرقة. على أن كلمة المشجعة المرافقة groupie(*) لا تعتبر كلمة تحقير عند العديد من المرافقات الناجحات لنجوم الروك. يُظْهِر فلم الكاتب كامرون كرو «مشهورة تقريباalmost famous «عام 2000، شخصية امرأة تدعى بيني لين والتي تقوم بدورها الممثلة كيت هادسون، وقد استوحى الكاتب دَورَ بيني لين من مرافقتين حقيقيتين كان يعرفهما، كان اسم احداهما بالفعل بيني لين، وكان اسم الأخرى بيب بويل. في الحياة الحقيقية، تُنْكِر لين أنها مرافقة وتسمي نفسها «ملهمة « الفرقة، فيما تفضل بويل مصطلح «الوحي او الالهام « لتَصِفَ علاقاتها الجنسية الأطول مدة بعض الشيء بالموسيقيين ستيفن تايلور من فرقة ايروسميث، والفيس كوستيلو. بالاضافة إلى الشهرة التي اكتسبتها بويل من علاقاتها الجنسية بنجوم الروك المشهورين، فقد رزقت من تايلور بإبنة هي نجمة السينما ليف تايلور ـ ربما يكون هذا مثالا على الفوائد الوراثية التي تكتسبها المراة من ممارسة الجنس مع رجل مرغوب كثيرا من قبل النساء.

تَشِيعُ ظاهرة المشجعات المرافقات كثيرا في عالم الموسيقى حتى أن العشرات من الفرق الموسيقية كتبت أغاني عنهن، بما فيها فرقة البيتلز التي كتبت اغنية:

(*) امرأة او فتاة تقوم بمرافقة فرقة موسيقية او حضور حفلاتها بشكل دائم، على امل انشاء علاقة مع احد افرادها..المترجم.



«She Came In Through the Bathroom Window»

وهي عن مشجعة اقتحمت منزل باول مكارتني احد اعضاء الفرقة (لعل اقصى ما يمكن للمشجعة المرافقة الحصول عليه هو تخليد اسمها في اغنية). كما أن هناك بعض المشجعات سعين إلى تعزيز تفوقهن من خلال كتابة كتب تفضح علاقاتهن بهؤلاء المشاهير. برزت إحدى مشجعات فرق الروك، باميلا ديس باريز، كمتحدثة غير رسمية بلسان حال المشهد الموسيقي في لوس أنجلوس في الستينيات، من خلال تاليفها لاربعة كتب، بما فيها كتابها الشهير «Let's Spend the Night.Together» تدَّعي باميلا أنها ضاجعت اساطير الروك مثل جيم موريسون من فرقةthe doors، وجيمي بيج من فرقة Led Zeppelin، وميك جاغار من فرقة [20] the Rolling Stones. تُسْهِبُ مذكرات كارمن برايان المطبوعة تحت اسم It's No Secret: From Nas to Jay - Z from Seduction to Scandal - a Hip - Hop Helen of Troy Tells All، في وصف علاقاتها مع مغني الراب ناز Nas والتي أنجبت منه طفلة، ومع منافسه نجم الهيب هوب جي زي Jay ـ Z، وكذا مع لاعب كرة السلة الن ايفرسون والتي تصفه بـ«محارب رشيق مفتول العضلات».

اغواء القرين المرتبط

سواء كُنَّ مشجعات مرافقات أو مجرد نساء عاديات في نفس الدائرة الاجتماعية، فإن النساء اللواتي يفزن في التنافس الجنسي يحصلن على فوائد جمة، ويمكن للتنافس أن يشتد إلى اقصى حد لأن الرجال المرغوبين نادرين في اعين النساء.



في المجتمعات التي تمارس تعدد الزوجات، اي التي يسمح فيها للرجل باتخاذ أكثر من زوجة واحدة، فإن الرجال الأكثر مرغوبية غالبا ما يجدون أكثر من زوجة. تفضل الكثيرات من النساء أن تكون الزوجة الثانية او الثالثة لرجل ذي مكانة مرموقة، على أن تكون الزوجة الوحيدة لرجل منخفض المكانة. يمكن أن يفسَّر هذا بفرضية عتبة تعدد الزوجات polygyny threshold hypothesis والتي تعني ببساطة، أن المرأة يمكن أحيانا أن تحصل على موارد من ثلث او نصف ثروة رجل ثري له زوجات بالفعل، أكثر مما يمكنها الحصول عليه من موارد من ثروة رجل فقير غير متزوج.

أما في المجتمعات أحادية الزواج، فتواجه النساء مشكلة مختلفة جدا: إذ إن الرجال الأكثر مرغوبية قد يكونون مقترنين بالفعل، وتجعل العادات والتقاليد الثقافية والقواعد الدينية هؤلاء الرجال «الجيدين» خارج اللعبة أحيانا. وقد طورت بعض النساء حلا لهذه المشكلة، ولو أنه غير مقبول اجتماعيا: استراتيجية إغواء القرين وسلبه من قرينته الحالية. ومن المؤكد أن الرجال أيضا يمارسون نفس الاستراتيجية.

تعود ممارسة سلب القرين بلا شك إلى ظهور الرابطة الثنائية طويلة الأمد[21]. إن أول تسجيل مكتوب لعملية اغواء القرين وسلبه تعود إلى الإنجيل في قصة الملك داوود وبتشبع King David and Bathsheba. لَمَح الملك داود ذات يوم الفاتنة بتشبع وهي تستحم على سطح منزل مجاور، ولسوء حظ الملك إنها كانت متزوجة من رجل آخريدعى اوريا. ولكن داود لم يردتع. ولم يكترث بكونه الملك. وقد نجح باغواء بتشبع وحبلت منه.ثم حبك خطة خبيثة للاطاحة بمنافسه الجنسي نهائيا. فقد امره بالتوجه



إلى جبهة القتال ثم امر قواته بالتراجع تاركة اوريا مكشوفا لموت محقق. وما ان استقر اوريا في قبره حتى تزوج الملك داود من بتشبع، وكان زواجا اسفر عن اربعة اطفال.

رغم أن ممارسة سلب القرين مغرقة في القدم، فإن هذا التعبير لم يدخل الادبيات العلمية الخاصة بالاقتران عند البشر إلا عام1994، وقد نُشرت أول دراسة عن سلب القرين عند البشر في العام 2001. اكتشفت تلك الدراسة، والتي أجراها مختبر باس، أن 60% من الرجال الامريكيين و53% من النساء الامريكيات اقرُّوا بأنهم حاولوا في الماضي اغواء شخص مقترن بالفعل وجَرِّهِ إلى علاقة ملتزمة معهم. وقد نجحت نصف هذه المحاولات.

في بعض الأحيان لا يريد من يقومون بالاغواء شيئا غير ممارسة الجنس فقط. وفي ما يخص العلاقات الجنسية العابرة قصيرة الأمد، فإن الفوارق جنسية كانت أكبر، وحتى في هذه الحالة لم يكن الرجال بأكثر نزاهة من النساء ـ 60% من الرجال اقروا بأنهم قد حاولوا إغواء امرأة مقترنة إلى علاقة جنسية. وعلى العكس من ذلك، فقط 38% من النساء اقررن بممارستهن لذات السلوك ـ فارق كبير. تصف إحدى النساء في دراستنا كيف قامت باغواء قرين إحدى صديقاتها:

«لقد كنت حديثة السن، وكان حبيب صديقتي يروقني كثيرا. وقد تحدتني صديقة أخرى ان اقوم باغوائه. قالت لي: اتحداك أن تمارسي الجنس معه، وقد اجبتها: لا تحاولي اغرائي.. لأني قادرة على أن افعل ذلك. وعليهِ فقد ذهبت يوما إلى منزلهما ولم تكن موجودة حينها (وبالمناسبة، كنت أعرف أنها ليست في المنزل). وقد تحدثت معه



لدقيقة، وبدأ الموضوع من جانبه هو. قبَّلني ولامسني، ومارسنا الجنس في غرفة المعيشة خاصتهما. كان شعورا رائعا حقا، شعرت بالتفوق على صديقتي ذلك اني حصلت على حبيبها»

امرأة غيرية الجنس، العمر27

بِأخْذِ الوصمة الاجتماعية التي تلحق بمن يمارسون اغواء الاشخاص المقترنين في الحسبان، فربما لا تمثل الارقام التي اشرنا اليها آنفا الأرقام الفعلية لحدوث هذه الحالات ـ خصوصا وان نسبة اعلى بكثير من كلا الجنسين أفادوا بتعرضهم لمحاولة اغراء من الاخرين لترك علاقتهم القائمة بالفعل.اذ قال 93% من الرجال و82% من النساء بأنهم تعرضوا يوما لمحاولة اغراء من شخص ما لترك علاقتهم القائمة وانشاء علاقة ملتزمة طويلة الأمد معه. فيما كانت الارقام بالنسبة للنزوات قصيرة الأمد 87% للرجال و94% للنساء.

وجد عالم النفس التطوري ديفيد شمت David Schmitt أنماطا مشابهة لهذه النتائج في أكبر دراسة تم اجرائها على اغواء القرين على الاطلاق ـ شملت16964 فردا، في 53 بلدا[22].تختلف نسب اغواء القرين بعض الشيء عبر الثقافات. إذ تميل لِأن ترتفع في بلدان الشرق الأوسط كاسرائيل ولبنان وتركيا، ولأنْ تنخفض في بلدان آسيا كالصين واليابان وكوريا. ولكن في جميع البلدان التي شملها المسح، أقر عدد كبير من الافراد بأنهم حاولوا يوماً غواية قرين مرتبط. ففي العديد من بلدان الشرق الاوسط، حيث تكون جنسانية النساء مقيدة بالعادات والتقاليد العربية، والشريعة الاسلامية، قد يتوقع المرء أن عددا قليلا من النساء ينخرط في ممارسات اغواء القرين المرتبط بالفعل. ومع ذلك فإن مايقارب 64%من



الرجال و54%من النساء أقروا بأنهم وقعوا في حبائل من قاموا باغرائهم. كما أن 12% من الرجال و8% من النساء عبر العالم، قالوا إن قرينهم الحالي كان على علاقة رومانسية بشخص آخرعندما تعرفا على بعضهما لأول مرة.

يَدُسُّ من يمارسون اغواء القرين أنفسهم أحيانا في حياة الثنائي المقترن كأصدقاء موثوقين، ويصبحون مقربين منهما عاطفيا، ثم يبدؤون بالاغواء حالما تسنح الفرصة.كثيرا ما ينتهي الأمر بـ«الأصدقاء» إلى أن يصبحوا متنافسين اقترانيين[23]. يوضح مبدأ الاقتران التماثلي assortative mating ـ أي تجاذب «المتشابهات» السبب في هذا. فنحن نميل إلى اختيار أصدقاء يشاركوننا قيمنا واهتماماتنا، وغالبا ما يشابهوننا أيضا في الصفات التي نرغبها في القرين. وبسبب الصداقة التماثلية هذه، سيكون هناك احتمال أعلى من المتوسط لان ينجذب الناس إلى قرناء اصدقائهم.

غالبا ما يكون الاشخاص الذين يمارسون إغواء القرين حاذقين في دق أسفين الفرقة في العلاقة بين الثنائي. وتتمثل إحدى الوسائل التي يشيع استخدامها في هذا المجال بمحاولة اقناع الطرف الهدف بأن الطرف الآخريقوم بخيانته او الابتعاد عنه.فيما يتبع اخرون طريقة أخرى تقوم على ابراز عيوب الشريك او عيوب العلاقة. فعلى سبيل المثال، قد تقوم امرأة تحاول سلب رجل من شريكته، تقوم باخباره بأن شريكته لاتعامله معاملة طيبة.بينما قد يحاول آخرون أن يجعلوا الهدف يتكبر على قرينه ذلك بأن يرفعوا من اعتداده ـ الهدف ـ بنفسه، قائلين له عبارات مثل «هي لا تستحقكَ» او «أنت تستحقين رجلا أفضل». ان ما يسعى إلى تحقيقه هؤلاء الذين يمارسون اغواء القرين، هو خلق حالة عدم توافق بين تقدير



أحد الشريكين لقيمته الاقترانية من جهة، وبين تقدير الثاني لقيمة الأول، ذلك لتقليل درجة التزام الطرف الهدف بالعلاقة.يتربص بعض ممارسي اغواء القرين بِصبرٍ في الجوار، منتظرين اول خلاف يدب بين طرفي العلاقة ليقحموا أنفسهم منتهزين الفرصة.

إن واحدا من أخبث اساليب اغواء القرين هو مابات يعرف بتكتيك «الاغراء والاستدراج.»[24] يتضمن هذا التكتيك أن تقوم المرأة التي تحاول اغواء رجل مقترن، بتقديم نفسها له على أنها «جنس مجاني» دون مقابل. وهذا يمكن أن يفيدها من ناحيتين.تتمثل احداها في اكتشاف خيانة هذا الرجل من قبل قرينته. وَقَفَ مختبر باس على حالة قامت فيها امرأة حاولت اغواء رجل متزوج، بترك حلق أُذنها عمداً في طيات اريكة في منزل الرجل بعد أن مارست معه الجنس. وقد وجدت الزوجة الحلق واكتشفت الخيانة، وتطلقت من زوجها جاعلة اياه متاحا لتتزوج به المرأة المغوية. اما الفائدة الأخرى فتتمثل في تحويل النزوة قصيرة الأمد إلى علاقة ملتزمة طويلة الأمد ـ بقصد وتخطيط أحيانا وعن غير عمد أحيانا أخرى. حيث تنتهز المغوية عن وعي، الفرصة لانشاء ارتباط عاطفي وجسدي مع الهدف، او قد يقع ذلك بغير قصد، إلى أن يدرك الهدف يوماً ما أنَّ الانجذاب العابر قد تحول إلى حب.

إن ما يجعل اغواء الرجل المقترن، شيئا ذا سحر خاص كدافع جنسي للنساء، هو كون النساء يحاولن غالبا اخفاء منافستهن الجنسية عن غريماتهن. والّا فإن المرأة قد تحصد مردودا سلبيا ـ على سبيل المثال، الحط من سمعتها الجنسية ـ وتفشل في الحصول على الرجل الهدف. ولذا فإن اغواء الرجل المقترن يختلف عن الاشكال الأخرى من التنافس



الجنسي، والتي تتضمن عادةً عُروضاً علنية كارتداء ملابس كاشفة او ارسال اشارات جنسية ملحوظة. ورغم الجهود التي تبذلها النساء لتقليل الخطر الذي يصاحب الاغواء، فإنه يبقى تكتيكا ذا مخاطر محدقة.

لقد توفر دليل داعم لهذه النقطة من مصدر غير متوقع: الدراسات التي اجراها مختبر باس على خيالات جرائم القتل التي يختبرها الناس كل يوم [25]. لدهشتنا، فقد اكتشفنا أن الاغلبية الساحقة من الناس قد تخيلوا مرة واحدة على الأقل في حياتهم قيامهم بجريمة قتل ـ واقعا، من بين أكثر من 5000 فرد قمنا بدراستهم، قال 91% من الرجال و84% من النساء أنهم تخيلوا ذلك مرة واحدة على الأقل. وقد كان التنافس الجنسي بجميع اشكاله هو السبب الرئيس الذي دفع كلا من الجنسين لتخيل قيامهم بجريمة القتل. ونورد ههنا مثالا على لسان إحدى النساء:

«دائما ما يكرر حبيبي على مسامعي اعجابه بجمال عارضة الازياء كيت موس. وفي الحقيقة فهي ليست أكثر من مجرد قحبة عجفاء مدمنة على المخدرات. ما الطريقة التي فكرت في استخدامها لقتلها؟ فكرت بأخذ علاقة ملابس وادخالها عبر عينها إلى دماغها حتى تموت. ثم أنْ اقوم بتعليق جثتها في حجرتي لِأُريه أنها ليست جميلة كما يظن».

امرأة غيرية الجنس، العمر 20

ليس هناك احتمالية لأن تكون كيت موس منافسة جنسية لهذه المرأة. ولكن وسائل الاعلام تمطر الرجال والنساء بوابل من صور المشاهير، ويكون لهذا نتائج ضارة أحيانا. لقد أظهر البحث أن الرجال الذين يشاهدون كثيراً صوراً لنساء جذابات، عبَّروا عن حب والتزام أقل تجاه



شريكاتهم الاساسيات، وأن الرجال الذين يكثرون من مشاهدة الافلام الاباحية، غالبا ما يصبحون أقل رضا عن المظهر الجسمي والاداء الجنسي لشريكاتهم[26]. بينما تعاني النساء اللواتي يشاهدن بكثرة صورا لنساء جذابات، من قلة ثقتهن بأنفسهن. وكما عبَّرت ماري شميتش Mary Schmich في عمودها الصحفي المعنون «Wear Sunscreen» في صحيفة Chicago Tribune «لا تقرئي مجلات الجَمال، فكل ما تفعله هو انها تجعلك تشعرين بأنك قبيحة»[27]. إذَنْ ورغم أن معظم النساء لسن في منافسة واقعية مع فتيات اغلفة المجلات، فإن العارضات ونجمات السينما هن بالفعل منافسات من حيث إنهن يقللن من ثقة النساء الأخريات بأنفسهن ويقللن من حب والتزام شركاء هؤلاء النساء. ففي عالمنا النفسي، نحن محاطون بمنافسين جنسيين متخيَّلين بالاضافة إلى المنافسين الجنسيين الواقعيين.

عندما تثأر المرأة ممن اغوت قرينها

بالطبع، فإن استخدام الجنس لاغراء الرجل للخروج من علاقة قائمة، قد يفشل في تحقيق النتائج المرغوبة. تحترس النساء من مصادقة المرأة المعروفة باغوائها للرجال المرتبطين. وقد توصم المغوية التي تفشل بوصمة «المرأة الأخرى». وحتى لو نجحت المرأة المغوية بسلب الرجل الهدف من شريكته، فإنها قد تعاني القلق من مدى اخلاص هذا الرجل الذي قامت باغوائه لها هي. ففي النهاية، إذا نَجَحْتَ في اغراء شخص للخروج من علاقة ملتزمة باستخدام الجنس كطعم، فإنك تملك دليلاً مباشراً على أن هذا الشخص ليس منيعاً ابداً ضد العروض الجنسية الخارجية!



إن واحدا من التكتيكات الثأرية لها تأثير على الدافعية الجنسية للنساء: تقوم المرأة أحيانا بالثار من المرأة التي اغوت شريكها، من خلال ممارسة الجنس مع شريك الاخيرة. ذكرت بعض النساء في دراستنا انهن مارسن الجنس انتقاما من الشريك الخائن ومن المرأة المغوية التي مارس معها الخيانة، والتي كانت صديقة في كلتا الحالتين التاليتين:

«خانني زوجي مع صديقتي المقربة، لذا فإنني اقمت علاقة مع زوجها لثلاثة اشهر. ولم اشعر بالذنب اطلاقا»

امرأة غيرية الجنس، العمر44

«مارستُ الجنس مع حبيبي السابق، والذي أعرف انه لايزال يكن لي المشاعر، رغم أنْ لا مشاعر لدي تجاهه. لكنه كان قد بدأ بمواعدة صديقتي الاقرب، وقد اردت الثأر منهما معا».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

كذلك تستخدم النساء الجنس كوسيلة لايقاع العقوبة بشركائهن الجنسيين الذين يستسلمون لاغراء النساء المغويات، حيث يلقين باللائمة بالكامل على هؤلاء الشركاء بدلا من النساء اللواتي اغوينهم:

«خانني شريكي مرة لذا فقد اعتقدت انني اذا خنته فسنكون متعادلَين، وعليه فقد خرجت برفقة صديقاتي ليلةً والتقيت بصديق قديم من ايام الاعدادية، وانتهى الامر بنا إلى ممارسة الجنس. لم يعرف شريكي بذلك ابدا لكني شعرت بأني قد ثأرت لنفسي».

امرأة غيرية الجنس، العمر34



تستمتع بعض النساء كثيرا باستخدام الجنس كوسيلة انتقامية:

«كان حبيبي السابق وغداً، ولذا حالما انفصلنا مارست الجنس مع صديقه. استمتعت بذلك كثيرا لأنني أعرف أن هذا سيغيظه»

امرأة غيرية الجنس، العمر22

«منذ عدة سنوات خانني زوجي. كان وزني قد ازداد بعد أن وضعْتُ طفلتنا لذا شعرتُ باني عديمة النفع. وخلال الستة اشهر التالية فقدت وزني وخنته مع اقرب اصدقائه لكي اشعر بنفس الرضا عن النفس الذي شعر به عندما خانني»

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر37

إن حقيقة كون العديد من حالات الانتقام الجنسي تتضمن مضاجعة اقرب أصدقاء الشريك الخائن، تُظهر المتعة والبهجة التي تصاحب هذا الثار او الانتقام، عقاباً للشريك على عدم مقاومته للاغواء. كذلك تعطينا هذه الحالات امثلة على الوجوه العديدة للتنافس الجنسي، التنافس مع نساء اخريات على شريك جنسي مرغوب، الصراع لمحاولة جذب قرين مرغوب ملتزم، معاداة المنافِسات المُتخيَّلات اللواتي تعرضهن وسائل الاعلام المرئية، والخطر المحدق من طرف المتطفلين الجنسيين. وحيث إن مشاكل التنافس الجنسي متكررة الوقوع عبر تاريخ الجنس البشري، فإن التطور قد زود النساء بدفاعات قوية ليواجهن بها هذه المشاكل. وواحدة من هذه الدفاعات تتمثل في عاطفة كثيرا ما تم التجني عليها ـ الغيرة الجنسية ـ وهي الموضوع الذي سننتقل اليه حالاً.



هوامش المؤلفَين على الفصل الرابع

1 ـ من تعليق لاحد المتابعين على قاعدة بيانات الافلام على الموقع:

www.imdb.com/title/tt0313038/usercomments

2 ـ Lincoln, G. A. (1994). «Teeth, Horns, and Antlers: The Weapons of Sex،» in R. V. Short and E. Balaban, The Differences Between the Sexes (New York: Cambridge University Press), 241.

3 ـ Somaiya, R. (2009). «It's the Economy, Girlfriend،» New York Times, January 27, A21.

4 ـ Buss, D. M. (2003). The Evolution of Desire: Strategies of Human Mating (New York: Basic Books).

5 ـ Buss, D. M. (1989). «Sex Differences in Human Mate Preferences: Evolutionary Hypotheses Testing in 37 Cultures،» Behavioral and Brain Sciences 12:1 ـ 49.

6 ـ Etcoff, N. (1999). Survival of the Prettiest: The Science of Beauty (New York: Doubleday).

7 ـ Allon, N., and Fishel, D. (1979). «Singles Bars،» in N. Allon (ed.), Urban Life Styles (Dubuque, Ia.: William C. Brown), 152.

8 ـ Durante, K. M., Li, N. P., and Haselton, M. G. (2008). «Changes in Women's Choice of Dress Across the Ovulatory Cycle: Naturalistic and Laboratory Task ـ Based Evidence،»



Personality and Social Psychology Bulletin 34:1451 _ 60.

9 _: Haselton, M. G., Mortezair, M., et al. (2007). «Irrational Emotions or Emotional Wisdom? The Evolutionary Psychology of Emotions and Behavior،» in J. P. Forgas (ed.), Hearts and Minds: Affective Influences on Social Cognition and Behavior (New York: Psychology Press), 21 _ 40.

10 _ Durante, K. M., Li, N. P., and Haselton, M. G. (2008). «Changes in Women's Choice of Dress،» Personality and Social Psychology Bulletin.

11 _ Haselton, M. G., and Gangestad, S. W. (2006). «Conditional Expression of Women's Desires and Men's Mate Guarding Across the Ovulatory Cycle،» Hormones and Behavior 49:509 _ 18.

12 _ Fisher, M. (2004). «Female Intrasexual Competition Decreases Female Facial Attractiveness،» Proceedings of the Royal Society of London, Series B (Supplemental) 271:S283 _ 85.

13 _ Buss, D. M., and Shackelford, T. K. (2008). «Attractive Women Want It All: Good Genes, Economic Investment, Parenting Proclivities, and Emotional Commitment،» Evolutionary Psychology 6:134 _ 46.

14 _ Buss, D. M., and Dedden, L. A. (1990). «Derogation of



Competitors،» Journal of Social and Personal Relationships 7:395 _ 422.

15 _ Campbell, A. (2002). A Mind of Her Own: The Evolutionary Psychology of Women (Oxford: Oxford University Press), 197.

16 _ Lees, S. (1993). Sugar and Spice: Sexuality and Adolescence (London: Penguin Press), 80.

17 _ Campbell, A. (2002). Mind of Her Own, 198.

18 _ Symons, D. (1979). The Evolution of Human Sexuality (New York: Oxford University Press)؛ Buss, D. M. (2003). Evolution of Desire.

19 _ Moberg, K. U. (2003). The Oxytocin Factor: Tapping the Hormone of Calm, Love, and Healing (New York: Da Capo Press).

20 _ «Pamela Des Barres: Her Latest Book Celebrates the Outrageous, Unsung Exploits of Her Fellow 'Band _ Aids،' » The Independent, September 23, 2007.

21 _ صيغت عبارة «سلب القرين/اغواء القرين mate poaching»

لاول مرة من قبل ديفيد ام.باس في كتاب: Buss, D. M. (1994), Evolution of Desire.واول دراسة على سلب القرين واغوائه عند البشر هي:

Schmitt, D.P., and Buss, D. M. (2001). «Human Mate



Poaching: Tactics and Temptations for Infiltrating Existing Mateships،» Journal of Personality and Social Psychology 80:894 _ 917.

22 _ Schmitt , D. P. , et al. (2004) . «Patterns and Universals of Mate Poaching Across 53 Nations: The Effects of Sex , Culture , and Personality on Romantically Attracting Another Person's Partner،» Journal of Personality & Social Psychology 86:560 _ 84.

23 _ Bleske , A. L. , and Shackelford , T. K. (2001) . «Poaching , Promiscuity , and Deceit: Combating Mating Rivalry in Same _ Sex Friendships،» Personal Relationships 8:407 _ 24.

24 _ Buss , D. M. (2003) . Evolution of Desire.

25 _: Buss , D. M. (2005) . The Murderer Next Door: Why the Mind Is Designed to Kill (New York: Penguin Press) .

26 _ Kenrick , D. T. , Gutierres , S. E. , and Goldberg , L. (1989) . «Influence of Erotica on Ratings of Strangers and Mates،» Journal of Experimental Social Psychology 25:159 _ 67.

27 _ Zillman , D. , and Bryant , J. (1988) . «Pornography's Impact on Sexual Satisfaction،» Journal of Applied Social Psychology 18:438 _ 53.

28 _: Mary Schmich , «Wear Sunscreen،» Chicago Tribune , June 1 , 1997.



الفصل الخامس

المسخ أخضر العينين(*)

من حراسة القرين إلى استبداله بالأفضل

«أَوَ تَحْسَبُ أنني ساجعل من الغيرة حياةً لي، فأُغير ظنوني مع تقلبات القمر؟ هيهات! بل سأبدد شكوكي حالما تعتريني».

مسرحية عُطَيل، ويليام شكسبير

يتعلق التنافس الجنسي بالمنافسينrivals، والاصل اللاتيني لكلمة rival يعني استخدام)أو محاولة استخدام) نفس النهر الذي يستخدمه شخص اخر ـ وكان النهر يُعَدُّ مورداً حيوياً في الامبراطورية الرومانية، ويجب الدفاع عنه باي ثمن، فهو الوسيلة الامثل للنقل، التواصل، والتجارة، ومصدر للرَيِّ والنظافة، ومصدر رزق عموما. وبالمثل،

(*) المسخ او الوحش اخضر العينين، كناية عن الغيرة، بحسب معجم مريم ويبستر فان أَوَّل من استخدم هذه الاستعارة هو ويليام شكسبير، ويلمح التشبيه ـ بحسب المعجم ـ امَّا الى كون عاطفة الغيرة تدل على عدم النضوج من حيث ان اللون الاخضر هو لون النباتات الفَتيِّة، او انه اشارة الى القطط التي يغلب ان تكون عيونها خضراء اللون، من حيث انها تلعب بطرائدها كثيرا قبل ان تقتلها..المترجم.



فإن النساء يستخدمن الجنس لتحقيق أهداف نفسية وجسدية وتطورية متنوعة، ويدخلن أحيانا في منافسة جنسية للحصول على الشريك المرغوب نفسه.

سنلقي في هذا الفصل نظرة على ما يحدث عندما تتخذ المرأة موقفا دفاعيا في المنافسة الجنسية، وتدخل الغيرة ـ واستفزاز غيرة القرين ـ على الخط كدافع جنسي عند المرأة. كما تصف ذلك إحدى النساء في دراستنا:

«سبق لي أنْ استمررت بمضاجعة شخص لمدة 6 اشهر (دون أن أتواعد معه.) كنا أنا وشريكي وصديقه الاقرب نشرب ذات ليلة. وبعد أن نام شريكي قام صديقه المقرب بـ«اغوائي». وقد قررتُ أن أمارس الجنس معه لكي يدرك شريكي أن هناك أناسا آخرين يرغبون بي»

امرأة غيرية الجنس، العمر19

لغز الغيرة

لقد حَارَ العلماءُ لعقود في فهم سبب وجود الغيرة الجنسية. وقد سيطرت لوقت طويل نظرة تقليدية مفادها ان الغيرة عاطفةٌ فَجَّة، وعيبٌ في الشخصية، ودليل على قلة الثقة بالنفس. نظَّرت عالمة الانثروبولوجيا الشهيرة مارغريت ميد Margaret Mead في اوائل الثلاثينيات بان الغيرة هي شيء شبيهٌ بجرح الكبرياء: « ليست الغيرة جهازا يمكن من خلاله قياس عمق الحب. انها تشير فقط إلى مقدار انعدام الامان الذي يحسه المحب...وهي حالة سلبية وبائسة من الشعور، تنبع من الاحساس بالدونية وانعدام الامان»[1]. وقد وافقها باحثون اخرون في التاكيد على أن الغيرة تنشأ من انعدام الثقة بالنفس اساسا ومن الخوف من انتهاك «ملكية»



الشخص[2]. عادةً ما يعتقد هؤلاء الذين يؤيدون هذه الرؤية ان الغيرة منتَج ثقافي، وانه يختلف بالتالي كثيراً من ثقافة إلى أخرى.

وعلى الجانب الآخرمن الطيف، نظَّر علماء النفس التطوريون بكون الغيرة الجنسية تكيفا ذا وظيفية عالية[3]. فالغيرة، طبقا لهذه الرؤية، عاطفة مُطَوَّرة، تنشط حالما يبرز خطر يهدد علاقة قَيِّمة. ففي العلاقات الرومانسية، يمكن أن ياتي التهديد من مصدر خارجي كما عندما يحاول شخصٌ ما إغواء شريكك بمغازلته جنسيا اواغرائه بالانفصال عنك[4]. كذلك قد يكون التهديد على شكل ظهور علامات الخيانة الجنسية على الشريك، او اشارات إلى أنه سيغادر العلاقة قريبا. او قد يكون مصدر التهديد من داخل ديناميات العلاقة نفسها، فمثلا قد يؤدي تلاشُنٌ إلى خلق فجوة في العلاقة تنسف الثقة، او عندما تتغير ظروف حياة احد الشريكين بحيث تخلق فرقا في المرغوبية بينه وبين شريكه. عندئذٍ تنشط الغيرة لتنذر الشخص بوجود تهديدٍ ما لكي ينتبه إلى مصدره، ويندفع بالتالي محاولا دَرْء هذا التهديد.

عموما، كلما كان الشخص أقل أمْناً، كلما كان/ كانت أكثر اعتمادا على الشريك[5]. وكلما كان التهديد المحدق بعلاقتهما أكبر، كلما كان الشعور بالغيرة اقوى. وعليه، فقد كتبت عدة نساء في دراستنا انهن مارسن الجنس بدافع الشعور بالغيرة، موضحات ان قلة الثقة بالنفس كان لها دور في اتخاذهن لهذا القرار:

«كنت قد انفصلت تواً من علاقة مع احداهن. وشعرت بالخيبة وبالرفض وبأن ثقتي بنفسي قد تحطمت. وبعدها ربما باسبوع ذهبت إلى موعد عشوائي مع واحدة أخرى ومارست معها الجنس، واخبرت الفتاة



الأولى بالامر (كنا لانزال صديقتين)محاوِلةً أن اجعلها تشعر بالغيرة. لم اكن اشعر بانجذاب تجاه الفتاة الثانية التي مارست معها الجنس لكي اجعل الأولى تشعر بالغيرة، ولم اكن لأمارس معها الجنس لو لا شعوري انني بحاجة لاثبت شيئا ما»

امرأة مثليةالجنس/ ليزبيانية، العمر 21

«لا ارتاح للحديث عن هذا الموضوع، فهو بالتاكيد ليس مدعاة للفخر. في الماضي، كنت خارجة للتو من علاقة وكانت ثقتي بنفسي في الحضيض، وقد مارست الجنس متخيلة انني أمارس الجنس مع نفس الشخص الذي انفصلت عنه. قائلة لنفسي: ما الذي سيفعله لو راني الان، الن يشعر بالغيرة، الن يتمنى لو انه مازال على علاقة بي؟ تفكير بائس بالفعل، ويؤكد اني لست بأفضل من الشخص الاخر»

امرأة غيرية الجنس، العمر19

إن الاشياء التي تسبب الغيرة، وردود افعال الناس ازائها، تختلف وتتشابه عبر الثقافات. ففي إحدى الدراسات، قام باحثون بمقابلة أكثر من 2000 طالب جامعي في سبعة بلدان ـ الولايات المتحدة، هنغاريا، الاتحاد السوفييتي السابق، يوغوسلافيا السابقة، هولندا، ايرلندا، والمكسيك ـ وسألوهم عن شعورهم عندما يتخيلون شريكهم يقوم بانشطة متنوعة مع شخص اخر. طُلِبَ اليهم تخيل انتهاكات للعلاقة يقوم بها الشريك بما فيها المغازلة، التقبيل، الرقص، العناق، ممارسة الجنس، والتخيلات الجنسية. اثارت بعض السلوكيات ـ التقبيل، المغازلة، ممارسة الجنس ـ غيرةً شديدةً في جميع الثقافات، بينما اثار البعض الآخرمنها ـ الرقص،



العناق، والتخيلات الجنسية ـ ردود فعل عاطفية أقل حدةً عموماً في جميع الثقافات.

على أنه كانت هناك بعض الاختلافات الثقافية المثيرة للاهتمام في الاشياء التي تستفز الغيرة. فمثلا، بينما لا يكترث الامريكان كثيرا لقيام شريكهم بعناق شخص اخر، انتصب شعر الهنغاريين غضبا من هذه الفكرة. عبَّر السلوفاك عن غيرة شديدة من قيام الشريك بالمغازلة، بينما كانوا أقل جميع المجموعات اكتراثا بالخيالات الجنسية للشريك او قيامه بتقبيل شخص اخر. لا يُستفَز الهولنديون من قيام الشريك بالعناق او التقبيل او المراقصة، بينما يَقرع جرسَ الانذار لديهم قيامُ الشريك بتخيل ممارسة الجنس مع شخص اخر. فيما لم تكن مراقصة شخص آخربالشيء المزعج بالنسبة للسوفييت مقارنة ببقية المجموعات[6].

لقد اظهرت الدراسات عبر الثقافية للغيرة، ان التعاطي مع الخيانة الجنسية بوصفها تهديدا، يكون أكثر حدوثا تحت ظروف معينة:

- اذا كان الزواج لا بد منه للمصاحبة , لنيل المكانة , او البقاء.
- اذا كان من المتعذر ممارسة الجنس دون زواج.
- اذا كانت الملكيةُ فرديةً.
- اذا كان امتلاك اطفال شيئا ذا قيمة عالية[7].

وصفت عالمة النفس ايلين هاتفيلد Elaine Hatfield بأيضاح اوضاع اثنتين من القبائل مسلطةً الضوء على هذا الشروط وكيفية عملها[8]. ففي قبيلة الاماساليك Ammassalik ـ إحدى قبائل الاسكيمو ـ يجب أنْ يتم انتاج كل ماهو ضروري للبقاء ـ الطعام، اللباس، المأوى، والادوات ـ.



حيث يكون الاماساليك مكتفين ذاتيا ومعتمدين على بعضهم بعضا، ويعتمد الواحد منهم خصوصا على كفاءة قرينه للبقاء. وقد عُرف عن اسكيمو الاماساليك غيرتهم الشديدة ـ وليس هذا مفاجئا اذا اخذنا في الحسبان ان منافسا جنسيا قد يعني تهديدا للبقاء باكمله. ـ وعلى العكس تماما من قبيلة الاماساليك، مارست قبيلة التودا Toda في الهند اقتصاد العشيرة، حيث لا وجود للملكية الفردية، والجنس متاح بوفرة. تَعتَبِر قبيلة التودا الزواج ترفا لا داعي له، والشكل الأكثر شيوعا للزواج في هذه القبيلة هو ما يدعى «الزواج الاخوي المتعدد fraternal polyandry»، وفيه عندما تتزوج المرأة رجلا تصبح زوجة لجميع اخوته.

وجدت دراسة اجريت على أكثر من 25000 شخص من مجموعات اثنية متنوعة في الولايات المتحدة ان غالبية الناس تعرضوا لمثيرات الغيرة واستجابوا لها بردود فعل متشابهة. فقد سبق لهم ان اصابهم الهوس بافكار مؤلمة عن انخراط محبوبيهم في علاقة مع شخص اخر، وقد بحثوا عن ادلة تدعم شكوكهم ـ التنصت على مكالمات محبوبيهم الهاتفية، تعقبهم، والبحث في متعلقاتهم الشخصية عن اسماء او ارقام هواتف للمنافسين المفترضين(9).

ورغم أن بعض سلوكيات الغيرة تبدو غير عقلانية، فهناك بعض الادلة على أن هناك منطقا تكيفيا يكمن وراء هذه السلوكيات. تأمَّل الحالة التالية:

عشية عيد الميلاد، نظر رجل عبر الشارع فخُيِّل اليه أنه رأى نافذة بيت الجيران تضيء وتنطفيء بايقاع متزامن مع اضاءة انوار شجرة الميلاد في منزله. وقد استنتج بثقة تامة أن زوجته تخونه. وعندما اصطحبته زوجته



إلى عيادة مرشد العلاقات الشخصية، اعلن المرشد أن الرجل «مريض بالوهم» ويعاني غيرة مرضية[10].

حقا لقد احتوت غيرة هذا الرجل جزءاً غير عقلاني. فاضواء شجرة الميلاد لم تكن متزامنة. ولكن تَبين أن ظنون الرجل كانت في محلها! فزوجته كانت واقعا تعيش قصة لاهبة، وحتى انها كانت تعيش قصتها هذه مع الجار الذي شك به الزوج بالفعل. يقترح بعض الباحثين ان الغيرة تعكس حكمة عاطفية يتم تنشيطها عندما يكون هناك تهديد فعلي او محتمل للعلاقة الرومانسية[11]. لا تشتعل الغيرة عندما يقع التهديد بالفعل فقط، بل تشعلها التهديدات الكامنة التي تلوح في الافق أيضا، مثل ملاحظة ان الشريك لم يعد على مايبدو راغبا في ممارسة الجنس.

ولأن الخيانة الجنسية عادة ماتكون محاطة بسرية شديدة، فإن اكتشافها يعتمد اساسا على الادلة التي ترتبط احتمالياً بالخيانة. وكما الحال مع جرس الحريق الذي قد يرن انذاراً خاطئاً دون وجود حريق فعلي، فإن الاشخاص الذين يميلون للغيرة يرتكبون ما يسميه عالم النفس بول ايكمان Paul Ekman بـ«خطأ عُطَيْل»[11]Othello's error. يُذَكِّر ايكمان في كتابه «كشف النقاب عن العواطف Emotions Revealed » بقصة عطيل ودزدمونة التي كتبها شكسبير. فعندما طلب عطيل من دزدمونة ان تُقِرَّ بارتكابها للزنا والخيانة، طلبت هي ان يحضر غريمه المفترض، كاسيو، كشاهد على عفتها. فيفصح عطيل عندئذ عن انه قد قتل كاسيو بالفعل. وهنا يزلزل الحزن دزدمونة، فيفترض عطيل ان حزنها انَّما هو على موت عشيقها. وبحسب ايكمان، فإن «خطأ عطيل لم يكن الفشل في ادراك ما شعرت به دزدمونة، فقد عرف انها كانت خائفة مرعوبة. وانما كان خطأه



في الاعتقاد بان العواطف لها مصدر واحد فقط، وفي تفسيره لحزنها على أنه ناتج عن سماعها خبر مقتل عشيقها المفترض، وكذا تفسيره لخوفها بانه خوف زوجة تمت ادانتها بجرم الخيانة[12]. فيقتلها عطيل دون أن يتوقف لحظة ليفكر ان خوفها وحزنها ربما كان لسبب اخر: ردة فعل امرأة بريئة عرفت ان زوجها المجنون غيرةً على وشك قتلها، وانه ما من طريقة يمكنها بها اثبات براءتها».

إن اشد انواع ردود الفعل التي تسببها الغيرة، هي معاقبة الشريك بشدة او قتله ـ في مقابل الثأر الذي يؤخذ من المنافسين (او يُسعى إلى اخذه منهم) الذي تطرقنا اليه في الفصل السابق. يشيع قيام الرجال بمعاقبة او قتل المرأة بدافع الغيرة أكثر بكثير من العكس[13]. تشير احصائيات ملاجيء النساء إلى أن ثلثي النساء اللواتي يضطررن للسكن في الملاجيء يفعلن ذلك بسبب تعرضهن للاعتداء من قبل شريك مفرط الغيرة. وفي الحقيقة فإن الغيرة الذكرية هي السبب الرئيسي في تعنيف الزوجات وقتلهن عبر العالم.

يختلف الافراد في كيفية تعاطيهم مع مشاعر الغيرة. فيغض البعض الطرف، بينما يحاول البعض الآخر ان يبحثوا في أنفسهم عن السبب الذي جعل شركائهم يهملونهم ويحاولون معالجة الامر، ويحاول البعض أيضا ابعاد الغريم بطرق أقل عنفا. وفي دراستنا قادت الغيرة عدداً من النساء لممارسة الجنس في محاولة لاقصاء الغريمة:

«كان حبيبي السابق يتحدث لهذه الفتاة التي تزعجني كثيرا ولا أحبها ابدا. وعندما سنحت الفرصة لممارسة الجنس معه، انتهزتها. عرفتُ انه سيخبرها وهذا ما سرني أكثر».

امرأة غيرية الجنس، العمر 24



«ضاجع حبيبي السابق فتاة أخرى، فقمت بمضاجعته مرة أخرى ويبدو أن جزءاً من دوافعي لفعل هذا هو محاولة جعل الفتاة الأخرى تشعر بالغيرة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر20

العفة الاجبارية

من النواتج الأخرى للغيرة محاولة التحكم بسلوك الحبيب. تاريخيا، كان الرجال هم من استخدم هذا التكتيك دائما تقريبا. ففي القرون الوسطى كان النبلاء يقومون بإلباس زوجاتهم احزمة العفة لضمان اخلاصهن. واليوم، تمارس العديد من الثقافات ما يعرف بختان الاناث، او خفض العضو التناسلي الانثوي. يُقدر الخبراء أن حوالي 80 ـ 120 مليون امرأة عبر العالم قد اُخضعت لشكل من بتر العضو التناسلي الخارجي في الطفولة او عند البلوغ. تشيع هذه الممارسات حاليا في 29 بلداً أغلبها في افريقيا، ولكنها تُمارَس أيضا في الشرق الاوسط، اندونيسيا، واماكن أخرى. يرتبط خفض العضو التناسلي الانثوي بشكل خاص بالثقافات الاسلامية، ورغم أنه غير منصوص عليه في القران، فإن نصوصا اسلامية متأخرة تحبذه، ويكتسي غالبا بصبغة دينية.

لختان الاناث ثلاثة انواع. ختان السُّنَّة (كلمة عربية تشير إلى الفرائض الدينية) وهو النوع الأقل إضراراً بالمرأة ويتضمن قطع او استئصال قلنسوة البظر. أما النوع الثاني وهو استئصال البظر، فيتضمن استئصال غدة البظر وجسم البظر بالكامل، مع القلنسوة والاجزاء القريبة من الاشفار الداخلية. اما النوع الثالث من الختان فهو خياطة او شَبْكُ الشفاه الخارجية



Infibulationو الذي تشيع ممارسته في السودان، وهو النوع الأكثر ضرراً من بين الثلاثة. ويتضمن استئصال البظر بالكامل بالاضافة إلى ازالة كامل الشفاه الداخلية، والاجزاء الداخلية من الشفاه او الاشفار الخارجية. ومن ثم يتم خياطة ما تبقى من الشفاه الخارجية، بحيث لا تبقى سوى فتحة صغيرة لمرور البول ودم الحيض. يفترض ان تتوسع الفتحة مع اول جماع تمارسه المرأة، ثم يجري خياطتها مرة أخرى غالبا.

تؤمن بعض الثقافات التي تقوم بهذه الممارسات، ان المرأة المحتفظة ببظرها غير طاهرة دينياً او انها خطر على صحة الرجل الذي يمارس معها الجنس. ومن المرجح ان الهدف الخفي وراء هذا الممارسات، هو تقليل الرغبة الجنسية والنشاط الجنسي للمرأة، وبالخصوص خارج الزواج او قبله. إذ يقلل استئصال البظر من اللذة الجنسية، فيما تجعل خياطة الاشفار الايلاج متعذرا وكذا تجعل أي شكل من التلامس مع العضو التناسلي غير مريح للمرأة. وفي العديد من الثقافات التي تمارس ختان الاناث، لا تُطلَب المرأة غير المختونة للزواج.

لا زالت الاثار بعيدة المدى لختان الاناث محل اخذ ورد، خصوصا النوع الثالث منها، والذي قد يخلق مشاكل خطيرة في التبول، الجماع، الحيض، الولادة، والخصوبة. ولم تتضح درجة تأثير النوعين الاخرين من الختان على قابلية المرأة للوصول للنشوة او التلذذ الجنسي، واذا ما اخذنا في الحسبان ان المرأة تُخضَع لهذه العملية عموما قبل ان يكون قد سبق لها اختبار أي نشاط جنسي، فإنه لا يمكنها ان تقوم بالمقارنة بين ما قبل وما بعد العملية من حيث اللذة الجنسية. تشير بعض البحوث إلى أن استئصال قلنسوة البظر وحدها، أو حتى اجزاءَ من غدة البظر أحيانا، قد لا



يؤدي بالضرورة إلى فقدان المرأة القابلية على الوصول للنشوة. لكن هذا لاينطبق على النوع الثالث، خياطة الشفاه الخارجية، والذي غالبا ما يسبب تدميرا للخلايا العصبية يضعف قابلية المرأة للوصول إلى النشوة او حتى مجرد اختبار الاثارة الجنسية الجسمية. حاول الباحثون مؤخراً باستخدام الجراحة اصلاح او استبدال الخلايا العصبية المدَمَّرة بهذا الختان وقد حققوا نتائج واعدة في تحسين اللذة الجنسية لهؤلاء النسوة. تم منع ختان الاناث في الولايات المتحدة عام1996. وقد قامت بعض البلدان الافريقية بحظر هذه الممارسات مؤخرا او الحد منها بدرجة كبيرة، على أن هذه التدابير القانونية لم تؤثر تأثيرا كبيرا حتى اليوم.

إذا ما تأملنا هذه النتائج الكثيرة والخطيرة لاستفزاز الغيرة، فإنه قد يبدو غريبا للوهلة الأولى ان تقوم بعض النساء بممارسة الجنس عن عمد بهدف ايقاظ « الوحش اخضر العينين». لكنهن يقمن بهذا فعلا.

استفزاز الغيرة

«يقول المثل الشعبي الدارج (إن ما لن تفعليه، هناك امرأة أخرى ستموت لكي تفعله). مواعَدةُ الخائنين تعلِّمك ما يعتقد به اغلب الناس ولكنهم ينكرونه. إذا كان شريكك يصل معك إلى الاشباع الجنسي، فإن احتمال خيانته لك يقل (هذا طبعا اذا لم يكن خائنا بطبعه، اما ان كان كذلك فسيخونك مهما فعلت)».

امرأة غيرية الجنس، العمر28

في الحب كما في الحرب، كل شيء مباح، وتعَمُّد استفزاز غيرة الشريك مثال ممتاز على هذا. في الواقع، تصرح النساء أكثر من الرجال



بتعمدهن اثارة غيرة الشريك ـ 31%من النساء مقابل17%من الرجال، طبقا لإحدى الدراسات ـ كما أنهن يستخدمن تكتيكات عديدة جميعها تتضمن سلوكيات جنسية[14]. والتكتيك الأكثر استخداما من قبل النساء في هذا المجال، هو أن يذكرن ملاحظة عابرة عن كيفية ابداء رجال اخرين اعجابهم بهن ـ كإن تذكر المرأة خلال الحديث ان رجلا حاول مغازلتها، او لمسها، او طلب رقم هاتفها. يتضمن تكتيك آخر مغازلةَ رجل آخرفي حضور الشريك. في بعض الاحيان تفي مجرد ابتسامة بالغرض. وهنا يبرز اختلاف جندري، حيث إن الرجال غالبا ما يفسرون الابتسامة على أنها اشارة على اهتمام جنسي، ودعوة للمبادرة بالتقرب، وغالبا ما يتصرف الرجال بناء على هذه الاشارات. تستفز بعض النساء الغيرة بالرقص مع رجل آخربشكل مثير في حضور الشريك. فيما تتحدث اخريات عن علاقاتهن السابقة. يكبح الرجال(والنساء) مشاعرهم أحيانا في هذه المواقف. يخفي الناس غيرتهم لكي لا يظهروا بمظهر الخائف المهدَّد، متسترين على عاطفة قد تفضح شعورا قويا بانعدام الامان في العلاقة. ولكن غالبا ماتكون مراجل الغيرة تغلي في داخلهم.

لماذا قد تستفز النساء الغيرة عن قصد، مع مافي هذه العاطفة من الخطورة، وما عرف من كونها قد تقود إلى العنف الجسدي او حتى القتل؟ يَتَاتّى احد مفاتيح الاجابة من الظروف التي تستخدم النساء هذا التكتيك فيها. على الرغم من ان الكثير من الازواج المتزوجين او العشاق متساوون في التزامهم مع بعضهم بعضا، فإن أقلية معتبرة 39% ـ طبقا لإحدى الدراسات ـ تُظهِر عدم تساوٍ في الالتزام في العلاقة، بحيث يكون احد الطرفين أكثر التزاما من الاخر. ففي هذه المجموعة عندما يكون



الرجل هو الطرف الأكثر التزاما، افادت 26% من النساء فقط بتعمدهن اثارة غيرة رجالهن. وفي تناقض صارخ، ففي المجموعة التي تكون فيها النساء الطرف الأكثر التزاما، صرحت 50% من النساء بقيامهن باستفزاز غيرة الشريك عن قصد[15].

يؤدي استفزاز غيرة الشريك استراتيجياً ثلاث وظائف للمرأة: فأولاً هو يرفع من مرغوبيتها في عين شريكها. فالاهتمام الجنسي من قبل الاخرين مقياس لقيمة الشريك الاقترانية في المجمل. وثانيا، ان ردة فعل الشريك على الموقف المستفز للغيرة هو اختبار لمستوى التزامه/ ها في العلاقة. فمثلا، عدم مبالاة الرجل تجاه جلوس شريكته باغراء في احضان رجل اخر، قد تشير إلى عدم اكتراثه بالابقاء على العلاقة، ومستوى غيرته قد يكون مؤشراً على عمق التزامه العاطفي فيها. وربما تكون الوظيفة الأكثر أهمية هي الثالثة ـ زيادة التزام الشريك. وهذا ينطبق بالخصوص على الرجال، الذين يرتفع احتمال التزامهم مع المرأة التي يدركون انها مرغوبة بشدة من قبل رجال اخرين. اذ يصبح الرجل الغيور أكثر تعلقا، ويعتقد بانه محظوظ كثيرا بكونه مع شريكته المرغوبة هذه، لذا يزداد اخلاصاً لها.

محاولات مستميتة

بدلا من مجرد اثارة الاعجاب الجنسي لرجل اخر، تمارس بعض النساء الجنس مع رجل غريب لزيادة مرغوبيتهن في نظر شركائهن. كتبت عدة نساء عن مواقف قمن فيها باستخدام تكتيكات استفزاز الغيرة. وفي معظم الحالات لم ياتِ ذلك بالنتائج المرجوة:

«كنت في علاقة حب من طرف واحد مع شخص من نفس الجنس،



لذا مارست الجنس مع شخص من الجنس الآخرلاثير غيرتها.. ولم افلح في ذلك».

امرأة ثنائية الميل الجنسي، العمر27

«عندما كنت في العشرين من عمري، انفصلت عن حبيبي بعد علاقة دامت لعامين. وبدأ يعبث مع فتاة أخرى. لذا قمت بمضاجعة واحد من اقرب اصدقائه. وقد اقنعت نفسي بأني أفعل هذا انتقاما منه، لكني في الحقيقة أردت أن اثير غيرته حتى يعود الي من جديد. وقد اتى ذلك بنتائج عكسية. ليس فحسب انه لم يعد الي، لكن جميع اصدقائه قد اصبحوا يزدرونني كثيرا، بمافيهم الشخص الذي ضاجعته (نوع من الكيل بمكيالين)».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر28

تصف إحدى النساء كيف أن محاولتها استفزاز الغيرة افضت إلى نهاية سيئة:

«انفصلت عن حبيبي، ولكي اثير غيرته ضاجعت صديقه في إحدى الحفلات بعد مدة قصيرة. لقد كنت مخمورة ومجروحة الكبرياء، وكان صديقه منجذبا الي بشدة. وكي لا اطيل الحديث، فقد تضاجعنا، وكان ذلك مروعا. لقد شعرت بالخوف، وكان حبيبي السابق منكسرا. لقد هدمت آخر جسر من خلفي في تلك الليلة، ومذاك لم تعد الامور بيني وبينه كالسابق. لازلنا في حياة بعضنا ولكنه لم يعد يثق بي نهائيا، اتمنى لو لم افعل ما فعلته».

امرأة غيرية الجنس، العمر22



وفي بعض الاحيان ياتي هذا التكتيك بنتائج عكسية ويخرب العلاقة:

«لم اكن راضية عن علاقتي في ذلك الوقت. وقد اردت ان اثير غيرة شريكي لكي يعاملني على نحو أفضل، كما كنت اظن. لكنه قام فورا بانهاء العلاقة. وقد قررت ان لا فائدة من ممارسة المزيد من الالاعيب».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 23

إن أحد الأسباب الرئيسة التي تجعل تكتيك ممارسة الجنس مع شخص آخر، يفشل في حمل الشريك على الالتزام، هو ان الناس يتحرَّون الاخلاص الجنسي في الشريك طويل الأمد. تظهر دراسات اجراها مختبر باس لعلم النفس التطوري ان النساء يضعن «الاخلاص الجنسي» في المرتبة الثانية من حيث الاهمية في قائمة الصفات المرغوبة في الشريك طويل الأمد، مباشرة بعد الصفة الاعلى تقديرا «الصدق»، والتي هي ليست ببعيدة عن الاخلاص كثيراً[16]. وحيث إن الرجال الذين عاشوا في الماضي ولم يكونوا يمانعون من ممارسة نسائهم الجنس مع رجال اخرين غيرهم، ليسوا اسلافا لنا. فالرجال الحاليون هم سليلو الرجال الذين كانوا يتحرون الاخلاص الجنسي في الشريكة، بحيث كرسوا التزامهم مع النساء اللواتي يظهرن الاخلاص الجنسي (او قاموا بأنفسهم باجبارهن على اظهار الاخلاص الجنسي)، ولم يضيع هؤلاء الرجال جهودهم ومواردهم مع نساء لا يظهرن الاخلاص. ان الكثير من النساء على وعي كامل بهذه الدينامية ـ وهو ما قد يفسر لماذا يظهر هذا الحرص الشديد على المحافظة على السمعة الجنسية وتشويه سمعة الغريمات عند النساء أكثر من ظهوره عند الرجال. يمكن لاستفزاز الغيرة عبر ممارسة الجنس مع شريك خارجي ان يعرض الرابطة طويلة الأمد الهَشَّةِ اصلاً إلى خطر كبير.



وفي بعض الاحيان على اية حال، قد لا تكون هناك تداعيات سلبية. وربما قد يؤدي التكتيك إلى اشباع رغبة:

«اردت ان اشعل غيرة الطرف الآخرلكي يفعل ما اردت ان يفعله، لذا ضاجعت شخصا اخر. وقد كنت اتوق إلى مضاجعة هذا الشخص على اية حال، لذا فقد جرت الامور على مايرام، على الأقل بالنسبة لي».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر25

يمكن لاستفزاز الغيرة من خلال المغازلة ان يكون تكتيكا فعالا لرفع تقدير الشريك لمرغوبية المرأة، وبالتالي زيادة التزامه معها. اما ممارسة النساء للجنس في مسعى لاستفزاز الغيرة، فهو في الغالب تكتيك فاشل لن ينجح في مساواة مقدار الالتزام بين طرفي العلاقة الا نادراً.

حراسة القرين

«علمتني والدتي أنني اذا لم اقم بارضاء رجلي فإن امرأة أخرى ستفعل ذلك».

امرأة غيرية الجنس، العمر37

«في اغلب علاقاتي طويلة الأمد، مارست الجنس في كثير من الاحيان لانني شعرت بأن الامتناع عنه لمدة طويلة سيجعل الطرف الآخرينهي العلاقة أو يبحث عن الجنس عند امرأة أخرى».

امرأة غيرية الجنس، العمر33

يُقصد بحراسة القرين، ذلك الطيف المتنوع من الاستراتيجيات، من اليقظة والحذر إلى التعنيف، والتي تهدف في النهاية للاحتفاظ



بالشريك[17]. وممارسة الجنس كوسيلة للدفاع عن العلاقة هي نوع من تكتيكات حراسة القرين. تقول النساء انهن يمارسن الجنس بهدف الحفاظ على شركائهن من الابتعاد عنهن، وكذا بهدف تقليل رغبة شركائهن بممارسة الجنس مع امرأة أخرى. وصفت إحدى النساء في دراستنا مخاوفها من تهديدٍ من قبل امرأة حاولت اغواء شريكها:

«في وقت ما، كان حبيبي السابق «واقعا في حب» امرأة على الانترنت، ولم يكن قد رأى صورتها حتى، لكن عندما تحدثا على الانترنت،عاش حبيبي قصة خيالية معها، لذا فقد حاولت دائما أن اقوم بكل عمل جنسي معه لاتغلب على خيالاته الجنسية مع تلك المرأة التي كانت تُسمعه كل مايرغب في سماعه، وتخبره بأنها ستحقق كل خيالاته الجنسية. لقد كنت في منافسة مع شخص غير مادي. كان الامر بالنسبة لها مجرد لعبة، لكنه لم يكن كذلك بالنسبة له، لذا لم تكن تبارحني فكرة مقارنته لي مع هذا الخيال الذي كنت احاول دائما هزيمته».

امرأة غيرية الجنس،العمر 41

لا تقتصر حراسة القرين باستخدام ممارسة الجنس على الثقافات الغربية.ففي شعب الموريا، وهو شعب يعيش في اقليم الباستارBastar في وسط الهند، تقلق النساء كثيرا بشأن ابتعاد ازواجهن خلال الفترة الأولى من الزواج. «تستاء النساء كثيرا من زيارة ازواجهن للغوتل ghotul (وهو محفل يجتمع فيها حديثو السن من الناس وتشيع فيه ممارسة الجنس).. وربما تصر النساء على ممارسة الجماع قبل مغادرة ازواجهن المنزل، في محاولة لجعلهم أكثر ممانعة تجاه اغراءات الغوتل»[18].



تؤدي ممارسة الجنس كاستراتيجية لحراسة القرين عملها من خلال طريقين رئيسيين: الأول هو انها قد تحافظ على الشريك جنسي مُشبَعا جنسيا ومخلصا، في كلا نوعي العلاقات الطويلة والقصيرة الأمد. كما قالت إحدى النساء:

«اكتشفت مؤخرا أن زوجي يزور مَوقِعاً للمواعدة على الانترنت على حاسوبنا. كنت قد وضعت طفلا للتو وكانت حياتنا مشوشة بالكامل. ولم نكن قد مارسنا الجنس منذ أكثر من تسعة اشهر (كانت لدي مشاكل في الحمل ومنعني الطبيب من ممارسة الجنس لفترة). وقد سألْتُهُ بخصوص زيارته لهذا الموقع ونشب بيننا شجار. وقد كانت أفضل اجابة قدمها لي أنه يشعر بالملل. وقد شعرت بأني مسؤلة عن هذا فمارست معه الجنس لكي لا يبحث عنه عند امرأة أخرى».

امرأة غيرية الجنس،العمر27

والثاني، انها تُعْلِم الاخرين في الدائرة الاجتماعية للمرأة، بانها على شراكة جنسية مع هذا الرجل، ويعد هذا اشارة تحذير واضحة إلى النساء اللواتي قد يفكرن باغوائه.

لقد تم تسجيل وجود استراتيجيات حراسة القرين في العديد من انواع الحيوانات، من الحشرات وحتى الثدييات. عادة، وليس دائما، ما يكون الذكور هم من يقومون بحراسة القرين. فمثلا، في حشرة عداَّء الماء water strider من عائلة نصفية الاجنحة، تركب الذكور على ظهور الاناث لساعات حتى بعد التزاوج، لمنع الذكور الأخرى من سرقة قريناتهم. وخلافا لاغلب الحشرات،والثدييات الأخرى، يُكَوِّن البشر شَراكات



طويلة قد تدوم لسنوات او عقود او مدى الحياة.وبالتالي يواجه كل من الرجال والنساء تحدياً يتمثل في كيفية الابقاء على الشراكة.

لكوننا نوعا اجتماعيا جدا،فإننا مهددون دوما بفقدان الشريك لصالح شخص قد يقوم باغوائه، سواء لنزوة جنسية عابرة او ليشكل معه علاقة دائمية. كذلك نواجه تحديا يتمثل في ان شريكنا قد يتركنا املا في ان «يستبدلنا» بشريكٍ آخرأكثر مرغوبية. وقد توصل مختبر باس في دراسته على الازواج المتزوجين او المتواعدين إلى نتائج مشابهة لتلك التي توصلت اليها دراستنا: تستخدم النساء الجنس كثيرا وبطرق عديدة لحماية علاقاتهن. فيخضعن لمطالب شركائهن الجنسية على امل اسعادهم، كما يتصرفن «بطريقة مثيرة جنسيا» لابعاد نظر شركائهن عن المنافِسات المحتملات، كما يحققن الرغبات الجنسية لشركائهن ويخضعن لضغط جنسي في سبيل اغراء شركائهن بالبقاء معهن. أحيانا تنجح هذه الاستراتيجيات بتحقيق النتائج المطلوبة:

«يكون زوجي سعيدا بعد ممارسة الجنس معي اذا كنت انا المبادرة ببدءه. اذ يقضي وقتا أكثر معي، كما أنه لا يعود يحدق في النساء هنا وهناك بكثرة».

امرأة غيرية الجنس، العمر30

«اظن أن هدفي الرئيس كان أن نمارس الجنس قبل ان ننفصل (كنت عذراء في ذلك الوقت وكنا نخرج معا منذ ستة اشهر، وانا أميل بطبعي إلى عدم البقاء مع شريك واحد لمدة طويلة). وعليه فقد اعتقدت أنه ينبغي علي ممارسته بعد انفصالنا.. وقد مارسنا الجنس.. وكان لذلك تأثير



سحري في اصلاح علاقتنا.يبدو هذا عجيبا اليس كذلك؟ وقد تتهمونني بالسطحية.. لكن الغريب اننا بدأنا نمارس الجنس وبدأ يصبح أكثر التزاما معي، ويؤدي ما ينبغي عليه، ويصبح أكثر اعتناء بي وغيرة علي، وأكثر مبادرة في العلاقة وما شابه. ربما كان هدفي من قيامي بذلك على المستوى اللاشعوري هو منع انهيار العلاقة، بقدر ماكان أيضا أن لا أبقى عذراء. وقد حققت كلاهما».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

لكن تكتيك حراسة القرين جنسيا يمكن أن يفشل أيضا:

«ظننت حينها أني قد وجدت فتى احلامي.و بأنني إذا منحته الجنس، فإنه لن يطمع في غيري. وما لم اكن أعرفه، هو انني لم اكن الوحيدة التي تمنحه الجنس. لم يكن ذلك الرجل يستحق مني كل ذلك العناء للاحتفاظ به».

امرأة غيرية الجنس، العمر37

«كنت غِرَّة يافعة وكنت احسب ان ممارسة الجنس مع حبيبي ستبقيه بجانبي. كنت في السابعة عشرة من عمري ولم تفلح محاولاتي في ابقائه معي.احبطني ذلك كثيرا ولقنني درسا».

امرأة غيرية الجنس، العمر40

تغري ممارسة الجنس مع شخص آخرأحيانا، تغري الشريك السابق للمرأة باعادة استئناف العلاقة، ولو لمدة من الزمن، كما يتضح في الحالة التالية:

«بدأ زوجي علاقة جنسية مع احداهن، صديقته هي من اخبرتني بذلك،



التحقتُ بعدها بناد رياضي لكي استعيد رشاقتي من أجل زوجي. بدلا من ذلك تعرفت على رجل ساحر،عامل بناء، وبدأت بمواعدته لاثارة غيرة زوجي واستعادته من عشيقته. نجحتُ في ذلك بالفعل، وهكذا تجري الامور في علاقتنا منذ ثلاثين عاما،إنه لأمر محزن».

امرأة غيرية الجنس، العمر50

إن بعض النساء اللواتي يمارسن «الجنس الثلاثي threesome » والذي شكله الشائع هو رَجُلٌ مع امرأتين، يكون الدافع المحرك لهن هو حراسة القرين، كما في حالات النسوة التاليات:

«كان حبيبي يطلب مني دائما ممارسة الجنس الثلاثي معي ومع تلك الفتاة، وكنت ارفض دائما. لم ارد أن يؤثر ذلك على علاقتنا. وفي احد الحفلات كانت تلك الفتاة موجودة،وقد تحدثت معها، ثم بدأت أتبادل معها القُبَل أمام ناظريه. من ثم ذهبنا إلى غرفة خالية ومارسنا الجنس».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

«شريكي الحالي من هواة تبادل الشركاء.لا ارتاح للقيام بهذا العمل، لكنني أحبه لذا اقوم به من أجله. نذهب إلى نادي التبادل، ويمارس كل منا الجنس مع اناس اخرين،لأن هذا يثيره ويجعله سعيدا، لذا فإني افعله لأجله. اتظاهر بأنه سيدي وأنني انفذ جميع أوامره، وهذا يساعدني على تمضية الليلة بسلام. لو عاد الامر الي لما فعلت ذلك أبدا. كذلك يطلب مني كثيراً أن أمارس الجنس الثلاثي برفقة صديقتي المقربة، اتظاهر بأنني اتقبل الامر، لكنني اقرف منه كثيرا.ببساطة، لا أريد أن اواجهها صباحاً متظاهرة بأن شيئا لم يحصل».

امرأة غيرية الجنس،العمر32



يمكن بالطبع أن يكون هناك دوافع أخرى لممارسة الجنس الثلاثي، كالبحث عن المغامرة او تجريب شيء جديد، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل السابع. ولكن بالنسبة لبعض النساء، فإن الجنس الثلاثي والأنماط الشبيهة به من الجنس كتبادل الازواج او الحب المتعدد (الانخراط في علاقة عاطفية وجنسية حميمية مع أكثر من طرف في وقت واحد) انما هي وسائل لاسعاد شركائهن والاحتفاظ بهم.

تندفع النساء لممارسة الجنس لحراسة القرين، لان امتناعهن عن ذلك سيكون له ثمن فادح. فالمرأة التي تفشل في حراسة قرينها ستخسر العون الذي يقدمه لها هذا القرين، سواء كان ماديا او عاطفيا. ان المرأة التي يقوم قرينها بخيانتها، تخاطر بالتقاط عدوى الامراض التي تنتقل جنسيا، والتي قد تنتقل من عشيقة زوجها اليه ومن ثم اليها. قد تعاني المرأة من الهوان والاحراج وتشويه السمعة اذا ما تخلى عنها شريكها لصالح امرأة أخرى. ولذا فإن ممارسة الجنس تهدف جزئيا للحفاظ على اخلاص الشريك ومنع انهيار العلاقة، ولو انها لا تاتي دائما بالنتائج المرجوة.

استبدال القرين بأفضل منه

يؤمن الكثير من الناس أن الخيانة الجنسية أمر مُشِينٌ اخلاقيا، كما أنها غالبا ما تكون مدمرة للافراد ولسلامة العلاقة بين الطرفين. اذ تسبب استياء نفسيا هائلا، مزيجا من عواطف الغيرة والحزن والاكتئاب والغضب، واحساسا هائلا بالاهانة. تعد الخيانة الجنسية سببا رئيسيا للعنف ضد الازواج والزوجات. وتتسبب أحيانا بوقوع جرائم قتل. ففي دراسة اجرتها عالمة الانثروبولوجيا التطورية لورا بيتزغ Laura Betzig، شملت 89 ثقافة،



تربعت الخيانة الجنسية في المركز الثاني على قائمة أسباب الطلاق، بعد العقم مباشرة[19].

بالرغم من الضرر الذي ينجم عن الخيانة، فعندما تمارس المرأة الجنس مع شريك غير شريكها الاساسي، فإن قرارها هذا نابع جزئيا من مجموعة فوائد تترتب على هذا الخيانة. ومع انه قد يبدو غريبا الحديث عن «فوائد» للخيانة، لكن لتصبروا معنا قليلا. الفائدة الأولى ان ممارسة الجنس مع شريك آخريزود الشخص بمعلومات هامة عن مدى مرغوبيته هو في «سوق» الاقتران ـ وهي معلومات جدُ هامَّة لاتخاذ القرار بشان البقاء في العلاقة الاساسية او تركها. فاذا كان شريك الخيانة يتمتع بمرغوبية عالية، فإن هذا يعني أن الشخص الخائن ذو مرغوبية عالية بدوره أيضا.تقول إحدى النساء في دراستنا:

«شعرت بأنه يضاجع نساء اخريات هنا وهناك، وقد تَوجَّبَ علي ان افعل المثل لاحافظ على كبريائي. ليس فقط لكي نكون متعادلين، بل للتغلب على شعوري بعدم الامان الذي سببه لي. فاذا شعرت بانه لم يجدني جذابة في وقت ما، وانه يتطلع إلى امرأة أخرى، اقوم بممارسة الجنس مع شخص آخر لاثبت لنفسي انني لازلت مرغوبة وجذابة».

امرأة غيرية الجنس،العمر19

إذا وجد شريك الخيانة المرأة حاذقة ومُرضية جنسيا،فهذا يعني أنه لا يجب عليها أن تعتمد في تقدير قيمتها الاقترانية على ممارسة الجنس غير المشبعة داخل علاقتها الجنسية. وكذلك فإن شريك الخيانة قد يزود المرأة بعلاقة احتياطية يمكن أن تلجأ اليها للتخفيف من الاثار المؤلمة التي قد تنجم من انهيار علاقتها الاساسية:



«لاحظت على شريكي علامات جلية على استعداده للانفصال، لذا قمت باغراء شخص آخراحتياطاً، كي يتوفر لي شريك جاهز حالما يهجرني شريكي الأول».

امرأة ثنائية الميل الجنسي،العمر 20

قد لا يستمر شريك الخيانة بالبقاء إلى جانب المرأة، لكن الجنس يوفر لها دعما نفسيا لاجتياز فترة الانفصال. قد يتحول شريك الخيانة أحيانا إلى الحب الأول والاخير. هذا ما افادت به بعض النساء عندما طُلِبَ اليهن تحديد دوافعهن الجنسية لخيانة شركائهن. كشفت دراسة ان 79% من النساء اللواتي قمن بخيانة شركائهن، قد اصبحن متعلقات عاطفيا، او وقعن في حب شريك الخيانة. ورغم أن هذه النتيجة تبدو بديهية، فإنها تتناقض تماما مع ما عليه الحال عند الرجال، حيث افاد ثلثهم فقط بتعلقهم عاطفيا بشريكة الخيانة. بحسب ما توصلت اليه دراسة أخرى، فإن غالبية الدوافع التي تدفع الرجال لممارسة الجنس خارج علاقتهم الاساسية، نابعة اساسا من الرغبة بالتنويع الجنسي[20]. فيما بينت نتيجة اسفرت عنها دراسة أخرى، أهمية الترابط العاطفي للنساء عند اقدامهن على الخيانة: اذ تَبين ان معظم النساء اللواتي يقدمن على الخيانة مستاءاتٌ بشدة من زيجاتهن. ومرة أخرى،مع ان هذا قد يبدو بديهيا، فإن هذا الامر لا ينطبق على الرجال. اذ لا يختلف الرجال الذين يمارسون الخيانة عن الرجال المخلصين في مدى رضاهم عن زواجهم! فبينما افادت 34% فقط من النساء اللواتي ارتكبن الخيانة بأن زواجهن سعيد او سعيد جداً، فإن 56% من الرجال الذين قاموا بعلاقات خارج الزواج افادوا بأن زواجهم سعيد او سعيد للغاية.



في الواقع، فإن حوالي ثلث النساء المتزوجات في الثقافات الغربية سيقدمن على علاقات خارج الزواج في وقت ما من حياتهن الزوجية. وهناك منطق تطوري كامن يحكم هذه الخيانات خارج الزواج. فبما ان هذه العلاقات تزود النساء بمعلومات قَيِّمَةٍ عن مرغوبيتهن، فإنها تعزز من ثقتهن بأنفسهن، وغالبا ما توفر لهن أيضا علاقة احتياطية مفيدة، وقد تتيح للنساء تكوين علاقة جديدة أحيانا، وارتباطا عاطفيا أكثر عمقا، مما قد يطور هذه الخيانة لاحقا إلى علاقة حب طويلة الأمد.

تؤيد نتائج دراسات مختبر باس على دوافع الخيانة ما ذكرناه انفاً[21]. قالت إحدى النساء ان علاقتها غير الشرعية خارج الزواج قد سهلت عليها الانفصال عن زوجها. وقالت أخرى ان علاقتها خارج الزواج جعلتها تدرك ان بامكانها ايجاد شريك أكثر توافقا معها من زوجها الشرعي. فيما قالت ثالثة انها تزوجت في سن مبكرة، وان علاقتها غير الشرعية جعلتها تدرك فجأة انه لا ينبغي لها ان تستمر مع زوج لا يرتقي لطموحاتها.

واخيرا، فمن خلال تعزيز الثقة بالنفس، قد يشجع الاشباعُ الجنسي الذي توفره الخيانة المرأةَ على مغادرة علاقة لا تلبي طموحاتها. فعندما يختبر الشريكان او الزوجان مشاكل جنسية، فإنهما غالبا ما يكتمان مشاعرهما ويلقي كل منهما باللوم على نفسه. وكما سنرى في الفصل القادم، فإن المشكلة قد تكون نابعة من عدم توافق الغرائز الجنسية للطرفين، مما يحول الجنس إلى واجب بدلا من ان يكون متعة.

هوامش المؤلفين على الفصل الخامس

1 _ Mead , M. (1935) . Sex and Temperament in Three Primitive



Societies (New York: Dell Publishing), as cited in Hatfield, E., Rapson, R. L., and Marlet, L. D. (2007). «Passionate Love،» in S. Kitayama and D. Cohen (eds.), Handbook of Cultural Psychology (New York: Guilford Press).

2 _: Bringle, R. G., and Buunk, B. (1986). «Examining the Causes and Consequences of Jealousy: Some Recent Findings and Issues،» in R. Gilmour and S. Duck (eds.), The Emerging Field of Personal Relationships (Hillsdale, N.J.: Erlbaum), 225 _ 40.

3 _ Symons, D. (1979). The Evolution of Human Sexuality (New York: Oxford University Press)؛ Daly, M., Wilson, M., and Weghorst, S. J. (1982). «Male Sexual Jealousy،» Ethology and Sociobiology 3:11 _ 27؛ Buss, D. M. (2000). The Dangerous Passion: Why Jealousy Is as Necessary as Love and Sex (New York: Free Press).

4 _ Buss, D. M. (2003). The Evolution of Desire: Strategies of Human Mating (New York: Basic Books)؛ Schmitt, D. P., and Buss, D. M. (2001). «Human Mate Poaching: Tactics and Temptations for Infiltrating Existing Mateships،» Journal of Personality and Social Psychology 80:894 _ 917.

5 _ Berscheid, E., and Fei, J. (1977). «Romantic Love and Sexual Jealousy،» in G. Clanton and L. D. Smith (eds.), Jealousy (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice _ Hall).



6 _ Buunk, B., and Hupka, R. B. (1987). «Cross _ cultural Differences in the Elicitation of Sexual Jealousy،» Journal of Sex Research 23:12 _ 22.

7 _ Hupka, R. B., and Ryan, J. M. (1990). «The Cultural Contribution to Jealousy: Cross _ cultural Aggression in Sexual Jealousy Situations،» Behavior Science Research 24:51 _ 71.

8 _ Hatfield, E., Rapson, R. L., and Marlet, L. D. (2007). «Passionate Love».

9 _ Salovey, P., and Rodin, J. (1985). «The Heart of Jealousy،» Psychology Today 19:22 _ 29.

10 _ Buss, D. M. (2000). The Dangerous Passion: Why Jealousy Is as Necessary as Love and Sex (New York: Free Press).

11 _ Buss, D. M. (2003). Evolution of Desire.

12 _ Ekman, P. (2003). Emotions Revealed: Recognizing Faces and Feelings to Improve Communication and Emotional Life (New York: Times Books).

13 _ Daly, M., and Wilson, M. (1988). Homicide (Hawthorne, N.Y.: Aldine)؛ Buss, D. M. (2005). The Murderer Next Door: Why the Mind Is Designed to Kill (New York: Penguin Press).

14 _ Buss, D. M. (2000). Dangerous Passion, 73.



15 ـ المصدر السابق.

16 ـ Buss, D. M., and Schmitt, D. P. (1993). «Sexual Strategies Theory: An Evolutionary Perspective on Human Mating،» Psychological Review 100:204 ـ 32.

17 ـ تم التطرق لهذا الموضوع باستفاضة في كتاب:

Buss, D. M. (2003). Evolution of Desire.

18 ـ Symons, D. (1979). Evolution of Human Sexuality, 117.

19 ـ Betzig, L. (1989). «Causes of Conjugal Dissolution،» Current Anthropology 30:654 ـ 76.

20 ـ Glass, S. P., and Wright, T. L. (1985). «Sex Differences in the Type of Extramarital Involvement and Marital Dissatisfaction،» Sex Roles 12:1101 ـ 19؛ Glass, D. P., and Wright, T. L. (1992). «Justifications for Extramarital Relationships: The Association Between Attitudes, Behaviors, and Gender،» Journal of Sex Research 29:361 ـ 87؛ Thompson, A. P. (1983). «Extramarital Sex: A Review of the Literature،» Journal of Sex Research 19:1 ـ 22.

21 ـ Buss, D. M. (2000). Dangerous Passion.



الفصل السادس

إحساسٌ بالواجب
عندما يثور الشعور بالذنب أو المسؤلية

«أنا سعيدة الان لأنَّ تشارلس لم يعد يطلبني للفراش بكثرة كما في السابق. حيث إنه لا يطلبه مني هذه الايام أكثر من مرتين اسبوعيا، وعندما اسمع وقع خطاه قادما إلى الغرفة، استلقي على السرير، اغمض عيني، اباعد مابين ساقي وافكر بانكلترا».

السيدة اليس هيلينغدون (1857 ـ 1940)

في خمسينيات القرن العشرين، كتب الكوميديَّان جيمس ثوربر وأي. بي. وايت: « بينما تُعَدَّ الرغبة بالاكل مسالة شخصية تخص المرء لوحده، فإن الرغبة الجنسية،لتحقيقها بشكل كامل، تتطلب فردا اخر. وهذا «الفرد الاخر» هو منبع المتاعب»[1]. قد لا نوافِق على اراءهما في تناول الطعام (كم مرة يقوم افراد من اسرتك باعداد طعامهم كل واحد بنفسه؟)، لكنهما مصيبان فعلا فيما يتعلق بالجنس. فعندما يختلف الشريكان في احتياجاتهما الجنسية، فهناك امكانية كبيرة لنشوب صراع.

يمكن بالتاكيد حل هذه النزاعات الجنسية ـ او تجنبها مؤقتا على الأقل.



اذ غالبا ما يحاول الطرف الذي يريد ممارسة الجنس اقناع الطرف الآخر او الضغط عليه ليوافق. في الواقع، فإن الموافقة على ممارسة الجنس تجنباً لتذمر الشريك، كان من الأسباب الشائعة التي افادت بها النساء في دراستنا لممارستهن الجنس:

«يتذمر زوجي قائلا إننا لا نمارس الجنس بشكل كافي، لذا اخضع للامر الواقع وأمارس الجنس معه. هكذا هي الحياة الزوجية».

امرأة غيرية الجنس، العمر 53

إن إحدى الفوائد المتاتية من الموافقة على ممارسة الجنس، هو ان الجنس يعد الطريقة الاسرع والاسهل لحل النزاع:

«أحيانا يكون من الاسهل ان استسلم له، من أنْ اضطر لسماع شكواه وتذمره من سعاره الجنسي».

امرأة غيرية الجنس، العمر29

«مارستُ الجنس ذات مرة مع حبيب سابق لي لكي اسكته. كنا نتهيأ للنوم بعد حفلة في منزل احد الأصدقاء ـ اعتقد ان كلانا كان مخمورا قليلا وقتها. بدأ هو بالمبادرة ولكني ابعدته قائلة انه يتوجب علي الاستيقاظ مبكرا للذهاب للعمل غدا، بالاضافة إلى أن اصدقائنا كانوا نائمين في نفس الغرفة. لكنه واصل ازعاجي قائلا ان الوقت ليس مبكرا، وانه مازال لدي وقت طويل للنوم، وان اصدقائنا نائمون ولن يشعروا بشيء. واستسلمت له اخيرا لانني تيقنت انه لن يكف عن ازعاجي، وانني ما ان اوافق فسيستغرق الامر 10 دقائق ومن ثم اخلد إلى النوم».

امرأة طبيعية الميل+، العمر 19



اما السيناريو الثاني لما يحدث عند الاختلاف في الاحتياجات الجنسية، فهو ان يقوم الطرف الممانع برفض طلب الشخص الآخربنجاح. قد يفعلون هذا عبر التظاهر بعدم فهم اشارات الطرف الاخر، او بالاحتجاج بان الوقت غير مناسب، او بان يقولوا ببساطة «لا» او «لاحقا». ويعتمد نجاح هذه المناورة بالتاكيد على مدى اصرار الطرف الاخر، ومدى تصميم وعزم الشخص الرافض.وقد تجد بعض النساء الرفض الصريح لطلب ممارسة الجنس شيئا يصعب عليهن القيام به:

«كانت اول مرة أمارس فيها الجنس. وقد شعرت باني مضطرة لممارسته لأنه بدا لي أن الوقت قد حان لبدء ممارسة الجنس في علاقتنا. لم اكن شخصيا راغبة بذلك، فقط لم اكن أعرف كيف يمكنني ان اقول «لا» دون أن اهدم العلاقة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 24

«كان حبيبي الأول، وكان رجلا أكبر مني سنا. كنا نتواعد منذ مدة، وكان يتوقع مني ان اوافق اخيرا على ممارسة الجنس، كنت أعرف أنه يُفترَض بي ان افعل، لكنني لم اكن راغبة بذلك لسبب ما. لم اكن أعرف ذلك السبب بالضبط، ولم استطع ان اواجهه بعذر مناسب، لذا لم استطع ان اقول لا. كنت اخاف أيضا من ان اظهر امامه بمظهر البلهاء، وقد استغرقت ثمان سنوات من العلاقة (وممارسة الجنس!) معه لكي افهم اخيرا السبب الذي جعلني غير مرتاحة لممارسة الجنس معه في البداية».

امرأة غيرية الجنس، العمر 31

اما السيناريو الممكن الثالث،والذي هو موضوع هذا الفصل، فهو قيام



الشخص غير الراغب بممارسة الجنس، بالموافقة عن طيب خاطر على ممارسته احتراما لرغبة الشريك.

ما هي الدوافع لموافقة النساء على ممارسة الجنس في وقت لا يكن فيه راغبات؟ وما النتائج المترتبة على ذلك؟ سنناقش هذه الاسئلة في هذا الفصل، وسنتناول بالتفصيل أيضا ما الذي يسبب عدم توافق الغرائز الجنسية ـ الامر الذي يضطر الكثير من النساء للموافقة على ممارسة الجنس دون رغبة.

الغرائز الجنسية غير المتوافقة

يحدث عدم التوافق في الرغبة الجنسية أحيانا بسبب خشية الشخص من الحَمل، او ان النشاط الجنسي الذي يقترحه الشريك لا يروق له، او لاعتقاد طرف بان عمر العلاقة لازال مبكرا للبدء بممارسة الجنس. في العلاقات غيرية الجنس، فإن الشائع ان الرجال هم من يطلبون ممارسة الجنس في وقت ابكر من النساء. فقد توصلت دراسة ان النساء الجامعيات يفضلن المواعدة لضعف الوقت الذي يفضله الرجال قبل أن تتضمن العلاقة ممارسة الجماع[2].

في العلاقات طويلة الأمد،غالباً ما لا يتوافق الشريكان حول توقيت ممارسة الجنس في حال كان مستوى الرغبة الجنسية متفاوتا بينهما. ومن النادر ان يكون الشريكان متوافقان على الدوام في رغبتهما في ممارسة الجنس. كما أوضحت إحدى النساء:

«أنا متزوجة، والزواج يعني شخصين لهما احتياجات جنسية وايقاعات للرغبة الجنسية تختلف فيما بينهما. يحدث كثيرا ان يكون احدنا راغباً



بممارسة الجنس بينما الآخرغير راغب، وبالنسبة لي فعادة ما أمارس الجنس إذا كان يرغب بذلك، حتى لو لم أكن شخصيا راغبة».

امرأة غيرية الجنس، العمر27

وبالنسبة لبعض النساء فإن انعدام الرغبة بممارسة الجنس هو القاعدة وليس الاستثناء:

«كانت غريزتي الجنسية ـ ولازالت ـ ضعيفة جدا، لذا فإني اتحامل على نفسي أحيانا لممارسة الجنس مع اني لست في مزاج ملائم لذلك ابدا».

امرأة مثلية الجنس غالبا، العمر27

قد يتفق معظم الاخصائيين على أنه من الحكمة ان يختار المرء قرينا يماثله في الاحتياجات الجنسية. فاذا كان كلا الشريكين لا تعتريهما الرغبة بممارسة الجنس الا مرة واحدة كل عدة اشهر، فسيكونان متوافقين على صعيد الغريزة الجنسية، وبالتالي لن تشكل الاخيرة عاملا يهدد العلاقة. في الواقع،فإن الاخصائيين لا يشخصون الحالة على أنها اضطراب قصور الرغبة الجنسية ـ المصطلح السريري لانخفاض الرغبة ـ إلا إذا كان يسبب للشخص مشاكلاً. أما لو كان أحد الشريكين له رغبة جنسية اعلى من الشريك الآخرعلى الدوام، فإن الخلافات ستأخذ مكانا لها في علاقتهما على الأرجح.

قد ينخدع الازواج أحيانا في مرحلة الاعجاب الأولي من العلاقة، فيظنون أن احتياجاتهم الجنسية متوافقة. وهذه هي الفترة المبكرة التي يدرك فيها الطرفان انهما منجذبان إلى بعضهما، حتى انهما لا يكادان



ياكلان او يناماِن، او يفكران باي شيء عدا بعضهما.حيث يكون حماسهما لممارسة الجنس شديدا، ويشعران بمتعة فائقة باستكشاف جنسانيتهما. وينتج عن ذلك شهوة جنسية عارمة قد تخفي المستويات «الحقيقية» للرغبة الجنسية لكل منهما. وبعد اسابيع او اشهر قليلة، يدخل البعض منهم في مرحلة أَهدأ قليلا من التعلق، والتي تتضمن احساسا اعمق بالترابط والالتزام. ففي النهاية ليس الحب والعشق المتناهي لوحده كافياً لحل مشاكل الحياة العادية، ناهيك عن مشكلة البقاء.وبعد انتهاء المرحلة الأولى التي كانا فيها متوافقين كثيرا ومتعطشين للجنس للغاية، يصدمهما ادراك حقيقة ان لديهما احتياجات جنسية جِدُّ مختلفة على مستوى العلاقة طويلة الأمد. وحينها يكون الاوان قد فات غالبا حيث قد انهما اصبحا مرتبطين. ومع الارتباط ياتي انعدام التوافق في الرغبات الجنسية:

«لم اضاجع الا شخصا واحدا (حبيبي الحالي والذي أعرفه منذ عدة سنوات). بعد مدة خمدت النار، لذا فإني أحيانا لا أكون (في المزاج الملائم)عندما يكون هو فيه.اشعر أحيانا بان من واجبي ان اجعله سعيداً قدر امكانيتي، لذا فإني قد أمارس معه الجنس دون رغبة مني».

امرأة غيرية الجنس،العمر20

يكون بعض الاشخاص،بمعنى ما، مدمنين على مرحلة الاعجاب الأولي او الهوى. اذ تكون لديهم توقعات غير حقيقية بان الشعور بالجِدَّة والحماس سيستمر إلى الابد. وحالما يخمد حماسهم، تخمد رغبتهم الجنسية. وهنا يبدأ عدم التوافق في الرغبات الجنسية.



الرجال في مقابل النساء

من الاعتقادات الشائعة شعبيا انه في العلاقات غيرية الجنس، دائما ما تصبح المرأة في النهاية أقل رغبة من الرجل بممارسة الجنس.هذا ليس صحيحا. ليست المرأة دائما هي من ترغب بتقليل ممارسة الجنس. هناك الكثير من الازواج يذهبون للعلاج لأن المرأة تشعر بأن حاجاتها الجنسية غير مُشبَعة أو لأنها ترغب بممارسة الجنس ـ لكن ليس مع شريكها الحالي. وما يحدث في الحقيقة هو ان الرجال عموما يفصحون عن رغبة أكثر بممارسة الجنس من النساء، بينما تفصح النساء أكثر من الرجال عن خمود رغبتهن الجنسية.

تظهر الدراسات باستمرار ان الرجال يفصحون عن مستويات اعلى من الغريزة الجنسية مقارنة بالنساء. وينطبق هذا على طلبة الجامعات[3]،الاشخاص في منتصف العمر[4]، وحتى الاشخاص بعمر الثمانين والتسعين عاما[5]. كذلك يغلب كثيرا على الرجال أكثر من النساء، ان يقولوا ان حاجتهم لممارسة الجنس تفوق ما يحصلون عليه منه بالفعل، وينطبق هذا على السواء في الازواج المتزوجينmarried couples[6]، والازواج في المرحلة المبكرة من المواعدة dating couples [7]. ففي دراسة شملت 1410 رجلا امريكيا و1749 امرأة امريكية، افادت 32% من النساء بين عمر 18 ـ 29 عاماً عن ان العام الماضي قد شهد انخفاضا في رغبتهن الجنسية، في مقابل 14% فقط من الرجال من نفس الفئة العمرية افادوا بذلك[8]. ورغم أن هذه الاحصائيات اعلى من اعداد حالات اضطراب قصور الرغبة الجنسية المشخصة سريريا في صفوف النساء في الولايات المتحدة، فإنها تتماشى تماما مع حقيقة أن اختلال



الرغبة الجنسية هي أكثر ما تشتكي منه النساء من بين المشاكل الجنسية.

هناك عدة اجوبة مطروحة لتفسير لماذا يفصح الرجال عن غرائز جنسية اقوى من النساء. أكثرها شيوعا هو ان هذا يعود إلى المستويات العالية للاندروجينات وهرمونات أخرى. لكن هناك تفسيرات ممكنة أخرى أيضا. اذ تختلف كثيرا التنشئة الاجتماعية للرجال عن تلك الخاصة بالنساء فيما يتعلق بالجنس. حيث تملي التقاليد ان الرجل هو الذي يبادر بالجنس، وليس المرأة. لذا فقد تكون هناك اوضاع تكون فيها النساء راغبات بالجنس ولكنهن يمتنعن عن السعي له او طلبه. كذلك فإن الرجال يتصرفون على أنهم على استعداد لممارسة الجنس ورغبة به دائما. وقد يكون هذا هو مايدفع الرجال للتصرف دائما بناء على هذه التوقعات. وبعبارة أخرى، يلهث بعض الرجال وراء الجنس بشِدَّة لانهم يعتقدون أن هذا هو ما يفترض بالرجل الناجح ان يفعله.

بينما يكون من المقبول للرجال عموما، ان لم يكن من المُحَبَّذ، ان ينخرطوا في استكشاف الجنس حالما يدخلون مرحلة البلوغ، فإنه يجري تحذير النساء من مَغَبَّة الخضوع للفضول الجنسي. ينسجم هذا كثيرا مع تفسير تطوري للسبب الذي يجعل الرجال يرغبون بممارسة الجنس أكثر[9]. ان واحدة من الخصائص الرئيسية لاستراتيجية النساء الجنسية المطوَّرة، هي عملية الانتقاء الجنسي، اي اختيار نوعية الشريك الجنسي واختيار توقيت ممارسة الجنس.

وفقا لعالم الانثروبولوجيا التطورية دونالد سيمونز Donald Symons، لو كانت الرغبة الجنسية للمراة جامحةً فستتداخل مع عملية اختيار القرين عندها، مؤدية بها إلى ممارسة الجنس دون اختيار التوقيت المناسب، ومع



قرين غير ملائم، او قد تؤدي بها إلى الخيانة الجنسية التي قد تهدد علاقتها الاساسية. اما على الجهة الأخرى فقد دعم الانتخاب التطوري الرغبة الجنسية القوية عند الرجال. حيث إنها تدفع بهم إلى علاقات جنسية تعود عليهم بالنفع، لأن النجاح التكاثري للرجل تاريخيا،ارتبط بشدة مع عدد النساء الخصبات اللواتي استطاع تلقيحهن.

كذلك فإن الاختلافات التشريحية بين العضو التناسلي للرجل وذلك الخاص بالمرأة قد تكون من العوامل المسببة للاختلافات في الرغبة. فعندما يثار الرجال، فإن الانتصاب يشكل لهم علامة جلية جدا تسبب رغبة جامحة في ممارسة الجنس. وقد يحدث هذا حتى لو لم يكونوا في البداية راغبين في الجنس. فغالبا ما تحدث انتصابات ليلية في المرحلة المبكرة من النوم المسماة بمرحلة حركة العين السريعة، والتي تهبط فيها تدريجيا الموجات الدماغية وتبدأ الاحلام. كذلك يحصل الانتصاب عند الرجال عندما يحتك القضيب عفويا بالملابس او خلال الاستحمام ـ دون تفكير واع منهم بالجنس. على أن رد فعلهم عند ادراكهم لحدوث الانتصاب، قد يقلب الحدث غير الجنسي بسهولة، إلى جنسي. فيما لا تستلم النساء على الجهة الأخرى، من اجهزتهن التناسلية الا اشارات قليلة جدا عند حدوث الاثارة الجنسية لديهن. لذا فإن علامات اثارة العضو التناسلي لا تحفز الرغبة بالجنس عند النساء بنفس القدر او الطريقة عند الرجال.

بالنسبة للرجال، فإن الافكار والخيالات والصور الجنسية قد تُحدث لديهم انتصابا يجعلهم راغبين بممارسة الجنس. ويمكن للخيالات الجنسية أن تجعل المرأة ترغب بممارسة الجنس أيضا. توصلت الكثير من الدراسات ان النساء يفصحن عن عدد أقل من الخيالات الجنسية،



على أن التقديرات تختلف من دراسة إلى أخرى[10]. تتراوح التقديرات في الرجال بين 1 ـ 5 خيالات جنسية في اليوم الواحد.بينما تتراوح التقديرات في النساء بين 3 خيالات في اليوم إلى أقل من خيال واحد في الشهر. ومن الجدير بالذكر، انه عندما تتم معالجة الرجال ذوي الرغبة الجنسية الحادة جداً، بالعقاقير الخافضة لافراز هرمون الشحمون الخصوي، فإنهم يفيدون بنقصان عدد الافكار والخيالات الجنسية[11]. لذا فقد يكون الافراز الكثير للشحمون الخصوي هو ما يجعل الخيالات والافكار الجنسية أكثر في الرجال منها في النساء. ان الخيالات والافكار التي تُحدث رغبة بممارسة الجنس، أقل شيوعا عند النساء منها عند الرجال.

العوامل المفسدة للرغبة

بينما يبدأ بعض الازواج علاقتهم بمستويات رغبة جنسية تختلف بين الطرفين، قد يكون البعض الآخر متوافقين بمستويات الرغبة في بداية العلاقة، ويستمر ذلك إلى أن يطرأ حادث يحد من الرغبة الجنسية لاحد الشريكين. كما تصف إحدى النساء في دراستنا هذه الحالة بشكل واقعي:

«بعد انقضاء ثلاث سنوات من العلاقة مع حبيبي السابق، خفتت حياتنا الجنسية بسبب هبوط الرغبة لدي. كان تذمره من هذا الوضع كبيرا أحيانا ومخربا للنواحي الأخرى من علاقتنا حيث إنني كنت اتظاهر بالاقبال على ممارسة الجنس معه، فقط لكي اجعله سعيدا، وقد كنت مدفوعة لذلك جزئيا باحساسي باني مقصرة في اداء واجبي الجنسي في العلاقة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

قد تؤدي الكثير من العوامل إلى خفض الرغبة الجنسية عند المرأة.



وتكون بعضها عوامل قصيرة الأمد وظرفية كالشعور بالاجهاد الشديد بعد يوم عمل او الاعتناء بالاطفال، او انعدام الخصوصية اللازمة لممارسة الجنس في جو مريح. بينما يكون بعضها الآخراطول تأثيرا وقد تؤدي إلى ازمة في العلاقة. ويشتمل هذا النوع من العوامل على المسببات الحيوية كالتقلبات الهرمونية، الحمل، العلاجات الطبية، الحالة الصحية، ومسببات تخص العلاقة نفسها، كانطفاء الانجذاب تجاه الشريك، الملل الجنسي او الاحباط، والنزاع مع الشريك. لنلقي نظرة اولا على المسببات الحيوية.

هناك ثلاث اصناف رئيسية من «هرمونات الجنس:» البروجسترون، الاستروجين (والذي يفرز بثلاث انواع ـ الاستريول، الاستراديول، والايسترون)، والاندروجينات (والتي من اهمها الشحمون الخصوي). يعرف البروجيسترون بدوره الاساسي في الحمل. فهو مسؤل عن «بناء العش» عبر تحضيره لبطانة الرحم لغرس البيضة المخصبة.ولم تظهر الدراسات دوراً يذكر للبروجسترون في الغريزة الجنسية للنساء،على أن المستويات العالية منه تسبب اعراض متلازمة ماقبل الحيضPMS او premenstrual syndrome، إحدى الأسباب الشائعة لخمود الرغبة الجنسية.

يلعب كل من الشحمون الخصوي والاستروجين دورا حاسما في الرغبة الجنسية عند النساء.فبالاضافة إلى دوره في حماية العظام والقلب(و دوره المحتمل أيضا في التَذَكُّر)، فإن الاستروجين مسؤول أيضا عن ترطيب المهبل عند شعور المرأة بالاثارة الجنسية.كذلك فإنه يساعد على «نفخ» انسجة العضو التناسلي والحفاظ عليها. وبغياب



الاستروجين،ستكون ممارسة الجماع المهبلي وتحفيز المناطق الحساسة جنسيا كحلمة الثدي والبظر عمليات مؤلمة.

في الواقع، قد يلعب الشحمون الخصوي، والذي يعتبر عموما «هرمونا ذكريا»، الدور الهرموني الاهم في الغريزة الجنسية للنساء. يفرز الشحمون الخصوي كرفيقيه الاستروجين والبروجسترون من المبايض بشكل رئيسي، كما يفرز أيضا بمقادير أقل من قبل الغدد الكظرية. وطبقا للمختبرات الطبية، فإن المدى الطبيعي لمقدار الشحمون الخصوي الحُر في النساء بين عمر 18 ـ 46 يتراوح بين 1، 3 ألى 6، 8 بيكوغرام/ مللتر (بيكوغرام=جزء من الترليون من الغرام)، وهو مقدار ضئيل جدا، وفي المقابل تنتج الخصيتين عند الذكور في مرحلة البلوغ حوالي 300 إلى 1000 بيكوغرام/ مللتر من هذا الهرمون يوميا. يبدأ افراز الشحمون الخصوي بالانخفاض تدريجيا بعد بلوغ المرأة سن العشرين، لكن الهبوط الأكبر في افرازه يحدث في المرحلة التي تبلغ فيها المرأة سن اليأس، بين اواسط الاربعينات إلى الخمسينات من عمرها، حيث يقل افراز الهرمونات من المبايض بشكل حاد. ومن المعتقد عموما ان افراز الشحمون الخصوي يقل بمقدار 50% من عمر 20 إلى عمر 50 في النساء. اما اذا خضعت المرأة لعملية استئصال كلا المبيضين، فسينخفض افراز هذا الهرمون لديها بشكل كبير، بغض النظر عن عمرها. وكما أوضحت إحدى النساء في الدراستنا، فإن هذا قد يكون له تأثير سلبي على الرغبة الجنسية:

«لا اذكر مرة واحدة مارست فيها الجنس عن رغبةٍ خلال الـ32 عاما الماضية. بالنسبة لي، فإن استئصالي لِمبيَضَيَّ هو ما اخمد رغبتي الجنسية.



حتى انه كانت هناك مرات لم اشعر فيها بالرغبة في ممارسة الجنس، لكنني فعلت ذلك لأجل زوجي فقط. كان انعدام الرغبة محبطا لي، وكانت ممارسة الجنس تسبب لي الاكتئاب لاني لم اكن احقق اشباعا. على أنني كنت اشعر بالذنب اذا لم اقم بممارسة الجنس مع زوجي، وكنت اريد ارضائه، هكذا هي حياتي».

امرأة غيرية الجنس، العمر 52

ما من شك ان مقداراً معيناً من الشحمون الخصوي ضروري لكي تشعر المرأة بالاثارة الجنسية. وانَّ نقص هذا الهرمون يقلل من عدد مرات ممارسة المرأة للاستمناء، وعدد تخيلاتها الجنسية، ورغبتها في مزاولة النشاط الجنسي. كذلك فإن النساء اللواتي يعانين نقصا في هذا الهرمون يعانين من قلة حساسية حلمات الثدي والبظر، وبالتالي لا يمكن اثارتهن جنسيا حتى عندما يتم تحفيزهن من قبل شخص او باستخدام شيء يستعمل للاثارة[12].

ما هو المقدار الكافي من الشحمون الخصوي؟ لا أحد يعرف لسوء الحظ. ان الرابط بين مستويات هذا الهرمون وبين الغريزة الجنسية للنساء ليس مباشرا. ورغم أن المختبرات تحدد مَدىً لمستوى الشحمون «الطبيعي»، فإن النساء يختلفن كثيرا في المقدار اللازم لهن منه للشعور بالاثارة. فمثلا، قد يكون لامرأتين بعمر الخامسة والثلاثين نفس المستوى تماما من هذا الهرمون، ولكن بينما تتمتع إحداهما بغريزة جنسية صحية، تشتكي الأخرى من ضعف في الغريزة. وقد يكون هذا مرتبطا بما كانت عليه مستويات الشحمون في سنين المراهقة المتاخرة للمرأتين مقارنة بمستوياته الحالية. ومما يعقد المسالة أكثر،ان هناك نساء كثيرات يشتكين



من ضعف الرغبة الجنسية بينما مستويات الشحمون في اجسامهن طبيعية تماما، كما أن هناك الكثير من النساء لهن مستوى منخفض من الشحمون ومع ذلك فلديهن غريزة جنسية قوية!

تقترح الباحثة الجنسية والاخصائية ساندرا ليبلوم Sandra Leiblum والتي الَّفت عدة كتب تتعلق بجنسانية النساء، تقترح انه اذا اصيبت امرأة بضعف الرغبة الجنسية بعد كانت رغبتها في السابق طبيعية، فيـــجب ان يفحـــص مستوى الشحمـــون الخصـــوي والدايهيدرو ايبي اندروستيـــرون (DHEA dihydroepiandrosterone) في الدم من قبل اخصائي النسائية او اخصائي الغدد الصُم[13]. فاذا كانت مستوياتها ضمن الربع الأقل من المدى «الطبيعي» لفئتها العمرية، فإنَّه يجدر بها استخدام العلاج بالشحمون الخصوي الطبي.

يمكن اخذ الشحمون الخصوي بعدة اشكال ـ كبسولات،حبوب، والشكل الأكثر شيوعا وهو الكريمات التي يتم تطبيقها على البظر والشفاه الداخلية للمهبل. تبين بعض البحوث الموثوقة ان تناول الشحمون يساعد على اصلاح الغريزة الجنسية عند النساء اللواتي يعانين من مستويات أقل من الطبيعي من الهرمون المذكور، وقد تبين انه فعال بالخصوص في النساء اللواتي بلغن سن اليأس. يُصرف الشحمون حتى بدون وصفة طبية على شكل مادة DHEAوالتي تتحول إلى الشحمون الخصوي في الجسم. ان الجرعة القياسية الموصى بها من DHEA هي بحدود 50 ـ 150 ملغرام يوميا في الصباح.وعادة ما يستغرق الامر عدة اشهر من الاستخدام المنتظم قبل ان تشعر المرأة بالتحسن. بيد انه يجب على النساء اللواتي يستخدمن DHEA لرفع مستوى الشحمون في اجسامهن ان يعلمن ان



صناعته مثل العديد من الادوية العشبية، لا تخضع لرقابة ادارة الغذاء والدواء الامريكية. وبالتالي فرغم أن النشرة المرفقة بقنينة الـDHEA قد تشير إلى احتوائها على مقدار معين منه، فإن المقدار الحقيقي منه الموجود في الكبسولات او الحبوب قد يختلف كثيرا عن المكتوب بالنسبة لبعض العلامات التجارية.

ومن الجدير بالانتباه، انه اذا كانت المرأة تعاني من انخفاض الرغبة الجنسية مع كون مستويات الشحمون في جسمها طبيعية، فإن زيادة مستواه في جسمها لن يساعد في زيادة رغبتها الجنسية. حتى انَّ هذا قد يكون له تأثيرات عكسية. اذ قد تسبب المقادير الكبيرة من الشحمون الخصوي اضرارا للكبد ويمكن أن تسبب أيضا نمو الشعر في الوجه، بثور، تساقط الشعر، وحتى جعل الصوت رجوليا. ولا تعتبر هذه التغيرات جذابة جنسيا، لذا ينبغي توخي الحذر.

اضطراب الرغبة عند الحمل

يمكن للرغبة الجنسية للنساء ان تتاثر كثيرا خلال وبعد الحمل. ترتبط بعض الأسباب بعواطف التَوَقُّع. بما فيها مدى تحمس الزوجين للحمل، مدى قوة الغثيان الصباحي للمرأة ومشاكل النوم، مدى رضا المرأة عن شكل جسمها الذي ينتفخ باستمرار، وأيضا ما اذا كان الزوجان قلقان بشان خطر فقء عين الجنين بواسطة القضيب (وهو ما يستحيل حدوثه بالمناسبة).

كذلك تحدث عدة تغيرات هرمونية مصاحبة للحمل. فلا تتذبذب مستويات الاستروجين والبروجسترون كما كانا قبل الحمل. اذ يكون



مستوى كل منهما مرتفعاً لتحضير جسم المرأة لافراز الحليب وللحفاظ على سماكة بطانة الرحم لمنع الاجهاض. ان المستويات العالية من الاستروجين قد تجعل المرأة تشعر بالاثارة الجنسية والرغبة، لكن ارتفاع البروجسترون يجعلها متعبة وبمزاج غير ملائم لممارسة الجنس[14].

وغالبا ما تقل الرغبة الجنسية بعد الولادة،على الأقل لفترة وجيزة:

«لقد وضعتُ ابننا منذ عدة شهور، وحتى الان لم تراودني الرغبة الجنسية. ولم نكن قد مارسنا الجنس منذ حملي وعليه فقد شعرت بالذنب. لذا فإني اتظاهر بالرغبة وأمارس الجنس».

امرأة غيرية الجنس، العمر35

ليس هذا مفاجئا اذا اخذنا في الاعتبار الاضطراب في نمط الحياة وفي افراز الهرمونات، والذي يحدث في هذه الاشهر الأولى. تعاني اغلبية النساء من الالم المهبلي بعد الولادة الطبيعية او الالم والحساسية اذا كانت الولادة قيصرية. وتكون معظمهن مُجهَدات من قلة النوم بسبب محاولة التأقلم مع المولود الجديد والقيام بارضاعه. وهذا مرة أخرى يغير من افراز الهرمونات بشكل كبير مما يؤثر على المزاج، النوم، والغريزة الجنسية. يزداد افراز الاوكسي توسين عند ارضاع الوليد، لكن عمله يكون في هذه الحالة انشاء رابطة الام ـ الطفل وليس انشاء رابطة شراكة جنسية. وفي نفس الوقت يقل افراز الاستروجين. ولأنَّ الاستروجين يعمل مع مواد كيميائية دماغية أخرى على المحافظة على الاحساس بالسعادة، فإن الانخفاض في افرازه يمكن أن يعكر المزاج وقد يسبب اكتئاب ما بعد الولادة.

كذلك فإن الاوكسي توسين الذي يفرز خلال الارضاع قد يكبح افراز



الشحمون الخصوي، مما قد يؤثر سلبا على الغريزة الجنسية للمرأة. من المنظور التطوري فإن انخفاض الرغبة الجنسية في الفترة التي تَلي الولادة، والتغيرات الهرمونية في أثناء الرضاعة والتي تجعل امكانية حدوث الحمل ضئيلة، كل هذه التغيرات لها وظيفة مهمة هي المباعدة بين الولادات. فالامهات السالفات اللواتي لم يكنَّ يباعدن بشكل كاف بين الولادات، غالبا ما وجدن مواردهن المحدودة مشتتة وغير كافية لجميع الاطفال. لذا فإن الانخفاض الموقت في الرغبة الجنسية ساعد على المباعدة الصحية الكافية بين الولادات وبالتالي اعطى للاطفال فرصة أكبر بالبقاء والنمو. في الواقع، يكون الفاصل المحبذ بين ولادة وأخرى في بعض الثقافات التقليدية، حوالي ثلاث سنوات ونصف[15].

يعتمد الوقت اللازم لعودة الغريزة الجنسية للمرأة إلى طبيعتها بعد الولادة على عوامل كثيرة، من اهمها المدة التي تستغرقها قبل ان تستعيد جدول النوم الطبيعي الكافي لها، وسيطرتها على مجريات حياتها:

«بعد انقضاء مدة على العلاقة، وهي ست سنوات في حالتي، مرت علي اوقات لم اشعر فيها بالرغبة في الجنس. لدي طفل عمره سنتان وطفلة بعمر سنة،اُصِبتُ بعد ان انجبت طفلتي بتعب شديد من جرَّاء قيامي ليلاً ونهاراً على اطعامها والاعتناء بها وبشقيقها، كنت اشعر بالرغبة بالنوم فقط، وليس ممارسة الجنس. ولكن خمود رغبتي الجنسية انذاك لا يعني ان خطيبي قد كف عني. كان مشتعل الرغبة بالطبع، كان يقَبِّل رقبتي ويتحسس جسمي بلطف، ويداعبني ويفعل كل ما يعرف أني أحبه، وقد كنت متعبة جداً لكي اتجاوب معه بالطريقة التي يريدها، لكنني لم اكن اريد ان اجرح مشاعره وقد شعرت ان من واجبي منحه الجنس عندما



يريده، وهذا ما فعلته».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

هناك مجموعة صغيرة من الامهات لاتعود غرائزهن الجنسية بعد الولادة ابدا إلى ما كانت عليه قبلها، غالبا لان الزوجين يهتمان أكثر بالدور الوالِدي على حساب علاقتهما الرومانسية. تنهمك بعض الامهات كثيرا في الامومة بحيث إنها تصبح هويتهن الاساسية او الوحيدة. ويحل الاهتمامُ باعداد وجبات مغذية للاطفال في المدرسة، محلَّ الهمسات الجنسية في الفراش وارتداء الملابس المثيرة جنسيا. وما لم يقم الشريك باستمرار بتذكير المرأة التي من هذا النوع، فإن سنوات قد تنقضي قبل ان تنتبه إلى أنها لم تعد تمارس حياتها الجنسية. وعندما تنتبه اخيرا، ستكون حياتهما قد اصبحت عمليةً إلى درجةِ ان كل واحد من الشريكين يكون قد نسي كيف يشعر بالرغبة الجنسية تجاه الاخر. وفي حالات نادرة قد يكون السبب عضويا. يعتقد بعض الباحثين ان الحمل يمكن أحيانا ان يخمد بشكل دائم افراز الشحمون الخصوي عند المرأة، فتتاثربالتالي رغبتها الجنسية بشكل دائم أيضا.

العقاقير الطبية المثبطة للرغبة

ليس الحمل هو الحالة الصحية الوحيدة التي تؤثر على الغريزة الجنسية. فهناك حالات أخرى كالسرطانات الحوضية، الجراحات، الرضوض، والعدوى التي تصيب المهبل والمجاري البولية قد تسبب للمرأة الماً عند ممارسة الجنس مما يضعف رغبتها به. ومن الوارد لاي حالة مرضية ينتج عنها ضعف او آلامٌ او نقص في الطاقة او تشويه للمظهر



ان يكون لها تأثير سلبي على الرغبة الجنسية.

هناك أيضا الكثير من العقاقير الطبية التي تضعف الرغبة، والتي قد تؤثر على الهرمونات وكيميائيات الدماغ التي تلعب دورا مباشرا في الغريزة الجنسية، او بشكل غير مباشر من خلال اضعاف قابلية المرأة للشعور بالاثارة الجنسية والوصول إلى النشوة ـ وكلا الحالتين تجعلان ممارسة الجنس أقل مكافأةً للمرأة. فمثلا،قد تقلل عقاقير منع الحمل الرغبة الجنسية اذا كانت تخفض من انتاج الشحمون الخصوي بشكل كبير.ان موانع الحمل الفموية التي تكون موادها الفعالة هي ديسوغستريل desogestrel او نورجيستميت norgestimate تكون ذات تأثير أكثر ضررا بهذا الخصوص(16).

كذلك فإن مضادات الاكتئاب التي تستخدم لعلاج الاكتئاب وحالات معينة من اضطرابات القلق، معروفة منذ زمن طويل بتأثيرها السلبي على الوظائف الجنسية. يقدَّر ان حوال96% من النساء اللواتي يتناولن مثبطات استرداد السيروتونين الانتقائية SSRI ـ وهو نوع من العقاقير الشائعة الاستخدام كمضادات للاكتئاب ـ يعانين من مشاكل في الرغبة، الاستثارة، النشوة، او جميع الثلاثة(17). حتى ان نصف النساء اللواتي يختبرن هذه المضاعفات الجانبية الجنسية للعقاقير يجدن ان المشكلة كبيرة لدرجة تستدعي الاستعانة بالطبيب(18). تصف احدى النساء في دراستنا معاناتها مع الاثار الجانبية للعقاقير:

«يتمتع شريكي بغريزة جنسية اقوى من غريزيتي، لذا فإنني اشعرأحيانا باني أمارس الجنس لتلبية حاجاته. لا يشعرني هو بالالزام، لكنني اشعر به لانني أعرف إنَّ هذا جزء طبيعي من العلاقات الصحية. ولانني اعاني من



بعض القلق واتناول مضادات الاكتئاب فإن غريزتي الجنسية ضعيفة جدا. بامكاني الامتناع عن الجنس لشهور، لكن هذا سيكون ظلما له».

امرأة غيرية الجنس، العمر 38

تؤدي مضادات الاكتئاب عملها اساسا عبر زيادة السيروتونين في الدماغ، والذي يكون ضئيلا في الكثير من الافراد المصابين بالاكتئاب. تبين الدراسات على الحيوانات، ان مستقبِلات معينة في الدماغ، والتي «تقرأ» السيروتونين، مسؤولة كذلك عن السلوك الجنسي. فاذا ما عُرِّضتَ هذه المستقبلات لكميات كبيرة من السيروتونين فإنها تقوم بتثبيط الوظيفة الجنسية. شهد العقد الماضي احراز تقدم كبير في تطوير مضادات للاكتئاب لا تقوم بتنشيط المستقبلات الدماغية التي تؤثر على السلوك الجنسي. وبالنتيجة فإن الكثير من مضادات الاكتئاب من الجيل الحديث كالسيرزون (نيفازودون nefazodone) Serzone والولبوترين (بوبروبيون bupropion) Wellbutrin) والسيلكسا (سيتالوبرام Celexa citalopram) والروميرون (ميرتازابين mirtazapine) Remeron) تسبب اضرارا جنسية جانبية أقل من العقاقير التي طُوِّرت قبل عقد او أكثر كالبروزاك والباكسيلpaxil. يمكن لمضادات القلق كالفاليوم والزاناكس Xanax والانتيفانAtivan والبوسبار BuSpar وعلاجات الذهان كالهالدول Haldol والثورازين Thorazin والميلاريل Mellaril، يمكن لها ان تؤثر بالسلب ايضاًعلى الغريزة الجنسية للنساء بالتداخل مع كيماويات الدماغ التي تلعب دورا في الوظائف الجنسية[19].

واخيرا فقد ثبت انَّ بعض مضادات ارتفاع ضغط الدم، كالريسيربين والكلونيدين reserpine and clonidine تسبب ضعف تدفق الدم إلى العضو



التناسلي للمرأة. وبهذا فإنها تحد من قابلية المرأة للاستثارة الجنسية والوصول إلى النشوة. كذلك تتاثر الرغبة الجنسية للنساء سلبا بتناول مضادات الهستامين، والتي تصرف عادة دون وصفة، لمعالجة الحساسية، مثل البينادريل والاتراكس والبرياكتين Benadryl، Atarax،Periactin، حيث إنها تقوم بتجفيف الاغشية المخاطية في المهبل. تختلف النساء في كيفية تاثر الرغبة الجنسية لديهن بالعلاجات الطبية. وفي معظم الحالات، اذا كان العلاج يسبب تأثيرات جانبية جنسية حادة، يمكن الاستعاضة عنه ببديل لا يسبب ذات التأثيرات السلبية. تتلاشى التأثيرات أحيانا بعد اسابيع قليلة، وأحيانا يوصي الطبيب باخذ «عطلة من تناول الدواء» لمدة يومين او ثلاثة مما قد يخفف من الاعراض.

المثبطات النفسية للرغبة

لمعظم الناس تفضيلات محددة للنمط الجسدي الذي يجدونه جذابا. فاذا تغير المظهر الجسدي لشريك بمرور الزمن، فإن جاذبيته الجنسية قد تتضائل في عين شريكه. وهذا ينطبق على النساء مثل الرجال تماما. ان التغير المظهري الأكثر شيوعا مع التقدم في السن هو زيادة الوزن. في بعض الاحيان لا يكون لاكتساب الوزن تأثير يذكر على مستوى الانجذاب، لكن بالنسبة لمعظم النساء، فإن الزيادة الهائلة في وزن الشريك قد تكون قاتلة لرغبتهن الجنسية. على أن الامر ليس بهذه البساطة على كل حال. فحيث إن الشركاء ذوي الوزن الكبير قد لا يشعرون بان لهم حظا في سوق الاقتران، فإن احتمال مغادرتهم العلاقة او قيامهم بالخيانة الجنسية ضئيل، وهذا ما يجعل شركائهم يشعرون بالامن في علاقتهم بالطبع[20].



حتى ان الشريك الذي لا يعاني من زيادة في الوزن قد تكون له اليد العليا في العلاقة.

وقد يكون انعدام النظافة مثبطا جنسيا آخرللكثير من النساء. فاذا كانت رائحة العرق ودخان السجائر والروائح الكريهة الأخرى تفوح من الشخص على الدوام، او انه كان اشعث غير حليق، او كريه النَفَس، فمن سترغب بالاقتراب منه لممارسة الجنس؟ في كتاب (تحسين النسل والانسجام الجنسي Eugenics and Sex Harmony) ذكر المؤلف في الفصل المعنون «احلام محطمة Shattered Dreams «التأثيرات المهمة للنظافة على الغريزة الجنسية للمرأة:

«تتحطم الاحلام الرومانسية للزوجة بعد أن تصطدم بحقائق الحياة اليومية. اذ تكتشف ان فارسها ذا الدرع اللامع مجرد رجل بحاجة إلى أن تذكره كل يوم انه بحاجة للحلاقة. والذي قد يهمل أحيانا غير قليلة اخذ حمامه اليومي، ما لم تقم باجباره على ذلك.وقد تكتشف فيه عادات كان يخفيها بعناية قبل الزواج. فقد تكتشف انه يستمتع كثيرا بتدخين نوع كريه الرائحة جدا من الغليون، والذي يجعل رائحة نَفَسِه لا تطاق. او انه يمضغ التبغ، او ان اباطه واقدامه تنضح رائحة كريهة، وانه لا يبذل اي مجهود للتخلص من ذلك،كاستخدام محلول الفورمالديهايد، او غير ذلك من التدابير السهلة. ويمكن لحلمها الوردي ان يتمزق اربا بالف طريقة أخرى»[21].

وبالمثل، فإن الثروة والجاه تمثل صفات جذابة جنسيا للكثير من النساء، فاذا ما تناقصت ثروة او مكانة الشريك الاجتماعية بمرور الزمن، فإن انجذاب المرأة إلى هذا الشريك يخفت.



ومن الأسباب الأقل شيوعا لنقصان رغبة المرأة بممارسة الجنس مع شريكها، هو ادراكها انها منجذبة جنسيا إلى شركاء من غير النوع الاجتماعي (الجندر) الذي ينتمي اليه شريكها الذكر. او ربما تكون عارفة منذ البداية ان توجهها الجنسي غير متوافق مع توجه شريكها، لكنها كانت خائفة من كشف الامر او غير راغبة بكشفه حتى وقع الفاس في الراس:

«عندما كنت متزوجة وكانت حياتي الجنسية غير مُرضية لي،شعرت باني ملزمة بممارسة الجنس مع زوجي لاسعاده. لقد كنت زوجته وشعر بالرفض مما جعله يشك في اخلاصي لانني لم اكن ارغب بممارسة الجنس معه. كنت بعمر التاسعة عشرة فقط عندما تزوجنا (كان هو بعمر السابعة والعشرين) وقد أدركت أن انني أميل للنساء وانجذب اليهن جنسيا لكن عندما اردت مناقشة هذا مع زوجي رفض الاستماع الي. بدأت استاء منه بمرور الزمن لانني كنت افعل ما كان «يُتَوَقَّع» مني كزوجة، لكنه لم يبد اي اهتمام بما اذا كنت مسرورة بحياتنا الجنسية واعتقد انه لم يلاحظ حتى انني غير مُشبَعة جنسيا. كان ذلك هو ما دقَّ اسفين الفرقة بيننا واشعر بانه السبب في فشل زواجنا».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 35

الاحباط والملل

ان البقاء مع شريك يفتقر للمهارات الجنسية، وغير قادر او غير راغب في تعلمها، يمكن بمرورالزمن ان يكون عاملا محبطا ومضعفا للرغبة الجنسية إلى حد كبير.يعتقد بعض الرجال انهم اذا ما ذهبوا



مباشرة إلى العمق بان يبدئوا الجنس بمداعبة البظر بشدة فإنهم بذلك يكونون عشاقا مثاليين منزهين عن الانانية. لكن بالنسبة لمعظم النساء، فإن مداعبات ما قبل الجنس تبدأ قبل وقت طويل من ممارسة الحب الفعلية. ان هذا مصوَّر بشكل فكاهي ـ وصادق أيضا ـ في كتاب (الافلام الاباحية للنساء porn for women).في احدى الصور التي احتواها الكتاب، يجلس رجل وسيم في المطبخ ماسكا كوب قهوته الصباحية، قائلا لقرينته: «اوه، انظري، تجري اليوم تصفيات الدوري الامريكي لكرة القدم، أُراهِنُ اننا لن نواجه مشكلة في ايجاد مكان لركن سيارتنا في معرض الحِرَف اليدوية». يمكن لكيفية معاملة الشريك للمرأة بشكل عام، وليس فقط قبل ممارسة الجنس مباشرة، ان تؤثر بشكل هائل على رغبتها بممارسة الجنس.

ان إحدى المشاكل التي يشيع ان تشتكي منها النساء، هو انه في العلاقات طويلة الأمد، يصبح الجنس روتينا مملا يمكن توقع كل جزئياته، ومن ثم فإنه يغدو أقل امتاعا. هنا تصف إحدى النساء في دراستنا تجربتها مع ممارسة الجنس كاسقاط فرض:

«انا أحب زوجي، لكن عندما تكون متزوجا لمدة طويلة، لنواجه الحقيقة ـ لا تعود ممارسة الجنس مشوقة كما كانت. حيث يمكن توقع كل تفاصيله. حتى عندما نحاول ان نكون (عفويين) فإن الامر يكاد يتحول إلى مهزلة، لانني استطيع ان اتوقع كل حركة يقوم بها. أمارس الجنس لانني اشعر باني (مدينة) له به كزوجة، وكذا لانني أحبه واريد اسعاده. ورغم ذلك فالحقيقة انني في اغلب الاحيان عند ممارسة الجنس، اضطجع فقط واحرك راسي يمنة ويسرة. وأئِنُّ بين فترة وأخرى لكي لا



يحسب انني قد نمت، ثم اخبره بعد أن ينتهي ان الامر كان ممتعا بحق. ويبدو أنها خطة ناجحة.و زواجنا سعيد».

امرأة غيرية الجنس، العمر48

لان النساء غيريات الجنس غالبا ما يتزوجن او ينشئن علاقات طويلة الأمد مع رجال أكبر منهن سنا (بعكس السيناريو المقابل)، فإنه يجب عليهن التأقلم مع المشكلات الصحية الجنسية وغيرها التي تظهر على القرين مع تقدمه في السن، قبل ان يواجهن هذه المشكلات بأنفسهن. يمكن للتغيرات في الوظائف الجنسية للشريك ان تنقص من رغبة المرأة بممارسة الجنس بعدة طرق. فمثلا اذا ابتلي الشريك بالقذف المبكر، اي انه اصبح يقذف قبل او بُعَيْدَ الشروع بالايلاج المهبلي بقليل، فقد تفقد المرأة رغبتها بالجنس لانه يصبح محبطا لها بشكل كبير. وكذلك لو اصيب الرجل بمشاكل في الانتصاب، فقد تقل رغبة المرأة بممارسة الجنس معه.

اجْرَتْ عالمة النفس في جامعة ملبورن في استراليا لورين دينيرستاين Lorraine Dennerstein دراسة على مجموعة كبيرة من النساء في منتصف العمر، وقد توصلت إلى أن الرغبة الجنسية تتقلص مع ازدياد عمر العلاقة[22]. كلما كانت المدة التي قضتها المرأة في العلاقة اطول، كلما كانت رغبتها الجنسية أقل. وقد قامت في نفس الدراسة بقياس الرغبة الجنسية للنساء قبل وفي أثناء وبعد مرور النساء بالمرحلة الانتقالية إلى سن اليأس.بالنسبة لبعض النساء، فإن الوصول لسن اليأس لم يكن له تأثير على رغبتهن الجنسية. فيما يميل بلوغ سن اليأس إلى تقليل الرغبة الجنسية عند البعض الاخر. وقد زاد سن اليأس من الرغبة الجنسية في مجموعة



صغيرة من النساء بشكل ما. ما الذي سبب هذا الارتفاع في الرغبة الجنسية عند هؤلاء النسوة؟ هل خضعن لعلاج جنسي ناجع؟ هل تغير شركاؤهن على نحو ايجابي؟ ام هل توصلن إلى أنشطة جنسية جديدة؟ كلا،أفضل تفسير هو ان النساء اللواتي شهدن ارتفاعا في رغبتهن الجنسية بعد سن اليأس كن في الغالب النساء اللواتي وجدن شركاء جنسيين جُدُدَاً.

ان تجريب وتعلم تقنيات جديدة،مشاهدة او قراءة قصة مثيرة جنسيا معا، ممارسة الجنس بعفوية وفي اماكن وتوقيتات غير معتادة، التخطيط لفسحة رومانسية خالية من المنغصات، هي مجرد مجموعة قليلة من التقنيات التي يمكن بها ابعاد الملل عند الازواج الذين يمارسون حياة جنسية مشتركة منذ وقت طويل، والقائمة تطول.

تدهور العلاقة

يكون الشجار بين الشريكين أحيانا عاملاً يزيد من الرغبة الجنسية ويساعدهما على اعادة اصلاح ذات بينهما.لكن الخصامات والشجارات المتكررة تدمر العلاقة بمرور الزمن، كما تنوه لذلك الاغنية الشعبية الغربية التي غنتها فرقة Notorious Cherry Bombs والتي عنوانها «لا يمكنك في الليل تقبيل الشفاه التي امطرتك شتما طوال النهار It's Hard to Kiss the Lips at Night that Chew Your Ass Out All Day Long». غالبا ما يصعب تمييز السبب من النتيجة ـ هل ان الشجارات المتواصلة تقلل من الرغبة الجنسية، ام ان نقص الرغبة الجنسية هو ما يتسبب بوقوع الشجارات؟ غالبا ما يكون كلا الامرين صحيحا[23]. قد لا يدور الشجار أحيانا حول الجنس بحد ذاته، بل حول الاحتياجات المتباينة للحميمية



غير الجنسية أيضا. تفصح الكثير من النساء عن حاجتهن لانْ يشعرن بالقرب من شركائهن لكي يرغبن بممارسة الجنس. والشعور بالقرب قد يتطلب محاورة حميمية او الانفراد ببعضهما لِبعض الوقت في مكان خالٍ من الازعاج، وليس مجرد المداعبات التي تسبق ممارسة الجنس.

اما بين ازواج الليزبيانيات lesbian couples فقد يوجد أحيانا من الحميمية في العلاقة بحيث يحدث «الاتحاد» او «الاندماج» النفسي بين الشريكتين. للشريكتين في هذا الصنف من العلاقات رغبة عارمة بالترابط مع بعضهما بحيث تختفي كل الحواجز والفواصل والفردية فيما بينهما[24]. ومع ان هذا قد يمثل منتهى التماهي والحميمية لبعض النساء، فإنه غالبا ما يؤثر سلبا على الرغبة الجنسية لهن. يعتقد بعض الاخصائيين ان تجنب ممارسة الجنس يصبح طريقة للحفاظ على بعض المسافة بين طرفي العلاقة، والتي لا غنى عنها ـ المسافة ـ، بينما يعتقد اخرون ان بعض النساء يمارسن الجنس لغرض الوصول للحميمية والقرب والغاء الحواجز. وانه في حالة الشريكين الذين قد اسقطا كل الحواجز بينهما بالفعل، لا تعود هناك ضرورة لممارسة الجنس.

غالبا ما يصعب على المرأة ان تحدد بالضبط السبب الذي جعلها لا ترغب بممارسة الجنس مع الشريك. إذ إن التغير قد يحدث تدريجيا عبر الزمن، ربما بسبب تراكم الكثير من الاحباطات وسوء الفهم وخيبات الامل. تحكي إحدى النساء في دراستنا كيف ان عدم انجذابها جنسيا لزوجها جعلها تظن ـ مخطئةً ـ انها تعاني من مشكلة جنسية ما:

«بعد سبع سنوات من زواجي،ذهبت ذات ليلة للعشاء مع صديق لي ـ ولزوجي أيضا ـ. بقي زوجي مع الاطفال في المنزل.. قررنا الذهاب



إلى حفلة وبقينا حتى وقت متاخر. كنت مستمتعة كثيرا ولاول مرة منذ سنوات اشعر بالانطلاق والحرية. وفي طريق العودة إلى المنزل، مِلْتُ على صديقي وقبّلته، وهذا ما فاجأه وفاجأني على حد سواء. فاجأه لانني لم أُظهر من قبل أي علامة على أنجذابي نحوه. وفاجأني لانني لم اكن التذ بممارسة الجنس مع زوجي ابداً وقد كنت اظن ان غريزتي الجنسية معطوبة. من ثم رَكَنَ السيارة في مكان منعزل وقمنا بتبادل القبل والمداعبات. ورغم أننا لم نمارس الجنس تلك الليلة، الا انها كانت البداية فقط، حيث مارسنا الجنس بعد ذلك باسابيع، ومذاك بدأت علاقتي غير الشرعية، وبدأ زواجي بالانحلال تدريجيا. حينما افكر بما حدث، اعتقد اني اردت انهاء زواجي غير السعيد، رغم أني لم اكن ادرك هذا وقتها. كانت حياتي تتمحور حول الاطفال فقط، وكنت اظن انَّ بِي عجزاً جنسياً. استيقظ شيء ما بداخلي فجأة تلك الليلة، لِأستعيد حياتي الجنسية مرة أخرى. وقد أدركت انني أحب ممارسة الجنس.. لكن ليس مع زوجي».

امرأة غيرية الجنس، العمر 47

الموافقة على مضض

في حالة الشريكين غير المتوافقين في رغباتهما الجنسية، فغالبا ـ وليس دائما ـ ما يكون الرجل هو الذي يرغب بالجنس أكثر. فاذا كان الرجال قد طوروا رغبة جنسية اقوى، وتمت تنشئتهم اجتماعيا على أنه من الطبيعي لهم المبادرة لطلب الجنس أكثر من النساء، فإن النساء سَيَكُنَّ بالضرورة أكثر قبولا لممارسة الجنس دون أن يكن راغبات به. لكن هل تختار النساء الموافقة في الواقع أكثر من الرجال؟



يشير البحث العلمي إلى أن النساء أكثر من الرجال موافقة على ممارسة الجنس دون رغبة منهن ـ لكن ليس بفارق كبير كما يُخَيَّل للمرء. وجدت دراسة على الازواج المتزوجين ان 84% من الزوجات و64% من الازواج قد سبق ان وافقوا «عادةً» او «دائماً» على ممارسة الجنس عندما طلبه الطرف الآخرفي وقت لم يكونوا فيه راغبين بممارسته[25]. وجدت الباحثة لوسيا اوسوليفان Lucia O'Sullivan انَّهُ عند دراسة اللقاءات الجنسية على مدى اسبوعين، كانت النساء أكثر موافقة من الرجال على الجنس عندما لا يكن راغبات به (50% مقابل [26] (26%. اما عندما اجريت الدراسة مرة أخرى على مدى عام كامل، فلم تظهر فروقات تُذكر بين الرجال والنساء. توافق النساء على مضض على ممارسة الجنس أكثر مما يفعل الرجال، لكن على المدى الطويل، فإن كل شخص داخلٍ في علاقة جنسية سيختبر ممارسة الجنس دون رغبة منه، على الأقل مرة وحدة.

برزت في دراستنا ثلاث موضوعات رئيسية في الأسباب التي افصحت عنها النساء لموافقتهن على ممارسة الجنس عندما لا يكن راغبات به: للحفاظ على العلاقة، لانهن شعرن ان هذا واجبهن، ولانهن شعرن انه من «اللطيف» ان يمارسنه. بالنسبة للبعض منهن، فإن ممارسة الجنس للحفاظ على العلاقة يعني استعمال ممارسة الجنس كوسيلة لتجنب الخصام:

«كنت في علاقة طويلة الأمد مع شريك ذي غريزة جنسية هائلة. ولان غريزتي الجنسية ضعيفة جدا فقد كان هذا مصدر احباط وغضب لشريكي. مارست الجنس أحيانا في محاولة لتجنب الشجار او لاني شعرت ان هذا هو دوري في العلاقة وعلي اداؤه».

امرأة غيرية الجنس، العمر25



«كامرأة، أحيانا ما لا تشعر بالرغبة في ممارسة الجنس.. اما بسبب التعب الشديد او الانشغال الدائم. لكن عندما تكون في علاقة فيجب ان تقدِّم احتياجات الشخص الآخرعلى احتياجاتك. لا أعرف ان كان هذا يدعى تذمرا.. لكن زوجي يتشاجر ويكون محبَطا وباردا.. اذا مضى وقت دون ممارسة الجنس. استسلمت أحيانا لممارسة الجنس معه.. لابقاء الامور بخير في المنزل. لكن للعلم فإني دائما ما أكون سعيدة جدا بعد أن نمارس الجنس».

امرأة غيرية الجنس، العمر32

في جميع العلاقات طويلة الأمد، تكون هناك اوقات تختلف فيها احتياجات الشريكين ومن ثم يتحتم تقديم بعض التضحيات للمحافظة على العلاقة. قد تكون هذه التضحيات بسيطة، مثل الذهاب إلى مطعم لا تحبه لكنه يروق لشريكك كثيرا، او قد تكون معقدة مثل الموافقة على تغيير مكان السكن بسبب تغير مكان عمل الشريك. وبالتالي يمكن أن نرى الموافقة على ممارسة الجنس على أنها نوع مشابه من التضحية التي تهدف لابقاء العلاقة(27).

ان مدى التزام الشخص بالعلاقة هو ما يحدد عموما ما اذا كان مستعداً لتقديم التضحيات. فاذا كان الشخص يرى ان العلاقة تعطيه أكثر من مما تاخذ منه، فإن التزامه بها يزداد. وكذلك اذا كان الشخص ـ رجلا او امرأة ـ قد استثمر بالفعل الكثير من الوقت والموارد والجهود في العلاقة، فإنه سيكون من الاصعب عليه التخلي عن العلاقة وانهاؤها. ويتأثر التزام الشخص أيضا بالقرناء البديلين المتوفرين. فعندما يكون الشخص خائفا من ان يصبح وحيدا، ويستبعد أن تكون له فرصة مع رجال او نساء مرغوبين غير شريكه الحالي، فسيكون أكثر التزاما بعلاقته القائمة.



لم تتناول البحوث بشكل مباشر السؤال عما اذا كانت الموافقة على الجنس دون رغبة من الاساليب الناجحة في المحافظة على العلاقة28. عندما يشعر الناس بان شركائهم قد قدموا لهم تضحيات كبيرة فإنهم يصبحون أكثر التزاما. مالم يكن هذا الشخص غير مكترث بالتضحيات التي يقدمها الشريك بالطبع. ان تأثير التضحيات الجنسية يعتمد على الارجح على مقدار التباين بين الشريكين في الرغبة الجنسية، وعلى ما اذا كان الطرف الآخريقوم برد هذه التضحيات بشكل ما، وعلى ما اذا كان الشريك ينظر إلى هذه التضحيات كنوع من الكرم والرعاية.

وعلى الجهة الأخرى، فإن بعض الناس قد لا يستسيغون ان يُنظر إلى ممارسة الجنس معهم على أنه «تضحية».

واجبات الزوجة

بالاضافة إلى الموافقة على الجنس على الرغم من عدم توافق الرغبات، مارست الكثير من النساء، وبالخصوص النساء المتزوجات، مارسن الجنس لانهن ينظرن اليه على أنه واجبهن:

«انا متزوجة منذ32 عاما. ومن الطبيعي خلال هذه المدة الطويلة، انني في بعض الاحيان مارست الجنس مع زوجي بدافع الشعور بالواجب فقط».

امرأة غيرية الجنس، العمر53

ان فكرة كون الجنس جزءاً من عقد الزواج موجودة في العديد من النصوص الدينية. احتوى الانجيل المسيحي مثلا في الرسالة الأولى



إلى اهل كورنثوس، الاصحاح السابع (2 ـ 3) ان مِن واجب كل من الزوج والزوجة ممارسة الجنس مع بعضهما: «لكنْ لِسبب الزنى لِيَكُنْ لكلٍّ واحدٍ امراتهُ وليكن لكل واحدة رَجُلُها، لِيُوفِ الرجلُ المرأةَ حقَّها الواجب وكذلك المرأةُ أيضاً الرجلَ.امَّا في اليهودية فإن العِبءَ يقع على الرجل أكثرمن المرأة لارضاء زوجته جنسيا. اذ يحدد التلمود النوع والكم الواجب على الزوج منحه لزوجته من الجنس، مع الاخذ في الاعتبار مهنته.ليس مباحا للرجل ان ينذر الامتناع عن الجنس لفترة طويلة ولا الذهاب في رحلات طويلة تحرم زوجته من الجنس.

وبينما يكون اعتبار الجنس واجبا زوجيا عند بعض النساء، نابعا من معتقداتهن الدينية، فبالنسبة لنساء اخريات تستمد الفكرة جذورها من اجيالٍ من التوقعات الثقافية التي تتمحورحول كون الرجل هو الكادح المُعيل في الزواج. وبالتالي فإن على المرأة في المقابل ان تربي الاطفال وتدبر امور المنزل وان «ترضي» الرجل. ويتضمن ارضاء الرجل اشباع حاجاته الجنسية، بغض النظر عما اذا كانت متوافقة اَم لا مع رغبات الزوجة نفسها. وكما ذكر مؤلف كتاب «المتعة الجنسية في الزواجSexual pleasure in Marriage » والذي نشر عام 1959، فإن الزوجات «المحبات» يجب ان يفعلن ذلك باستمتاع وحماس أيضا:

«مهما كانت الفروقات الفردية، فإن بعض الزوجات لابد ان يصبحن في مرحلة ما أقل رغبة بممارسة الجنس من ازواجهن.. لقد تحاملتْ الزوجات المحبات دائما على أنفسهن لكي يتأقلمن مع ازواجهن، وربما سيفعلن هذا دائما. وحتى لو كانت لذة الزوجة أقل أحيانا، فإنها تسعد بمنح اللذة لزوجها. اما الزوجة التي تمارس الجنس كإنَّما على مضض،



فإنها تخاطر بأن رغبة زوجها الشديدة، او شهوانيته المتعاظمة، قد ترميه أحيانا في احضان امرأة أخرى، توفر له، لبعض الوقت على الأقل، اشكالا أكثر عفوية وانفتاحا من اللذة الجنسية. ومن الواضح انها ـ ما لم تكن ممثلة بارعة ـ لن تستطيع ان تتظاهر بما لا تشعر به واقعا من الاقبال والشغف. لكن تقديرها الحقيقي لحاجة زوجها للتنويع، وترحابها الدائم والصادق، وتجنبها تقديم النصح باسلوب ابوي يشعر الزوج بأنه غبي، كل هذا سيفيدها في الفترات التي لا تكون رغبتها فيها قوية»[29].

رغم أنه في الثقافات الغربية اليوم، قد اصبح عمل المرأة خارج البيت إلى جانب الرجل هو القاعدة وليس الاستثناء، فإن هذه الرسائل تمرر باستمرار من الاجيال التقليدية الاقدم، إلى النساء الشابات. ان الافراد الذين يقومون بتنشئة النساء ـ سواء كانوا الاباء او الامهات او الاجداد او الجدات او المربيات ـ لهم تأثير شديد للغاية على الشخصية الجنسية للمرأة عندما تكبر[30]. لا يُعرف بالتحديد كيف يتقبل الطفل الرسائل التي تمررها اليه العائلة، ولماذا يقبل بعضها ويرفض البعض الاخر. ومع ذلك فإن من الواضح ان الأسباب التي تخلق المخاوف الجنسية عند المرأة بعد بلوغها، تكون غالبا وثيقة الارتباط مع العوامل التي كانت تسبب المخاوف الجنسية عند الشخص الذي كان له الدور الأكبر في تربيتها وتنشئتها.

الفتيات «الصالحات» حنونات

تجري تنشئة النساء اجتماعيا ليكنَّ راعيات. اذ يتم تعليمهن منذ عمر مبكر ان يقدمن التعاطف والشفقة وأنْ يكُنَّ حساسات ومدركات



لمشاعر الاخرين. في اغلب الاحيان فإنَّ النساء هن من يقمن باعداد وتقديم الحساء للمريض، والمعجنات لكبار السن و..الجنس للحزين؟؟ افصحت عدة نساء في دراستنا عن قيامهن بممارسة الجنس كوسيلة للتخفيف عن شخص مبتئس. افاد عدد غير قليل من النساء في اواخر مراهقتهن او عشريناياتهن، بأنهن مارسن الجنس مع رجال لانهن شعرن بالاسى عليهم:

«كان صديقا قديما لي (تَرَبَّينا معاً) وقد كان حزينا لانه ما يزال بَتُولَاً لم يجد امرأة اثارت اهتمامه/ كسبت ثقته/ أحبته..الخ كي يمارس معها الجنس. اعتقد انه كان نوعا ما قلِقَاً من فكرة ان الرجل يفترض به ممارسة الجنس ما انْ يستطع ذلك.. لا انْ ينتظر شريكة بمواصفات خاصة كما يفترض بالنساء. كنا منجذبين إلى بعضنا وتحدثنا عن امكانية المواعدة، لكنه كان يقيم في مكان بعيد جدا عني انذاك فلم تتطور العلاقة. وفي النهاية، زارني في منزلي وانتهى بنا الامر إلى تبادل القبل والعبث على الاريكة.. كان يريد ممارسة الجنس، وقد شعرت بالاسى عليه فطاوعته. لم يكن شيئا مميزا بالنسبة لي لانني قد سبق ان مارست الجنس.. وقد وثقت به.. لكنها كانت فكرة سيئة على المدى البعيد.. كنت اعتقد انه لا يجدر بي ممارسة الجنس الا اذا كانت العلاقة جدية، وقد علمتني هذه التجربة ان هذا امر صائب بالفعل».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

وقد افادت إحدى النساء انها مارست الجنس مع رجل لانها شعرت بالشفقة عليه لانه لم تكن له حبيبة:



«انا اكره ان اتخلى عن الناس،او ان اؤذيهم،عندما يكون بوسعي تجنب ذلك. حتى ان بعض علاقاتي في الماضي قامت على هذا الاساس، عندما لا اشعر بانجذاب نحو احدهم، ولكني لا أريد أن افقد صداقتي القوية معه.. وكمثال على هذا، اذكر اني تحدثت مع شخص على الفيسبوك حول اهتمامنا المشترك ببعض الافلام. من ثم طلب لقائي شخصيا، فخرجنا لموعد عشاء. وقد اظهر بشكل مباشر اهتمامه بي، واخبرني كل قصصه المحزنة حول كيف انه لم يَحْظَ باي فتاة تحبه...الخ الخ الخ. ولكي لا اطيل الحديث، فقد انتهى الامر بأن بدأت بمواعدته لكي يستعيد ثقته بنفسه، ولانني شعرت بأنني قد اغريته لذا فإني قد اصبحت مدينة له».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

لا تقتصر ممارسة الجنس بدافع تقديم العون والتخفيف عن الشخص على النساء حديثات السن ولا على الممارسات الجنسية العابرة أيضا. افادت إحدى النساء في دراستنا انها مارست الجنس مع رجل لانه كان قد تطلق من زوجته حديثا وشعرت بالاسى على حاله:

«كان ذلك الشخص مهتما بي وكنا نمضي بعض اوقاتنا معا.كان يروقني، لكنه لم يكن يجتذبني ابدا. كان قد تطلق مؤخرا، لذا فقد مارست الجنس معه من باب العطف».

امرأة غيرية الجنس، العمر44

اما في حالة العلاقات القائمة بالفعل، فقد افادت عدة نساء في دراستنا انهن مارسن الجنس عن طيب خاطر دون رغبة منهن، لانهن اردنَ ان يشعر الشريك بأنه محبوب:



«اشعر ان الجنس شيء مهم يساعد في حل المشكلات وفي تجنب وقوعها في العلاقات طويلة الأمد. في بعض علاقاتي، شعرت حقا ان غريزتي الجنسية غير مساوية لغريزة شريكي، لذا فقد كنت «ابدأ» بالممارسات الجنسية لانني اشعر ان الشخص الآخريريد الجنس، وكنت اريد اسعاده. وقد وجدت انني عموما أقل رغبة في الجنس من شركائي، لذا فإني أحيانا اقوم عن عمد بالمبادرة بالجنس لكي يشعر شريكي بأنه محبوب، مرغوب، وآمِن».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

فيما قالت نساء اخريات انهن اردن ان لا يشعر شركائهن بأنهم مرفوضون:

«بعد أن تصالحت مع حبيبتي عقب شجار دار بيننا، كنت منهكة ومحبطة، وكذا كانت هي. وقد بادرتْ هي بالجنس، فشعرت بأن ممانعتي ستكون رفضاً لها، وهو ما لم اكن اريد فعله. ما كنت اريده هو الحميمية والقرب، ليس النوع الجنسي منه بالضرورة، لكني كنت اريد ارضائها».

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر19

هل الموافقة على ممارسة الجنس رغم عدم الرغبة به فكرة جيدة دائما؟

كثيرا ما تمارس النساء الجنس عن طيب خاطر مع انهن غير راغبات به لسبب ما، كأن يكون الظروف، او عوامل عضوية، او أسباب تتعلق بالعلاقة نفسها.تمارس النساء الجنس دون رغبة لانهن يعتقدن انه من واجبهن ارضاء الشريك، او لان من طبعهن محاولة التسرية عن الناس.



ويمارسنه دون رغبة في احيان أخرى، بارادة منهن لانهن يشعرن انه يساعد على الحفاظ على العلاقة، ان لم يكن ضروريا لديمومتها. اذا كان دافع المرأة لممارسة الجنس يتعلق برغبتها بأن تشعر على نحو أفضل كقرينة او كانسانة عموما، فإن ممارسته تصبح عندئذ تجربة لذيذة لكلا الشريكين.

وكما سنرى في الفصل العاشر، اذا ما مارست المرأة الجنس مكرهة او مجبرة،فإن النتائج العاطفية المترتبة على ذلك ستكون سلبية الا في حالات استثنائية نادرة. واذا كان دافعها لممارسة الجنس هو الخوف من النتائج السيئة التي تترتب عن امتناعها عنه، فإنها تشعر غالبا بالندم والذنب والامتعاض عقبه.لكن هذا ليس صحيحا بالضرورة عندما تقبل المرأة ـ عن طيب خاطر ـ بممارسة الجنس في وقت لا تكون فيه راغبة به.

في الواقع، توصلت دراسة إلى أن 29% من الرجال و35% من النساء فقط، قد سبق ان شعروا بنوع من المشاعر السلبية عقب ممارستهم الجنس عن رضا ولكن دون رغبة منهم[31]. وكما رأينا،فإن نساءً في دراستنا اختبرن طيفا متنوعا من المشاعر كنتيجة للقبول بممارسة الجنس حين لم يكن راغبات به. فقد قالت بعضهن ان ذلك جعلهن «سعيدات للغاية»، او انه «عزز ثقتهن بأنفسهن». فيما وصفته اخريات بأنه «فكرة غبية» ندمن عليها لاحقا. ورأته اخريات على أنه جزء طبيعي من العلاقة:

«عندما يريد خطيبي ان يشعر بالقرب مني، وان ينهي التوترات، اشعر بأني مدينة له بممارسة الجنس. حتى لو لم اكن حينها «في مزاج ملائم». وقد فعل هو نفس الشيء معي مرات كثيرة. اشعر ان القدرة على ادراك حاجات الشريك واشباعها قدر الامكان هي جزء من علاقة الحب الثنائية



السليمة. لا اشعر باي شيء عدا الرضا عن نفسي من حيث إنني قدمت له كل ما استطيع، كما يفعل هو معي».

امرأة غيرية الجنس، العمر25

اما بالنسبة لبعض النساء،فإن الامر لا يعدو ان يكون امرا عاديا جدا:

«أكون متعبة، ويريد هو الجنس. ليس بالامر المهم. انا افعل هذا معه أيضا».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

ما الذي يحدد ما تشعر به المرأة من سعادة او ندم بعد ممارسة الجنس عن رضا دون رغبة منها؟ ربما تكون أفضل وسيلة للتنبؤ بذلك هو ما اذا كان سلوكها مدفوعا بما يدعوه علماء النفس دوافع الإقدام او دوافع التَحاشي.approach versus avoidance motives يُقصد بالسلوكيات المدفوعة بدوافع الإقدام، تلك الافعال التي يسعى الشخص من قيامه بها لان يختبر شعورا ايجابيا او سارًّاً. وفي ميدان الجنس، قد يعني هذا، على سبيل المثال لا الحصر، ان توافِقَ امرأةٌ على ممارسة الجنس دون أن تكون راغبة به، لانها تريد اسعاد شريكها ولكي تشعر بأنها شريكة جيدة. وسيؤدي بها هذا الدافع على الارجح لان تختبر شعورا طيبا. وعلى الجهة الأخرى، فإن السلوكيات المدفوعة بدوافع التحاشي، هي تلك السلوكيات التي يراد من القيام بها تجنب النتائج السلبية او المؤذية. وقد يعني هذا ممارسة الجنس خوفا من فقدان الشريك او اغضابه او احباطه. غالبا ما يقود القبول بممارسة الجنس خوفا من نتائج سلبية، إلى الشعور بالعار وتانيب الضمير.



هناك أيضا أسباب لممارسة الجنس مدفوعة بدوافع الإقدام تتعلق بالمرأة نفسها لا بالشريك.فقد تمارس المرأة الجنس أحيانا دون أن تكون راغبة، وفجأة تنتقل لها «عدوى» الرغبة الجنسية. هنا تصف اثنتان من النساء في دراستنا كيف اختبرتا ذلك:

«كان رأسي يؤلمني واردت ان انام، لكن حبيبي استمر بتقبيلي والالحاح علي.كانت علاقتنا قائمة على مَبْعَدة، وكانت تلك اول مرة نرى فيها بعضنا منذ عدة اسابيع، لذا فقد استسلمت بعد الحاح غير كثير. لكن ما ان بدأت مطاوعته حتى وجدت نفسي انا الأخرى منغمسة في الامر إنْ صح التعبير».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

«في بعض الاحيان كنت اقول لشريكي انني لا اشعر بالرغبة في ممارسة الجنس. وفي المرات التي مارست الجنس فيها بسبب اصراره، كان اصرارهُ ياتي على شكل مداعبات ما قبل الجنس (التحسس، التقبيل الرومانسي، الخ) ومن ثم اجد انني قد غيرت رأيي واصبحت بدوري راغبة بالجنس».

امرأة غيرية الجنس، العمر 24

ان استثارة الرغبة الجنسية للمرأة بعد أن تبدأ بممارسة الجنس دون أن تكون راغبة فيه قبل البدء، يحدث بسهولة غالبا اذا كانت المرأة في حالة «حيادٍ جنسي». يعني الحيادُ الجنسي ان المرأة لا تفكر بشكل واع بالجنس او ترغب به، ولكنها في الوقت نفسه ليست نافرة من الفكرة. يعتمد تَحَوُّل الحياد إلى رغبة على عدة اشياء، من ضمنها مدى مهارة شريكها في



مداعبات ما قبل الجنس، مدى استجابة جسمها للتحفيز الجنسي، ومدى التذاذها بما تشعر به من التغيرات الجسمية الفسيولوجية والنفسية التي تحدث في أثناء الاستثارة الجنسية. وتقع بعض هذه العوامل تحت سيطرة النساء أنفسهنَّ ـ بالذات هؤلاء النساء اللواتي يقلن إنهن يمارسن الجنس أحيانا بهدف اكتساب خبرة جنسية أكثر.

هوامش المؤلفين على الفصل السادس

1 _ As cited in Impett, E. A., and Peplau, L. (2003). «Sexual Compliance: Gender, Motivational, and Relationship Perspectives،» Journal of Sex Research 40:87 _ 100.

2 _ Cohen, L. L., and Shotland, R. L. (1996). «Timing of First Sexual Intercourse in a Relationship: Expectations, Experiences, and Perceptions of Others،» Journal of Sex Research 33:291 _ 99.

3 _ Beck, J. G., Bozman, A. W., and Qualtrough, T. (1991). «The Experience of Sexual Desire: Psychological Correlates in a College Sample،» Journal of Sex Research 28:443 _ 56.

4 _ Pfeiffer, E., Verwoerdt, A., and Davis, G. (1972). «Sexual Behavior in Middle Life،» American Journal of Psychiatry 128:1262 _ 67.

5 _ Bretschneider, J. G., and McCoy, N. L. (1988). «Sexual Interest and Behavior in Healthy 80 _ to 102 _ Year _ Olds،» Archives of Sexual Behavior 17:109 _ 30.



6 _ Julien, D., Bouchard, C., et al. (1992). «Insiders' Views of Marital Sex: A Dyadic Analysis،» Journal of Sex Research 29:343 _ 60.

7 _ McCabe, M. P. (1987). «Desired and Experienced Levels of Premarital Affection and Sexual Intercourse During Dating،» Journal of Sex Research 23:23 _ 33.

8 _ Laumann, E. O., Gagnon, J. H., et al. (1994). The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States (Chicago: University of Chicago Press).

9 _ Symons, D. (1979). The Evolution of Human Sexuality (New York: Oxford).

10 _ Meston, C. M., Trapnell, P. D., and Gorzalka, B. B. (1996). «Ethnic and Gender Differences in Sexuality: Variations in Sexual Behavior Between Asian and Non _ Asian University Students،» Archives of Sexual Behavior 25:33 _ 72. Cawood, E. H., and Bancroft, J. (1996). «Steroid Hormones, the Menopause, Sexuality and Well _ being of Women،» Psychological Medicine 26:925 _ 36.

11 _ Berlin, F. S., and Meinecke, C. F. (1981). «Treatment of Sex Offenders with Anti _ Androgenic Medication: Conceptualization, Review of Treatment Modalities and Preliminary Findings،» American Journal of Psychiatry 138:601 _ 7.



12 _ Leiblum , S. R. , and Sachs , J. (2002) . Getting the Sex You Want: A Woman's Guide to Becoming Proud , Passionate , and Pleased in Bed (New York: Crown) , 181.

13 _ المصدر السابق.

14 _ Leiblum , S. R. , and Sachs , J. (2002) . Getting the Sex You Want , 91.

15 _ Sugiyama , L. (2005) . «Physical Attractiveness in Adaptationist Perspective،» in D. M. Buss (ed.) , Evolutionary Psychology Handbook (New York: Wiley) , 292 _ 343.

16 _ Leiblum , S. R. , and Sachs , J. (2002) . Getting the Sex You Want.

17 _ Clayton , A. , Keller , A. , and McGarvey , E. L. (2006) . «Burden of Phase _ specific Sexual Dysfunction with SSRIs،» Journal of Affective Disorders 91:27 _ 32.

18 _ Rosen , R. C. , Lane , R. M. , and Menza , M. (1999) . «Effects of SSRIs on Sexual Function: A Critical Review،» Journal of Clinical Psychopharmacology 19:67 _ 85.

19 _ Leiblum , S. R. , and Sachs , J. (2002) . Getting the Sex You Want , 175 _ 79.

20 _ LoPiccolo , J. , and Friedman , J. M. (1988) . «Broad _ spectrum Treatment of Low Sexual Desire: Integration of



Cognitive, Behavioral, and Systemic Therapy،» in S. R. Leiblum and R. C. Rosen (eds.), Sexual Desire Disorders (New York: Guilford Press), 125 _ 26.

21 _ Rubin, H. (1941). Eugenics and Sex Harmony (New York: Herald Publishing), 123 _ 24.

22 _ Dennerstein, L., Smith, A., Morse, C., et al. (1994). «Sexuality and the Menopause،» Journal of Psychosomatic Obstetrics and Gynaecology 15:59 _ 66.

23 _ LoPiccolo, J., and Friedman, J. M. (1988). «Broad _ spectrum Treatment of Low Sexual Desire».

24 _ Nichols, M. (1988). «Low Sexual Desire in Lesbian Couples،» in S. R. Leiblum and R. C. Rosen (eds.), Sexual Desire Disorders, 398.

25 _ Carlson, J. (1976). «The Sexual Role،» in F. I. Nye (ed.), Role Structure and Analysis of the Family (Beverly Hills, Calif.: Sage Publications), 101 _ 10.

26 _ O'Sullivan, L. F., and Allgeier, E. R. (1998). «Feigning Sexual Desire: Consenting to Unwanted Sexual Activity in Heterosexual Dating Relationships،» Journal of Sex Research 35:234 _ 43.

27 _ Impett, E. A., and Peplau, L. (2003). «Sexual Compliance:



Gender, Motivational, and Relationship Perspectives،» Journal of Sex Research 40:87 _ 100.

28 _ Wieselquist, J., Rusbult, C. E., et al. (1999). «Commitment, Pro _ Relationship Behavior, and Trust in Close Relationships،» Journal of Personality and Social Psychology 77:942 _ 66.

29 _ Rainer, J., and Rainer, J. (1959). Sexual Pleasure in Marriage (New York: Julian Messner), 62 _ 63.

30 _ Daniluk, J.C. (1998). Women's Sexuality Across the Lifespan (New York: Guilford Press).

31 _ O'Sullivan, L. F., and Allgeier, E. R. (1998). «Feigning Sexual Desire».



الفصل السابع

شغف المغامرة
عندما يتحرك الفضول والرغبة بالتنويع وتقييم القرين

«ما كانت العذراء لِتَجْسُرَ على الظهور في امريكا، ولا فينوس على أن توجد فيها»(*).

هنري بروكس ادامز (1838 ـ 1918)

تاريخيا، لم يكن ينظر إلى امتلاك الخبرة الجنسية والإقدام على المغامرات الجنسية كصفات ايجابية للمرأة. اذ كانت النساء اللواتي يمارسن الجنس قبل الزواج يُعتبرن»ملوثات» وكانت فرصة تقدم الرجال للزواج منهن أقل ـ هذا اذا لم يَكُنَّ ماكرات بما يكفي لايهام الزوج بالعذرية. وفي المقابل، كانت النساء اللواتي يبقين عفيفات حتى الزواج يُعتبرن محترمات، شريفات، امينات، ونقيات. في الواقع، ان كلمة «عذراء virgin» تُدْرَج ضمن مرادفات كلمة نقي pure في المعجم، وكانت الاشياء

(*) العذراء هنا اسم علم، ولفهم المقصود من هذه العبارة انظر: السيرة الذاتية لهنري ادامز، الفصل المعنون The Education of Henry Adams..المترجم.



العذرية لزمن طويل توصف بأنها نقية، غير ملموسة، غير ملوثة، وبيضاء ـ من هنا اتى ثوب الزفاف التقليدي الابيض، وكذا عبارة»الثلوج العذراء». حتى انَّ زيت الزيتون يكون أجود اذا كان «بِكْرَاً».

اعتُبِرَت العذرية قيمة ثمينة في المرأة اجتماعيا وروحيا وحتى سياسيا. وقد تَكُون مريم المذكورة في العهد الجديد اشهر عذراءٍ في التاريخ. حيث إنها وبسبب حالتها الفريدة، أي ولادتها ليسوع ابن الرب، دون أن تضطر لممارسة الجزء القذر والخاطيء ـ الجنس ـ فإنها تبقى رمز العفة بالنسبة للنساء المسيحيات. ولكن حتى في صفوف غير المتدينين، فإن عذرية الزوجات، الاخوات والبنات، كانت ذات قيمة كبيرة عند الرجال. وفي الاوساط الارستقراطية، كان تزويج البنت وهي عذراء وسيلة لضمان نقاء السلالة. ومن المنظور التطوري، فإن السيطرة على النشاط الجنسي للمرأة والحفاظ على عذريتها قبل الزواج ـ من خلال احزمة العِفَّةِ او الختان كما ذكرنا في الفصل الخامس ـ يُعَدَّان وسيلة اكيدة لكي يضمن الرجل نَسَبَ ذريته. وما تحصل عليه المرأة في مقابل حفاظها على عذريتها كان الزواج «الموفق» والحصول على الطعام الضروري، والمأوى، والمكانة الاجتماعية التي تاتي معه ـ أي الزواج ـ. وقد كان هذا غالبا الخيار الأفضل للنساء قبل ان يتمكنَّ من الالتحاق بالقوة العاملة.

لقد تغيرت أهمية الحفاظ على العذرية ـ على الأقل في العالم الغربي. اذ تعقبت إحدى الدراسات التغيرات في الأهمية التي يعلقها الامريكان على عذرية المرأة من ثلاثينيات القرن العشرين إلى نهايته[1]. في العام 1939، أُدرِجت العذرية في المرتبة العاشرة بين اهم 18 صفة يُرغب بتوفرها في الزوجة. وبحلول العام 1985، انحدرت اهميتها إلى قرب نهاية



القائمة، وبقيت في تلك المرتبة مذاك. توضح بعض النساء في دراستنا هذه التغيرات:

«كنت في الكُلِّيَّة وكانت جميع صديقاتي قد جَرَّبْنَ الجنس، وقد اردت ان أعرف ما الجنس. كنت افكر كيف ان جميع البشر يعرفون ماهو الجنس.. وانهم اشعلوا حروبا وقتلوا بعضهم من أجله.. اثار ذلك فضولي وشعرت نوعا ما بحاجة ماسة لان اكتشف بنفسي».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

ضحت الكثير من النساء اللاتي شملتهن دراستنا بعذريتهن، مقابل الفرصة في استكشاف جنسانيتهن. فيما قالت بعض النساء انهن مارسن الجنس مِراراً لانهنَّ اردن اكتساب خبرة ـ تجربة تقنيات أو أوضاعٍ جنسية جديدة، تجربة الجنس مع شخص جديد غير الشريك الاساسي، تحقيق خيال جنسي بشكل واقعي، او لتحسين مهاراتهن الجنسية ـ. ارادت بعض النساء ببساطة «ان يعرفن ما منبع كل هذه الضجة المثارة حول الجنس»، فيما شعرت اخريات بمجرد الفضول ـ سواء فضول لمعرفة قدراتهن الجنسية او لاكتشاف القدرات الجنسية لشخص اخر ـ. نناقش في هذا الفصل،دوافع النساء للإقدام على المغامرات الجنسية، والنتائج التي تترتب على تلك المغامرات.

تقدير العذرية (او عدم تقديرها)

رغم كل الأهمية المعلقة على الحفاظ على العذرية،فإن الاطباء استمروا حتى القرن الثامن عشر يحذرون من المضاعفات الخطرة لبقاء المرأة عذراء لفترة طويلة.حيث كانوا يزعمون ان بقاءها عذراء طويلا



يؤدي إلى الامراض. اذ كان يعتقد ان جسم العذراء «المغلق» عرضة لامراض مثل «الشحوبchlorosis » وهي حالة يستحيل فيها لون الفتاة اليافعة إلى الاخضر الباهت، و«اختناق الرحم» وفيها يتحرك الرحم داخل الجسم مسبباً «نوبات رحمية » مزعجة. وعندما كان يعتقد ان الفتاة تعاني حرمانا جنسيا خطراً، ولكنها غير مؤهلة للتزويج بعد، كانت توصف لها دون تاخير،جرعة من المَنِيِّ «المعزز للصحة» كما كان يُظَن. لذا فإن اطباء القرون الوسطى كانوا يقترحون ان تقوم المربيات الامينات بمساعدة الفتيات اليافعات على الاستمناء. وهذا ما يتجاوز حتى أكثر قيم التحرر الجنسي المعاصرة تسامحا.

تغيرت قيمة العذرية بشكل كبير مع اختراع حبوب منع الحمل عام 1961. اذ اصبحت حريةُ ممارسة الجنس دون خشية من الحمل الوقودَ المحرك للثورات الجنسية في ستينات وسبعينات القرن العشرين. في الواقع، هناك فرق هائل بين نسبة ممارسة الجنس قبل الزواج قبل العام 1960 وبين نسبته بعد ذلك العام، بحسب ما افصحت عنه النساء. ففي تقرير كينزي الشهير المنشور عام 1953 والذي قام بمسح حوالي 6000 امرأة امريكية، افادت 40% منهن انهن فقدن عذريتهن قبل الزواج. وفي مسح اجري عام 1994 على أكثر من 1600 امرأة امريكية، افادت 80% من النساء اللاتي وُلِدنَ بين 1953 و1974 انهن قد مارسن الجنس قبل الزواج. كما سجلت عدة دراسات ازديادا كبير في ممارسة النساء للجنس قبل الزواج في سبعينات القرن العشرين[2]. كذلك فقد تغير متوسط عمر المرأة عند فقدانها عذريتها، بشكل جذري خلال نفس الفترة. ففي عام 1950 كان متوسط عمر المرأة عندما تمارس اول نشاط جنسي ـ او على



الأقل متوسط العمر الذي اعترفن به ـ هو 20 عاما. فيما كان 16 عاما بحلول العام 2000.

ولا نحتاج في الحقيقة إلى الاحصائيات لنرى كيف تغيرت قيمة العذرية في امريكا الشمالية منذ خمسينات القرن العشرين. يمكننا ببساطة التمعن في الثقافة الشعبية. لنعرج هنا على كلمات اغنية فرقة ايفرلي بروذرز Everly Brothers التي قدموها عام 1957: «استيقظي يا صغيرتي سوزي Wake Up Little Susie» والتي تحكي قصة فتى وفتاة ناما في السينما حتى تآخرالوقت ولم يعودا إلى بيتيهما: « خَلدنا للنوم، احترقتْ وَرَقَتُنا، دُمِّرت سمعتنا». توثّق الاغنية بوضوح الوصمة الاجتماعية التي كانت تلحق بمن تمارس الجنس قبل الزواج انذاك. قارن ذلك مع اغنية رود ستيوارت التي اطلقها عام 1976: «الليلة هي الموعودة (كل شيء سيكون على مايرام)»، تُناشِدُ كلمات الاغنية فتاة عذراء ان تستسلم لرغبتها بحبيبها، «فلتفتحي جناحيك ولتَدَعِيني أدْخُل» ما من عيب في الجنس، ولن يوقفهم احد(*).

لا تَعتبِر العديد من النساء في دراستنا العذرية شيئا مقدسا او ثمينا. حتى ان بعضهن راينها كشيء يردن الانتهاء منه سريعاً ـ كَتناولِ جرعة من دواء كريه المذاق:

«شعرت نوعا ما بأني أريد أن اتجاوز هذه المسألة (العذرية). تجاوزتُ الامر بسلام وقد ازحت عبئه عن كاهلي».

امرأة غيرية الجنس، العمر25

(*) «ما من عيب في الجنس، ولن يوقفهم احد» يُعَرِّضُ المؤلفان هنا بكلمات وردت في مقاطع اخرى للاغنية..المترجم.



قالت نساء اخريات انهن اردن فقدان عذريتهن لكي يتساوين مع نظيراتهن:

«فقد عذريتي بعمر السابعة عشرة لاني شعرت بأن الجميع حولي يمارسون الجنس وانه ما من فتاة تدخل الجامعة عذراء. كنت خائفة نوعا ما انذاك، لكن عندما استعيد الذكرى الان فإنني بصدقٍ لستُ نادمة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

«عندما كنت في الاعدادية، كنت آخرمن فقدت عذريتها من بين صديقاتي. اغلبهن مارسن الجنس بعمر الثالثة عشرة، وقد كنت في السادسة عشرة متاخرة عنهن كثيرا. ولكي ابرهن انني لست خائفة من الجنس او الحميمية، مارست الجنس ـ حتى لو كان الهدف فقط ان اخبرهن بذلك».

امرأة غيرية الجنس، العمر 27

لقد دخلتْ العذرية اليوم إلى عالم السياسة أيضا، ربما بسبب هذا الموقف المستهين بالعذرية من جانب النساء الامريكيات. لقد وافق الرئيس الامريكي السابق جورج دبليو. بوش على اطلاق حملة للعفة (عدم ممارسة الجنس حتى الزواج) بلغت كلفتها مليار دولار. ورغم أنها كانت موجهة للرجال والنساء على السواء، فإن الكثيرين يعتقدون أنها كان تهدف إلى بث فكرة انَّ ممارسة النساء للجنس قبل الزواج شيء قبيح ـ بغض النظر عن كون الجنس آمِناً او انه تم بِرِضى الطرفين. وقد رفعتْ الحملة شعارات مثل «كيف تاكل كعكعة سبق ان قضم منها احد قبلك؟» لإشعار الناس بأن ممارسة الجنس قبل الزواج شيء مخزٍ. وارتدى الشباب



والفتيات الذين اكملوا برنامج العفة المذكور ميداليات فضية ليُظهِروا على الملأ وعدهم بالتعفف. لكن هل نجح البرنامج بتغيير عادات الشباب والفتيات الجنسية؟ لم تُظهِر النتائج التي نشرتها دائرة الصحة والخدمات البشرية في الولايات المتحدة عام 2007 أي دليل على أن البرنامج كانت له تأثيرات على نِسَب العفة الجنسية.

من المؤكد انَّه ما كُلُّ امرأة امريكية تريد فقدان عذريتها باسرع ما يمكن او قبل الزواج. ان موقف المرأة من عذريتها ومن عذرية النساء الاخريات يتأثر بلا شك بالتوقعات الدينية والثقافية. تكشف الدراسات عبر الثقافية للجنسانية عن اختلافات مهمة في كل من الموقف من العذرية وفي نِسَب ممارسة الجنس قبل الزواج، وقد ظهرت تلك الاختلافات حتى بين الجماعات الاثنية المختلفة التي تعيش في البلد نفسه. يعتمد موقف المرأة إلى حد ما على مدى اندماجها مع، وتشبعها بالعرف السائد في امريكا الشمالية، والذي تعكسه وسائل الاعلام الجماهيرية في تصويرها للجنسانية وكذا تعكسه سلوكيات غالبية النساء على ارض الواقع، ومُقتضى هذا العرف انَّ النساء يمارسن الجنس قبل الزواج. اظهرت دراسة اجراها مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية على أكثر من 400 امرأة جامعية كندية، ان 72% من النساء اللاتي ينحدرن من اصول اوربية مارسن الجنس قبل الزواج، مقارنة بنسبة 43% في صفوف النساء اللاتي ينحدرن من جنوب شرق اسيا، وكانت اغلبيتهن من الإثنية الصينية[3]. كذلك فإن السن الذي تمارس فيه المرأة الجنس لاول مرة اختلف بين المجموعات الفرعية الاثنية للنساء الكنديات. فمتوسط عمر النساء ذوات الاصل الاوربي عند فقدان عذريتهن كان 17 عاما، بينما كان



المتوسط 18 عاما بين النساء الجنوب ـ شرق اسيويات. كذلك اظهرت دراسة اجراها مختبر ميستون حديثاً جداً على أكثر من 900 امرأة جامعية امريكية اختلافات بين المجموعات الاثنية في نِسَب ممارسة الجنس قبل الزواج، ولو انها ليست بارزة[4]. اذ افصحت 76% من النساء ذوات الاصل الاوربي، 71% من النساء الهسبانيات، و66% من النساء ذوات الاصل الاسيوي، انهن قد مارسن الجنس قبل الزواج.

ليست امريكا الشمالية هي المكان الوحيد الذي يترسخ فيه التحرر الجنسي. ففي مسح أُجرِيَ مؤخراً على 500 رجل أعزب وامرأة عزباء في شانغهاي في الصين، قال 60% فقط من الرجال والنساء ان العذرية كانت صفة مطلوبة في الزوجة[5]. ومع ان هذا يبقى رقما مرتفعا مقارنة بالثقافات الغربية، فإنه منخفض جدا مقارنة بالارقام التي توصلت اليها دراسات اقدم. في الواقع، اظهرت دراست عبر ـ ثقافية نشرت عام 1989 ان كلا من الرجال والنساء الصينيين كانوا ينظرون إلى العذرية بوصفها صفة لا غنى عنها في الزوجة. فيما كان السويديون،على النهاية القصية الأخرى، يرونها كشيء لا أهمية له[6]. ربما يكون السبب في الاختلافات الثقافية هذه، هو الاختلافات في درجة الاستقلال الاقتصادي للنساء. ففي العام 1989، كانت النساء السويديات أكثر استقلالا اقتصاديا بكثير من نظيراتهن الصينيات، وبالتالي غير معتمدات على الرجال في توفير الموارد، لذا فقد كُنَّ أكثر حرية في استكشاف جنسانيتهن. بالنسبة للنساء، حرية اقتصادية أكثر تُتَرجم إلى حرية جنسية أكبر.

تُظهر قضية قانونية أُثيرت مؤخرا في فرنسا إلى أي درجة مازال الدين والثقافة يؤثران على حرية المرأة بممارسة الجنس قبل الزواج.



تدور القضية حول فسخ زواج زوجين شابين مسلمين عام 2008 لانَّ العريس اكتشف ان زوجته ليست عذراء. وِفْقاً للتقاليد الاسلامية، فعلى الزوجين اتمام زواجهما خلال حفلة الزفاف، بأن يُلَوِّحَ العريس ـ بفخر ـ بملاءة ملوثة بالدم كعلامة على عذرية زوجته الجديدة. لكن ما اثار فزع العريس، ان ملاءة السرير بقيت بيضاء من غير سوء ـ وهذه واحدة من الحالات القليلة التي لا يقترن فيها البياض بالعفة والنقاء ـ. وعليه فقد رفع العريس دعوى بالتفريق. اثارت القضية ضجة عبْر اوربا في صفوف المنظمات النسوية، نشطاء حقوق المرأة، منظمات الحقوق المدنية، الإعلام وبعض المسؤولين الحكوميين. احتج البعض بأنه ليس من صلاحيات القانون تطليق زوجة بناء على اُسُسٍ دينية. فيما قال الداعمون لقرار المحكمة انه ليس قائما على اساس ديني، بل انَّ كون الزوجة غير عذراء يُعَدُّ «خرقا للعقد».

ان الضغوطات للحفاظ على العذرية قبل الزواج قد تكون اصعب كثيرا على النساء المهاجرات اللواتي يشعرن بالصراع بين المعايير الجنسية للثقافة الجديدة التي انتقلن للعيش فيها، وبين تلك الخاصة بثقافتهن الاصلية.ففي الثقافات التي تكون فيها العذرية شرطا واجبا للزواج، قد تواجه النساء العازبات غير العذراوات عواقب خطيرة، ليس فقط من قبل من سيتقدمون للزواج منهن، بل من قبل اخوانهن واباءهن غالبا، وأحيانا من مجتمعهن باسره. عندما تكون العذرية عالية القيمة، فإن كلمة المرأة نفسها لا تكفي. لا بد من برهان ساطع. وهذا ما ادَّى إلى اختراع العديد من «اختبارات العذرية» السخيفة عبر التاريخ، كقياس حجم جمجمة المرأة، تسجيل اوقات تبولها، تَفَرُّسِ شكل ثدييها او نقاء بولها، واختبار



تأثير شمع إذن الرجل على فرجها.في العصور الوسطى كان يتم تغطية المرأة بقطعة قماش، ثم يتم حرق نوع من الفحم في الحجرة، فاذا لم تشم رائحته، يُعلن انها عذراء. (على الأقل منح هذا الاختبار النساء فرصة 50% في اعطاء الاجابة الصحيحة).

للقرون الخمسة الماضية على الأقل، كان ثقب غشاء البكارة هو العلامة القياسية على فقدان العذرية. ان الكلمة الاغريقية «hymen» تعني «غشاء»، وكان المصطلح في السابق يشير إلى أي غشاء في الجسم، لكن في وقت ما اصبح مرتبطاً حصراً بغشاء مهبل المرأة. يعتقد بعض الناس ان غشاء البكارة هو قطعة ممطوطة من الجلد تغلق مدخل المهبل بالكامل. لكن الامر ليس كذلك. قد تواجه اخصائيي الامراض النسائية اغشية بكارة من هذا النوع فعلا، لكنها تسمى حالة «البكارة الرَتْقاء». اذ يعتبر هذا النوع من البكارة الذي يسد المهبل بالكامل تَشَوُّهاً خلقياً يتطلب جراحة صغرى لفتح المهبل لأجل الجنس او لأسباب صحية أخرى.

في الواقع فإن غشاء البكارة هو نسيج غشائي يغطي فقط جزءاً من فتحة المهبل ـ كما لو انه زائدة جلدية. ياتي غشاء البكارة باشكال واحجام مختلفة، كما أن ابعاده تتغير بتقدم المرأة بالسن ـ سواء مارستْ الجنس او لم تفعل. تكون بعض الاغشية قوية وبعضها ضعيفة، بعضها مكتظ باوعية دموية بحيث ينزف عند تمزقه، وبعضها الآخريخلو منها ولا ينزف. يمكن لاغشية البكارة الضعيفة ان تتمزق بسهولة نسبيا خلال القيام بنشاطات مثل ركوب الدراجات او الاحصنة (يمكن أيضا للسدادات القطنية ان تتسبب في تمدده ولكنها لا تمزقه الا نادراً)، كما أن بعض اغشية البكارة قد تَنْحَلُّ ذاتياً خلال الطفولة دون سبب خارجي. وما نريد قوله هنا، هو



ان الاختبارت الحديثة لعذرية المرأة قد لا تكون أكثر موثوقية من قياس جمجمتها كما كان القدماء يفعلون.

لكن لا يبدو أن الناس سيتخلون عن «اختبار العذرية بالنزيف» قريبا. في الواقع فإن آخر صرعات الطب الجراحي النسائي هي «رتق غشاء البكارة «hymenoplasty ـ وهي جراحة مدتها 30 دقيقة يجري خلالها رأب غشاء البكارة الممزق. في فرنسا، تزاحمت العديد من النساء المسلمات على عيادات الجراحين الذين يجرون هذه الجراحة عقب قضية فسخ الزواج التي تطرقنا اليها قبل قليل.عرض منظِّمو السياحة العلاجية في فرنسا عروضا يمكن من خلالها اجراء الجراحة في تونس بنصف السعر المعتاد 3500 يورو. وقد يكون اجراء جراحة صغرى كهذه أفضل قليلا من ادخال كيس مليء بالدم مصنوع من احشاء الطيور إلى داخل المهبل (تقنية استُخدِمت قديما «لاستعادة»البكارة). يقول بعض الناس انَّ السماح للاطباء «بتصفير عداد المسافة الخاص بالنساء» ـ على حد تعبير الفلم الايطالي قلوب النساء Women's Hearts ـ قد يعزز الاسطورة الشعبية القائلة ان غشاء البكارة السليم اثبات موثوق للعذرية. بينما يقول آخرون انه اذا كان لهذه الجراحة الصغرى ان تجنب المرأة التعرض للضرب المبرح او الحرق بالاسيد ـ عقوبة شائعة للنساء اللاتي يثبت انهن لسن عذراوات في المجتمعات التي تعلق أهمية كبرى على العذرية ـ وتسمح للنساء بالاندماج في مجتمعهن، فلا بأس بها.

مجرد فضول

«بعد أن انفصلت عن اول شخص مارست معه الجنس، تساءلتُ عما



اذا كان الجنس مع اشخاص آخرين غيره سيكون مختلفا بشكل كبير، لذا فقد مارست الجنس مع فتى آخر عرفته.. وبالفعل كان الامر مختلفا جدا».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 18

افصحت نساء من جميع الاعمار في دراستنا عن قيامهن بممارسة الجنس بداعي الفضول فقط. كانت بعضهن فضوليات بشأن ما سيكون عليه شخص بعينه في السرير، او ما اذا كان الشخص جديراً حقا بالسمعة الجنسية المعروفة عنه، بعضهم لم يخيبوا امال النساء:

«في الكليِّة، كانت تربطني صداقة مع شاب يشتهر عنه انَّه بارع في السرير. وذات يوم كنا نشرب وحدثته بشان سمعته الجنسية. وسالني ما اذا كنت راغبة في ان اتحقق مما كان يشاع عنه (كنا دائما نتبادل المغازلات). ولدهشته، اجبتُ بنَعم. وكانت واحدة من أفضل تجاربي الجنسية!».

امرأة غيرية الجنس، العمر 27

فيما خيب البعض الآخر امالهن:

«التقيت باحدهم في الكليَّة وكنت قد سمعت اشياء جيدة عن سلوكياته الجنسية. بدأت بمواعدته، وكان السبب الرئيسي في ذلك هو ما سمعته عنه من صديقة لي. مارسنا الجنس مرة واحدة في اول اسبوع من المواعدة. لقد خيب املي، لكنني كنت مسرورة بأني تاكدت بنفسي. وقمت بعد ذلك بانهاء 'العلاقة'».

امرأة غيرية الجنس، العمر 26

ثار فضول بعض النساء لمعرفة كيف يكون الجنس مع شخص من جندرٍ (نوع) لم يمارسن معه الجنس من قبل:



«بعد أن أنهيت علاقتي الرومانسية طويلة الأمد الأولى (استمرت عامين،وأنهيتها بعمر الثامنة عشرة)، لم يكن قد سبق لي ان مارست الجنس الا مع شريك واحد غيريِّ الجنس. وقد شعرت بأن الوقت قد حان لاستكشاف جنسانيتي فبحثتُ عن شريكات اناث لممارسة الجنس معهن. لم افعل ذلك فقط لكي أعرف ما سيكون عليه الجنس مع شخص آخرغير شريكي السابق، بل مع شخص من جندر آخر أيضا».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر20

او من إثنية أخرى أيضا:

«كنت في حوالي الثامنة عشرة.. وما كان يدور في راسي انذاك همم، كيف سيكون فتىً ايطالي او عربي في السرير؟ اعتقد انني اردت ان أعرف كيف يكون الرجال من هذين العرقيتين في السرير. عندما افكر في الامر الان اجده غباءً. لكن إلى ذلك الوقت كنت قد ضاجعت اثنين من بورتوريكو، وشابّين ابيضين، وقد اردت ان اجرب شيئا جديدا».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

هل لممارسة الجنس مع شخص من عرق او اثنية أخرى طعم مختلف؟ هناك بالتاكيد معتقدات نمطية شائعة حول مَنْ هم العشاق الأفضل، لكنها تقوم اساسا على الافلام،الروايات الرومانسية، والفلكلور الشعبي. لم يُجْرَ ابدا أي بحث علمي بخصوص ما اذا كان افراد عرق معين يتميزون بقدرات خاصة كعشاق عن افراد الاعراق الأخرى. هناك اختلافات كبيرة في القدرات والاساليب الجنسية بين الافراد ضمن الجنس الواحد ايا كان، كما أن هناك فروقات هائلة بين النساء فيما يجدنه ممتعا جنسيا. على



أن الاشخاص من اعراق او اثنيات مختلفة يبدون مختلفين مظهريا، كما أن اللكنات المختلفة تجعل اصواتهم مختلفة، وكذا فإن الاختلاف في غذائهم يمكن أن يجعل روائحهم تختلف أيضا. وبجمع كل هذه الصفات معا، يعطي ذلك الحواسَّ انطباعاً بالغرابة، وفيما يتعلق بالجنس، يمكن للغرابة ان تكون مثيرة جنسيا بشكل كبير.

واحدٌ من ابعاد الغرابة هو الجندر، وتظهر بعض الدراسات ان الجندر يؤثر على الاشباع الجنسي. إذ إن احتمالية وصول النساء اللاتي يمارسن الجنس مع نساء آخريات للنشوة، أكثر من احتمالية وصول النساء اللاتي يمارسن الجنس مع الرجال لها[7]. هناك عدة تفسيرات لهذا.اولها،ان الجنس بين رجل وامرأة يتضمن عموما الجماع، وليس الجماع امثل طريقة لوصول المرأة للنشوة. وثانيها، انه في العلاقات غيرية الجنس، يكون الرجل على الارجح هو من يرغب بالجنس أكثر من المرأة. وبالتالي فإن النساء يمارسن الجنس في هذه العلاقات بهدف ارضاء الرجل دون أن يتطلعن للوصول لنشوتهن الخاصة. وهذا لا يحدث الا قليلا في العلاقات المثلية بين شريكتين. فطبقا لدراسة اجراها الباحثان الجنسيان ويليام ماسترز وفرجينيا جونسون، قاما من خلالها بمقارنة السلوكيات الجنسية بين شركاء العلاقات المثلية وشركاء العلاقات الغيرية، فإن النساء في الواقع يمكن أن يكن أفضل من الرجال في معرفة كيفية اشباع امرأة أخرى جنسيا[8]. تَعْرِف النساء اجسام النساء الاخريات. واذا كانت المرأة ذات خبرة جنسية، فإنها تعرف كيف واين ومتى وماذا تلمس بالضبط لكي تختبر المرأة الأخرى اللذة الجنسية.يسمي ماسترز وجنوسون هذا بالـ«بالتقمص الجندري».

مما لا شك فيه،فإن الشيء الرئيسي الأكثر اثارة للفضول الجنسي



للنساء، هو التساؤل عما اذا كان الفرق في حجم القضيب يخلق فرقا عند ممارسة الجنس، وما هو الفارق لو وجد:

«لم يكن اول شخص مارست معه الجنس ذا قضيب كبير. كان الامر في منتهى السوء باعتقادي. فيما كان الشخص التالي ذا قضيب كبير. اردت ان اختبر الفرق».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

«لدي صديق لا أُكِنُّ له أي مشاعر رومانسية اطلاقا. حتى انه ليس بيننا الكثير من المشتركات، لكنه عموما شخص طيب. وذات ليلة حوالي الثالثة فجرا، كنا في غرفتي شاعرَيْن بالسأم، وقد بدأ فجأة بتحسس رقبتي ورأسي وهذا من أكثر الاشياء اثارة لي. ثم تصاعدت الامور نوعا ما، غالبا لانه لم يكن لدينا شيء آخرلنفعله. لم تخطر ببالي من قبل ابدا ممارسة الجنس معه، لكنه كان يحدثني دائما كيف ان قضيبه الكبير جدا يقف عائقا في حياته الجنسية لان الفتيات يخفن منه. وقد قررت ان اجرب بنفسي. كان مجرد فضول لانه لم يسبق لي ممارسة الجنس الا مع رجال بحجم قضيب ضمن المتوسط (أقل من المتوسط بكثير في إحدى الحالات). في الحقيقة كان أكبر قضيب رايته خارج الافلام الاباحية، كان يبلغ حوالي 9 بوصات طولاً وبقطر 3 بوصات. وقد فهمت وقتها لماذا فَزِعَت الفتيات. اكتشفت الامر وليتني لم افعل، لكني قررت المضي حتى النهاية. لم يتمكن من ايلاجه الا بشق الانفس،و لم يتمكن من تحريكه في الداخل الا بالكاد. ربما كانت الممارسة الجنسية الأقل اشباعا لي، لانه يصعب ان يلامس القضيب البقعة المثيرة اذا كان عالقا ولا يمكنه الحركة اصلا».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر24



ان قضيبا بابعاد 3 في 9 بوصة هو خارج المدى الطبيعي بالتاكيد. فوفقا لاغلبية المسوحات، فإن متوسط طول القضيب في حالة الانتصاب هو 5ـ 6 بوصات، و3ـ 4 بوصات في حالة الارتخاء. وخلافا للمعتقدات الشعبية الشائعة، فإن طول القضيب لا يرتبط كثيرا بطول القامة. ففي دراسة اجراها ماسترز وجونسون على قضبان أكثر من 300 رجل في حالة ارتخاء، كان الأطول من بينها يبلغ خمسة بوصات ونصف طولاً، ويعود لرجل طول قامته 5 أقدام و7 بوصات، فيما كان القضيب الاصغر يبلغ بوصتين وربع طولاً ويعود لرجل رَبْعةٍ بطول قامة يبلغ 5 أقدام و11 بوصة. اذا كانت المرأة من النوع الذي يستمتع بتحفيز عنق الرحم في أثناء الجماع، فإن الحجم مهم في هذه الحالة. وبالنسبة لاغلب النساء،فإن قضيبا بطول 5ـ 6 بوصات أكثر من كاف للوصول لعنق الرحم عندما تكون المرأة مثارة جنسيا.

عندما يتحدث الناس عن حجم القضيب فإنهم يقصدون في الغالب طوله. ولكن بحسب إحدى الدراسات، فإن عرض القضيب قد يكون اهم في تحديد ما اذا كان القرين «مؤهلا». قام عالم النفس رَسل ايزنمان Russell Eisenman وزملاؤه في جامعة تكساس بادنبرغ، بسؤال 50 امرأة جامعية نشِطة جنسيا عن أي الشيئين اهم في الاشباع الجنسي بالنسبة لهن، طول القضيب ام عرضه(9). من المفاجيء ان 45 منهن قلن إن العرض أكثر أهمية. فيما قالت 5 منهن فقط ان الطول أفضل، ولم تقل أي واحدة انه ليس بوسعها ان تحدد. قد يكون القضيب الاعرض أكثر قدرة على تحفيز البظر خلال الجماع، وكذا تحفيز الجزء الخارجي من المهبل، وهوالأكثر حساسية.



اختبار الاداء الجنسي

افصحت بعض النساء في دراستنا عن قيامهن بممارسة الجنس كنوع من «اختبار للعلاقة». بمعنى انهن اردنَ معرفة ما اذا كان الشخص «جيدا بما فيه الكفاية» في الفراش للمضي في العلاقة:

«اعتقد ان هذا تطور طبيعي للعلاقة.اذا خرجتُ مع شخص عدة مرات إلى أن انتهى بنا الامر لممارسة الجنس، فإنني أكون فضولية لمعرفة اداءه الجنسي. فاذا كان سيئا جدا، فلا شيء تقريبا يجبرني على البقاء في العلاقة. اما اذا كان رائعا فإن هذا سبب للاستمرار بها».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر23

«سبق لي ان مارست الجنس مع اشخاص لمعرفة ما اذا كانو جيدين في السرير، لكي استطيع ان احدد ما اذا كنت اريد المضي قدما في العلاقة ام لا. كانت النتائج مختلفة لكنها ايجابية في اغلبها. فمثلا فعلت هذا مع حبيبي الحالي وقد كنت مسرورة بأني عرفت اداءَهُ الجنسي قبل ان اقرر نوع العلاقة التي أريد أن تجمعنا. كنت اشعر وقتها ان الامور بيننا تمضي على مايرام، وبأن الخطوة المنطقية التالية هي ان أعرف كيف هي ممارسة الجنس معه».

امرأة ثنائية الميل الجنسي، العمر24

ارادت إحدى النساء ان تتاكد قبل الاقدام على الزواج من خطيبها ان الجنس الذي يقدمه لها لايقل جودةً عما يتوفر عند غيره:

«ناقشت مع حبيبي امكانية الزواج. ثم انتابني التردد. كنت أتساءل ما



اذا كان الجنس الذي أمارسه معه جيداً بما يكفي. لذا مارست الجنس مع شخص آخر اعتقدت انه أفضل في الفراش».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 20

ان استخدام الجنس كاختبار للعلاقة هو على العكس تماما من التقليد القديم الذي يقتضي ان تنتظر المرأة حتى الزواج لممارسة الجنس. يكشف هذا بوضوح ان الجنس الجيد جزء مهم من العلاقة للكثير من النساء ـ مهم إلى درجة ان الافتقار له قد يخرب العلاقة. ان النساء في دراستنا اللواتي افصحن عن قيامهن باختبار التوافق الجنسي للشريك المحتمل قبل ان يلتزمن في العلاقة معه كن غالبا الاصغرسنا، في العشرينات والثلاثينات. لكن البحوث تظهر ان الجنس يلعب دورا مهما في العلاقات بالنسبة للنساء في جميع المراحل العمرية. ففي دراسة اجراها المسح الوطني للرأي العائلي، وهو مشروع ممول من عدة شركات، اجابت 745 امرأة امريكية تتعدى اعمارهن الـ45 عن اسئلة حول أهمية الجنسانية في حياتهن. قالت نصف النساء بين عمر الـ45 والـ59 إنهن يشعرن بأن امتلاكهن علاقة جنسية مشبِعة عامل مهم في تحقيق الرفاهية العامة في حياتهن. وقد افصح المجلس الوطني للشيخوخة عن نتائج مماثلة بين مجموعة من النساء الامريكيات بعمر الستين فأكثر. اذ قالت ثلثا النساء النشطات جنسيا من هذه المجموعة، ان المداومة على النشاط الجنسي كان جزءاً مهما من علاقتهن بشركائهن.

الممارسة تُكْسِب الاتقان

«كثيرا ما أمارس الجنس بدافع اكتساب الخبرة. اعتقد ان هناك دائما امكانية للوصول لمستوى أعلى من الاتقان، كما اشعر بأنه من المهم



ان تكون ماهرا عند ممارسة الجنس مع احدهم. لا أريد أن أكون سلبية لا اقوم بفعل شيئ خلال الجنس. أريد أن انغمس في الامر واساهم فيه بنشاط. وهذا أفضل لكلا الشريكين».

امرأة غيرية الجنس، العمر20

حددت العديد من النساء في دراستنا، وخاصة النساء الاصغر سنا، حدَّدن تحسين مهاراتهن الجنسية كدافع لاكتساب الخبرة الجنسية. قالت بعض النساء انهن اردن اكتساب الخبرة الجنسية لتجنب النظر اليهن من قبل الآخرين على أنهن جاهلات جنسيا:

«في المرة الأولى التي مارست فيها الجنس، كان السبب الرئيسي هو انني كنت في التاسعة عشرة وانني شعرت ان الوقت قد حان «لاتعلم كيف » أمارس الجنس..لذا كانت المرة الأولى مع شخص أكبر سنا مني بكثير ولم اكن مهتمة به كثيرا، انما كان الدافع الرئيسي انني اردت ان اتعلم ما ينبغي عمله في المرة القادمة. وبوضوح أكثر: لم يكن الدافع هو ان انهي حالة العذرية التي كنت عليها، لم يكن ذلك يضايقني بحد ذاته. لكنني شعرت ان شخصا بعمره يفترض ان يكون ذو باعٍ طويل في الجنس، لذا قمت بما اعتقد انني بحاجة له لكي اتعلم».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

«عندما كنت بعمر الرابعة عشرة، كنت محبطة من كوني غير ماهرة في اداء الجنس الفموي. لم اقم بذلك ابدا، لكني اردت ان اقوم ببعض الممارسة قبل ان ابدأ بمواعدة شخص كنت أحبه ـ شخص اهتم لرأيه بمدى مهارتي في الجنس الفموي. كنت معتادة على الخروج برفقة



صديقاتي إلى مراب للسيارت حتى وقت متاخر ليلا، لمشاهدة سباق للدراجات النارية وكنا نقوم بمغازلة هؤلاء الشبان. وقد سالني احدهم ذات ليلة.. ما اذا كنت اوافق على أن اكشف عضوي التناسلي لاحد اصدقائه لامتاعه. ضحكتُ فعرض علي 5 دولارات ففعلت ذلك بسرعة وانصرفت قائلة: ليس هذا كل ما استطيع عمله. لحقني احدهم إلى مسافة قريبة وسالني ما اذا كنت اوافق على منحه جنسا فمويا مقابل خمسة دولارات. كان ذلك هو ما احتجته بالضبط. وقد وافقتُ. وفعلنا ذلك في الباحة الخلفية لمنزل احد الأصدقاء وكان ذلك شيئا كريها. اختنقت وكدت اتقيأ. وشعرت بالضعف. وبعد أن ذهب شعرت بالاثم، كما لو اني قد بعت احترامي لنفسي للتو. شعرت بالعار نوعا ما، لكني تجاوزت الامر بعد يوم او نحوه».

امرأة «طبيعية + »، العمر19

قالت إحدى النساء انها ارادت اكتساب الخبرة الجنسية لكي تمارس الجنس بشكل أفضل ليلة زفافها:

«قررت انني اريد ممارسة الجنس قبل الزواج، بشكل اساسي لانك تريد ان تعرف ماذا تفعل وكيف تتصرف عندما تتزوج. يمكن أن يتحول الامر إلى شيء كريه او محرج اذا لم تكن تعرف ما تفعله خصوصا عندما يكون احد الشريكين بتولاً والآخرليس كذلك... اعتقد ان هناك الكثير من الأهمية والحاجة الماسة لاتمام الجزء الجنسي من الزفاف.انَّهُ من الأهمية بمكان بالنسبة للكثير من الناس لذا فإنهم يريدونه ان يكون متقنا».

امرأة غيرية الجنس، العمر20



ان اغلب النساء اللواتي مارسن الجنس بدافع تحسين مهاراتهن الجنسية اساسا، فعلن ذلك لانهن اعتقدن بأنه سَيُسهِم في جعل تجربتهن الجنسية أفضل عموما ـ وليس فقط التجربة الجنسية لشركائهن:

«مارست الجنس مع حبيبي لاحسن مهاراتي الجنسية من أجلنا نحن الاثنين. كل مرة نمارس الجنس اختار ان اقوم بما يحسن مهاراتي الجنسية لكي ينعم كلانا بتجربة جنسية أفضل من سابقتها».

امرأة غيرية الجنس، العمر20

لقد وثَّق علم الجنس انه كلما كانت المرأة أكثر خبرة جنسية، كلما زاد احتمال وصولها للنشوة. والسبب بسيط: كلما مارست المرأة الجنس أكثر، كلما زادت فرصتها في تعلم ما يشعرها باللذة الجنسية ويوصلها إلى النشوة. يمكن للخبرة الجنسية ان تفسر أيضا لماذا تتردد كثيرا مقولة ان «المرأة تبلغ ذروتها في الثلاثين» ـ وهي مقولة دعمتها بحوث علمية منذ المسح الشهير الذي اجراه الفريد كنزي في اوائل الخمسينيات ـ. توصل كنزي إلى أن العدد الاجمالي للنشوات الجنسية التي تحصل عليها المرأة بمختلف الطرق، بما فيها الجماع والاستمناء، كان في اقصى ارتفاع له حول عمر الثلاثين. وفي دراسة احدث على الرغبة الجنسية لـ1414 امرأة امريكية وكندية من اعمار مختلفة، تبين أيضا ان الذروة الجنسية للنساء كانت في الفئة العمرية30 ـ 34 عاما[10]. كذلك وَصفت النساء في هذه الفئة العمرية أنفسهنَّ بأنهن أكثر «شهوانية» و«اغراء» «ونشاطا جنسيا» من النساء في أي فئة عمرية أخرى شملتها الدراسة. في امريكا الشمالية، فإن اغلبية النساء عندما تبلغ الثلاثينات، تكون قد مرت بتجارب جنسية كثيرة ومارست الجنس مع تنوع من الشركاء المختلفين. بحسب إحدى



الدراسات، فإن ما يقارب%25 من النساء في عمر الثلاثينات قد مارسن الجنس مع 5 إلى 10 شركاء مختلفين منذ بلوغهن عمر الـ18، ومايقارب الـ 10% من النساء الثلاثينيات مارسنه مع أكثر من 21 شريكا مختلفا[11]. وعلى العكس من ذلك، فإن 15% فقط من النساء في سنين المراهقة سبق لهن ممارسة الجنس مع 5 ـ 10 شركاء مختلفين، وما يقارب ثلثهن لم يمارسن الجنس الا مع شريك واحد. وبالتالي، فإن النساء بعمر الثلاثينات عادة ما يمتلكن خبرة جنسية كافية ليعرفن كيفية الوصول إلى اللذة الجنسية. وبالمقارنة مع النساء في المراهقة او العشرينات، فإن الثلاثينيات يملن إلى أن يكن أكثر ثقة بأنفسهنَّ. ومع الثقة تاتي الجرأة للتواصل مع الشريك ومصارحته بالاحتياجات والرغبات الجنسية.

ليس الارتباط بين الخبرة الجنسية والاشباع الجنسي في المرأة واضحا جدا. فعلى المدى القصير، كلما زادت خبرة المرأة الجنسية، كلما زاد سعيها للحصول على تجربة جنسية أكثر اشباعا. ولكن على مستوى العلاقات الملتزمة طويلة الأمد، قد لا يكون امتلاك المرأة للخبرة الجنسية شيئا جيدا. فمثلا، ماذا لو وجدت المرأة شخصا يعجبها كثيرا جداً ـ منجذبان إلى بعضهما كثيرا ولديهما اهتمامات مشتركة واهداف مماثلة في حياتهما، وكان الشريك المحتمل هذا ذكيا، عطوفا، ومخلصا ـ لكن هذا «القرين القريب من الكمال» يفتقر جدا للمعرفة في مجال ممارسة الحب ولا يبدو أنه ينوي ان يتعلم؟ ماذا إذَن؟ هنا قد يحتج البعض بأن امتلاك المرأة للخبرة الجنسية قبل الزواج ليس شيئا جيدا ـ أي ان جهلها بالخيارات الأخرى يكون أفضل على المدى البعيد. إذا لم تكن قد تذوقْتَ الشمبانيا الفرنسية الفاخرة، فسيبدو لك مذاق النبيذ الفوّار المصنوع في



كاليفورنيا عظيما. وعلى كل حال، بناء على ما افادت به بعض النساء في دراستنا، فإن الحصول على اللذة الجنسية في العلاقة شيء لا تنازل عنه ولا نقاش فيه.

ان كون امتلاك الخبرة الجنسية شيئا جيدا او سيئا يعتمد على الكثير من الخصائص الفريدة لكل امرأة على حدة.فاذا اختارت المرأة «انْ لا جنس قبل الزواج» وكانت راضية باي شيء ياتي الزواج به، فسيكون هذا الخيار الامثل لها. لكنها اذا قضت ليالي بعد ذلك تتخيل ممارسة الجنس مع رجال آخرين غير زوجها، او انْجَرَّتْ لممارسة خيانة خارج الزواج بدافع الفضول المجرد، إذن فربما كان الأفضل لها لو كانت قد تفحصت الخيارات المتاحة لها قبل الزواج:

«فقدت عذريتي مع خطيبي عندما كنت في الخامسة عشرة وفي ذلك الوقت كان قد مضى على علاقتنا سنتان وكنت أعرف أنني اريد الزواج منه، وقد رغبت بأن اجرب الجنس مع رجال آخرين. وانتهى الامر إلى قيامي بخيانته. أنا أتأسف كل يوم على ما فعلته لكني اعتقد اني كنت احتاج ان اجرب ذلك لكي امضي قدما في علاقتي».

امرأة غيرية الجنس، العمر 18

اما اذا اختارت المرأة ان تكون «متسوقة خبيرة» فإنها حينئذٍ ستخاطر بأن لا يرتقي قرينها الذي اختارته ليكون بمستوى خبراتها الجنسية السابقة. اذ لا يمكن أن تحصل على نفس لذة الجنس اللاهب الذي مارسَتْه قبل سنين مع الفتى فابيو في عطلة على شواطيء اليونان، لا يمكن أن تستعيده في بيتها مع صراخ الاطفال والكلب الذي يحتاج إلى اخذه في



جولة والتعب والارهاق الذي يستولي عليها وعلى زوجها بعد يوم عمل. فاذا تعلقت المرأة بهذه الذكريات، واخذت تقارن حياتها الجنسية الحالية مع علاقة جنسية حامية كانت لها في الماضي، فلا شك انها ستشعر انها قدمت تنازلا محبطا في ما يخص حياتها الجنسية. لكن اذا كانت المرأة قادرة على أن تضع هذه الخبرات الماضية في سياقها الصحيح، وأدركت أنَّ العشاق الملتهبون ليسوا دوما الشركاء الأفضل لعلاقة طويلة الأمد، فلن تؤثر ذكرياتها هذه سلبا على حياتها الجنسية الحالية.

التنويع، شَطّة الحياة الجنسية

في مختبر ميستون، نادراً ما يمر شهر دون أن يتصل بنا احد العاملين في وسائل الاعلام ليسالنا عن تفسير علمي لما يزعمه الناس من ان تجربة اطعمة او اعشاب او ممارسات جنسية جديدة يحدث «نشوة جنسية فائقة». غالبا ما يكون التفسير باختصار هو الغرابة او الجِدَّة. يسأم الناس اذا كان الوضع روتينيا وجميع جزئياته معروفة وقابلة للتنبؤ بها ـ مثل ممارسة الجنس دائما في نفس الوقت ونفس المكان وبنفس الوضع ـ ان تجربة شيء جديد، كعمل جنس الفموي بعد مضغ علكة ذات نكهة نعناع قوية (صرعة راجت في 2008 وقد سالَنَا الناسُ بخصوصها)، تخلق احاسيس جديدة، وتستثير الانتباه، وتُتَبِّل الامور. قالت بعض النساء في دراستنا انهن يمارسن علاقات جنسية مع اشخاص مختلفين لاضفاء التنويع على حياتهن الجنسية:

«لا اعتبر نفسي احادية الشريك.استمتع بممارسة الجنس مع اشخاص مختلفين، لانهم يختلفون عن بعضهم في كل ما يفعلونه في أثناء الجنس».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 28



«انا وعشيقتي محبتان للجنس السادي والمازوخي، وهي أكثر خبرة مني. وغالبا عندما نسمع او نقرأ عن تقنيات او انشطة جنسية جديدة، فإننا نحاول تجربتها خلال لقائنا الجنسي لكي نكتسب خبرة أكبر بها».

امرأة مثلية الجنس غالبا، العمر 21

وبالنسبة لبعض النساء، فإن اضفاء التنويع على حياتهن الجنسية يعني ممارسة الجنس مع شخص آخرغير الشريك الاساسي:

«عندما كنت في علاقة ليزبيانية مع إحدى عشيقاتي، قررنا ممارسة الجنس مع عشيقة سابقة لي لكي نلهب الامور قليلا. كنت لازلت على صداقة مع عشيقتي السابقة ولم تثر غيرةٌ بينها وبين عشيقني الحالية».

امرأة كُلِّيَّة الميل الجنسي، العمر 33

«انا في علاقة منذ تسعة سنوات، وفي وقت ما بدأت شرارة الجنس بيننا بالخمود. لذا فقد اتفقنا انا وزوجي على تكون علاقتنا مفتوحة على الآخرين لكي يمارس كل واحد منا الجنس مع مَنْ يريد. شعرنا ان هذا قد يؤدي إلى مزيد من الحميمية في العلاقة بيننا، وهذا ماحدث فعلا. كلانا الان متعدد الشركاء».

امرأة عديدة الشركاء، العمر 30

أحيانا، قد تبحث المرأة عن شريك آخر كَحَلٍّ لعدم توافق رغبتها الجنسية مع رغبة شريكها الاساسي:

«انا امرأة جنسية جدا، واسمتع باساليب بعينها في ممارسة الحب. لا اماثل زوجي في الغريزة الجنسية، وحتى عندما نمارس الجنس فإن زوجي



ينتهي بسرعة ولا يلقي بالاً لاحتياجاتي. وقد اخترت شركاء مختلفين عبر السنين الماضية، لأسباب مختلفة. مارست الجنس مع زميل عمل، ومع عدة رجال متزوجين، وجربت أيضا الجنس الثلاثي (امرأتان ورجل). وقد مارست الجنس مع رجل يصغرني سنّاً كان يعمل في مدرسة ولدي الاعدادية. تعرفت على رجل عبر الانترنت وخنت زوجي معه لمدة طويلة. شعرتُ ببعض العواطف تجاه هؤلاء الاشخاص، لكني لم (اقع بحب) أي منهم على الاطلاق. كان ذلك من أجل المتعة، والجنس الرائع، والتعبير عن نفسي. انه شيء مثير وخطر قليلا».

امرأة غيرية الجنس، العمر39

منذ مدة طويلة، اكتشف باحثون قاموا بدراسة السلوك الجنسي للجرذان، انه لو قمت بوضع جرذ ذكر مع أنثى جرذ هائجة الرغبة في قفص، فإن الذكر سيجامعها فورا. اذ سيقوم باعتلائها مِراراً إلى أن يتعب تماما فيستعد لما يعرف على مستوى البشر بـ«غفوة وسيجارة ما بعد الجنس». لكن لو وضعتَ أنثى جديدة راغبة أيضا بعد اخراج الأولى من القفص مباشرة، فإن الرغبة الجنسية للذكر تشتعل مرة أخرى. في الحقيقة، كلما قمتَ باخراج أنثى ووضع أخرى جديدة مكانها فإن الذكر سيبدأ بمجامعتها مرة أخرى بِهِمَّةٍ لا تفتر. اذ سيواصل ممارسة الجنس مع أنثى عقب أخرى إلى أن يشرف على الموت ارهاقا. يعتقد العلماء ان هذا يحدث لانَّ الدماغ يفرز الدوبامين في كل مرة تقدم فيها للذكر أنثى جديدة. يُشبِع الدوبامين مستقبلات المكافأة في الدماغ، وهذا ما يجعله يكرر ما يفعله لكي يحصل على المزيد من الدوبامين. من الطريف انه اطلق على هذه الظاهرة اسم «تأثير كالفن كوليدج». وأصلُ الحكاية انه عندما كان



الرئيس الامريكي السابق كالفن كوليدج وزوجته يتجولان في مزرعة في بلدة امريكية صغيرة، عرض المُزارعُ على السيدة كوليدج ديكاً قال انَّهُ « يستطيع مجامعة الدجاجات طوال النهار، يوميا دون انقطاع». فطلبت منه السيدة كوليدج ان يقول هذا للسيد كوليدج، والذي كان وقتها يتجول بعيدا عنهما. وعندما قام المزارع لاحقا باخبار الرئيس بذلك سأله الرئيس قائلا: هل هي نفس الدجاجة تلك التي يقوم بمجامعتها مرارا وتكرارا؟ وحين أجاب الفلاح بالنفي قال له الرئيس: إذَنْ قُل هذا للسيدة كوليدج.

هل يوجد تأثير كوليدج في البشر أيضا، مسبباً قيام البعض منهم بخيانة شريكه في العلاقة الثنائية، او حتى تجنب انشاء علاقة ثنائية من الاصل؟ كما ناقشنا في الفصل الثالث، يفرز الدوبامين في أثناء الجنس عند البشر كما عند الفئران، ووظيفته الرئيسية هي انه يعمل كآليَّة مكافأة.لقد تم الربط بين الدوبامين والسلوكيات الادمانية من ادمان الكحول وحتى ادمان القمار، ويعتقد بعض العلماء انه يلعب دورا في الادمان الجنسي أيضا. بالطبع لن تسمح اغلب الجامعات باجراء تجربة الجرذان السابقة على البشر، لذا فإن أفضل طريقة تقريبية لاختبار تأثير كوليدج عند البشر هو ان يقوم الباحثون بتسجيل مدى استجابة الشخص لتكرار التعرض للمثيرات الجنسية. وقد تم اجراء هذا الاختبار على كل من النساء[12] والرجال[13]. فمثلا، يعرض الباحثون على المشاركين اما سلسلة من عشر صور مثيرة جنسيا تحتوي كل صورة على شخصين يمارسان الجنس، كل صورة من العشر تحوي شخصين غير الشخصين الموجودين في الصور التسع الأخرى، أو يقومون بعرض سلسلة من عشر صور لنفس الشخصين وهما يمارسان الجنس، لكن كل صورة تصورهما بوضع جنسي يختلف



عن الصور التسع الأخرى. من ثم يقوم الباحثون بقياس مدى استثارة الشخص جنسيا بعد رؤيته لكل واحدة من الصور. واخيرا يقومون بتقصي مدى التغير في الاستثارة الجنسية للشخص مع الزمن، عند رؤيته للصور الجنسية لنفس الشريكين، مقارنة بالتغير فيها عند رؤيته لشريكين جنسيين مختلفين في كل صورة. عندما اجريت التجربة على النساء، وجد الباحثون انه ما من فرق بين مدى الاستثارة الجنسية للنساء ـ نفسيا وجسديا ـ عند رؤيتهن صوراً جنسية لنفس الشريكين، وبين مدى استثارتهن عند رؤية صور جنسية لشريكين مختلفين كل مرة ـ واستمر هذا التماثل حتى الصورة الحادية والعشرين. على أنه عندما اجريت التجربة على الرجال، ظهر نمط مختلف جدا من الاستثارة. فبعد عرض صور قليلة، كان الرجال يُثارون أكثر عند رؤية صور جنسية لشريكين مختلفين كل مرة، أكثر من استثارتهم عند رؤية صور جنسية جديدة لذات الشريكين. يسمي العلماء هذه الظاهرة بـ«الإعتياد habituation»، ويُعَرَّف على أنه هبوط نِظاميٌّ في قوة الاستجابة ـ بما فيها الاستجابة الجنسية ـ ينتج عن التعرض المتكرر للمثير.

تقترح هذه الدراسات ان حصول الاعتياد على نفس الشريك الجنسي ارجح حدوثا عند الرجال منه عند النساء. ومع ذلك فيجب ان لا يغيب عن بالنا ان هذه التجارب اجريت باستخدام الصور فقط وليس باستخدام اشخاص حقيقيين. وبالتالي فإنها لا تتضمن اتخاذ قرارات بممارسة سلوكيات جنسية. لقد طوَّر البشر ادمغة أكثر رقيا بما لايقاس من ادمغة الجرذان. وعليه فإن عملية اختيار الشريك الجنسي عند البشر، أعقد بكثير من مجرد استجابة بسيطة لدفقة من الدوبامين.



ما من شك ان النساء يختلفن عن بعضهن في درجة رغبتهن بتنويع الشركاء الجنسيين. فهناك عدة عوامل تحدد اتخاذ المرأة قرارها بأن تكون عديدة الشركاء او احادية الشريك. تلعب الرغبة الجنسية أيضا دوراً في الاستراتيجيات الاقترانية للنساء. فالنساء ذوات الرغبة الجنسية المرتفعة، المقترنات برجال ذوي رغبات جنسية أضعف، قد يبحثن عن شركاء آخرين غير القرين الاساسي لاشباع احتياجاتهن. كذلك فإن الفرصة أيضا تلعب دورها ـ فالنساء اللاتي تُقدم لهن العروض الجنسية بكثرة، قد يقبلن بعضها بمرور الزمن. وكذا يلعب الرضا عن العلاقة دوره، فالنساء غير الراضيات عن علاقاتهن أكثر احتمالية لان يقمن علاقات خارج العلاقة الاساسية. تلعب اهداف الحياة دورا كذلك.فالمرأة التي بدأت باستكشاف جنسانيتها للتو، او المرأة التي تطلقت من زواج دام عشرين عاما، قد تفضل ان تستمتع بالحرية الجنسية التي وجدتها ولن ترغب بالالتزام مع شريك جنسي واحد. وفي المقابل، فالمرأة التي سبق لها ان واعدت رجال كثر وكان لها شركاء جنسيون مختلفون كثيرون، قد تكون مستعدة اخيرا لبدء علاقة ملتزمة ومستقرة مع شريك جنسي واحد.

شخصيةٌ مغامِرة

قد تلعب شخصية المرأة دورا في تحديد ما اذا كانت تستمتع بممارسة الجنس مع شركاء مختلفين[14]. في دراسة اجريت على 16288 شخصا في 52 بلداً (امتدت عبر امريكا الشمالية، امريكا الجنوبية، اوربا الغربية،اوربا الشرقية، اوربا الجنوبية، الشرق الاوسط، افريقيا، اوقيانوسيا، جنوب اسيا، جنوب شرق اسيا،وشرق اسيا)، وجد عالم النفس ديفيد شمت



David Schmitt ان هناك سِمَتَين في الشخصية ترتبطان مع كون المرأة مُحِبَّةً للتنويع الجنسي، وهما الانبساط والإقدام. يعني الانبساط كون الفرد اجتماعياً، محباً لمخالطة الناس الآخرين، ويستمد سعادته من التفاعل الاجتماعي.اما الإقدام فيصف الاشخاص الذين يندفعون دون تروٍّ، ويتصرفون بناء على معطيات اللحظة الراهنة، ولا يمتنعون عن اشباع رغباتهم الا قليلا. وقد وجدت الدراسة انه كلما كانت المرأة مقدامة وانبساطية أكثر، كلما كانت رغبتها بالتنويع الجنسي أكبر.

وبالمثل، توصلت دراسة اجراها مختبر باس لعلم النفس التطوري على 107 ازواج متزوجين married couples، ان الإقدام كان مرتبطا مع الخيانة الجنسية في النساء. لكن الصفة الشخصية الاشد تنبؤاً بالخيانة كانت النرجسية ـ نمط من الشخصية يتسم بالتمركز حول الذات، التكلف، الاستعراضية المبالغ فيها، احساس بأهمية شديدة، غرور، والاستغلالية في العلاقات الشخصية[15]. في دراسة أخرى اجراها مختبر ميستون على 121 امرأة بعمر18 ـ 47عاما، تبينَ ان الاختلافات بين الافراد في البحث عن الكمال كانت مرتبطة أيضا بالاخلاص الجنسي في العلاقة والبحث عن التنويع الجنسي[16]. انَّ الافراد الذين يبحثون عن الكمال أكثر، يضعون معايير مرتفعة بشكل غير واقعي لهم وللآخرين: فهم يطمحون للكمال، وهذا يؤدي إلى قيامهم بتقييم أنفسهم وتقييم الآخرين بصرامة. وقد وجدت الدراسة ان النساء اللواتي سجلن نقاطا أكثر في البحث عن الكمال، قد انخرطن في ممارسات جنسية مع عدد أكبر من الشركاء مقارنة بالنساء اللواتي سجلن نقاطا أقل على المقياس المذكور، كما أنهن كنَّ أكثر قابلية للخيانة عندما يَكُنَّ في علاقة جنسية ملتزمة. يبدو أن الباحثات



عن الكمال يَضَعن متطلبات غير واقعية وغير ممكنة فيما يخص الاداء الجنسي لشركائهن، وهذا يجعل أَمَلهن يخيب دائما في غرفة النوم، فيتطلعن بالتالي للبحث عن الاشباع الجنسي في مكان آخر.

في ورقتنا العلمية الاصلية (لماذا يمارس البشر الجنس) وجدنا ان الرجال بعمر الجامعة أكثر احتمالية من النساء بنفس الفئة العمرية لممارسة الجنس «لان الفرصة عرضت نفسها» او لانهم ارادوا تنويعا جنسيا أكثر وخبرة أكثر، وقد توصل ديفيد شميت في دراسته عبر ـ الثقافية إلى نفس النتيجة[17]. اذ سُئِلَ الرجال والنساء في كل واحدة من المناطق الـ52 المختلفة: كم عدد الشركاء الجنسيين الذين ترغب بممارسة الجنس معهم خلال (الشهر، السنة، العشر سنوات، طوال حياتك) القادمة؟ اراد الرجال عددا من الشركاء الجنسيين أكبر مما ارادته النساء في جميع المناطق التي اجريت فيها الدراسة، وفي جميع المدد الزمنية التي استفهم عنها السؤال (شهر، سنة، عشر سنوات.. الخ). فمثلا، في اجاباتهم على السؤال عن عدد الشركاء الذي يتمنونه «للشهر القادم»، اراد أكثر من 25% من مجمل الرجال الذين شملتهم الدراسة، أكثر من شريكة جنسية واحدة. والنسبة الاعلى كانت في امريكا الجنوبية، اذ اراد 35% من الرجال أكثر من شريكة جنسية واحدة. وكانت النسبة الأقل في شرق اسيا، حيث اراد حوالي 18% فقط من الرجال أكثر من شريكة واحدة للشهر القادم. اما نسبة النساء اللاتي اردن أكثر من شريك جنسي واحد خلال الشهر القادم فقد كانت مختلفة بشكل كبير. فقد تراوحت بين 7% من النساء في اوربا الشرقية، و3% من النساء في شرق اسيا.

لم تُعلِّق النساء اللواتي استعرضنا اقوالهن في هذا الفصل اية أهمية



على العذرية. ولم يكن الجنس بالنسبة اليهن فريضة او شيئا اجباريا، بل كان فرصة للاستكشاف والمغامرة مع شركاء جدد او استخدام تقنيات جديدة. وقد عَلَّقْنَ أهمية كبيرة في المقابل على اللذة الجنسية ـ لذتهن الخاصة.

تجادل الصحفية اريل ليفي Ariel Levy في كتابها الذي اثار جدلا كبيرا (الساقطات الشوفينيات Female Chauvinist Pigs) بأن النساء اليوم ـ اللواتي يُعَدِّلْنَ مظهر اجسامهن من خلال التجميل، يحضرن حصصاً تدريبية على رقصة العمود خلال استراحةالغداء، يذهبن إلى حفلات يقوم خلالها الجمهور بتقييم حجم الصدر للمشاركات ـ لَسْنَ نسويات feminsits يظهرن ما وصلت اليه المرأة على صعيد الحرية الجنسية[18]. بل ان هؤلاء النسوة اللاتي يقمن بتحويل أنفسهنَّ وتحويل النساء الاخريات إلى سلع جنسية، تقول ليفي، يُبَرْهِنَّ فقط على أنه لا يزال امامهن طريق طويل لقطعه. تدعو ليفي إلى موجة جديدة من النسوية، يكون الجنس فيها بالنسبة للمرأة شيئا مفعما بالمتعة ـ رغبة اصيلة، تستكشفها بحرية.وربما تكون النساء اللواتي استشهدنا بقصصهن في هذا الفصل نماذج على هذه الموجة الجديدة من التحرر الجنسي.

هوامش المؤلفين على الفصل السابع

1 _ Buss, D. M., Shackelford, T. K., et al. (2001). «A Half Century of American Mate Preferences: The Cultural Evolution of Values،» Journal of Marriage and the Family 63:491 _ 503.

2 _ Laumann, E. O., Gagnon, J. H., et al. (1994). The Social



Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States (Chicago: University of Chicago Press), 368 _ 74.

3 _ Meston, C. M., Trapnell, P. D., and Gorzalka, B. B. (1996). «Ethnic and Gender Differences in Sexuality: Variations in Sexual Behavior Between Asian and Non _ Asian University Students،» Archives of Sexual Behavior 25:33 _ 72.

4 _ Meston, C. M., and Ahrold, T. (in press). «Ethnic, Gender, and Acculturation Influences on Sexual Behavior،» Archives of Sexual Behavior.

5 ـ منشور على الرابط:

http://english.peopledaily.com.cn/200311 08//eng20031108_127861.shtml

6 _ Buss, D. M. (1989). «Sex Differences in Human Mate Preferences: Evolutionary Hypotheses Tested in 37 Cultures،» Behavioral and Brain Sciences 12:1 _ 49.

7 _ Richters, J., Visser, R., et al. (2006). «Sexual Practices at Last Heterosexual Encounter and Occurrence of Orgasm in a National Survey،» Journal of Sex Research 43:217 _ 26.

8 _ Masters, W. H., and Johnson, V. (1979). Homosexuality in Perspective (Boston: Little, Brown).

9 _ Eisenman, R. (2001). «Penis Size: Survey of Female Perceptions of Sexual Satisfaction،» BMC Women's Health 1:1.



10 _ Schmitt, D. P, Shackelford, T. K., et al. (2002). «Is There an Early _ 30's Peak in Female Sexual Desire? Cross _ Sectional Evidence from the United States and Canada،» Canadian Journal of Human Sexuality 11:1 _ 18.

11 _ Laumann, E. O., Gagnon, J. H., et al. (1994). The Social Organization of Sexuality, 178 _ 79.

12 _ Laan, E., and Everaerd, W. (1995). «Habituation of Female Sexual Arousal to Slides and Film،» Archives of Sexual Behavior 24:517 _ 41.

13 _ O'Donahue, W. T., and Geer, J. H. (1985). «The Habituation of Sexual Arousal،» Archives of Sexual Behavior 14:233 _ 46.

14 _ Schmitt, D. P., and Shackelford, T. K. (2008). «Big Five Traits Related to Short _ Term Mating: From Personality to Promiscuity Across 46 Nations،» Evolutionary Psychology 6:246 _ 82.

15 _ Buss, D. M., and Shackelford, T. K. (1997). «Susceptibility to Infidelity in the First Year of Marriage،» Journal of Research in Personality 31:193 _ 221.

16 _ Seal, B., and Meston, C. M. (Oct. 2004). «Perfectionism and Emerging Patterns of Sexuality،» paper presented to the Annual Meeting of the International Society for the Study of Women's Sexual Health (ISSWSH), Atlanta, Ga.



17 _ Schmitt, D. P. (2003). «Universal Sex Differences in the Desire for Sexual Variety: Tests from 52 Nations, 6 Continents, and 13 Islands،» Journal of Personality and Social Psychology 85:85 _ 104.

18 _ Levy, A. (2006). Female Chauvinist Pigs: Women and the Rise of Raunch Culture (New York: Simon and Schuster).




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الثامن

المقايضة والمتاجرة
قيمة الجنس حَرفياً ومجازياً

«الفستان هو المعروض للبيع، لا أنَا».

ديانا، من فلم «عرض غير لائق (1993) Indecent Proposal»

في ايلول عام 2008، قررتْ ناتالي ديلان البالغة 22 عاما ان تكمل دراستها العليا في الطب النفسي للزواج والعائلة ـ لكنها أدركت انها بحاجة لجني المال لدفع رسوم التعليم. من ثم تاملت الخيارات المتاحة امامها، بما فيها الخيار الذي عرضته عليها اختها الكبرى: العمل كَبَغِيٍّ (وهو ما وفر لها خلال ثلاثة اسابيع، مالاً كافياً لدفع مصاريف الجامعة). قررت ديلان بيع عذريتها في مزاد علني، مِنهُ لكي تجني مالا، ومِنهُ لكي تَدرُس القيمة الجنسية للمرأة. وقد استلمت خلال 5 اشهر عشرة الاف عرض، اقترب اعلاها من 4 ملايين دولار. وعندما تمت مقابلتها لسؤالها عن التكتيك الذي استخدمته والذي جذب انتباها عالميا قالت: « اعتقد ان كلانا ـ انا والشخص الذي سافعلها معه ـ سيستفيد كثيرا من الصفقة»[1].

كانت ستيفإني غريشن تتوق لاستكشاف غابات الامازون المطيرة



قبل ان تغادر البرازيل عائدة إلى امريكا لاكمال دراستها الجامعية[2]. لكن جهودها لايجاد دليل يرافقها في رحلتها الاستكشافية باءت بالفشل. وعندما بدأ صبيٌ يعمل نادلا في المنتجع الذي كانت تقطنه بمغازلتها، سالته عن الغابة المطيرة، هل تستطيع سائحة مثلها ان تبقى على قيد الحياة في الادغال لمدة اسبوعين؟ « ضحك وقال انني ساذجة»، قالت غريشن. لكن عندما قال الفتى انه يعرف الادغال جيدا لانه ترعرع فيها، قامت غريشن باستخدام مفاتنها. لم تكن تشعر بانجذاب نحو النادل، لكنها ارسلت له اشارات غزل على اية حال. لقد ارادت ان تغريه بأن يرافقها ليكون دليلها في الادغال. وقد فعلت مغناطيسيتها الجنسية فعلها. تدبر الفتى امر التملص من العمل، وذهبا إلى الادغال:

«كان شيئا رائعا، بنينا بيوتنا من سعف النخيل، ورايت حيوانات لم ارها من قبل ابداً، وقد علمني الخصائص العلاجية للنباتات، قطفنا الفواكه من الاشجار، سبحنا مع اسماك البيرانا واكلنا منها أيضا. ومارسنا الجنس بالطبع.. لأسبوعين تقريبا. كانت صفقة جيدة لكلينا. حصلت انا على رحلة في الادغال، وحصل هو على ممارسة الجنس مع فتاة امريكية يافعة».

قالت غريشن انها لم تشعر اطلاقا بالتانيب او بالعار من الصفقة التي رتبتها. اذ حصلتْ في مقابل الجنس، على ذكريات من مغامرة في الامزون لن تنساها طوال حياتها.

رغم أن المقايضتين اللتين قامتا بهما غريشن وديلان من اغرب انواع المقايضات، دعمت دراسة حديثة اجريت على 475 من الطلبة في جامعة ميشيغان، دعمت الرؤية القائلة بأن بعض النساء يمارسن الجنس لا



بدافع الانجذاب الرومانسي او الجنسي تجاه الشخص الآخر، بل لانهن ببساطة يردن الحصول على اشياء في المقابل[3]. ورغم حقيقة ان جامعة ميشيغان مؤسسة تعليم عالٍ يقصدها النخبة، حيث يكون مستوى دخل عائلات طلابها فوق المتوسط، فإن 9% من الطالبات افدن بأنهن حاولن مبادلة الجنس بالحصول على عوائد ملموسة. 18% من هذه المحاولات كانت في سياق علاقة رومانسية مستمرة، فيما لم تكن الـ82% المتبقية كذلك. ولكن مع ان بعض النساء يقايضن الجنس بالحصول على الاشياء الضرورية للبقاء على قيد الحياة كما سنرى لاحقا في هذا الفصل، فإن هؤلاء الطالبات الجامعيات لم تكن لديهن احتياجات ماسة إلى هذا الحد. وكما عبَّر الباحث الذي قام بالدراسة «: يتعلق الامر بالحصول على ما تريد، لا على ما تحتاج، الا اذا كنت ترى ان حقيبة من ماركة لوي ويتو بقيمة 200 دولار ضرورة من ضرورات الحياة»[4].

وقد اكدت دراستنا ان طالبات الدراسات الأولية في ميشيغان لا ينفردن وحدهن في هذا النوع من الدوافع الجنسية. ومن الأسباب التي شخصتها النساء في دراستنا لممارسة الجنس:

- اردت زيادة مرتبي.
- اردت الحصول على فرصة عمل.
- اردت ان احصل على ترقية.
- عرض علي المال مقابل ذلك.
- اردت ان اجني المال.
- عرض علي ذلك الشخص المخدرات في المقابل.



لا تقتصر مقايضة الجنس على الامريكان. فمبادلة العطايا بالجنس موجودة في جميع الثقافات. وقد اخذ عالم الانثروبولوجيا دونالد سيمونز على عاتقه دراسة هذه الظاهرة من منظور عبر ـ ثقافي. فباستخدام (ملفات حقل العلاقات البشرية Human Relations Area Files)، وهو محتوى معلوماتي يُعتبر أكبر قاعدة بيانات للدراسات الاثنوغرافية، قام سيمونز بتصنيف العطايا التي استُلمت في سياقات كالمغازلة، التودد، والاغواء لخيانة خارج الزواج، محدِداً ما اذا كان النساء او الرجال او كلاهما من قام بتقديم العطايا، وما اذا كانت العطايا قد تم تهاديها بين المحبين او كثمن للجنس مباشرة، وكذا قام بتحديد القيمة النسبية للعطايا الممنوحة. ثم قَسَّمَ نظام منح العطايا إلى الاصناف التالية:

1 ـ الرجال فقط يمنحون العطايا.

2 ـ كِلا الرجال والنساء يتبادلون العطايا , لكن عطايا الرجال أكبر قيمة.

3 ـ كِلا الرجال والنساء يتبادلون العطايا , لكن القيمة النسبية للعطايا غير مذكورة (ولم يُحَدَّد في اي حالة منها ان هدايا الرجال والنساء كانت بقيمة نسبية متساوية).

4 ـ كِلا الرجال والنساء يتبادلون العطايا،لكن عطايا النساء أكبر قيمة.

5 ـ النساء فقط يمنحن العطايا.

و قد استبعد سيمونز من تحليله العطايا التي تمنح في سياق الزواج او الدعارة[5].

ولدهشته، فقد اكتشف سيمونز ان التصنيفين الرابع والخامس لا ضرورة لهما، حيث لم يوجد هذا النمط من تبادل العطايا ولا حتى في مجتمع واحد. وعلى العكس تماما، فقد وَقَعَ 79%من المجتمعات



المدروسة في التصنيف الأول بشكل رئيسي، حيث يقوم الرجال فقط بمنح العطايا، فيما وقعت5% من المجتمعات المدروسة ضمن التصنيف الثاني، حيث يتبادل كل من الرجال والنساء العطايا، لكن عطايا الرجال هي الاثمن، وقد وقعت الـ16% الباقية من المجتمعات ضمن التصنيف الثالث، والذي لم تذكر فيه القيمة النسبية للعطايا المتبادلة. وكما قالت إحدى النساء في دراستنا: «الجنس يساوي العطايا».

من اللافت وجود هذا اللاتماثل الجنسي في ثقافات تمتاز بدرجة عالية من المساواة الجنسية، حيث تكون فيها الفرص والحريات الجنسية هائلة لكلا الجنسين. يقدم لنا عالم الانثروبولوجيا مارشال ساهلينز Marshall Sahlins في دراسته لسكان جزر تروبرياند مثالا مثيرا للاهتمام. اذ تتوقع النساء في هذه الجزر استلام العطايا من الرجال كمقابل للجنس:

«ضمن كل علاقة حب، على الرجل ان يقدم للمرأة هدايا صغيرة باستمرار[6]. وبالنسبة لسكان تلك الجزر، فإن المغزى من اعطاء الهدايا من جانب واحد ـ الرجل ـ فقط بديهي لا يحتاج إلى برهان. اذ يَفترض هذا العرف المعمول به ان الجنس، حتى لو كان هناك حب متبادل بين الطرفين، هو خدمة تقدمها المرأة للرجل... ليست هذه القاعدة منطقية او بديهية اطلاقا. فاذا اخذنا في الحسبان الحرية الكبيرة المتوفرة للنساء على جميع الاصعدة، وبالخصوص على الصعيد الجنسي، واذا اخذنا في الحسبان أيضا ان سكان الجزر يدركون تماما ان النساء يرغبن بالجنس كما الرجال على حد سواء، فإن المرء لَيتوقع ان يتم اعتبار العلاقة الجنسية، كمقايضة للموارد، عملية تبادلية بحد ذاتها. لكن العادات.. تصر على اعتبارها خدمة من النساء للرجال، وعلى الرجال ان يدفعوا مقابلها».



ان هذه الملاحظات، بالاضافة إلى الكم الهائل من الاكتشافات الأخرى التي تم التوصل اليها، تؤيد بقوة حقيقةً اساسيةً عن الاقتصاديات البشرية: ان جنسانية النساء شيء يُمْكِنُهُنَّ مَنْحُهُ او الامتناع عن منحه، شيء يريده الرجال بشدة ويقيّمونه عاليا، وبالتالي فإن بوسع النساء استخدامه للحصول على الموارد التي يرغبن بها. وباختصار، فإن للنساء اليدَ العليا في الكثير من التعاملات الجنسية.

في ثقافات الصيد والإلتقاط الأكثر تقليديةً، فإن الصفقة تتم بشكل (الجنس مقابل الطعام.) ففي مجتمع الشاراناوا Sharanahua في البيرو مثلاً، «سواء اظهر الرجال فحولتهم من خلال الصيد للحصول على زوجات، او من خلال اغراء النساء بتقديم اللحم، فإن العملية هي تبادل للحم مقابل الجنس»[7]. تُعَبِّر جانيت سيسكيند Janet Siskind عالمة الانثروبولجيا التي قامت بدراسة شَعب الشاراناوا عن حيرتها حيث إنها لم تتوصل إلى « دليل قاطع على أن النساء بطبعهن أقل رغبة بالجنس من الرجال، او أكثر رغبة منهم باللحم.» ومع ذلك فقد عبرت إحدى النساء في دراستنا عن هذه النقطة بشكل لافت:

«ان منح العطايا، او التعويضات المالية مقابل الجنس، يشكل حافزاً يجعل ممارسة الجنس مع رجل ثري، مثيرة مثل ممارسته مع رجل قوي جسديا. فالأمنُ المالي لا يقل أهمية عن الامن الجسماني».

امرأة غيرية الجنس، العمر 58

ليس الأمر أن الرجال يختلفون عن النساء في مدى استمتاعهم بالجنس، ولا ان الجنسين يختلفإن في رغبتهما بممارسة الجنس (ناهيك



عن الاختلاف في استهلاك اللحم!)، لكن اللغز هو لماذا يبدو أن النساء أحيانا يحتفظن باليد العليا في اقتصاديات الجنس.

البيضة الذهبية

ان الجواب التطوري الأكثر معقولية لِلُغز امتلاك المرأة اليد العليا في ميدان الجنس ـ اي لماذا تكون جنسانية النساء عالية القيمة بحيث إن الرجال في جميع انحاء العالم مستعدين للدفع مقابلها ـ يقع ضمن الاختلافات الجوهرية لبيولوجيا التكاثر البشري، والسيكولوجيا البشرية التي تطورت كنتيجة لذلك.

لقد ناقشنا سابقا كيف ان الاستثمار الهائل الذي تقوم به النساء في الحمل، عند النظر اليه من منظور تطوري، قد حابى نشوءَ سيكولوجية جنسية يبدو أنها تجعل النساء أقل رغبة بامتلاك شركاء جنسيين عديدين. لكن الاختلافات الجندرية في البيولوجيا التكاثرية تبدأ في الحقيقة منذ مرحلة مبكرة هي مرحلة تكوين البيضة في المرأة، والحيمن في الرجل. اذ ليس الحيمن تقريبا الا مجموعة مورِّثات تتحرك بسرعة 8/ 1 بوصة في الدقيقة عبر ما نستطيع ان نسميه حوض سباحة. يكون الحيمن اصغر حجما بكثير من بيضة المرأة التي تكون مليئة بالمواد الغذائية. تكون ابعاد الحيمن البشري الطبيعية 3 ميكرون عرضا و6 ميكرون طولا، بينما تكون البيضة البشرية الطبيعية عند النضج بقطر يتراوح بين120 ـ 150 ميكرون. لذا فإنه من اللحظة الأولى للحمل، تساهم النساء بجزء أكبر مما يساهم به الرجال. ومما يزيد من عدم التماثل بين الجنسين، ان النساء يولدن بعدد ثابت من البيوض، حيث لا يجري انتاج بيوض جديدة بدلا من المستهلكة.



وعلى العكس من ذلك، ينتج الرجل حوالي85 مليون حيمن جديد كل يوم. وفي الوقت الحاضر، تلعب هذه الاختلافات دورها في قيمة ما يُدفع للرجال مقابل التبرع بالحيامن، مقارنة بما يدفع للنساء كمقابل للتبرع بالبيوض. اذ تبدأ المبالغ التي تدفع مقابل البيضة الواحدة من 5000 دولار فصاعدا، ويمكن تكون اضعاف هذا الرقم اذا كانت المرأة المتبرعة تتمتع بصفات جسدية ونفسية مرغوبة. لا يستلم المتبرعون بالحيامن في المقابل الا 35 دولاراً مقابل المَرَّة الواحدة، على أن المتبرعين ذوي الصفات المرغوبة ـ كطول القامة، الكتف بشكل حرف V، ملامح الوجه الجذابة، الذكاء المرتفع، والمكانة الاجتماعية العالية ـ قد يصل ما يدفع لهم إلى 150 دولارا للمرة الواحدة.

ويزداد هذا الاختلاف بين الجنسين نتيجة الحَمل الذي تتكبده النساء لتسعة اشهر لانجاب الطفل. ان الاستثمار التكاثري الأكبر للنساء في انجاب ذريتهن يعني انهن المورد التكاثري الأكبر قيمة بكثير. وكقاعدة عامة، كلما كان المورد أكبر قيمة، كلما كان تنافس الناس اشد للوصول اليه. لا بد ان يتنافس الرجال مع بعضهم البعض من أجل الوصول الجنسي إلى النساء. ويمكن للنساء ان يَكُنَّ انتقائيات جدا في اختيار الشريك، لان الطلب عليهن أكبر بكثير فيما يتعلق بالجنس.

يطرح علماء النفس التطوريون عددا من التفسيرات لهذه السطوة الجنسية الأكبر للنساء على الصعيد الجنسي. يُستمَد التفسير الأول من الاستراتيجية الجنسية التي طورها الرجال لما يدعى بالتزاوج قصير الأمد منخفض الاستثمار. فحيث إن الرجال الاسلاف استطاعوا زيادة نجاحهم التكاثري الصافي من خلال الممارسات الجنسية العابرة الخالية من



التكاليف مع شريكات كثيرات، فإن واحدة من مكونات السيكولوجية الجنسية التي طوروها، هي الرغبة في الوصول الجنسي إلى عدة قرينات. ان الرغبة في التنويع الجنسي تنعكس في الخيالات الجنسية للرجال، والتي تتمحور، أكثر من خيالات النساء الجنسية، حول ممارسة الجنس مع الغرباء، ممارسته مع عدة شريكات، وتبديل الشريك خلال النوبة الواحدة من التخيل. ان عدد الرجال الذين قالوا ان تخيلاتهم الجنسية عبر حياتهم الماضية تضمنت أكثر من الف شريك جنسي مختلف، يبلغ اربعة اضعاف عدد النساء اللواتي افصحن عن ذلك[8]. ورغم أن هذه النتائج قد تكون متاثرة بمسالة الافصاح ذاتها ـ اذ يتم تنشئة النساء ثقافيا على عدم الافصاح عن معلومات تتعلق بجنسانيتهن، وهذا يحصل بشكل أقل مع الرجال ـ فإن الاختلافات الجنسية هائلة وتم تاكيدها من قبل الكثير من الدراسات.[9] وبسبب رغبة الرجال بالتنويع الجنسي، فإن هناك نقصاً في المعروض من النساء في نظرهم على الدوام.

للرجال طبع نفسي لا ارادي آخر، وهو ما يدعى تَحَيُّز فَرْطِ الإدراك الجنسي، وهو النزعة إلى المبالغة في تقدير ميل النساء الجنسي اليهم بناء على معلومات غير واضحة[10]. كما أوضحنا في الفقرة الخاصة بمُسْتَفِزَّات الغيرة في الفصل الخامس، عندما تبتسم امرأة لرجل ما، فإن الرجال يفسرون ذلك على أنه اهتمام جنسي منها به، بينما كثيراً ما قد لا تكون المرأة تقصد من ذلك الا التعبير عن الصداقة المجردة او دماثة الخُلُق. تُفَعِّل اشارات ملتبسة أخرى ـ لمسة على الذراع، الوقوف على مسافة قريبة من الرجل، او حتى المحافظة على الاتصال بالعينين للحظة اطول من المعتاد ـ تحيزَ فرط الادراك الجنسي عند الرجال. وبالتالي،



يمكن للنساء استغلال تحيز فرط الادراك الجنسي هذا عند الرجال، لِجَنْي مكاسب اقتصادية فيما سُمِّي بـ«تكتيك الاغراء والاستدراج»، وهي استراتيجية تتضمن اغراء الرجل باغداق الموارد على المرأة كجزء من المغازلة، مقابل «وعد» مفترَض بالجنس لن يتحقق[11].

توصلت البحوث العلمية أيضاً إلى أن معظم الرجال يرون معظم النساء جذابات جنسيا، على الأقل إلى درجة ما، بينما ترى معظمُ النساء معظمَ الرجال غير جذابين جنسيا بالمرَّة[12]. لقد اكتشف مختبر باس لعلم النفس التطوري ان الرجال يخفضون معايير الجاذبية الجنسية خاصتهم عندما يتعلق الامر بالعلاقات الجنسية العابرة. اذ ثبت تجريبيا، ان الرجال يرغبون بممارسة الجنس مع الشريكات اللاتي يحققن بالكاد الحد الادنى من الصفات التي يجدها الرجال جذابة، كالذكاء والعطف. وعلى العكس تماما، تعتمد النساء معايير مرتفعة لاختيار شركائهن الجنسيين، سواء على مستوى العلاقات الجنسية العابرة او على مستوى العلاقات طويلة الأمد.

كما تعطي اختلافاتٌ جندرية أخرى بين النساء والرجال في كيفية الاستثارة الجنسية وكيفية الاستجابة للمثيرات الجنسية، تعطي للنساء هيمنة أكبر في الاقتصاديات الجنسية[13]. يكون الرجال عموما أكثر من النساء قابلية للاستثارة الجنسية بواسطة المثيرات البصرية. انَّ مجرد رؤية امرأة جذابة يمكن أن يسبب لرجل غيري الجنس استثارة جنسية، وهذا يعطي أفضلية للنساء، حيث إنهن يملن إلى أن يكنَّ أقل تاثُراً بالانجذاب البصري. كذلك يبدو أن الرجال أقل تحملا للحرمان الجنسي، وان لديهم رغبة اقوى بممارسة الجنس، تحت جميع الظروف.

لا بد ان نُذَكِّر هنا ان الرجال ليس لديهم رغبة واعية لـ«زراعة



بذورهم». وكذلك فإن رغبتهم في التنويع الجنسي وكثرة الشريكات ليست الا واحدة فقط من استراتيجياتهم التزاوجية، حيث إن معظم الرجال يسعون أيضا إلى بناء علاقات ملتزمة طويلة الأمد. لكن السيكولوجية الجنسية الاقصر نظراً للرجال تخلق سوقَ اقترانٍ تكون فيه الخدمات الجنسية للنساء البضاعة الأكثر طلبا. وفي بيئتنا الحديثة، يمنح هذا النساء الفرصة لاستبدال الجنس بقيمة عالية من خلال البغاء، المقايضة الجنسية، والعلاقات الاقترانية الطويلة.

الاقتصاد الجنسي للبغاء

«عملتُ في ماخور دعارة في نيفادا لما يقارب ثلاثة اعوام. لم يكن ادائي جيدا هناك بالمناسبة، حيث كنت ازعج الزبائن كثيرا، لكنني استطعت الاحتفاظ بعملي، لا اعتبر تلك لفترة بالضرورة.. جزءاً من «حياتي الجنسية»، حيث إنها كانت مجرد حرفة. لم يكن لدي ايُّ مكان آخر اذهب اليه، كما أن الفتيات الاخريات في الماخور قد اصبحن كعائلة بالنسبة لي».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 36

من ضمن الدائرة الاوسع للدوافع التي تسوق النساء لممارسة الجنس، نهدف أيضا إلى فهم السيكولوجيا الجنسية التي تدفع بالنساء لممارسة البغاء. ومع اننا لن نتخذ موقفاً ايديولوجياً في تناولنا لهذا الموضوع، الا انه من الجدير بنا ان نتطرق إلى المعتقدات الاخلاقية والسياسية حول البغاء، لان قدرة المرأة على كسب الموارد من خلاله تحدها القوانين والاعراف الاجتماعية والاديان.



فعلى احد الاصعدة، يجادل بعض الناس بأنه يجب تجريم البغاء وجعله غير قانوني، لانه اذلال للنساء. حيث إنه يجعلهن عرضة للامتهان والاساءة من قبل الرجال. وانه يتسبب في معاملة النساء كسلع واشياء جنسية. وبحسب بعض المفكرين، فهو يكرس هيمنة الرجال السياسية على النساء[14]. وقد نجحت بعض هذه الحجج في التأثير. في الواقع، فإن البغاء غير قانوني في بعض المناطق، بما فيها معظم الولايات المتحدة. ومع ذلك فهناك دول أكثر بكثير تبيح البغاء قانونيا ـ بما فيها معظم اوربا، المكسيك، معظم امريكا الجنوبية، اسرائيل، استراليا، ونيوزلندا. كذلك فإنه قانوني في بعض مقاطعات ولاية نيفادا.

حتى في البلدان التي يكون البغاء فيها غير قانوني، هناك أحيانا ثغرات كبيرة للتحايل على القيود. ففي ايران مثلا، يعد البغاء غير قانوني، ويجرَّم الحثُّ عليه، وكذا يجرم من يساعد امرأة على العمل كبغي، ومن يدير ماخوراً. وهؤلاء الذين يُدانون بهذه الجرائم يمكن ـ وغالبا ما ـ يتم اعدامهم رجما بالحجارة او رميا بالرصاص. ومع ذلك فقد سمحت ايران عبر التاريخ بممارسة تدعى المتعة، وفيها تصبح المرأة «زوجة مؤقتة» لعدة ساعات في تبادُلٍ للجنس مقابل المال. وفي الفلبين أيضا يعد البغاء غير قانوني، لكن بعض العاملات في الحانات يعطى لهن لقب فخم هو « مسؤولة علاقات الزبائن»، ويتوجب عليهن الفحص الدوري اسبوعيا للتاكد من خلوهن من الامراض المنقولة جنسيا. وفي تايلاند وبلدان أخرى، ومع ان الدعارة غير قانونية، الا ان القوانين نادراً ما تُفَعَّل في هذا الاطار. تفرض معظم البلدان التي قننت البغاء قيودا مختلفة عليه. فبعضها، كانكلترا وسكتلندا، تمنع عرض او طلب الجنس علنا في



الشارع، لكنها تسمح بـ «زيارة» البغايا للزبائن لتقديم خدمات جنسية، اي ان البغاء قانوني مادام يتم في نطاق سري لا على الملأ. اما في كندا، فإن كلاً من البغاء، المواخير، وخدمات المرافقة الجنسية، اشياء قانونية، لكن الاغراء «المُلِح والشديد» في الشارع غير قانوني.

ومع هذا الشيوع الهائل للبغاء، حتى في البلدان التي يكون فيها ممنوعا بمعظمه او بالمطلق، يطالب بعض الناس بجعله قانونيا، وباعطاء النساء الحق في استخدام اجسامهن باية طريقة يرغبن بها. كما دافعت بغي سابقة عن هذا قائلةً:

«للمرأة الحق ببيع خدماتها الجنسية كحقها في بيع ذكائها لمؤسسة قانونية عندما تعمل كمحامية، او بيع عملها الابداعي للمتحف اذا كانت فنانة، او بيع صورتها للمصور لو كانت تعمل كعارضة، او بيع جسمها لو كانت تعمل راقصة باليه. ولان اغلب الناس بوسعهم ممارسة الجنس دون أن يلقى بهم في السجن، فما من سبب لجعل الجنس مقابل المال غير قانوني الا ذلك التزمت الذي عفا عليه الزمن.» (15)

تدعم د. جوزيلين ايلدرز، مديرة الطبابة العسكرية في ادارة الرئيس بيل كلينتن هذا الرأي:

«نحن نقول ان(المومسات) يبعن اجسادهن، ولكن كم يختلف هذا عن اللاعبات الرياضيات؟ فهن يبعن اجسادهن، وكذا العارضات والممثلات أيضا يبعن اجسادهن» (16).

وبغض النظر عن موقف المرأة من دعم تقنين الدعارة او حظرها، فإنَّ من المهم انْ نفهم الدوافع التي تكمن وراء عمل المرأة في «اقدم حرفة في



العالم». لانَّ جنسانية النساء ذات قيمة عالية جدا، فإنه يمكن اعتبارها من الاصول التي يسميها علماء الاقتصاد بالاصول القابلة للاستبدال ـ اي انه يمكن مقايضتها مع العديد من انواع الموارد. ولكن كيف تصبح النساء بغايا بدلا من الاستفادة من قيمة جنسانيتهن العالية بطرق أخرى؟

اليأس والاستعباد

ليس البغاء ظاهرة فردية ـ لكنه يؤثر على النساء بمفردهن تقريبا، واللاتي يشكلن أكثر بكثير من 90% من البغايا حول العالم، بينما يكون أكثر من 99% من زبائنهن من الرجال. تصبح بعض النساء بغايا لانهن مجبرات ـ حرفيا ـ على أن يَكُنَّ رقيقا جنسيا. تتفشى مشكلة الاسترقاق الجنسي، والذي يدعى أيضا تجارة الجنس، بالخصوص في ماينمار (بورما)، باكستان، الهند، كمبوديا وتايلند[17]. يستخدم المتاجرون بالبشر اساليب متنوعة لاستعباد النساء والفتيات. اذ يستهدفون عادة النساء اللاتي يعشن في فقر مدقع. من الحيل الشائعة في هذا المجال، وعدٌ بتوفير وظيفة تدر الكثير من المال في بلاد او مدينة أخرى، دفع مبالغ من المال لوالدي الفتاة لتشجيعها، ثم بيع خدماتها إلى احد المواخير، يترافق هذا غالبا مع توزيع الرِشَى على الشرطة وحرس الحدود لتسهيل المهمة.

غالبا ما تكون الظروف في المواخير، والتي يعمل بعضها بشكل علني، مروعة. اذ تُجْبَر النساء والفتيات على ممارسة الجنس مع عشرات الرجال يوميا، فيما تذهب معظم او كل اموال الزبائن لمالكي المواخير. ورغم أن بعض الزبائن غربيون، الا ان معظمهم من البلد الذي يقع فيه الماخور او من بلدان اسيوية مجاورة[18]. لقد تم توثيق التفاصيل عن تجارة الجنس



في عدة كتب ممتازة ولذا لن نحتاج لذكرها ههنا[19]. وعلى الرغم من ان هناك تحركات تهدف لاستئصال الاتِّجار بالجنس، فإن الطلب على البغايا مرتفع جدا والاموال التي يجنيها المتاجرون بالجنس هائلة بحيث إن هذه الجهود لم تلق الا نجاحا محدودا. لماذا تمارس النساء الجنس في هذه الحالة؟ يكفي ان نقول ان الجواب هنا واضح ـ لانهن مجبرات على ذلك.

لكن هناك أيضا نساء يتجهن للبغاء لانه الأفضل من بين الخيارات المحدودة جدا للبقاء على قيد الحياة. تتجه بعض النساء للبغاء لانهن لا يصلحن للزواج بمعايير مجتمعهن[20]. كذلك فإن النساء اللاتي لهن اطفال معتمدين عليهن، يواجهن صعوبة في اجتذاب المتقدمين للزواج. ففي شعب الغاندا في اوغندا مثلا، يُحظَر الزواج قانونيا على النساء ذوات الاطفال. وقد حرَّم الصوماليون وشعب الميلايو تاريخيا على النساء المُطلَّقات، الزواج مرة أخرى. وحتى عندما لا يكون المنع صارما، فإن النساء المطلقات يواجهن أحيانا صعوبات جمة في اجتذاب من يتقدم للزواج منهن، خصوصا اذا كان سبب طلاقهن الزنا. ففي الصومال وميانمار، تعتبر النساء العزباوات غير العذراوات «ملوَّثات»، ما يجعل فرصتهن بالزواج شبه معدومة. وفي معظم الثقافات، يَعتبر الرجالُ النساءَ اللاتي لهن اطفال من رجال آخرين عبئاً لا يطاق، وهذا يقلل القيمة الاقترانية لهؤلاء النسوة. وكذلك تواجه النساء اللواتي يعانين من مرض او تَشَوُّهٍ صعوبات في اجتذاب طالبي الزواج. ولهذه الأسباب، فإن بعض النساء مجبرات على امتهان البغاء لتوفير الموارد لهن ولاطفالهن.

وفي حالات أخرى، هناك نساء كان الكثير من الرجال ليعتبروهن مرغوبات كزوجات، لكنهن يفضلن العزوف عن الزواج لانهن يرين



الرجال المتقدمين غير كفوئين، او لانهن يرين البغاء خياراً أفضل من الزواج. في الواقع، تختار بعض النساء البغاء تجنبا لعناء الزواج. ففي سنغافورة مثلا، افادت بعض نساء الميلايو انهن اصبحن بغايا لتجنب العمل الشاق الذي ينتظرهن في حال تزوجن، والذي يتضمن جمع ونقل الحطب وغسل الملابس وكيها يدويا. وفي شعوب البيمبا وامهرة في افريقيا، تجني البغايا من المال ما يكفي لاستئجار رجال يقومون باعمال المنزل عندهن.

من المومسات إلى فتيات الاستدعاء

هناك نظام تراتبية للبغايا يمتد من بغايا الشارع رخيصات الاجر، واللواتي يشيع تسميتهن بالمومسات، إلى فتيات الاستدعاء باهظات الكلفة. وبالطبع، فإن مقدار المبلغ المالي الذي تستطيع او تطلب البغي الحصول عليه مقابل خدماتها الجنسية يتباين كثيرا من واحدة إلى أخرى، بحسب الموقع والمنافسة، مستوى جاذبيتها، ودرجة حاجتها إلى المال. قد تجني بغيٌّ شارعٍ جذابة 200 دولار للمرة الواحدة، بينما قد لا تحصل مدمنة مخدرات تغطي جلدها ثقوب الابر، وفاقدة لبعض اسنانها الا 20 دولاراً. تستهدف الشرطة مومسات الشوارع أكثر بكثير من فتيات الاستدعاء او المُرافِقات، لانهن ـ مومسات الشوارع ـ مكشوفات وظاهرات للعيان[21].

قد تقايض الفتيات اليافعات المشرَّدات أحيانا الجنس مقابل المال، الطعام، او المخدرات[22]. وغالبا ما تكون هذه الحالات قِصَصاً ماساوية لفتيات مراهقات هَربن من المنزل بسبب الاساءة العاطفية او الجسدية



او الجنسية. وعندما ينتقلن للعيش في الشوارع، يمارسن الجنس كاستراتيجية للبقاء. وقد تقوم امرأة من هذا النوع ببيع الجنس لتوفير الدعم المالي لحبيبها وليس لنفسها فقط. كما توضح احداهن: «غالبا ما نعتاش انا وحبيبي على الرجل الذي أمارس معه الجنس لفترة. كثيرا ما كنت استخدم الرجل للحصول على المال لشراء المخدرات، او الحصول على المخدرات والكحول منه مباشرة لي ولحبيبي»[23]. وقد وصفت إحدى النساء في دراستنا موقفا مشابها:

«كان كلانا مدمنين على المخدرات وقتها ـ ادمان من ذلك النوع الذي يجعلك مستيقظا تهذي طوال الليل. لم يقم احد بمراودتي لفعل اي شيء، لكني كنت أعرف اني اذا ما جعلته يقع في حبي فسيكون بامكاني الحصول على كل ما اريد من المخدرات. وهذا ما فعلته».

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر20

وعلى الجهة الأخرى، هناك فتيات الإستدعاء باهظات الاجر، وخير مثال عليهن اشلي اليكسندرا دوبري. يُزْعَمُ ان دوبري اخذت من ايليوت سبيتزر محافظ نيويورك 4300 دولار لممارسة جنسية واحدة. وعندما نشر الاعلام هذه الصفقة المزعومة، سُلِّط الضوء على العالم السفلي لاعمال اندية الجنس باهظة الاسعار، بما فيها النادي الذي يُزعَم ان دوبري قامت بعملها تحت مظلته في مدينة نيويورك والمسمى نادي الاباطرة The Emperors Club VIP. بحسب التقارير الاخبارية، تتقاضى فتيات الاستدعاء العاملات في نادي الاباطرة ما بين 1000 ـ 3000 دولار في الساعة الواحدة حسب احترافيتهن وجاذبيتهن. ورغم أن الوكالات المشغلة لهؤلاء الفتيات تاخذ نصف اجرهن، فإن اغراء الاثراء السريع



يبقى قويا، خصوصا اذا ما قورن بالاعمال الأخرى، كنادلة المطعم التي تتقاضى في المتوسط مبلغا تافها لا يعدو 7 ـ 30 دولارا في الساعة.

ورغم أن البغاء يمكن أن يكون عملا مربحا جدا، فإنه يمكن أن يكون أيضا وسيلة خطرة جسديا ومرهقة نفسيا لجني المال. فبالاضافة إلى خطر العدوى بالامراض المنقولة جنسيا، وخطر التعرض للتعنيف على يد الزبائن، تدفع بعض البغايا الثمن نفسيا من خلال عيشهن حياة مزدوجة. كما توضح احداهن: «من المرهق جدا ان تعيش حياتين، ان يتوجب عليك الكذب طوال الوقت ـ كيف يمكنك شراء هذه الاحذية الفاخرة، والحقائب ذات سعر 2000 دولار، وايجار المنزل؟ تتعايش مع الامر لانك تحب المال والسيطرة.. ومع ذلك يعتريك شعور بالوحدة»[24].

المَحْظيّاتُ اليافعات ورُعاتُهُنَّ الاثرياء

ليست كل النساء اللواتي يمارسن الجنس مقابل المال يرين ذلك بغاءً:

«انا أمارس الجنس مقابل المال مع والد اطفالي فقط. لا لانني عاهرة او ماشابه، انا أحبه لكن لا شيء مجانيٌ في هذا العالم».

امرأة غيرية الجنس، العمر32

إنَّ « المحظية اليافعة sugar baby » هي امرأة تعرض وقتها، مرافَقتها، وخدماتها الجنسية عادة، لرجل ميسور الحال (الراعي الثريsugar daddy)، والذي يقوم في المقابل بتغطية كل حاجاتها الاقتصادية من اموال ونفقات. وغالبا ما تكون النساء المنخرطات في هكذا نوع من العلاقات اصغر سنا بكثير من الرجال. لا احد يعرف مدى شيوع هذه الممارسات



بالضبط، لانها عادة ما تكون محاطة بالسرية. كشفت دراسة اجريت على أكثر من الف شخص من سكان مدينة كيسومو في كينيا، ان 7.4% من النساء افصحن انهن حاليا في علاقة مع «راعٍ ثري»، على أنه لم تُجْرَ حتى الان دراسات منظمة لنفس الظاهرة في ثقافاتٍ أخرى[25]. الا ان مما يؤكد انتشارها في الولايات المتحدة، كثرة المواقع الالكترونية التي تقوم بتدبير انشاء هذا النوع من العلاقات بين النساء الجذابات جنسيا والرجال الجذابين ماليا. وتشمل هذه المواقع، التي تُقَدَّم على أنها خدمة مواعدة، مواقع مثل .Sugardaddie.com،SugarDaddyForMe.com،WealthyMen.com MillionaireMen.com، وMarryMeSugarDaddy.com حتى ان هناك موقعا مخصصا لتقييم جودة خدمات مواقع المحظيات اليافعات والرعاة الاثرياء!

تقول النساء اللاتي يبحثن عن رعاة اثرياء ان دافعهن الاساسي يتعلق بالمال. كشف تقرير اسوشييتد برس عن المحظيات اليافعات، ان بعضهن يتخذن ذلك وسيلة لعيش «الحياة الراقية» دون الاضطرار للكدح في عمل يومي لثمان ساعات[26]. وتتخذ العوائد التي تجنيها النساء اشكالا مختلفة، كالانفاق على مواد التجميل والاستجمام، تناول العشاء في المطاعم، ازياء من مصممين عالميين، مجوهرات، رحلات سياحية خارج البلاد، سيارات فارهة، وحتى عقارات. ترى إحدى النساء في دراستنا ان الجنس مقابل الكتب صفقة عادلة:

«جربتُ مرة واحدة ان أكون «محظية يافعة»، دون ابتذال. ضاجعت احد اساتذتي. اصبحتُ بعدها محط انتباه اكاديمي أكثر وقد اعطاني الرجل أيضا كتبا تساوي عشرات الالاف من الدولارات. لم اشعر بالذنب



او ماشابه. اذ كانت الكتب بالنسبة لي مجرد هدايا، كان ليعطيني ما اعطانيه على كل حال لانني كنت مساعدته البحثية وصديقته. دائما ما كنت اتعجب لماذا يعتبر الناس هذا غير اخلاقي او انه يكاد يكون بغاءً غير قانوني. كان حبيبا رائعا، ولم اكن اُلزِمُهُ باعطائي اي شيء».

امرأة شاذة/ ليزبيانية، العمر 25

لكن بعض النساء لا يتطلعن إلى المال وحده. اذ افاد مقال صحفي آخر انَّ ما يبدأ كعلاقة جنس مقابل موارد، قد يتحول إلى علاقة ملتزمة متصفة بالاخلاص والرومانسية والشهامة أيضا[27].

لا تنتهي جميع علاقات المحظيات اليافعات برعاتهن الاثرياء نهاية سعيدة، كما قالت إحدى النساء في دراستنا:

«كنت اعيش في الفنادق، حاملاً ومعي ابني الأول، وقد عرض علي محترف كرة قدم سابق ان يكون «الراعي الثري » لي ليسكنني في منزل مع ابني ويدعمنا مالياً مقابل الجنس. ووَعَدني أيضا بأن يعطيني سيارة فمارست معه الجنس. بعدها طلب ممارسة الجنس مرة أخرى قبل ان يعطيني السيارة، لذا شعرت بأنه «يحتال علي» فكففت عن التواصل معه».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 21

المقايضة الجنسية

خلافا لعلاقات الرعاة والمحظيات، تكون بعض اشكال المقايضة الجنسية ضمنية ولا تتطلب مساومة صريحة. هكذا وصفت عدة نساء في دراستنا مبادلة الجنس مقابل الموارد:



«انا أحب الجنس لذا فليس هناك سبب للامتناع عن ممارسة الجنس مع شخص يطلب منك ذلك اذا كان مستعدا للتضحية ببعض وقته ليبتاعك وجبة».

امرأة ثنائية الميل الجنسي، العمر 45

«كان ذلك الشخص يتمتع بمركز قوي في شركته وكان ثريا جدا. لم اكن أمارس الجنس معه في البداية الا بدافع الانجذاب المتبادل. لكن ما انْ بدأ باغداق الهدايا علي، شعرت بأن هذا هو كل ما اردته من ممارسة الجنس معه».

امرأة غيرية الجنس، العمر 29

«كنت اواعد رجلا في الستين من عمره ـ يكبرني ب22 عاما ـ اخذني إلى مطعم راق للاكلات البحرية والمشويات. كنت اواعده فقط لانني اشعر بالسأم، ومستجدة في البلدة، ولانني لم التق بشخص غيره بعد. كان كِلَانا يسكنُ مع اسرته، لذا فإننا غالبا ما نمارس داخل سيارته الكبيرة من طراز كاديلاك. كان يرغب عادة بالجنس الفموي فقط، وكنت أُلَبِّي طلبه. كنت اقول لنفسي: لِمَ لا؟ يستمتع هو واحصل انا على وجبة طعام».

امرأة غيرية الجنس، العمر 47

غالبا ما لا تكون مقايضة الجنس بالموارد واضحة كما توحي بذلك الامثلة السابقة. ومع ذلك، فإن اغلبية النساء يَعِينَ تماما دور موارد الرجل في جاذبيته الجنسية. في واحدة من اولى الدراسات الشاملة للتكتيكات التي يستخدمها الرجال لجذب النساء، اَثبتَ تكتيك «دعاني إلى عشاء في مطعم راقٍ» انه واحد من أكثر التكتيكات نجاعة[28]. وقد توصل مختبر باس ان من بين الاغراءات الجنسية الأكثر فعالية كانت:



ـ انفق علي الكثير من المال منذ بداية علاقتنا.

ـ اغدق علي الهدايا في البداية المبكرة لعلاقتنا.

ـ اظهر لي ان نمط حياته متسم بالبذخ الفاحش.

والأكثر من ذلك، ان النساء يرين اتصاف الرجل بالبخل عاملا يحد من جاذبيته الجنسية إلى اقصى حد.[29]

وجدت دراسة انه عند عرض صور لرجال مختلفين على النساء، انجذبت النساء جنسيا أكثر للرجال الذين يرتدون ملابس باهظة الثمن، كالبدلات ذات الثلاث قطع، السترات الرياضية، وبناطيل من مصممين مشهورين، أكثر من انجذابهن للرجال الذين يرتدون ملابس رخيصة كالقمصان والمِدْرَعات. قامت دراسة أخرى بعرض صور مختلفة لنفس الرجال، يرتدون اطْقُمَاً مختلفة من الملابس في كل صورة. تُصَوِّر الصورة الأولى الرجل وهو يرتدي الزي الموحد لبرغر كنغ مع قبعة بيسبول زرقاء وكنزة. فيما تصوره الأخرى مرتدياً قميصاً رسمياً ابيض مع ربطة عنق من ماركة عالمية، جاكتة رياضية زرقاء قاتمة، وساعة يدوية ماركة روليكس. وبناء على معطيات هذه الصور فقط، قالت النساء انهن لا يرغبن بالتفكير في امكانية مواعدة او ممارسة الجنس مع هؤلاء الرجال الذين يعانون من شحة الموارد، فيما لم يكنَّ ممانعات من التفكير بامكانية مواعدة او ممارسة الجنس مع او حتى الزواج من الرجال الذين يظهر على ملابسهم الترف[30].

في فلم عرض غير لائق الذي انتج عام 1993، كان ما دفع شخصيةَ ديانا، التي مثلتها ديمي مور، إلى ممارسة الجنس هو الحصول على



مليون دولار مقابل ليلة واحدة. اثار الفلم جدلا واسعا عبر البلاد، حيث ناقشت النساء سؤالاً افتراضيا حول ما ان كُنَّ يقبلن مضاجعة غريب لا يعرفنه للحصول على نفس المبلغ من المال. وقد انتشرت انذاك طُرْفَةٌ مفادها ان امرأة سُئِلَت ما اذا كانت توافق على مضاجعة روبرت ريدفورد (الممثل الذي لعب دور الشخص الذي عرض على ديانا المليون دولار في الفلم) مقابل مليون دولار. وبعد طول سكوت أجابت المرأة: بلى،لكن يجب ان تمهلوني بعض الوقت لكي اجمع المبلغ المطلوب! والنكتة هنا تسلط الضوء على حقيقة ان النساء بدورهنَّ أيضا، ينظرن إلى بعض الرجال على أنهم ذوو قيمة جنسية عالية ـ الرجال الوسيمون، ذوي الجاه والمكانة العالية، مثل روبرت ريدفورد الذي يعد ايقونة من ناحية الجنس (والمكانة أيضا).

ومن غير المفاجيء، ان نساء في دراستنا افدن انهن مارسن الجنس لا من أجل المال فقط، بل كوسيلة للحصول على وظيفة، علاوة، او ترقية. تدعى هذه الظاهرة بـ« أَريكة توزيع الادوار casting couch»، وهي كنايةٌ عن الحالة التي تقوم فيها الممثلة بتقديم خدماتها الجنسية للمنتِج، المُخرِج، او المسؤولين التنفيذيين الاخرين الذين يمتلكون سلطة لكي يمنحوها دورا في فلم. اعترفت مارلين مونرو بممارستها الجنس مع رجال نافذين لكي يسهلوا دخولها إلى عالم هوليوود ويمنحوها ادواراً نجومية رئيسية، رغم أن ذلك سبب لها الغَمْ. ويقال انها كانت تقضي ساعات في الاستحمام بعد ممارسة الجنس مع مدراء الاستوديوهات، للتخلص من الدنس الذي لحقها من ايدي «اولئك الشيوخ مجعدي الجلد»[31]. ولا تزال أَريكة توزيع الادوار تفعل فعلها في هوليوود إلى



يومنا هذا، كما وثقت جوليا فيليبس الحائزة على جائزة اوسكار ذلك في كتابها You'll Never Eat Lunch in This Town Again. ولا يقتصر الامر على الولايات المتحدة. ففي الهند مثلا، وثَّق البرنامج التلفزيوني «اخطر المطلوبين في الهند India's Most Wanted» حالات فعلت فيها اريكة توزيع الادوار فعلها في «بوليوود»، كبرى صناعات الافلام في البلاد. وفي2006، نشرتْ الممثلة الصينية شانغ يو Zhang Yu شرائط فديو ذات محتوى جنسي، سجلتها باستخدام الة تسجيل مخفية، لتؤكد من خلالها ادعاءاتها بأنها حصلت على العديد من ادوار البطولة من خلال ممارسة الجنس مع المنتِجين والمخرجين[32].

رغم أن معظم النساء اللواتي يمارسن الجنس من أجل الحصول على الترفيعات المهنية لا يستمتعن في أثناء الجنس بل يمارسنه على كراهة، فإن هذا لا ينطبق عليهن جميعا. اذ تُقْبِل بعض النساء برغبة على ممارسة الجنس من أجل مناصب او امتيازات في المؤسسة التي يعملن فيها. فمثلا، تقول إحدى النساء انها لم تعتبر طلب رئيسها في العمل ممارسة الجنس معه تحرشا جنسيا، لانها كانت تحصل على «عمل سهل» في المقابل[33].

ولم يسلم حتى الحرم الجامعي المقدس من سريان القوانين الاساسية للاقتصاد الجنسي داخله. لقد كان عرض الخدمات الجنسية مقابل الحصول على درجات عالية شائعا جدا في ستينات وسبعينات القرن العشرين، قبل ان يتم سَنُّ وفرض قوانين التحرش الجنسي في الجامعات. تُقَدَّم هذه العروض من الطرفين ـ وقد تتم بالتراضي او تكون ذات طبيعة ابتزازية. وربما كانت الفضيحة الأكبر عندما تم الكشف عن ان الاستاذ ايمانويل جيوردانو فيما يُزعَم، قد منح أكثر من الف امرأة درجات عالية



مقابل حصوله على خدماتهن الجنسية[34].

في بعض الاحيان، يتاثر انجذاب المرأة جنسيا إلى رجل ما بموارده غير المالية التي يمتلكها.احتاجت إحدى النساء إلى مساعدة رجل بارع في اداء الاعمال اليدوية المنزلية المختلفة:

«واعدت رجلا كان يقوم بكل الاعمال المنزلية اليدوية لي، وكنت ادفع له باستخدام الجنس لا المال. لكن حالما ثُبْتُ إلى رشدي طردته وصرت اقوم باعمال التصليحات المنزلية بنفسي. وقد اصبحت أكثر اعتدادا بنفسي واحتراما لها الان».

امرأة غيرية الجنس، العمر 44

لكن الورق الاخضر مُحَفِّزٌ آخر أيضا:

«عَلِمَ صديق ثري سابق لي انني في مشكلة مالية، لذا عرض علي 20 دولارا مقابل جنس فموي. انه تبادل بسيط جدا للخدمات، يساعدني واساعده.كنا وما زلنا مرتبطين بعلاقة صداقة منذ عدة سنوات. كل مرة احتاج المال، يعرض علي ذات العرض. وقد تحول الامر بيننا الى ما يشبه الطُرفة الآن».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 24

كما يوضح المثال السابق، فليس هناك حد فاصل حاسم بين البغاء واغداق الهدايا. «إنَّ إغداق العطايا او حتى اعطاء المال مقابل ممارسة الجنس»، يقول احد الاكاديميين، «لا يمكن أن تكون معايير نعتبر بموجبها ان هذه الممارسة الجنسية بغاءً، لان هذا ـ اعطاء المال والهدايا ـ يحدث



حتى في اطار المغازلة او ممارسة الجنس داخل العلاقة الزوجية»[35].
وكما تقول عالمة البيولوجيا التطورية الشهيرة نانسي بيرلي Nancy Burley، «حيث إن المغازلة والبغاء يتموضعان على تدرج ليس فيه نقطة فاصلة بينهما، فإن الغالبية الساحقة من الفرص التزاوجية للذكور تتطلب منهم دفع اثمان بشكل وقت او سِلَعٍ مادية»[36].

على أن هناك اختلافا كبيرا على اية حال، وهو المعنى النفسي الذي تربطه النساء بالهدايا التي يتَلَقَّينها. فغالبا ما تفسر النساء الهدية لا بناء على قيمتها المادية البحتة، بل على المعنى الرمزي لها ـ كدليل على أن الشريك الجنسي مهتم بإنشاء علاقة عميقة طويلة الأمد، لا علاقة جنسية عابرة[37]. ولهذا فإن الفكرة التي يعبر عنها الشخص بهديته غالبا ما تكون أهم من القيمة المالية للهدية. وفي بعض الصفقات او التعاملات الجنسية، لا يتم تبادل الهدايا ولا المال اطلاقا. بل بدلا من ذلك، فإن ما يتم تبادله هو اللذة الجنسية، كما يحصل في العلاقات التي يصطلح عليها «الأصدقاء النافعون».

الصداقات النفعية، طلب الجنس عبر الهاتف

تاريخيا، نظر الناس إلى الصداقات بوصفها تحالفات ذات منافع لا جنسية متبادلة، بما فيها الثقة، الاخلاص، الوفاء، والاحترام الشخصي المتبادل. لكن عنصر الجنس اضيف أيضا إلى الصداقة في عصرنا الحديث، وبالخصوص في الحرم الجامعي وبين اليافعين من سكان المدن. تكشف البحوث ان حوالي 60% من طلبة الجامعات في الولايات المتحدة قد سبق لهم ان كانوا في علاقة «أصدقاء بمنافع جنسية» في



مرحلة ما من حياتهم، وان حوالي 36% منهم لديهم حاليا «رفيق فِراش sex buddy[38].» في الواقع، عندما تمارس النساء علاقة جنسية عابرة، فإن اغلبيتهن يفضلن ممارسته مع صديق (63%) على ممارسته مع غريب (37%) [39]. وقد ظهرت هذه العلاقات الجنسية الصرفة في دراستنا لدوافع النساء لممارسة الجنس. تقول إحدى النساء انها بعد أن حِيلَ بينها وبين حبيبها بسبب دراستها الجامعية، بحثت عن صديق نافع لان «الحياة اللعينة قصيرة جداً لينتظر المرء اربع سنوات قبل ان يمارس الجنس مرة أخرى»، فيما وصفت امرأة أخرى الامر بطريقة مختلفة:

«كنت منجذبة إلى ذلك الشخص... ولو انني لم اكن اتخيل اننا سننشئ علاقة طويلة الأمد، ولم اكن اعتقد انه الرجل المناسب لي، شعرت برغبة في ممارسة الجنس معه، لا انْ انتظر قدوم الرجل المناسب الذي قد لا ياتي اصلاً».

امرأة غيرية الجنس، العمر 21

تتسم العلاقات الرومانسية انموذجيا بمستويات عالية من العواطف الجياشة والحميمية والالتزام. وفي المقابل، تتصف علاقات)أصدقاء بمنافع (بمستويات معتدلة من العواطف والحميمية، لكن مستوى الالتزام فيها منخفض. ومع ذلك، وخلافا للقاءات الليلة الواحدة التقليدية، فإن علاقة الأصدقاء ذوي المنافع تتصف نموذجيا بالاحترام المتبادل، المطاولة،وقدر من المودة. ورغم أن نسبة النساء اللاتي يتوقعن تحول الصداقة النفعية إلى علاقة رومانسية أكثر من نسبة الرجال (18% مقابل 3%)، فإن أكثر من80% لا يتوقعن نشوء اي علاقة رومانسية.



هناك نوع آخرمن العلاقات أقل ارتباطا عاطفيا واشد اقتصارا على الجنس هو ما يدعى بالـ«الاتصالات الجنسية booty calls»، وهي عبارة في اللهجة العامية انتشرت بعد اغنية فاست ايدي «booty call» عام 1995، وفلم «booty call» الذي قام جيمي فوكس ببطولته عام 1997. ان اسم هذا النوع من العلاقات مُشتق من طريقة بدء اللقاء الجنسي ـ اتصال هاتفي، رسالة بريد الكتروني، رسالة نصية، او رسالة فورية، يرسلها احد الصديقين إلى الآخريستدعيه لغرض واحد هو ممارسة الجنس. يقوم الشخص بالاتصالات الجنسية مع شخص آخرعلى علاقة جنسية معه مسبقا، على أنها تتم أحيانا بين الشخص وقرينه السابق او حتى في سياق علاقات أكثر جدية. وجدت إحدى الدراسات، انه من بين الـ22 سببا الممكنة لتلبية الاتصالات الجنسية، وَضَعت النساء في المركز الثاني السبب الاتي: «لان ذلك الشخص لم يكن يريد مني شيئا آخرغير الجنس»[40]. الا انَّ هناك استثناءات طبعا. ففي دراستنا، قالت إحدى النساء انها كانت تطمح بما هو أكثر من مجرد الجنس:

«كانت علاقة تسمى (رفيق الفراش fuck buddy)، أي ان تقوم بمضاجعة احدهم دون مواعدته، بمعنى انك بشكل ما تعيش حياة سرية لا احد يعرف عنها شيئا.. لم يكن يريد مواعدتي بل ممارسة الجنس معي فحسب، وقد فعلت ذلك. كنت أعرف أنه يضاجع نساء آخريات غيري، لكني بقيت معه لانه اخبرني بأن الامور قد تتحول وهذا ما كنت آمُله».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

إذن ما الذي يدفع امرأةً ما لممارسة الجنس في كل هذه الانواع المختلفة من علاقات الصداقة النفعية؟ يبدو أن الاجابة الاساسية هي اللذة



الجنسية التي تُتَبادلُ في اطار من الثقة. تعد اللذة الجنسية دافعا اساسيا للنشاط الجنسي للنساء، وتوفر ممارسة الجنس مع صديق احساسا أكثر بالثقة والامان للمرأة، مقارنة بممارسته مع شخص غريب. قالت الكثير من النساء ان العلاقة الجنسية منخفضة الالتزام حَرَّرَتْهُنَّ من الالتزامات والتعقيدات والاعباء التي تحتويها عادةً العلاقات الرومانسية الملتزمة. قالت بعض النساء، ربما هؤلاء اللواتي يركزن كثيرا على دراستهن او حياتهن المهنية، انهن لا يمتلكن الوقت او الرغبة ببناء علاقات رومانسية عاطفية ملتزمة. لذا فإن شريك الفراش يوفر مقايضة جنسية نافعة للطرفين، تُشْبِع الاحتياجات الجنسية للمرأة، وحتى احتياجاتها للحميمية أحيانا، دون تحمل عِبْءِ الارتباط العاطفي طويل الأمد.

على أن اغلبية النساء لا يرين في علاقات الصداقة النفعية بديلا عن العلاقات الرومانسية التقليدية. تستخدم بعضهن هذه المقأيضات الجنسية كَحَلٍّ مؤقت في طريق بحثهن عن الرومانسية، ريثما يجدن تلك الرومانسية المنشودة. فيما تستخدمه بعضهن كوسيلة اختبار جنسي ليعرفن ما ينبغي عليهن ان يَتَحرَّينه عند اختيار قرين طويل الأمد. ولبعضهن علاقة صداقة نفعية كَمُكَمِّلٍ جنسي لعلاقتهن الملتزمة الاساسية.

ليست كل العلاقات النفعية نعيما جنسيا لا يعكر صفوه شيء. اذ افادت النساء اللواتي يمارسن هذا النوع من العلاقات انها لا تخلو من السلبيات. بما فيها نشوء مشاعر رومانسية تجاه الصديق (65%)، الإضرار بالصداقة (35%)، التسبب بمشاعر سلبية (24%)، والمخاطرة بالتعرض للاضرار الجانبية كالامراض المنقولة جنسيا (10%) [41]. من اللافت للانتباه، ان اغلبية النساء،73%، لا يناقشن بوضوح القواعد والاستثناءات التي تنظم



هذا النوع من العلاقات. ومن بين هؤلاء اللاتي ناقشنها بوضوح، قالت 11% منهن فقط انهن اتفقن مع الطرف الآخرعلى مقايضة جنسية صرفة، فيما قالت أقلية لا تتجاوز4% فقط،انهن «وضعن قواعد» وافق عليها الصديق.

لم تُعْنَ الا دراسة علمية واحدة فقط بدراسة كيف تتاثر علاقات رِفْقَة الفراش بمرورالزمن[42]. توصلت تلك الدراسة، التي شملت 65 امرأةً و60 رَجُلاً، انه في 36% من الحالات، بقيت الصداقة ولكن الطرفين كفَّا عن ممارسة الجنس. وفي 28% من الحالات بقي رفيقا الفراش يمارسان الجنس لفترة طويلة من الزمن. وفي 26% من الحالات، انتهت العلاقة كليا. وقد تحولت العلاقة إلى علاقة رومانسية في 10% من الحالات فقط ـ نهاية سعيدة بالنسبة لهذه الأقلية، ولكنها لم تكن في البداية الدافعَ الذي دفع للنساء للدخول في علاقة المقايضة الجنسية هذه.

المقايضة ضمن اطار الزواج

كثيرا ما يتم تبادل الموارد مقابل الجنس بطريقة غير صريحة ولا علنية، اذ يحدث هذا في سياق علاقة طويلة الأمد، كما تخبرنا هذا المرأة التي شملتها دراستنا:

«منذ عدة سنوات، اشترى لي حبيبي سيارة. لم اكن راغبة بالجنس لكنه كان راغبا، لذا كنت أمارس الجنس بناء على طلبه.. لاسبوعين على الأقل!».

امرأة غيرية الجنس، العمر22



وقد تمارس النساء الجنس بناء على الحكمة التي تقول «الوقت يساوي المال»، لان الامتناع عن ممارسته قد يثير حنق الطرف الآخر:

«لم اكن مهتمة به كثيرا لكنه قاد سيارته لخمس ساعات عبر مسافة بعيدة لكي يزورني، لقد شعرت بالضيق لانه قطع كل تلك المسافة من أجلي حيث إني أدركت بعد أن رايته انه لا يروقني كثيرا كما كنت اعتقد، لذا علمتُ انني قد ارتكبتُ غلطة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 24

في الحالات اعلاه، لم يكن هناك تبادل صريح للموارد مقابل الجنس. لكن النساء شعرن بدافع لممارسة الجنس لا عن رغبة جنسية، بل بسبب احساسهن بضرورة تسديد او مبادلة او موازنة دين مادي او غير مادي. ادناه تصف امرأة كيف تستخدم المبادلة الجنسية كوسيلة لكي تُشْعِرَ شريكها بالمديونية:

«أحيانا تفعل اشياء لانك تعرف انك اذا امتعتَ شريكك فسيكون سعيدا، وهو ما سيجعله يساعدك في اعمالك. فمثلا اذا كان البيت يحتاج بشدة للتنظيف، فإن الشريك سيكون مستعدا أكثر لمساعدتك اذا كان في مزاج رائق. وكذا لو كنت تحتاج خدمة كبناء شيء ما مثلا، فإن شريكك سيكون أكثر استعدادا لاسداء الخدمة اذا كنت تَرُدُّ الخدمة بالطريقة الأكثر امتاعا!».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

تصف نساء اخريات اقتصاد الجنس بطريقة مباشرة أكثر:



«أمارس الجنس لكي اقنع زوجي بالموافقة على ما اريد فعله عندما يكون معارضا».

امرأة غيرية الجنس، العمر 31

«استخدم الجنس كثيرا لزيادة تأثيري في العلاقة لكي احصل على ما اريد».

امرأة غيرية الجنس، العمر 27

«تعرف تلك المواقف التي تكون فيها مضطرا لارضاء الشريك جنسيا لاقناعه بالموافقة على شيء ما. اشياء بسيطة مثل اختيار المطعم الذي تتناولان فيه العشاء».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

في مجتمعات الصيد والالتقاط، تنجذب النساء جنسيا إلى الرجال الذين يمتلكون القدرة على توفير اللحم من خلال الصيد. ويحدث هذا الانجذاب سواء كانت المرأة تنوي ان تكون زوجة للرجل او عشيقة له. ففي شعب السريونو في بوليفيا مثلا:

«يُشَكِّل الطعام واحداً من أفضل المغريات للحصول على شريكات جنسيات خارج الزواج، وكثيرا ما يستخدم الرجل الطرائد كوسيلة لاغراء امرأة بالزواج منه. غالبا ما لا يكون الفشل في اغراء الزوجة المحتملة عائدا إلى ممانعتها، بل إلى معارضة الزوجة الفعلية للرجل، حيث إنها لا تقبل مشاركة ما يحصل عليه زوجها من الطرائد مع اية امرأة أخرى، خصوصا لو كانت زوجة محتملة[43]».

وعندما يُقِيم رجل متزوج من السريونو علاقة خيانة مع نساء غير



زوجته، فإن خَدِينَتَهُ لن تقبل غالبا ممارسة الجنس معه مالم يكن يقدم لها اللحم بانتظام.على أن الزوجة تقوم بالاشراف على الطرائد وتوزيعها، فاذا اكتشفت ان جزءاً من الطريدة مفقود، فَسَتَشُكُّ كثيرا في اخلاص زوجها وستُخَمِّن انه على الاغلب يخونها مع امرأة أخرى، مما يشعل غيرتها وغضبها، ويدفعها لبذل المزيد من الجهود لحراسة قرينها. وفي خِضَمِّ هذا الصراع الذي لا ينتهي بين الجنسين، يحاول الزوج التملص من غيرة زوجته من خلال ارسال قطعة من الطريدة إلى عشيقته مع احد الاشخاص قبل ان يعود بالطريدة إلى المنزل.

يتجلى انجذاب نساء السريونو إلى الرجال الذين يستطيعون توفير اللحم بأوضح صوره في قصة احد الرجال، والذي كان صيادا فاشلا. عانى هذا الرجل من ضِعَةِ المكانة، واصيب بـ«قلق الصيد»، وخسر زوجته لصالح رجل آخركان صيادا بارعا. وقد شعر عالم الانثروبولوجيا الان ار. هولمبرغ Allan R. Holmberg بالشفقة عليه فاعطاه لحماً ثم عَلَّمهُ كيفية صيد الطرائد باستخدام سلاح ناري. ولم يمض وقت طويل حتى ارتفعت مكانة الرجل واستطاع الحصول على زوجة وعِدَّة شريكات جنسيات جديدات أيضا.كذلك فقد اكتسب ثقة بنفسه وبدأ باذلال الرجال الآخرين بعد أن كان محط احتقارهم في الماضي.

لقد وُجِد ان اقتصاديات الجنس تسري تقريبا في جميع المجتمعات التقليدية التي تمت دراستها بشكل جيد. ففي شعب الهادزا في تنزانيا، «يجد الرجل صعوبة في الحصول على زوجة او الاحتفاظ بزوجته الحالية اذا لم يكن ناجحا في صيد الطرائد الكبيرة»[44]. ولُوحِظَ وجود أنماطٍ مشابهةٍ لدى شعب الميهيناكو في البرازيل Mehinako، الشاراناوا



في شرق البيرو، واليانومامو في فينزويلا.Yanomamö يعي الرجال تماما ان النساء يرين القدرة على توفير اللحم صفة جذابة جنسيا. ويستخدمون اللحم كوسيلة لجذب النساء سواء في العلاقات قصيرة او طويلة الأمد، كما يستخدمون اللحم لاغواء زوجات الرجال الآخرين. يصف احد رجال اليانومامو احد منافسيه للانثروبولوجي رايموند هيمز Raymond Hames قائلاً: «انَّهُ ليس رجلا حتى ـ مشيرا إلى أنعدام كفائته في الصيد ـ. سوف تتركه زوجتهُ وتاتي معي لانه لا يستطيع الصيد، اما انا فصياد ماهر»[45]. ومِنْ منظور تطوري، فإن هذا تبادل نافع لكلا الطرفين.

في الثقافات الغربية الحديثة، تميل هذه الانواع المباشرة من المقايضة لأن تكون أقل شيوعا، او أقل صراحة على الأقل. ورغم ذلك، تستمر اقتصاديات الجنس بالتأثير على رغبة المرأة بممارسة الجنس حتى ضمن علاقتها الزوجية. قد لا يتم مقايضة الجنس بالموارد فقط، بل بخدمات متبادلة أخرى. ففي جلسة علاج نفسي، وصفت امرأة كيف ان غريزتها الجنسية أقل بكثير من غريزة زوجها، لكنها قبلت مرة ممارسة الجنس معه لأنه وافق على جَزِّ العشب واخراج القمامة من المنزل حيث إنها ترى كلا الامرين ـ أي الجنس والتخلص من القمامة ـ متساويين في الكراهة!

يمكن للموارد التي يكسبها الزوج، او فَشَلِهِ في كسبها، التأثير على الدوافع الجنسية للمرأة. قالت إحدى النساء في دراستنا، ان اداء زوجها في عمله، أثَّر على رغبتها بممارسة الجنس:

«إنَّ حصول زوجي على ترقية في العمل، مؤشر جيد على أننا سنمارس الجنس. ربما يكون الامر كمكافأة له، ولكنه أيضا يبدو أكثر جاذبية في



عيني عندما يقوم بكسب الكثير من الاموال. اعتقد ان الامر يتعلق بالانجاز أكثر منه بالمال، بمعنى نظرة الآخرين له على أنه شخص ناجح».

امرأة غيرية الجنس،العمر48

لكن يمكن لهذا الدافع ان يعمل بالاتجاه الآخر، فيسوق المرأة لمضاجعة رجل آخرغير زوجها. ورغم أن الأسباب التي تدفع النساء للخيانة كثيرة ـ خيانة الزوج، عدم رغبته بممارسة الجنس، اساءته لها لفظيا او جسديا ـ فإن واحداً من أهم الأسباب التي توصل اليها مختبر باس هو فشل الزوج بالاحتفاظ بوظيفته(46). ففي هذه الظروف، يكون دافع المرأة للخيانة هو الرغبة بتغيير القرين، وتبديله بواحد اقدر منه على توفير الموارد.

تَظهَرُ اقتصاديات الجنس أيضا ضمن العلاقة الزوجية بطريقة أخرى ـ وهي رفض المرأة ممارسة الجنس. افصحت النساء اللواتي لا يتمتعن بموارد اقتصادية خاصة بهن، ويعتمدن على الموارد المالية لازواجهن، عن رغبة أقل في صَدِّ ازواجهن جنسيا، بالمقارنة مع النساء المتزوجات اللاتي يمتلكن مصادر دخل خاصة بهن(47). للنساء اللواتي يمتلكن موارد اقتصادية خاصة بهن، قدرة أكبر على ممارسة الجنس عندما يرغبن به، وعلى رفض طلب ازواجهن ممارسته عندما لا يكن راغبات.

تظهر اقتصاديات الجنس عبر الثقافات بعدة اشكال.للنساء اليد العليا في سوق الاقتران، نتيجة لسيكولوجية الرجال ـ رغبتهم في التنويع الجنسي، غريزتهم الجنسية، تحيز فرط الادراك الجنسي لديهم، خيالاتهم الجنسية المتواصلة، وادمغتهم التي تستجيب للتحفيز البصري.



ـ ولِكَونِهِنَّ المورد الاعلى قيمة والذي يتنافس الرجال من أجله، تستطيع النساء، وغالبا ما يفعلن، ممارسة هذا التفوق بمبادلة مواردهن الجنسية بالحصول على منافع مختلفة، بما فيها الطعام، الهدايا، خدمات خاصة، درجات اعلى في الجامعات، ترفيعات مهنية، او الدخول إلى عالم السينما. وفي بعض هذه المبادلات، ليس هناك خطٌّ فاصل بين المغازلة، الاغراء، والبغاء. ومع ذلك فإن المسافة النفسية التي تفصل بين البغاء والذي هو مقايضة صرفة وصريحة، وبين الغَزَل الصادق والذي تكون الهدايا فيه ذات بعد رمزي للتعبير عن الالتزام او التقدير تجاه المرأة، هي مسافةٌ شاسعة.

هوامش المؤلفين على الفصل الثامن

1 ـ «Student Auctions Off Virginity for Offers of More than £2.5 Million،» The Telegraph (London) , January 12 , 2009.

2 ـSee www.cnn.com /2008 /LIVING /personal /0825 / /sex.for. stuff

3 ـ Kruger , D. J. (2008) . «Young Adults Attempt Exchanges in Reproductively Relevant Currencies،» Evolutionary Psychology 6:204 ـ 12.

4 ـSee www.cnn.com /2008 /LIVING /personal /0825 / /sex.for. stuff

5 ـ Symons , D. (1979) . The Evolution of Human Sexuality (New York: Oxford University Press) , 257 ـ 58.



6 _ Sahlins, M. (1985). Islands of History (Chicago: University of Chicago Press؛ Malinowski, B. (1929). Sexual Savages in North _ western Melanesia: An Ethnographic Account of Courtship, Marriage, and Family Life Among the Natives of the Trobriand Islands, British New Guinea (London: G. Routledge & Sons), 319.

7 _ Siskind, J. (1973). To Hunt in the Morning (New York: Oxford University Press), 234.

8 _ Ellis, B. J., and Symons, D. (1990). «Sex Differences in Sexual Fantasy: An Evolutionary Psychological Approach،» The Journal of Sex Research 27:527 _ 55.

9 _ Buss, D. M. (2003). The Evolution of Desire: Strategies of Human Mating (New York: Basic Books)؛ Ellis, B. J., and Symons, D. (1990). «Sex Differences in Sexual Fantasy».

10 _ Haselton, M. G., and Buss, D. M. (2000). «Error Management Theory: A New Perspective on Biases in Cross _ sex Mind Reading،» Journal of Personality and Social Psychology 78:81 _ 91.

11 _ Buss, D. M. (2003). Evolution of Desire.

12 _ Symons, D. (1979). Evolution of Human Sexuality.

13 _ المصدر السابق.

14 _ Dworkin, A., and Levi, A. (2006). Intercourse (New York: Basic Books).



15 _ French, D., and Lee, L. (1988). Working: My Life as a Prostitute (New York: W. W. Norton).

16 _ See www.sexwork.com /coalition /whatcountrieslegal.html.

17 _ Burley, N., and Symanski, R. (1981). «Women Without: An Evolutionary and Cross _ cultural Perspective on Prostitution،» in R. Symanski, The Immoral Landscape: Female Prostitution in Western Societies (Toronto: Butterworths), 239 _ 74.

18 _ Brown, L. (2000). Sex Slaves: The Trafficking of Women in Asia (London: Virago Books).

19 ـ المصدر السابق.

20 _ Burley, N., and Symanski, R. (1981). «Women Without».

21 _ Salmon, C. (2008). «Heroes and Hos: Reflections on Male and Female Sexual Natures،» in C. Crawford and D. Krebs (eds.), Foundations of Evolutionary Psychology (New York: Erlbaum).

22 _ Tyler, K. A., and Johnson, K. A. (2006). «Trading Sex: Voluntary or Coerced? The Experiences of Homeless Youth،» Journal of Sex Research 43:208 _ 16.

23 ـ المصدر السابق،212.

24 _See / /www.salon.com /mwt /feature /200805 /08 / /call_ girls /.



25 _ Luke, N. (2005). «Confronting the 'Sugar Daddy' Stereotype: Age and Economic Asymmetries and Risky Sexual Behavior in Urban Kenya،» International Family Planning Perspectives 31:6 _ 14.

26 _See www.associatedcontent.com/article/376288/how_to_get_a_sugar_daddy_sugar_daddies.html?cat—41.

27 _See www.articlepros.com/relationships/Relationship_Advice/article_74309.html.

28 _ Buss, D. M. (1988). «The Evolution of Human Intrasexual Competition: Tactics of Mate Attraction،» Journal of Personality and Social Psychology 54:616 _ 28.

29 _ Buss, D. M., and Schmitt, D. P. (1993). «Sexual Strategies Theory: An Evolutionary Perspective on Human Mating،» Psychological Review 100:204 _ 32.

30 _ Townsend, J. M. (1998). «Sexual Attractiveness Sex Differences in Assessment and Criteria،» Evolution and Human Behavior 19(3):171 _ 91.

31 _ DiMaggio, J. (2006). Marilyn, Joe, and Me (New York: Penmarin Books).

32 _See www.npr.org/templates/story/story.php?storyId—6924667.

33 _ Buss, D. M. (2003). Evolution of Desire.



34 _See http: / /austriantimes.at/index.php?id—7935.

35 _ Gebhard, P. H. (1971). «The Anthropological Study of Sexual Behavior،» in D. S. Marshall and R. C. Suggs (eds.), Human Sexual Behavior (New York: Basic Books), 257 _ 58.

36 _ Burley, N., and Symanski, R. (1981). «Women Without».

37 _ Symons, D. (1979). Evolution of Human Sexuality, 258 _ 59.

38 _ Bisson, M. A., and Levine, T. R. (2007). «Negotiating a Friends with Benefits Relationship،» Archives of Sexual Behavior 38:66 _ 73.

39 _ Welsh, D. P., Grello, C. M., and Harper, M. S. (2006). «No Strings Attached: The Nature of Casual Sex in College Students،» Journal of Sex Research 43:255 _ 67.

40 _ Jonason, P. K., Li, N., and Cason, M. (2009). «The 'Booty Call': A Compromise between Men's and Women's Ideal Mating Strategies،» Journal of Sex Research 46:1 _ 11.

41 _ Bisson, M. A., and Levine, T. R. (2007). «Negotiating a Friends with Benefits Relationship».

42 ـ المصدر السابق.

43 _ Holmberg, A. R. (1950). Nomads of the Longbow (Washington, D.C.: Smithsonian Institution Press), 64.



44 _ Washburn, S. L., and Lancaster, C. (1968). «The Evolution of Hunting،» in R. B. Lee and I. DeVore (eds.), Man the Hunter (Chicago: Aldine), 293 _ 303.

45 _ Symons, D. (1979). Evolution of Human Sexuality, 162.

46 _ Greiling, H., and Buss, D. M. (2000). «Women's Sexual Strategies: The Hidden Dimension of Extra _ Pair Mating،» Personality and Individual Differences 28:929 _ 63.

47 _ Blumstein, P. and Schwartz, P. (1983). American Couples: Money, Work, Sex (New York: Morrow).




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل التاسع:

تعزيز الـأنا
صورة الجسم، الاهتمام، الهيمنة، والخضوع

«اذا كان الدكتاتوريون يرون الابداع والجنس نشاطين هدَّامين، فذلك لأنهما يجعلانك تعرف انك تملك جسدك (وبالتالي صوتك أيضا)، وتلك هي المعرفةُ الأكثرُ ثوريةً على الاطلاق».

ايريكا يونغ، تَوَلُّد1942

«تقدير الذات» هو مصطلح سيكولوجي يشير إلى احساس الشخص بقيمة او أهمية نفسه/ نفسها. ويقاس تقدير الذات نموذجيا عن طريق سؤال الشخص عما اذا كان راضيا عن نفسه، ما اذا كان يشعر انه يمتاز بعدد من الصفات الجيدة ويتمتع بالقدرة على القيام بالاشياء بنفس الاتقان الذي يستطيعه الآخرون، وما اذا كان فخورا بنفسه، يشعر بأنه ناجح، ومعتز بنفسه. لقد رُبِط بين تقدير الذات وبين صفات شخصية أخرى كالخجل، وتجليات سلوكية كمدى جودة اداء الشخص لعمله في ظروف ضاغطة، وعمليات تفكيرية كاحتمالية القائهم باللوم على أنفسهم عند الاخفاقات، وسلوكيات صحية كتناول حبوب منع الحمل والقيام بفحوص سلامة الثدي الذاتية، وبمشاكل سريرية كالاكتئاب والقلق.



يؤثر تقدير المرأة على، ويتأثر بـ جنسانيتها، خبرتها الجنسية، وجاذبيتها الجنسية. للثقة بالنفس جاذبية جنسية. كما أنَّ عيش حياة جنسية هانئة، يرفع الثقة بالنفس. هناك ارتباطات نفسية عميقة بين حَيَواتِنا الجنسية وبين الانطباع الذي نكونه عن انفسنا، وينطبق هذا على كلا الجنسين. فعند الرجال مثلا، كشفت البحوث ان هؤلاء الذين يصابون بالعجز الجنسي او عدم الانتصاب، يعانون دماراً هائلا على صعيد تقديرهم لذواتهم[1]. هناك اصل تكيفي لهذا الربط: فتاريخيا، مَثَّل الفشل في ممارسة الجنس تهديدا خطيرا للنجاح التكاثري للرجل[2]. وعليهِ، فنادراً ما يكون هناك شيء يرفع تقدير الرجل لذاته أكثر من ممارسته الجنس مع امرأة جذابة. وكذلك عند النساء، كَوَّن التطور روابط تكيفية بين تقدير المرأة لذاتها وبين نجاحها الجنسي. وكما سنرى، فإن هذه الروابط قد تنحرف عن وظيفتها الاصلية في بيئتنا الحديثة أحيانا.

رغم أن بعض معايير الجمال الأنثوي تختلف عبر الثقافات ـ كتفضيل الامتلاء او النحافة النسبيَّين ـ فإن الكثير منها عالمية. تشمل الملامح التي تعتبر جذابة جنسيا على نطاق عالمي البشرة الناعمة الصافية، الشفاه الممتلئة، العيون الصافية الكبيرة، القوام العضلي الجيد، المشية الرشيقة، الملامح المتناظرة، ونسبة (خصر ـ ورك) منخفضة ـ وجميع هذه الصفات تكون مصاحبة للخصوبة في المرأة[3]. لقد كشفت البحوث التي عُنِيَتْ بدراسة كيف تشعر النساء بخصوص اجسامهن، ان تقديرهن لها، خلاف ما عليه الحال عند الرجال، يرتبط بشدة مع جاذبيتهن الجنسية الاجمالية، ومع سِمات محددة أخرى أيضا، كالخصر والارداف والافخاذ[4]. وحيث إن مظهر المرأة الجسمي يوفر كمَّاً هائلاً من المؤشرات على درجة



خصوبتها، فقد طَوَّر الرجال، ربما لسوء الحظ، تفضيلاتٍ قرينٍ تُعَلِّقُ أهمية كبرى على الملامح الجسدية للمرأة[5]. بشكل ما، فإنها حقيقة نفسية من حقائق الحياة، ان النساء يُعامَلن أحيانا كاشياء او موضوعات جنسية، تماماً كما أن الرجال يُعامَلون كاشياء تستمد قيمتها من المكانة او المال الذي تستحوذ عليه.

الجانب المشرق هنا، ان ممارسة الجنس يمكن أن ترفع ثقة المرأة بنفسها كثيرا. اختبَرت إحدى النساء في دراستنا ارتفاعا في ثقتها بنفسها استمر اياما عديدة على إثر ممارستها الجنس:

«مارست الجنس مع شخص شعرت بأنه قريب الي لأنني كنت اشعر بالوحدة. كان الرجل يحبني ويعطف علي دائما مما جعلني اشعر برغبة بأن يكون معي في الفراش، لليلة واحدة. كانت ليلة حمراء حقا وفعل كل ما طلبته منه. شعرت بثقة أكبر وبأني أكثر جاذبية جنسية (كامرأة) طوال الايام التالية. ساعدني ذلك على رفع ثقتي بنفسي بشكل كبير للغاية».

امرأة غيرية الجنس، العمر39

مارستْ النساء الجنس أحيانا لأنهن اعتقدن ان ذلك سيحسن ثقتهن المهزوزة بأنفسهنَّ:

«لِأكون صادقةً، فأنَّ خمسة من الرجال الستة الذين مارست الجنس معهم خلال حياتي، كان الدافع لقيامي بذلك هو لأنهم كانوا أعلى من مستواي. اضعُفُ كثيرا امام الشخص اذا كان ذا مظهر جيد، ووظيفة، ومستوى ذكاء متوسط مثلي. فعادة لا يعجب بي الا رجال فاقدو الاسنان وبشعين».

امرأة غيرية الجنس، العمر24



عندما ينجح الامر، فإن ممارسة الجنس سعيا لرفع الثقة بالنفس، يمكن أن تمنح المرأة فوائد جمة ـ دفقات من الهرمونات المحسِّنة للمزاج كالاوكسيتوسين، توكيد قيمتها ككائنة بشرية، وتزويدها بالثقة للإقدام على استبدال الشريك الحالي بآخر أفضل، واحساس بالهيمنة او السطوة الجنسية في عالم يحاول أحيانا سلبها بالكامل.

الشعور بالجاذبية

«في بعض الاحيان عندما اشعر بانخفاض ثقتي بنفسي ـ زيادة وزني، قلة جاذبيتي..الخ ـ يكون من اللطيف ان أعرف انَّ شخصا آخر يجدني جذابة ويريدني».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

جزئيا، بسبب الجذور التطورية للجاذبية الجنسية للنساء، يتأثر تقدير المرأة لذاتها كثيرا جدا بشعورها تجاه جسمها:

«بعد أن فقدتُ ما يكفي من الوزن اخيرا.. شعرتُ بالرضا عن عن نفسي وبأني اصبحت جذابة جنسيا.. رأيت صديقي المقرب وقد ادهشه مظهري الجديد. غازلتُه وكنت ودودة معه.. وأكثر إقداما (من العادة)، وقد اعلمته اننا بعد أن نخرج من الحانة سنذهب إلى سكني».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر22

على أن ما يحدد شعور المرأة حيال جسمها، ليس موضوعيا دائما. صحيح ان صورة جسم المرأة في ذهنها تتاثر بصفاتها الجسدية الواقعية ـ بما في ذلك وزنها وشكل جسمها ـ الا انَّ الباحثين وجدوا أيضا انها تتاثر



كثيرا بتقديرها الشخصي لجسمها ولما يجب ان يكون عليه. في الواقع، بالنسبة للنساء غير الراضيات عن اجسامهن، و يشكلن 55% من النساء المتزوجات والعزباوات في امريكا الشمالية، وهو رقم مخيف، فإن انعدام الرضا هذا يعود إلى سقف الطموح العالي الذي يضعنه لما يجب ان تكون عليه اجسامهن، أكثر منه إلى الخصائص الواقعية لها.

ان المخاوف والقلق بشأن صورة الجسم موجودة عند النساء من كل الاعمار. ففي مسح شمل 30000 امرأة عبر انحاء الولايات المتحدة، تتراوح اعمارهن بين15 ـ 47، اعربت 55% من النساء عن عدم رضاهن عن اجسامهن[6]. تتاثر صورة الجسم عند الفتيات المراهقات سلبا بسبب مطالعة مجلات الجمال[7]. اما عند النساء بعمر 50 فأكثر، فإن صورة الجسم لديهن تميل إلى أن ترتبط أكثر بحالتهن الصحية، أكثر من ارتباطها بجاذبيتهن الجنسية قياساً إلى الجاذبية الجنسية لعارضة العام. هناك فروقات ثقافية أيضا في مدى رضى او سخط النساء بخصوص اجسامهن، حيث تعبر نساء البلدان الغربية المُشَبَّعة بوسائل الاعلام عن رضا أقل. وقد توصلت الدراسات إلى اختلافات ثقافية داخل الولايات المتحدة نفسها حتى: اظهرت النساء السوداوات رضا أكثر بكثير عن اجسامهن مقارنة بالنساء من الاعراق والاثنيات الأخرى[8].

ليس من المفاجيء إذن، ان القلق بشأن صورة الجسم يلعب دورا رئيسيا في دفع النساء لشراء وتجربة آخرارشادات واغذية الحِمْيَة ولواحقها ـ صناعة حجمها 50 مليار دولار في امريكا الشمالية وحدها. ان صورة الجسم غير المُرضية تسبب للمرأة اضطرابات في تناول الطعام،



بما في ذلك فقدان الشهية العصبي (تجويع النفس) والنُهام العصبي (تناول كميات كبيرة من الطعام بسرعة ثم محاولة التخلص منها بالقيء او تناول المُسهِلات). الا انَّ ما لم يسلط عليه الضوء كثيرا، هو حقيقة ان صورة جسم المرأة في ذهنها تؤثر بشكل كبير للغاية على جميع نواحي جنسانيتها. اذ تفيد الدراسات التي اجريت على النساء الامريكيات الجامعيات، ان هؤلاء اللواتي يقيمن أنفسهنَّ على أنهن غير جذابات، أقل قابلية لايجاد شريك جنسي، ربما لأن النساء غير الراضيات عن اجسامهن قلقات بشأن ما تبدو عليه صورتهن للآخرين ويعانين قلقا من فكرة مشاهدتهن عاريات من قبل شخص آخر. وبالتالي فإنهن يتجنبن أحيانا الفرص الجنسية بدلا من اقتناصها. وحتى بين الطالبات الجامعيات اللاتي على علاقة جنسية، كانت الطالبات اللواتي لديهن صورة جسم سلبية يمارسن الجنس مرات أقل، ويختبرن تجربة جنسية أقل، بالمقارنة مع نظيراتهن اللواتي يتمتعن بصورة ذهنية ايجابية عن اجسامهن.

بالطبع فإن هناك دائما بعض الاستثنائات. فبعض النساء اللاتي يعانين من صورة جسم سلبية، يسعين إلى ممارسة الأنشطة الجنسية ليُحَسِّنَّ ما يشعرن به حيال مظهرهن. تُعَدُّ اثنتان من النساء في دراستنا مثالا جيدا لهذا النوع من الدوافع:

«لِأكون صادقة، ما اردته هو ان احصل على الحنان من شخص آخر، ولو لمدة قصيرة فقط. في المرات القليلة التي مارست فيها الجنس بغرض الشعور باهتمام الشخص الآخر، كان الدافع هو اني لم اكن اشعر بأني جذابة. اعتقدت انه اذا اراد هذا الرجل ممارسة الجنس معي، فهذا يعني انه يجدني جذابة جنسيا بعض الشيء. وبعد أن انتهى الامر، شعرتُ بالخواء



او ما شابه، ليس امتهاناً، بل خواءً. لأنني أدركت أن مجرد ممارستي الجنس مع رجل ليس كافيا ليجعلني سعيدة».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

«لم اكن يوما رشيقة، ولكنني لست بدينة أيضا. يصعب علي ان اعتقد ان احدا على استعداد لممارسة الجنس معي. على أني قد مارست الجنس أحيانا مع رجال قد تعتبرهم النساء الاخريات «مرغوبين». بعد أن انتهت علاقتي طويلة الأمد الاخيرة)كنا نتحدث عن امكانية الزواج(، بدأت على الفور علاقةً مع رجل جذاب جسميا للغاية، لكنه كان يعاملني معاملة سيئة جدا. كان شعورا رائعاً أَنْ أعرف أنَّ شخصا جذابا وناجحا مثله يريد ممارسة الجنس معي، وهو ما جعلني أمارسه معه كثيرا».

امرأة غيرية الجنس، العمر32

باربي ليست مثالية أيضا

بالاضافة إلى تأثيرها سلبا على رغبة المرأة بممارسة الجنس واستمتاعها به، يمكن لصورة الجسم السلبية ان تؤثر بالسلب أيضا على الاستجابة الجنسية الفعلية للمرأة. للنساء ذوات صورة الجسم السلبية غرائز جنسية ضعيفة، ومشاكل أكثر في الاستثارة الجنسية، وصعوبة أكبر في الوصول إلى النشوة الجنسية. اجرى مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية دراسة قام من خلالها باستقدام 85 امرأة جامعية كل على حدة إلى المختبر، وقامت كل امرأة بملء استبيانات عن وظائفها الجنسية وعن الصورة الذهنية التي لديها عن جسمها. تضمن الاستبيان الخاص بصورة الجسم اسئلة عن ما تشعر به المرأة بخصوص وزنها والنواحي



المختلفة الأخرى من جاذبيتها الجنسية. ثم قامت كل امرأة بقراءة قصة جنسية في غرفة انفرادية، ومن ثم تقييم الاثارة الجنسية التي احدثتها لها القصة. اختبرتْ النساء اللواتي كن يشعرن انَّ اجسامهن جذابة، اختبرن رغبة جنسية أكبر بكثير عند قراءة القصص الجنسية، مقارنة بنظيراتهن اللاتي كن غير راضيات عن اوزانهن او عن مستوى جاذبيتهن. افادت النساء ذوات صورة الجسم الاشد سلبيةً، عن رغبة جنسية أقل تجاه شركائهن الجنسيين في الحياة الواقعية أيضا[9].

اذا كانت رؤية المرأة لجسمها تتغير بمرور الزمن، فإن هذا يغير أيضا مستوى رغبتها الجنسية واستجابتها في أثناء الجنس. قامت د.باتريشيا بارثالو كوتش Patricia Barthalow Koch وزملاؤها في جامعة ولاية بنسلفإنيا بتقييم التغيرات في الجنسانية عبر الزمن لأكثر من 300 امرأة في منتصف العمر[10]. وقد وجدوا بعد مدة زمنية قدرها 10 سنوات، ان حوالي 57% من النساء افدن بانخفاض رغبتهن الجنسية، و58% افدن انَّ عدد مرات ممارستهن الجنس قد انخفض، و40% افدن ان استمتاعهن بالجنس قد اصبح أقل من السابق، و32% افدن انَّ وصولهن للنشوة اصبح أكثر صعوبة. من ثم قام الباحثون بالبحث عن السبب الذي يفسر هذا الانخفاض في الوظائف الجنسية عند الكثير من هؤلاء النسوة. خمنوا ماذا؟ اتضح ان صورة الجسم تلعب دورا محوريا. كلما كانت المرأة أكثر اقتناعا ان جاذبيتها قَلَّتْ عما كانت عليه قبل عشر سنوات، كلما افصحت عن انخفاض اشد في وظائفها الجنسية بعد مرور السنوات العشر. والعكس صحيح أيضا. كلما كانت المرأة تعتقد انها جذابة أكثر، كلما افصحت عن ارتفاع أكبر في استجابتها الجنسية ونشاطها الجنسي خلال العشر سنوات.



عندما تكون المرأة مركِّزة كثيرا على مسالة كيف يبدو جسمها في أثناء الجنس او على تقييم شريكها لجسمها، فإنها تتشتت عن الاحاسيس اللذيذة في أثناء الجنس وهذا ما قد يقلل من استثارتها الجنسية وفرصة وصولها للنشوة. ولذا فإن تدريب المرأة على تركيز انتباهها على الاحاسيس الممتعة في أثناء الجنس هو احد المكونات الرئيسية لكل تقنيات العلاج النفسي الجنسي الناجحة.

ان محاولة تفنيد اعتقادات المرأة الخاطئة حول الكيفية التي يجب ان يبدو عليها جسمها، ومساعدتها على أن ترى جسدها بشكل ادق وأكثر موضوعية هما أيضا من التقنيات العلاجية الفعالة. لقد اظهرت دراسة على 32 امرأة مشخصات طبيا على أنهن مصابات بالبدانة، خضعن لبرنامج فقدان وزن مدته 31 اسبوعا، اظهرت الارتباط بين صورة الجسم وبين الوظائف الجنسية للمرأة[11]. فبالاضافة إلى فقدانهن لكمية كبيرة من الوزن، فإن النساء اللواتي اكملن البرنامج اختبرن تحسنا هائلا في صورة الجسم وفي الغريزة الجنسية خاصتهن، واصبحن يمارسن الجنس فعليا أكثر من السابق. وعندما تم سؤالهن لاحقا لماذا يعتقدن انَّ وظائفهن الجنسية قد تحسنت بعد اجتيازهن البرنامج، قالت ثلاثة ارباعهن تقريبا ان ذلك حدث لأنهن اصبحن ينظرن إلى اجسامهن باستحسان أكثر.

كُتِبَ الكثير عن دور الاعلام في جعل النساء غير راضيات عن اجسامهن. اذ يبدو أننا نعرف جيدا النساء اللواتي نِلْنَ الشهرة لمجرد كونهن رشيقات وجميلات، لكن هل يعرف احد آخِرَ امرأة فازت بجائزة بولتزر للاداب؟ (كانت جيرالدين بروكس عام 2006). لذا فلنلقِ نظرة على الصور التي تقارِن النساءُ اجسامَهن بها. تبلغ عارضات الازياء عادة



175 سنتمتر طولاً و48 ـ 49 كيلو غرام وزناً. تحلم الكثير من النساء اليافعات (والأكبر سنا بقليل) بأن يصبحهن مثلهن. لكن الحقيقة ان 5% فقط من جميع النساء في العالم لديهن الاستعداد الوراثي لبلوغ هذه المقاسات ـ ولن ينفع اتباع الحمية ولا التمارين ولا العمليات الجراحية ولا حتى الاصابة باضطرابات الاكل المدمرة للصحة في جعل المرأة تصل إلى هذه المقاسات ما لم تكن مورِّثاتُها تسمح بذلك. تتزين صحف اخبار المشاهير والازياء الأسبوعية، بصور نجمات الافلام فائقات الرشاقة، بحيث إن لوحي الكتف في هذه الصور يبرزان خارج السترة او الفستان، حتى وصفت احد المواقع النسوية تلك الصور بـ«مستحيلة الجمال»[12]. مستحيلة الجمال جداً في الواقع، تُستخدم البرامج الحاسوبية لتعديل هذه الصور، كَشَدِّ او ترشيق الخدود، الاذرع، البطن، والارجل، وتكبير مقاس الصدر في ان واحد. لقد اصبح الهَوَسُ بالمثالية متفشياً، حتى انه يتم تعديل صور النساء لجعل عظام الترقوة والحوض أقل بروزا.

حتى باربي ليست مثالية أيضا. اذ تبين بعد أن قام باحثون بحساب المقاسات التي ستكون عليها باربي لو كانت حقيقية، انها ستكون بطول 172 سنتمترا وبمقاسات 39 ـ 18 ـ 33. ولن تزن أكثر من 44 كيلوغراما، ما يعني ان نسبة الدهون في جسمها ضئيلة جدا إلى درجة انها لن تحيض.

التقدير الاجتماعي

تتطلب تنميةُ تقدير صحي عالٍ للذات امتلاكَ المرءِ ذخيرةً من نقاط القوة والقدرات وان يكون راضياً بما هو عليه وبما يستطيع ان يضيفه إلى



العالم. ولكن بدلا من التركيز على ذواتهم وعلى دواخلهم، يستمد بعض الناس تقديرهم لأنفسهم من التطلع خارجهم ومقارنة انفسهم بالآخرين. ففضلا عن قيامهم بمقارنة اجسامهم باجسام اؤلئك الذين يظهرون في اللوحات الاعلانية في الشوارع، فإنهم يقارنون أيضا دُخُولهم المالية بدخول الآخرين، والحي السكني الذي يقطنونه مقارنة بالطبقات الأخرى، والحلقات الاجتماعية التي هم جزء منها مقارنة بحلقات الآخرين وهكذا. وعلى هذه الاسس السيكولوجية يقوم الناس بحساب وتقدير أهميتهم ـ في اعينهم وفي اعين الآخرين.

كما لا بُدَّ ان كل مَنْ دخل المدرسة المتوسطة يعلم، فإن عادةَ ترتيب المراكز وعقد المقارنات هذه لا تقتصر على البالغين فقط. يؤثر اصدقائك على مدى «شعبيتك» حتى في المدرسة الابتدائية. بالنسبة للكثير من البالغين حديثي السن، فإن تقدير الذات مرتبط بشدة بمكانتهم الاجتماعية بين نظرائهم وبنوعية اصدقائهم ـ وقد وثَّقت عالمة الاجتماع روزالين ويزمان Rosalind Wiseman هذه الظواهر في كتابها Queen Bees and Wannabes بتفصيل اثار خوف اولياء الامور. اذ تقول ويزمان «يمكن للفتاة التي تحظى بشعبية كبيرة انْ تنجو مِنْ انْ توصَمَ بالعاهرة حتى لو كانت تمارس الجنس مع الكثيرين»[13]. وفي دراستنا، استحضرت الكثيرات من النساء مواقف مارسن فيها الجنس لاكتساب الحظوة الاجتماعية وزيادة عدد الأصدقاء:

«كانت لدي في الاعدادية صديقةٌ جسورةٌ وجِدٌّ متمردة. وقد صَوَّرَتْ لي انَّ الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها ان أكون «لطيفة» معها هي بأن اضرب عرض الحائط بكل ما أعرفه عما هو صواب وان ارافقها في



طريق ممارسة الجنس مع أي كان.. الجنس من أجل الجنس نفسه. قبل ان اصادقها كنت ساذجة جدا. لم اكن أعرف أي شيء عن الجنس لذا فقد وافقتها على أنَّ اشياء مثل تحدي الأصدقاء بأن يمارسوا الجنس ويخونوا حبيباتهم، ومضاجعة أي رجل يبدي اهتماما، هي اشياء طبيعية. حتى انني كنت أمارس الجنس لمجرد ان احظى باحترامها، لأنني كنت مُعدَمة جدا في الاعدادية ولذا فلم يكن لدي الا القليل جدا من الأصدقاء. لقد كرهتُ كل تلك التجارب التي مررت بها، وتطلب الامر 5 سنوات لكي اقطع علاقتي بها واشعر بالطهر والنقاء مرة أخرى».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

مارستْ بعض النسوة الجنس كي يحظين باعجاب الطرف الآخر:

«اعتقد انني كنت يافعة حينها، وكنت ارغب بأن اشعر بأنني فرد له كيانه، بأن أَبني ثقتي بنفسي من خلال شخص آخر. اعتقدتُ بأنني ذات شأن كبير وانَّ هذا سيجعل الطلاب في المدرسة يحبونني. أُدركُ الأن انني استخدمت الكثير من الوسائل لكي اجعل نفسي محبوبة وأجِدُ مكانا لي بين الطلبة. ولم تفلح كل تلك الوسائل.. بل انها جعلتي اشعر باستياء أكبر من ذي قبل حتى... كل ما كنت اريده هو ان أكون مثل الفتيات الاخريات.. او على الأقل مثل ما كنت اعتقد انهن عليه».

امرأة غيرية الجنس، العمر41

وقد مارست بعضهن الجنس للولوج إلى دائرة اجتماعية معينة:

«اعتقدت أنَّ كوني عذراء يمنعني من دخول دائرتي الاجتماعية الخاصة. لم اكن احصل على الاشياء اللتي تحصل عليها صديقاتي



النشِطات جنسيا وقد شعرت بأني مُقصاةٌ من النشاطات الاجتماعية لهذا السبب. لذا فقد مارست الجنس مع شخص أكبر مني سنا لكي احظى بالتقبل في دائرته الاجتماعية، والتي كانت تتكون من اشخاص أكبر سنا وذوي تعليم عالٍ».

امرأة غيرية الجنس، العمر26

وكما سبق ان رأينا، تنجذب النساء إلى الرجال ذوي المكانة العالية، لأن المكانة العالية تصاحبها الموارد، العيش الرغيد، والعديد من الميزات الاجتماعية الأخرى. من منظور تطوري، فربما كانت المكانة العالية للرجل علامة على امتلاكه جينات جيدة يمكنه توريثها للاطفال. لكن بعض النساء في دراستنا سعين لممارسة الجنس مع رجل ذو مكانة مرموقة لسبب مختلف تماما: فلم يَكُنَّ في الواقع مهتمات بانشاء علاقة جادة معه، او الحمل منه، ولا حتى جني المكاسب المادية التي قد تنجم عن ذلك. ما اردنه ببساطة كان ان يُعلين من مكانتهن الاجتماعية في اعين صديقاتهن من خلال ممارسة الجنس مع شخص ذو قيمة اقترانية عالية:

«لم يكن ذلك الرجل مشهورا جدا، فقط كان ضمن فرقة موسيقية تحظى بشعبية كبيرة محليا وتعمل على البوم لشركة كبيرة. كانت علاقة ممتعة، وكان هو حبيبا ممتازا وقد عرف الجميع بالامر فقد كان يزورني في مسكني. لقد فعلت ذلك لمجرد انْ أُثير حسد الفتيات الآخريات.. وجعلني ذلك ابدو سعيدة».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

وبالنسبة لنساء اخريات، فإن الجنس مع شريك ذي مكانة عالية



جعلهن يشعرن بأنهن مرغوبات أكثر. وفي هذه الحالات، فإنهن لم يمارسن الجنس لرفع مكانتهن الاجتماعية او ابهار صديقاتهن، بل لتعزيز احساسهن الذاتي بقيمتهن. الا انَّ الامور لم تسر أحيانا كما أُريدَ لها:

«كان الشخص الذي مارست معه الجنس مرغوبا بشدة من الفتيات في سنوات الجامعة، وكانت أي فتاة لِتفتخر بأنها حظيت بموعد معه، أو هذا ما كنت اعتقده حينها. وبعد ليلة صاخبة من الشرب في ناد ليلي محلي (كانت ليلة الفتيات،وقد شربنا مجانا!)، شعرتُ ببعض الشجاعة لمفاتحته ومغازلته قليلا. حسنا، تصاعدت الامور خطوة بعد أخرى وانتهى بنا الامر إلى ليلة جنس حمراء في منزله. كنتُ راغبة بالتاكيد، اساساً بسبب الشراب الذي منحني الشجاعة وازال مخاوفي بشان مظهري وما ابدو عليه في تلك الليلة. انتهت تلك الليلة الصاخبة باصابتي بمرض منقول جنسيا، وبتحطيم سمعتي، وبصداع فظيع! ولم اكرر ذلك الشطط مرة أخرى بعدها».

امرأة غيرية الجنس، العمر32

لكن في احيان أخرى، سارت الامور على نحو أفضل من المتوقع حتى:

«عندما التقيت بزوجي لاول مرة،اعتبرته (اعلى من مستواي)... كنتُ قد نشأتُ خجولة وانطوائية، وأَسيرُ بجوار الحائط كما يقال. وهنا اتى الرجل الذي يحمل كل صفات الامريكي النموذجي ـ العضلات المفتولة، طول القامة، السمرة، الابتسامة الساحرة ـ بالضبط النموذج الذي لم يكن ليعيرني أي اهتمام لو كنا ندرس معا في الاعدادية. كنا قد عدنا إلى منزلي بعد تناول العشاء وكان قد احضر حقيبته معه، وقد قلت له عن غير قصد انَّ بامكانه النوم على الاريكة او مشاركتي السرير اذا أحب.



وقد اختار مشاركتي السرير ولم امانع... وانتهى بنا الامر للزواج بعد ستة اشهر. اتأملهُ الآن بين الفينة والأخرى في أثناء قيامه بشيء ما غير مصدقة انه قد اصبح زوجي».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

نقص الاهتمام

رغم أن بعض الناس يبدون وكإنهم قد ولدوا بتقدير ذات عالٍ، تشير الابحاث النفسية إلى عدة عوامل مهمة تؤثر على ذلك خلال الطفولة، بما فيها مدى الارتباط والتعلق بالوالدين، والدعم والاهتمام الذي يلقاه الفرد منهما. فمثلا، في دراسة على 16749 مراهقاً، وُجد ان الدعم الوالدي العالي والعناية الوالدية الجيدة ترتبط بقدير ذات عال عند الاطفال(14). ويُعَدُّ ادراك الاطفال لمستوى اهتمام الوالدين بهم امراً حاسماً جداً على هذا الصعيد ـ الاباء الذين يراقبون اطفالهم بحب ولكن باحتراس أيضا بحيث إنهم مستعدون للتدخل بسرعة ان دعت الحاجة. ـ ربما تعطي هذه المراقبةُ الوالدية الاطفالَ الثقة لاستكشاف الفرص والمَخاطر في بيئتهم المحيطة مما يجعل منهم عند البلوغ اناسا ذوي كفاءة عالية. لا تتلقى جميع النساء الاهتمام والوِدَّ الوالدي الكافِيَين، اذ تعاني بعضهن من الاهمال من طرف الوالدين. وهذا الانخفاض في تقدير الذات يدفع أحيانا بعض النساء للتعويض عن قلة ما يحظين به من الاهتمام ـ حيث يبحثن من خلال الجنس عن الاهتمام الذي لم يحصلن عليه من الوالدين. ـ

قالت بعض النساء في دراستنا انهن قد مارسن الجنس كطريقة للـ«تعويض» عن شيء لم يحصلن عليه في طفولتهن المبكرة. وفي كثير



من الحالات، يعني هذا ممارسة الجنس للحصول على الاهتمام والترابط العاطفي. افادت بعض النساء انهن استخدمن الجنس للشعور بالحب والاهتمام الذي لم يحصلن عليه في المنزل:

«كنت مراهقة اعيش في بيئة عائلية قاسية وفقيرة. وقد اعتقدتُ انني اذا انشأت علاقة جسدية مع الرجال فسيقود هذا إلى الحب، علاوة على أنني أحببت الاهتمام الذي يُولونه لِجسدي، والذي كان شيئا ظريفا. كثيراً ما فعلتُ ذلك، اتذكر مرة انني كنت مستلقية على ظهري محدقة في السماء انتظر انتهاء الامر.اردت ان اشعر بشعور جميل وتظاهرتُ بالحماس، لكن ما كنت اريده حقيقةً هو الحميمية العاطفية. شعرت بأني قذرة. لكني واصلت القيام بذلك مرة بعد أخرى، يحدوني الامل».

امرأة غيرية الجنس، العمر 28

فيما كان الجس بالنسبة لاخريات وسيلة لملء الفراغ - ولو بشكل مؤقت:

«نشأتُ في محيط عائلي قاسٍ. وقد تربيت على فكرة انني مذنبة بشكل ما، ولذا فإني استحق هذه المعاملة الأُسَرِيَّة السيئة. كان الجنس هو اول شكل اتلقاه من الاهتمام، بحيث إنني كنت اشعر بالتقدير عند ممارسة الجنس في علاقة غير طويلة الأمد، وبأنني مرغوبة ومحبوبة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 25

«كنتُ مراهقة وكان تقديري لذاتي هابطا. ولأنني حظيت بوالدين اهملاني طيلة حياتي، فقد اعتقدت مخطئة بأن الجنس يعني ان الطرف الآخرمهتم بي. حقا ان الاهتمام الذي يتاتى من الجنس شيء ظريف، لكن



في النهاية، توصلتُ إلى أن الامر ليس كما ظننت، إذ إنه لا يعني في الواقع ان الطرف الآخرمهتم بك».

امرأة ثنائية الميل الجنسي، العمر24

وقد افادت إحدى النساء كيف ان ماضيها القاسي والمُعَنَّف قد ساقها للبحث عن الجنس لأنها ببساطة ارادت ان تشعر بشيء ما:

«كنتُ بحالة نفسية سيئة، شاعرة بأن الحياة قد امتهنتني وان الاطباء قد استغلوني لمصلحتهم الخاصة. وَلِوَهْلَةٍ لم اكُنْ احترم نفسي ولا جسدي وكنت اقول لنفسي: ليس امرا مهما، انه مجرد لحم لا أكثر. لذا فقد كنت اتعرَّى للجميع ولايٍّ كان واقوم بسلوكيات منحطة لأنه بعد كل شيء مجرد لحم، شيء لا معنى له. وبنفس هذا النمط من التفكير فقدتُ عذريتي أيضا. كان الامر عبارة عن (ليكن ما يكون، ان الفرصة تقدم نفسها). استغرق الامر 45 دقيقة ربما، بعدها اسْتَسْلَمَ هو للنوم، وارتديت انا ملابسي وجلست لفترة، وماذا الأن؟ خرجتُ ابحث عن بعض الأصدقاء لمصاحبتهم على الغداء. اعتقد انني اردت ان اشعر بشيء ما، والشعور بالهوان كان على اية حال شعورا أيضا».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

تَخَطّي الكَبَوات

كما يبدو على بعض الناس انهم يقَيِّمون مواردهم ووضعهم الاجتماعي ليُقَدِّروا قيمتهم الذاتية، يبدو أن البعض الآخريستمدون تقديرهم لذاتهم من معرفة ما اذا كان شخصٌ آخر يحبهم ام لا. ولأنَّه ما من ضمانة بأن حب



احدهم سيستمر إلى الابد، فإن هذا يجعل تقديرهم لذاتهم في وضع قَلِقٍ نوعا ما. فاذا كان تقدير امرأة ما لذاتها باكمله مُسْتَمَدّاً من حب شخص ما لها، فإنها تخاطر بأن تصاب بالاكتئاب والشعور بانعدام القيمة كليا اذا ما كَفَّ ذلك الشخص عن حبها. وحتى بالنسبة للاشخاص الذين لا يضعون كل بيضات تقديرهم لذاتهم في سلة حب شخص آخرلهم، فإنَّ كفَّ الشخص الآخرعن حبهم قد يسبب لهم اذى نفسيا.

اعتماداً على مستوى الخسارة، يدخل معظم الناس الذين عانوا من الرفض في فترة حداد يبحثون خلالها عن طرق للترويح عن أنفسهم. يبحث بعضهم عن الترويح عند الأصدقاء، يعتمد بعضهم على الكحول او الشوكولا، ووفقا لدراستنا، يتطلع بعضهم إلى الجنس كوسيلة للخلاص. وكما كتبت إحدى النساء في دراستنا «أفضل طريقة لنسيان حب شخص ما، هي بِأنْ امارس الجنس مع شخص آخر!»(*).

وحَكَت الكثير من النساء في دراستنا كيف انهن استخدمن الجنس كعلاج لشفاء جروح الحب. وقد كانت كل واحدة من تجاربهن فريدة من نوعها.

بالنسبة لبعضهن، فإن ممارسة الجنس مع شخص آخر بعد انهاء العلاقة بأحدهم ساعدتهن على استعادة تقديرهن لذواتهن:

«كلما آذاني شخص أحبه أعالج الامر بممارسة الجنس مع شخص آخر. يساعدني هذا على نسيان ذلك الشخص ومتابعة حياتي الاعتيادية.

(*) تلاعب لغوي طريف يصعب نقله الى العربية، والجملة الاصلية هي: The best way to get over someone is to get under someone else!..المترجم.



كذلك يساعدني على أن اشعر بشعور أفضل حيال نفسي، خصوصا اذا كان من أحبه قد هجرني من أجل شخص آخر. اذ يجعلني هذا اشعر بأني لازلت مرغوبة وان ما دفعه إلى هجري ليس عيبا فيَّ».

امرأة غيرية الجنس، العمر19

«كنت قد خرجت للتو من علاقة سيئة جدا وشاعرةً باستياء شديد. كنت اعاني اكتئاب ما بعد العلاقة النموذجي، شاعرةً بأن لا احد يحبني وان لا شيء مميزاً فيَّ قد يجعل شخصا آخريرغب بي او ينجذب الي. وعندما التقيت هذا الرجل لم اكن معجبة به بالمعنى المعروف ولم يكن يجذبني. لكنه على اية حال اظهر بعض الاهتمام بي لذا فقد بدأنا نخرج سوية. وقبل مرور مدة طويلة، كنا قد بدأنا ممارسة الجنس. كانت مشاعري حياله على حالها كما ذكرت انفا لم تتغير، لكنني استمتعت بشعور ان احدهم يريدني».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

اما بالنسبة لنساء اخريات، فإن ممارسة الجنس بقصد استعادة تقدير الذات بعد المرور بازمة انتهاء العلاقة، لم توفر الا علاجاً قصير الأمد فحسب:

«تخلى عني حبيبي السابق في يوم عيد ميلادي، ذاهبا لامرأة أخرى بناء على رغبة عائلته. شعرت بالخذلان، وبأن لا احد يريدني، وبأني لست جيدة كفاية، وربما الأكثر أهمية، غير مرغوبة. مررت بعدها باكتئاب دام شهورا. ثم بدأت استعيد تقديري لذاتي بمرور الزمن، لكن شعوري بأنني غير مرغوبة لم يتزحزح. ثم التقيت خلال العطلة الصيفية صدفة بصديق



من ايام الطفولة أعرف انَّه يُكِنُّ لي عشقاً جارفاً منذ عقد من الزمن. ربما كانت الوحدة، ربما كان الكحول، لكنني كنت مقتنعة ان انشائي علاقة معه سيمحو المرارة التي خلفها حبيبي السابق في نفسي. فهو قادر على ذلك بالطبع، فهو في النهاية رَجُلٌ حافظَ على عشقه لي لعشر سنوات. وفي النهاية، شعرت بقفزة مؤقتة في تقديري لذاتي، على أن الشعور بالعار والذنب قد حلا محل الشعور بالوحدة. حاولت ان اجد طريقة لاشعر بأنني محبوبة، لكن ذلك انتهى بأن اصبحت لا أحب نفسي».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

فيما لم تصل بعضهن إلى الهدف المنشود على الاطلاق:

«في الواقع اقدمتُ في مناسبات عديدة على ممارسة الجنس بقصد تخطي ازمة نفسية.اعتقدت ان ذلك قد يساعدني على نسيان الشخص الآخر، او حتى محو اثره من جسدي عن طريق شخص آخر. لكن ذلك لم يحدث، لم تكن الا ممارسة للجنس مع شخص آخر. وبقيتُ افتقد الاشخاص الاقدم بنفس المستوى الذي كنت عليه من قبل».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

بينما تمارس بعض النساء الجنس بقصد علاج ازمة نفسية، او لاستعادة احساسهن بقيمتهن الذاتية بعد الانفصال، تمارسه اخريات لتحقيق سطوة او سلطة جنسية.

ممارسة السطوة الجنسية

يَمنح الجنسُ بعضَ النساء إحساسا هائلاً بالسيطرة، ويشكل هذا



الشعور بالهيمنة والسلطة دافعا لهن في ميدان الجنس. لخصت إحدى النساء في دراستنا هذه الموضوعة ببلاغة:

«تكمن المسالة بشكل رئيسي في الشعور بالقدرة على المبادرة بالجنس واظهار القدرة على الشخص الذي تمارس معه الجنس، حتى ولو كان ذلك الشخص شريكا طويل الأمد. من عِدَّةِ نَواحٍ، فإن الجنس يتمحور حول القدرة، القدرة على منح الشريك اللذة وسلبها منه، والقدرة على الشعور بالجاذبية والمرغوبية. ليس من النادر ممارسة الجنس لهذا الدافع فيما اعتقد، ولو جزئيا».

امرأة غيرية الجنس، العمر22

ليست القدرة هي دائما الهدف بحد ذاتها. بل هي طريقة تقوم من خلالها النساء بممارسة السيطرة والتأثير على الشريك الجنسي. وفي بعض الاحيان تكون السيطرة في سياق علاقة رومانسية:

«بالنسبة لأنثىً ما، يَسْهُل ابقاء الرجل تحت السيطرة من خلال الجنس. أو يمكن أن تَكُونَا على الأقل متساويَين فلا سيطرة لاحد الطرفين على الآخر. كان لي حبيبٌ متسلط، لكن فيما يتعلق بالجنس كنا متساويَين، وكان بإمكاني حتى انْ أُمْلي عليه ما يتوجب عليه فعله،وهذا ما لا يكون متاحا في اغلب الحالات».

امرأة غيرية الجنس، العمر19

وفي حالات أخرى، يَتَأَتّى الشعور بالتفوق من خلال السيطرة على شريك جنسي وهزيمة امرأة أخرى في ميدان الاهتمام الجنسي في ان واحد:



«حدث ذلك بعد مدة قصيرة من انفصالي عن زوجي بسبب خيانته لي. اذ مارستُ جنساً ثلاثياً مع رجل وامرأة بقصد ان أَرُدَّ لَهُ الصاع صاعين. لم يعلم زوجي بذلك وهذا ما لم اكن انتويه ابداً. مارستُ ذلك الجنس الثلاثي بهدف ان اثبت انني ما زلت مرغوبة وان شخصا ما قد يريدني. كما اعجبتني فكرة انه تابو، وانَّهُ شيء لم اجربه من قبل. لم اكن مهتمة بتلك المرأة ولم يكن بيننا أي تفاعل على الاطلاق، وكان اهتمام كل واحدة منا مُنْصَبّاً على الرجل في ذلك اللقاء الجنسي. وقد شعرتُ بالقوة عندما استطعتُ ان احوزعلى اهتمامه لممارسة الجماع معي وصرف انتباهه عنها».

امرأة غيرية الجنس، العمر29

لا ياتي الاحساس بالقدرة أحيانا من مجرد هزيمة امرأة منافسة، بل من النجاح في جذب رجل ذي قدرة ومكانة عالية:

كان رجلا من النوع الذي ترغب به كل النساء. ما انْ يدخل غرفةً حتى يتحول انتباه جميع من فيها اليه. وما انْ يركز نظر عينيه عليك، لا يمكنكَ الا انْ تشعر بأنك الشخص الأهم في العالم. كنت اعرفه طوال حياتي، لكننا لم نكن أكثر من مجرد شخصين يعرفإن بعضهما. لكن في احد الايام حدق فيَّ، ولم اكن لِأَستطيع المقاومة. فكرة اهتمامه بي وهو الشخص الأكثر أهمية في الجوار، وانا المرأة المهمشة الانطوائية، تلك الفكرة جعلتني اشعر بقدر كبير من القوة. شاعرة بالأهمية، كما لو انني مساوية له».

امرأة غيرية الجنس، العمر24



قد لا تتاتى القدرة من مجرد الهيمنة على الآخرين. تمارس بعض النساء الجنس لأنهن يشعرن انه الجزء من حياتهن الذي يمكنهن فيه ان يحرزن السيطرة:

«عندما كنت اعاني من البوليميا(*) bulimia كانت لدي مشاكل جدية فيما يتعلق بالسيطرة، وقد كان يُعَزِّيني شعوري بالسيطرة الجنسية الكاملة على شخص آخر، رَجُلٌ خصوصا».

امرأة غيرية الجنس، العمر 23

«الفرصة بِنَفْخِ الحياة في رجل في أرذل العمر عندما تحبه امرأة شابة، هي شيء مفعم بالشعور بالقوة ـ وَعْدٌ بالخلود للرجل المتهالك وارتقاء إلى مستوى روحي أعلى بالنسبة للمرأة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 58

«مارستُ الجنس مرتين بدافع الشعور بالاسى على رجلين كانا بتولين. شعرت بالحزن عليهما كونهما لم يمارسا الجنس من قبل. كما شعرت بأني اقدم لهما خدمة كبيرة لم يسبق لهما ان تلقياها من احد. واحسست بالهيمنة عليهما، كما لو أنهما ضعيفان بين يدي بينما أنا مسيطرة عليهما. عزَّزَ ذلك من ثقتي حيث لِأَكونَ المُوَجِّهَةَ في ذلك الموقف وشعرتُ بأني أكثر مرغوبية».

امرأة غيرية الجنس، العمر 25

تُعَدُّ السيطرة موضوعة بارزة في الكثير من الروايات الرومانسية

(*) شَرَهٌ مَرَضِيٌّ..المترجم.



الشهوانية. تشكل الروايات الرومانسية صناعة قيمتها مليار دولار، والنُسَخ التي تباع من هذا الجنس الادبي أكثر عددا من أي جنس آخر، بما فيها روايات الغموض. ففي عام 2004 مثلا، شكلت الرويات الرومانسية 55% من مجموع مبيعات الكتب الورقية في الولايات المتحدة. تُتَرجم هذه الروايات إلى عشرات اللغات وتباع في أكثر من 100 سوق عالمي. وتشكل النساء 95% من المستهلكين لهذه السوق، لذا فإنَّ هذه الكتب توفر نافذة فريدة من نوعها على السيكولوجية الجنسية للنساء.

على الرغم من ان قصة الحب بين البطلة والبطل هي المسار الرئيسي للحبكة في الروايات الرومانسية، فإنه من اللافت تَفَحُّص كيف يصور الكُتَّاب ـ وهم من النساء حصراً على وجه التقريب ـ كيف يصورون جنسانية النساء. تتماهى القارءاتُ مع البطلة بوصفها موضوعة قاهرة ومتسلطة للرغبة الجنسية للذكر. تتمتع البطلة بسيطرة جنسية لأن شغف البطل بها يؤكد على اخلاصه الجنسي لها. والفكرة هنا، انَّ البطل يصبح معتمِداً على البطلة المتسلطة جنسياً[15]. وتتعزز السيطرة الجنسية للبطلة بالخصوص بسبب طبيعة البطل المفتون بها ـ اذ يتمتع بوسامة رجولية، بما في ذلك سلوكه ووجهه وجسمه، ومكانة اجتماعية عالية بشكل استثنائي (امير، او رجل اعمال ناجح منقطع النظير)، وباذخ الثراء. وباختصار، يحوز على كل عوامل الجاذبية التي كانت حاسمة بالنسبة للنساء عبر الثقافات وخلال التاريخ التطوري للجنس البشري.

في الكثير من الروايات الرومانسية الشهوانية، يستخدم البطل أحيانا القوة الجسدية، «مُسْتَولِيَاً» على البطلة جنسيا، رغم احتجاجاتها ومقاومتها. يجادل قلةٌ من علماء النفس بأنه بما ان بعض النساء يجدن



هذا التصوير للاخضاع الجنسي الاجباري مثيرا جنسيا، فإن هذا يعكس مرضا نفسياً او دوراً جِنْدَرِيّاً اجتماعي المنشأ يجعل النساء يربطن بين الجنس والخضوع للرجال. على أن الدليل العلمي الواقعي يدعم تفسيرا آخر. درست عالمة النفس باتريشيا هاولي Patricia Hawley خَيالات الاخضاع الجنسي الاجباري في عينة من 900 امرأة تقريبا[16]. وقد وجدتْ ان النساء اللاتي يملن إلى أن يتخيلن هذه الخيالات ويستمتعن بها، هن في الواقع أكثر هيمنة واستقلالية وتقديراً لذواتهن من النساء الآخريات، ناهيك عن انعدام حِسِّ الخنوع والمرض النفسي لديهن. كما أنَّ النساء الأقل هيمنة اجتماعيا، يختبرن عدداً أقل من الخيالات الجنسية اللتي تتضمن اخضاعهن جنسيا بالقوة[17]. تستنتج هاولي انَّ خيالات الخضوع الشهوانية هذه عند النساء تعكس قوة انثوية لا ضعفاً، ذلك انَّ الرجل الذي يتضمنه الخيال الجنسي يتم اثارته رغما عنه بواسطة الجاذبية الجنسية الطاغية للمرأة.

الخضوع الجنسي

رغم أن البطلة في الروايات الرومانسية تتمتع بسطوة جنسية على البطل ذي القيمة الاقترانية العالية، فإنها أيضا، وفي ما يُعتبر تناقضاً تقريباً، تَخضَع او تستسلم بطريقة ما لِشَغَفِهِ الجنسي الجارف بها. يَحْدُثُ هذا التماهي بين السطوة الجنسية والجاذبية الطاغية من جهة، وبين الخضوع من الجهة الأخرى، يحدث كثيراً في الروايات الشهوانية الرومانسية، كما أن بعض النساء في دراستنا وثَّقنه كَسَبَبٍ لممارسة الجنس:

«ببساطة فإني اجد الخضوع ممتعا، بحيث يكون شخصٌ ما متحكماً



بحياة شخص آخر على الدوام. عندما اقضي اليوم باكمله بانجاز المسؤوليات والواجبات والاهتمام بالاعمال، فإنه من اللطيف الاستسلام ومنح شخص آخر السيطرة الكاملة المطلقة. كما أني اعشق فكرة ان شخصاً آخر يريدني بشكل لا يستطيع مقاومته، بحيث لا يمكنني الا ان اخضع».

امرأة ثنائية الميل الجنسي، العمر 18

فيما عبَّرت امرأة أخرى عن كيف ان الجاذبية الجنسية والخضوع الجنسي والسطوة الجنسية كانت كلها مرتبطة معا في ذهنها:

«يثيرني أحيانا ان أكون خاضعة جنسيا.انما ليس دائما. لكن في مرات قليلة رغبت بممارسة الجنس بطريقة يكون فيها شريكي هو المسيطر. جعلني ذلك اشعر بأني مرغوبة وجذابة ومسيطرة بدوري بطريقة ما. اردت ان يكون هو المسيطر لكن ذلك جعلني اشعر انني مسيطرة أيضا. يتضمن الخضوع الجنسي كما أمارسه أحياناً ان يقوم شريكي بربط مِعْصمَيَّ بحبل او ان يقيد ذراعَيَّ».

امرأة غيرية الجنس، العمر 33

من التفسيرات المعقولة انَّ الخضوع قد يجعل المرأة تشعر بأنها مرغوبة جنسيا، وتمنحها مرغوبيتها الجنسية بدورها سطوة وهيمنة جنسيتين على شريكها. وبالمجمل، فقد وَجدنا ان سببين من التي افادت بها النساء لممارسة الجنس وهُمَا: « اردت ان اخضع لشريكي» و«اردت ان استحوذ على السيطرة عليه»، كانا مرتبطين ببعضهما احصائياً، اذ كانا ضمن مجموعة فرعية متقاربة، مما يُرَجِّح ان الخضوع الجنسي قد يكون في الواقع وسيلة لاكتساب الهيمنة.



وربما يكون هذا احد الأسباب التي تجعل خيالات الخضوع الجنسي تحظى بشعبية واسعة في صفوف النساء. كشفت دراسة اجريت على 141 امرأة متزوجة ان الخيال التالي «اتخيل ان يتم قهري واجباري على الاستسلام » كان في المرتبة الثانية من حيث الشيوع بين 15 خيالا، ولم يتفوق عليه الا خيال «العاشق الرومانسي الخيالي»[18]. فيما اكدت دراسات أخرى ان عددا كبيرا من النساء يختبرن خيالات خضوع جنسي لذيذة. وجدت دراسة ان 29% من النساء المشاركات قد سبق لهن ان اختبرن اثارة خيالات خضوع مثيرة جنسيا، فيما وجدت دراسة أخرى ان 30% من النساء قد اختبرن خيالا جنسيا مضمونه «انا جارية علي اطاعة جميع رغبات الرجل».

تستمتع نساء اخريات بالخضوع الجنسي لا لأَنَّهُ يمنحهن سطوة جنسية بالضرورة، بل لأنه ببساطة يوفر لهن بعض التغيير عن النمط الذي يتبعنه في حياتهن:

«اتصرف في حياتي اليومية على نحو مفعم بالحيوية وأميل إلى التحكم في المواقف المختلفة. انما أحبُّ جداً ممارسة الجنس بحيث أكون خاضعة فيه لأن هذا يشعرني ببعض الاختلاف عما انا عليه في حياتي الاعتيادية. اثق بأن حبيبي لن يقوم باستغلال هذه النقطة لذا فإنه من الاسهل ان ادع شخصا آخر يُهَيمِنُ عليَّ دون أن أقلق من شيء».

امرأة غيرية الجنس، العمر28

واقعاً، يمكن أن تكون السيطرة أحيانا عبئاً، وتجد بعضُ النساء ارتياحا في التخلي عنها. تقول بعض النساء انهن ينزعجن من الرجال الذين لا



ياخذون بزمام الامور ـ الرجال الذين لا يستطيعون ان يقرروا إلى اي مطعم يجب ان يذهبوا، ايَّ فلم يريدون مشاهدته الليلة، ما هي اهداف حياتهم، ويسألون المرأة باستمرار عما تريد ان تفعله. تَعرض الافادات التالية للنساء الاحساس بالحرية الذي يتاتى من الخضوع:

«اردت اظهار خضوعي لحبيبي في لعبة تمثيل الادوار. كنا نمارس المصارعة، ثم اخذ الامر منحىً جنسياً، كانت حالتي المزاجية آنذاك تميل للخضوع، وقد اثارتني فكرة هيمنته علي. اَخرَجَ اربعة احزمة مطاطية من خزانته وقام بربطي على سريره. شعرتُ بالعجزِ وبأنه لا يتوجب علي ان أقلق بشان ايِّ شيء، اين اضع يدَيَّ، ماذا اقول، ماذا افعل. تركته يتحكم بالامر تماما».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر22

«انا مازوخية وخاضعة جنسيا.. كنت اتعرض للتوبيخ دائما في صباي لممارستي الاستمناء، وهذا فيما اعتقد هو ماجعل الجنس يرتبط في ذهني بالخزي والاذلال أحيانا. استمتع بأن يدعوني شريكي بالساقطة، رغم أنني لا ارى انني في الحقيقة.. احتاج إلى الاذلال. انها مجرد لعبة، طريقة للتنفيس عن رغبة».

امرأة بعمر 31 عاما، لم تُفصح عن ميلها الجنسي

«انا خاضعة واستمتع بأن يتم اذلالي. افعل هذا فقط مع الشركاء المحترمين الذين اثق بهم. ولَمْ أكُنْ لِأَفعل هذا مع شريك عابر».

امرأة غيرية الجنس، العمر53



وقد اكتشفنا في دراستنا أيضا ان قلة من النساء افصحن انهن قد مارسن الجنس لأنهن رغبن بأن تتم معاقبتهن:

«احس أحيانا بأنني استحق العقوبة. فاذا اراد حبيبي ممارسة الجنس في وقت لا أكون راغبة فيه بذلك فإنني لا امنعه. لدي رغبة بأن اشعر بالامتهان».

امرأة غيرية الجنس، العمر 18

«شعرتُ بالذنب بسبب اذىً عاطفي سببته لحبيبي الذي تربطني به علاقة منذ مدة طويلة.. اظن انني بشكل ما اردته ان يؤذيني جسديا لاكَفِّر عن الاذى العاطفي الذي سببته له. انا لا اتذكر حتى ماذا كان الاذى الذي سببته له، كان ذلك منذ مدة طويلة.. لم اقم بمواجهته وجهاً لوجه عندما كنا نقوم بذلك، اَدَرْتُ وجهي عنه، وأخبرته أنني أحب الجنس بهذه الطريقة كثيرا. اظن انه احَسَّ انني لستُ على مايرام لأنني في العادة أميل إلى الاقتراب في أثناء الجنس. انما في مكان ما عميقا في داخله كان يعرف أنه يقوم بايذائي، لكنني توسلت اليه ان يواصل القيام بالامر بهذه الطريقة التي أحببتها، اخبرته بما عليه فعله، وقد فعل كل ما طلبت. شعرت بشعور أفضل قليلا بعد انتهاء الامر. كما لو ان قيامه بايذائي قد جعلنا متعادلين نوعا ما».

امرأة غيرية الجنس، العمر 20

ان ممارسة الجنس الخضوعي كوسيلة لمعاقبة النفس أقل شيوعا بكثير من ممارسته بسبب انه مرتبط سيكولوجيا بجعل المرأة تبدو أكثر جاذبية جنسيا في عين الشريك. لكن قصصا كهذه تفتح الباب على الجانب



المظلم للجنس، بما في ذلك حالات موافقة النساء على ممارسة الجنس دون رغبة منهن اما لأنهن شعرن بأنه ليس من حقهن الرفض، او لأنهن شعرن بأنهن مَديناتٌ للطرف الآخربشكل ما. وكما سنكتشف في الفصل القادم، فعندما تاملت هؤلاء النسوة هذه التجارب التي مررن بها، قالت الكثيرات منهن ان تقدير الذات المنخفض والاحساس بأنعدام القيمة لديهن قد لَعِبَا دوراً في خياراتهن الجنسية.

هوامش المؤلفين على الفصل التاسع

1 _ Althof, S. E., et al., (2003). «Treatment Responsiveness of the Self _ Esteem and Relationship Questionnaire in Erectile Dysfunction،» Urology 61(5):888 _ 92.

2 _ Greiling, H., and Buss, D. M. (2000). «Women's Sexual Strategies: The Hidden Dimension of Extra _ Pair Mating،» Personality and Individual Differences 28:929 _ 63.

3 _ Sugiyama, L. S. (2005). «Physical Attractiveness in Adaptationist Perspective،» in D. M. Buss (ed.), Evolutionary Psychology Handbook (New York: Wiley), 292 _ 343.

4 _ Franzoi, S. L., and Shields, S. A. (1984). «The Body Esteem Scale: Multidimensional Structure and Sex Differences in a College Population،» Journal of Personality Assessment 48:173 _ 78.

5 _ Buss, D. M. (2003). The Evolution of Desire: Strategies of Human Mating (New York: Basic Books).



6 _ Cash, T. F., Win _ stead, B. A., and Janda, L. H. (1986). «The Great American Shape _ up،» Psychology Today 20:30 _ 37.

7 _ Jones, D. E., Vigfusdottir, T. H., and Lee, Y. (2004). «Body Image and the Appearance Culture Among Adolescent Girls and Boys: An Examination of Friend Conversations, Peer Criticism, Appearance Magazines, and the Internalization of Appearance Ideals،» Journal of Adolescent Research 19:323 _ 39.

8 _ Cash, T. F., Morrow, J. A., et al. (2004). «How Has Body Image Changed? A Cross _ sectional Investigation of College Women and Men 1983 _ 2001،» Journal of Consulting and Clinical Psychology 72:1081 _ 89.

9 _ Seal, B., Bradford, A., and Meston, C. M. (under review). «The Association Between Body Image and Sexual Desire in College Women».

10 _ Koch, P. B., Mansfield, P. K., et al. (2005). « 'Feeling Frumpy': The Relationships Between Body Image and Sexual Response Changes in Midlife Women،» Journal of Sex Research 42:215 _ 23.

11 _ Werlinger, K., King, T. K., et al. (1997). «Perceived Changes in Sexual Functioning and Body Image Following Weight Loss in an Obese Female Population: A Pilot Study،» Journal of Sex and Marital Therapy 23:74 _ 78.



12 ـ انظر الرابط:

shakespearessister.blogspot.com /200902 / /impossibly beautiful.html

13 ـ Wiseman, R. (2003). Queen Bees and Wannabes: Helping Your Daughter Survive Cliques, Gossip, Boyfriends, and Other Realities of Adolescence (New York: Three Rivers Press).

14 ـ Parker, J. S., and Benson, M. J. (2004). «Parent ـ adolescent Relations and Adolescent Functioning: Self ـ esteem, Substance Abuse, and Delinquency،» Adolescence 39:519 ـ 30.

15 ـ Ellis, B. J., and Symons, D. (1990). «Sex Differences in Sexual Fantasy: An Evolutionary Psychological Approach،» Journal of Sex Research 27:527 ـ 55.

16 ـ Hawley, P. H., and Hensley, W. A., IV. (in press, 2009). «Social Dominance and Forceful Submission Fantasies: Feminine Pathology or Power?» Journal of Sex Research.

17 ـ Salmon, C., and Symons, D. (2001). Warrior Lovers: Erotic Fiction, Evolution and Female Sexuality (London: Weidenfeld & Nicolson).

18 ـ Leitenberg, H., and Henning, K. (1995). «Sexual Fantasy،» Psychological Bulletin 117:469 ـ 96.



الفصل العاشر:

الجانب المظلم
الخداع الجنسي، المعاقبة، والتعنيف

«لا يمكن مشاركة اللذة، ولا الآلَم، انما يمكن فقط تذوقها او التسبب بها، وعندما نمنح اللذة لمحبينا او نَهَبَ الصدقة للمحتاجين، فإننا لا نفعل ذلك لِنَسُرَّ الشخص المَعْنِي، بَلْ لإرضاء انفسنا. فالحقيقة اننا رحماء لنفس السبب الذي يجعلنا قاسين، وهو اننا نريد ان نعزز احساسنا بالقدرة».

الدوس هكسلي (1894 ـ 1963)

للسيكولوجية الجنسية البشرية جوانب مظلمة لا يمكن تجاهلها. تمارس اعداد كبيرة من النساء الجنس لأن الرجال يخدعونهن، يُخَدِّرونَهُنْ، يُكرِهونهن لفظياً، او يجبرونهن بالقوة. قد يبدو من الغريب ان نتناول هذه المواضيع في كتابنا المخصص بمناقشة لماذا تمارس النساء الجنس. في الواقع، ابدى بعض الأصدقاء والزملاء تعجبهم من مناقشتنا لمواضيع مثل الجنس الاجباري في هذا الكتاب، حيث إن الكثيرين لا يعتبرون الاغتصاب شيئا متعلقا بالجنس بقدر ما يتعلق بالقوة والعنف.

ومع اننا نتفهم حساسية هذه الاعتبارات وقد فكرنا كثيرا بامرها، الا اننا



قد قررنا في النهاية سماع اصوات النساء اللاتي اشتملت عليهن دراستنا. في الحقيقة فإن الكثير من النساء عندما سُئِلْنَ عن ما دفعهن لممارسة الجنس، قد اجبن بانه قد تم خداعهن، او اكراههن لفظيا، او تخديرهن بالعقاقير او الكحول، او اجبارهن بالقوة الجسدية من قبل رجل ما. من المؤكد ان هذه لا تعد من الأسباب التي تجعل النساء يردن ممارسة الجنس. ولكنها على اية حال طرق تنتهي بهن إلى ممارسته.

هناك أيضا سبب آخر لمناقشتنا هذه الأسباب الظلامية ههنا. ذلك انَّ تسليط الضوء على هذه الحالات من خلال كلمات النساء اللواتي تعرضن بالفعل لهذه التجارب القاسية، وتأطير هذه الافادات الشخصية بالدراسات العلمية لآثارها، يزود القراء بالمعرفة التي يمكنهم الاستفادة منها في حياتهم الخاصة او لمساعدة من يهمهم امرهم. رغم أن الوعي المجتمعي بالاغتصاب قد ارتفع من خلال الجامعات والمشاريع التعليمية الأخرى، الا انه قضايا الاغتصاب لازالت تُصَوَّر وتُناقَش بطريقة فَظَّة او مستفزة او اتِّهامية أحيانا. وعلاوة على ذلك، فإن تجربة الجنس الاجباري يمكن لها ان تَنْحَتَ جنسانية المرأة لمدة طويلة بعد وقوع الامر، كما أن الخوف من الجنس بالاكراه قد يؤثر شكل دائمي على احساس المرأة بالامان.

ولهذه الأسباب، فسيكون إهمالاً منا ان نتجاهل الجنس الاجباري وان نتظاهر بأنه غير موجود. ونأمل انه بسماع كلمات النساء اللاتي شملتهن دراستنا بشكل مباشر، ان تعرف النساء الاخريات اللاتي مررن بهذا انهن لسن وحدهن من تعرضن للاغتصاب. كما نأمل في المقام الأول ان يوفر هذا للنساء (و الرجال) بعض التدابير لمنع حدوث مثل هذه الامور الشنيعة. وسنبدأ بظاهرة شائعة جدا:الخِداع.



الخداع في المواعدة

تُعَدُّ تكتيكات الخداع ظاهرة شائعة في عالم الحيوان. ان أي كائن واعٍ قابل لأن يُخدع. فمثلا، يصنع صيادو السمك طُعوماً تحاكي الاطعمة التي تحبها الاسماك، فتنخدع الاسماك وتبلع السنارة المخفية داخل الطعم. وفي حالة الذباب العقربي مثلا scorpion flies، يغري الذكورُ الاناثَ بِذُباباتٍ ميتة وهي وجبة تروق لاناث الذباب العقربي كثيرا، في مقابل التزاوج، لكن الذَكَرَ لا يلبث ان يطير بذبابته الميتة بعد أن ينتهي من القذف مباشرة. وليس بنو البشر استثناء من هذه الظاهرة، أي استخدام اساليب الخداع في ميدان المعركة الجنسية.

تزودنا نظرية الصراع الجنسي sexual conflict theory بفهم تطوري اعمق للسبب في هذا الشيوع الكبير للخداع والجوانب المظلمة الأخرى لاستراتيجيات التزاوج[1]. فحيثما تختلف المصالح التطورية بين رجل وامرأة، فإن هناك امكانية لنشوب صراع جنسي. تتنبا نظرية الصراع الجنسي بأنه عندما تتكرر هذه الصراعات عبر الاجيال، فإن كِلَا الجنسين سَيُطَوِّران تكيفات يحاول كل منهما بواسطتها جر ميدان المعركة لصالحه على حساب الجنس الاخر. فمثلا لو كانت النساء تفضل التزاوج مع رجال يمتلكون وفرة من الموارد، فإنه سيكون من المصلحة التطورية للرجل ان يخدع المرأة بشان ما يمتلكه من الموارد اذا كان هذا سيؤمن له لقاء جنسيا معها. كما أنه من مصلحة المرأة تطوريا في هذه الحالة ان تكون قادرة على كشف الخداع والتركيز على التقاط المؤشرات الصادقة على حيازة الموارد والاحتراس من تلك الزائفة المصطنعة. وفي الحقيقة، سنرى ان النساء يمتلكن ترسانة من الدفاعات ضد تكتيكات الخداع الجنسي التي يستخدمها الرجال.



تطوريا، تحوز النساء على مورد تكاثري ثمين بشكل استثنائي: تسعة اشهر من الحمل بحلوها ومرها، اعبائها ومسراتها، من أجل انجاب الطفل. لذا فإن التطور قد حابى الاستراتيجيات الذكرية التي تنجح في الوصول إلى هذا المورد التكاثري الثمين. وتعد المغازلة الصادقة الاستراتيجية الجنسية الأكثر شيوعا من بين الاستراتيجيات التي يتبعها الرجال[2]. يُظهر الكثير من الرجال اهتمامهم الحقيقي بالمرأة، ويستخدمون طيفا متنوعا من التكتيكات لجذبها حتى في حالة العلاقات العابرة، او في المراحل الأولى من العلاقة، ومن هذه التكتيكات: اظهار حِسٍّ دعابة جيد، اظهار التعاطف مع مشاكلها، التحلي باسلوبٍ راقٍ، الظهور بمظهر انيق، بذل جهد لقضاء الكثير من الوقت معها، عرض المساعدة عليها، دعوتها لتناول الطعام، واغداق الهدايا عليها. بالطبع، فإن الكثير من الرجال يحاولون في البداية اظهار الجانب الجيد فيهم فقط، وربما يحاولون أيضا اخفاء بعض العيوب ونقاط الضعف الصغيرة وتجميل بعض الحقائق التي تخصهم. ان الاشكال الخفيفة من الخداع شائعة بشكل مدهش في المواعدة التقليدية كما في المواعدة عبر الأنترنت.

لقد اصبح استخدام مواقع المواعدة على الأنترنت للعثور على القرناء امراً يزداد شيوعا باستمرار، لذا فإنه من المناسب ان نَلِجَ إلى عالم الخداع الجنسي من خلال هذه البوابة. قدَّرت دراسة ان نحو 16 مليون امريكي قد استخدموا خدمات المواعدة عبر الأنترنت، وان حوالي 3 ملايين منهم قد انشأوا علاقة طويلة الأمد مع شخص تعرفوا عليه من خلال هذه المواقع[3]. تَقَصَّتْ دراسة اجريت مؤخرا مدى ما يقوم به الرجال والنساء من خداع في المعلومات التي يكتبونها في اعلاناتهم عن أنفسهم في مواقع



المواعدة. قارنت هذه الدراسة الطول والوزن والعمر الذي اعلن عنه كل من الرجال والنساء، باطوالهم واوزانهم واعمارهم الحقيقية بعد قيام فريق الدراسة بالتقاء هؤلاء الاشخاص واخذ مقاساتهم واعمارهم الحقيقية[4].

كذب 55% من الرجال بشأن اطوالهم، مقارنة ب41% من النساء. فيما كانت النساء أكثرَ مَيْلاً للكذب بشأن اوزانهن. وبالمجمل، فإن نسبة مدهشة بمقدار81% من العَيِّنَة قد مارسوا شكلا من الخداع، وليكن بشأن صفاتهم الجسدية، الدخل، العادات كالتدخين والشرب، او الاراء السياسية.

كما تتنبا نظرية الصراع الجنسي، فإن كلا الجنسين على دراية كافية بمدى الخداع في اعلانات مواقع المواعدة. في الواقع، وَجدت دراسة انَّ 86% من مستخدمي هذه المواقع يعتقدون أن الآخرين يكذبون بشأن صفاتهم الجسدية، ويَعُدُّونَ الخداع أكبر مساوئ مواقع المواعدة على الاطلاق[5].

رغم الشيوع الكبير للخداع، فإن معظم الاكاذيب تكون عبارة عن تحسينات بسيطة. اذ يبالغ الرجال في اطوالهم بمقدار نصف بوصة في المعدل. فيما قللت النساء من اوزانهن بمقدار ثمانية باوندات ونصف في المتوسط. يبدو أن غالبية مستخدمي خدمات المواعدة عبر الأنترنت يكذبون بشأن صفاتهم بطريقة «يسهل اخفاءها»، اي انهم لا يقومون بالاعلان عن صفات بعيدة كثيرا عن صفاتهم الواقعية بحيث تنكشف في او لقاء يتم وجها لوجه. على أن هناك بعض الاستثناءات بالطبع. فقد تبين ان احد الرجال أكبر ب11 عاما واقصر ب 3 بوصات مما أَعلَنَ عنه في موقع المواعدة. كما أن إحدى النساء قللت من وزنها على ملفها الشخصي على احد المواقع بمقدار 35 باوندا عن وزنها الحقيقي بعد



قياسه من قبل فريق الدراسة. وبالمجمل، فإن التزييفات التي يقوم بها معظم المستخدمين كانت مجرد مبالغات طفيفة لا اكاذيب سافرة.

يعد الكذب في المواعدة تكتيكا متاح الاستخدام على السواء ـ حيث يستخدمه كل من الرجال والنساء. فيما يتعلق بالصفات التي يسهل مشاهدتها، كالطول والوزن والجاذبية، يكذب الناس عادة بمقدار طفيف. اما الاكاذيب الكبيرة كأن يدعي رجل قصير ان طوله 6 اقدام، او ان تدعي امرأة بدينة جدا ان وزنها 125 باوندا فسرعان ما يتم كشفها في اول لقاء بين الشخصين وينقلب السحر على الساحر. على أن بعض انواع الخداع يصعب كشفها: فالاكاذيب بشان الدَخْل او المكانة الاجتماعية هي اشياء يصعب التاكد منها عموما، وربما يكون هذا هو السبب في ان بعض مواقع المواعدة اليوم اصبحت تتبع طريقة للتحقق من الدخل والتعليم والمعلومات الأخرى التي يقدمها المستخدمون. حتى ان بعضها يتقصى ما اذا كان للشخص تاريخ اجرامي، وهي من الحقائق التي يُسْقِطُها بعض الناس من ملفهم الشخصي «عن غير قصد».

الخداع الجنسي

تبحث معظم النساء عن الارتباط العاطفي او الالتزام العاطفي من جانب الرجل قبل الموافقة على ممارسة الجنس معه. ومن منظور تطوري، فإن هذه حكمة عاطفية ورثتها النساء من امهاتهن السوالف اللاتي نجحن تكاثرياً. فالتزام الرجل العاطفي، بالتحديد حبه الصادق، يزودها بمؤشر قوي على أنه سيبقى معها في السراء والضراء، في الصحة والمرض. اذ يمثل الحب احتمالا قويا لأن يقوم الرجل بتكريس التزامه



وموارده وحمايته لامرأة بعينها ولاطفالها[6]. حيث إن الرجال غير المحبين يتمتعون بحرية التنقل من امرأة إلى اخرى.

يتعجب الرجال أحيانا من رغبة النساء هذه بالالتزام العاطفي والحب. كما يعبر هنا احدهم:

«ربما تعتقد ان قول عبارة (أحبك) لامرأةٍ لاثارةِ عواطفها واغوائها لم يعد ضروريا هذه الايام. لكنك مخطئ. ان لهذه الكلمة لَتأثيرا كتأثير العقاقير المنشطة. حالما أكون مغمورا بِفَورة الهوى اعلن للمرأة عن حبي مباشرة. لا يتم تصديقي دائما، لكن هذا يضيف إلى متعة الموقف لكلينا. ليس الامر خداعا مني، اذ يجب علي ان اشعر بشيء ما تجاهها. والعجيب ان هذه الكلمة تبرهن غالبا على أنها انسب كلمة تقال في مثل هذا الموقف»[7]. في الواقع، تكشف دراسات مختبر باس لعلم النفس التطوري ان الخداع العاطفي تكتيك شائع الاستخدام بشكل مدهش من قبل الرجال من أجل اقناع النساء بممارسة الجنس معهم. ففي إحدى الدراسات، طلبنا من 240 امرأة، و239 رجلا ان يصفوا الطرق التي تم خداعهم بها من قبل افراد الجنس الآخر[8]. وقد افادت النساء بأنه تم خداعهن من قبل الرجال بالطرق الاتية[9]:

- اخفى التزامه العاطفي الجدي مع امرأة أخرى. 9%
- كذَب بشأن مدى انجذابه لامرأة أخرى. 26%
- أخفى مشاعر عاطفية تجاه امرأة أخرى25%.
- بالغ في وصف طموحاته المهنية21%.
- بالغ في وصف ما هو عليه من التفهم والعطف24%.



- ضللها في مدى قوة مشاعره تجاهها36%.

- اخفى حقيقة انه يقوم بمغازلة امرأة أخرى40%.

- خدعها بشأن عمق مشاعره تجاهها, من أجل الحصول على الجنس29%.

- خدعها بشأن مدى التزامه طويل الأمد معها28%.

من المرجح انْ تكون هذه النسب أقل من نسب الخداع الذي يحصل بالفعل. ففي دراسة أخرى على 117 رجلا، اعترف71% منهم بأنهم قد بالغوا في وصف عمق مشاعرهم تجاه امرأة ما لكي يمارسوا معها الجنس.

ان الكثير من حالات الخداع التي تضمنتها دراستنا كانت جد مؤلمة:

«في ايام الكلية خرجت ليلة وشربت باسراف. وكان هناك شاب يروقني كثيرا. وقد امطرني بكل الاكاذيب التي طالما تم تحذيرنا منها، لكني لم افكر بذلك حينها. مَثلاً اخبرني انه ليس مثل بقية الشباب وانه سيتصل بي صباحا وانه واقع بغرامي حقا. اخبرني كم انا جميلة وذكية وكم سَيَعُدُّ نفسه محظوظا لو اننا بقينا معا. وكل ما كان يشغلني انذاك هو مدى انبهاري بذلك الشاب ورغبتي بأن اعجبه. وقد اُخِذْتُ تماما باكاذيبه. وبعد قليل من اكؤس الشراب الاضافية صعدنا إلى الطابق العلوي ومارسنا الجنس. ولم يتصل بي في اليوم التالي. ثم اكتشفت انه اخبر أصدقاءه كم كنت سهلة. وقد شعرت بخزي عظيم».

امرأة غيرية الجنس، العمر27

ولا تختلف حالة ساندرا هكس عن حال المرأة السابقة. اذ كان



زوجها ايد هيكس زوجا جيدا بجميع المقاييس. حيث كان ماهرا في تصليح الاعطال المنزلية، رومانسي الاسلوب، ومسليا بشكل عام. وفي احد الايام اكتشفت ساندرا ان صك استرداد الضريبة الخاص بمنزلهما، والذي كانت تنتظره بفارغ الصبر، قد تحول إلى مطالبة من الضريبة بالدفع بسبب زواج ايد هيكس من امرأة أخرى! في الواقع، كان هيكس متزوجا من امرأتين، كل منهما لا تعرف شيئا بشأن الأخرى. كما أنه كان قد سبق له الزواج من خمس نساء اخريات على الأقل في الماضي، وقد فشل ثلاث مرات في الحصول على الطلاق دون أن يمنعه ذلك من الزواج بنساء اخريات. ولم يتوقف ايد عن اغواء النساء حتى بعد أن تم القبض عليه وحبسه. وقد اوشك ان يوقِع بامرأة أخرى لولا ان تدخلت ثلاث من زوجاته السابقات ليحذرنها من الاعيبه «انا أعرف الرجال»، قالت المرأة التي طلبت عدم الكشف عن هويتها، «عادةً ما يكون كشف الخداع سهلا لكن في حالته..يا الهي! انَّ كلامه لَساحر»[10].

ان بعض الرجال حاذقين في فن الخداع الجنسي باستخدام تكتيكات تلعب على الاوتار العاطفية لقلوب النساء. كما راينا في الفصل الثالث، فإن الاوكسيتوسين هرمون تَعَلُّقٍ قوي يزداد افرازه بشدة مع النشوة الجنسية في النساء ـ أكثر من الرجال ـ وعليه فاذا كانت ممارسة الجنس أكثر قدرة على توليد الشعور بالتعلق العاطفي في النساء منها في الرجال، فإن النساء في هذه الحالة أكثر تعرضا للنتائج السلبية للخداع الجنسي. وبالتالي فإنه ليس مفاجئا ان النساء اللاتي يقعن ضحية محترفي الخداع العاطفي هؤلاء يعانين بشدة. ففي الغالب، تجد النساء اللاتي قد سبق لهن التعرض لهذا النوع من الخداع صعوبة كبيرةً لاحقاً في الوثوق بشريك جنسي فعلي او



محتمل، فقد يتجنبن الحميمية الجسدية او يصبحن متخوفات منها.

الدفاع ضد الخداع الجنسي

رغم أن الرجال ينجحون أحيانا في خداع النساء، الا انه من الخطأ الاعتقاد بأن النساء مجرد بيادق بَلْهَاء في لعبة الاقتران الرجالية. تعرف النساء ان للرجال رغبة شديدة في الجنس العابر الخالي من التكاليف والالتزامات. وقد طَورت النساء في الواقع وسائل متقدمة لكشف المخادعين. تظهر البحوث ان النساء متفوقات على الرجال في قراءة الاشارات غير اللفظية كتعابير الوجه وحركات الجسم. اذ يَقُمنَ بفك شفرة تعابير الرجل الوجهية، وتَفَحُّصِ نبرة صوته لتقويم مدى مصداقيته، كما يجمعن المعلومات عن سمعته الاجتماعية وتاريخه الجنسي. وتقضي بعضهن ساعات في حوارات نقاشية خاصةٍ مع صديقاتهن المقربات، حيث يساعدهن ذلك في تَحَرِّي نوايا الرجل الحقيقية: «قالَ س فقلتُ ص... لكن هل كان ينظر في عينيكِ مباشرةً عندما قال ع؟».

من التكتيكات الرئيسية الأخرى التي تستخدمها النساء هو إطالةُ فترة المغازلة قبل ان تقبل بممارسة الجنس إلى مدة اطول مما يرغب به الرجال. ففي دراسة اجراها مختبر باس، سالْنا كُلَّاً من الرجال والنساء عن امكانية موافقتهم على ممارسة الجنس مع شخص يجدونه جذابا اذا ما كانوا يعرفونه منذ فترات زمنية متنوعة تراوحت بين ساعة واحدة إلى 5 سنوات. وبينما افصح غالبية الرجال عن استعدادهم لممارسة الجنس بعد اسبوع واحد فقط من التعارف، فضَّلت معظم النساء فترة انتظار اطول. ان إطالة فترة الانتظار تسمح للنساء بعمل تقييمات واختبارات كثيرة للرجل،



استراتيجية مصممة جزئياً لابعاد المخادعين.

كذلك فإن للنساء دفاعات عاطفية مخصصة لحمايتهن من التعرض للخداع. تظهر بحوث مختبر باس ان النساء يُصَبْنَ بغضب واحباط شديدين عندما يكتشفن ان الرجال قد ضللوهن بشان مدى عمق مشاعرهم تجاههن لأجل الحصول على الجنس. ان هذه العواطف تجعل حالات الخداع هذه راسخة في ذاكرة المرأة، مما يجعلها أكثر حذرا في المستقبل، ومن ثم يجنبها تكرار التعرض للخداع.

وقد اكتشف عالم النفس التطوري مارتي هازلتون Martie Haselton دفاعا آخرتمتلكه النساء لتجنب الوقوع ضحية الخداع العاطفي للرجل: نزعة التشكيك في الالتزام (11) commitment skepticism bias. لفهم نزعة التشكيك في الالتزام، تأَمّل المثال التالي: في اللقاء الثاني بينهما، يخبر الرجل المرأة انه واقع في حبها بشدة. ما مقدار التزام الرجل تجاه المرأة الذي يمكن استنتاجه من هذا الدليل الكلامي فقط؟ هناك خطئين ممكنين يمكن أن ترتكبهما المرأة في هذا الموقف. احدهما هو ان تستنتج انه يكذب، بينما هو في الحقيقة صادق في حبه لها. والآخرهو ان تصدق ما قاله الرجل لها، بينما هو في الواقع يمارس الخداع. وهنا يقول المنطق التطوري انَّ تَعَرُّضَ المرأة للخداع هو الخطأ الافدح ثمنا بالنسبة للنساء عبر تاريخ الجنس البشري. ان النساء اللاتي تعرضن للخداع بهذه الطريقة قد تحملن اخطار الحَمْل غير المرغوب فيه أو في الوقت غير المناسب، او الحمل من رجل ذي مورثات رديئة، وربما تربية طفل دون مساعدةٍ او استثمار من ابيه. وعليه فإن التطور قد صمم نفسية خاصة في النساء وفقا لهذه النظرية: نزعة إلى الشتكيك في الالتزام مصمَّمة لتقليل تقدير النساء



لمستوى التزام الرجال تجاههن. تؤدي هذه النزعة وظيفة مهمة. فهي تساعد النساء على أن لا ينخدعن بسهولة بالاشارات المزيفة، كالافصاح الكلامي عن مدى عمق مشاعر الرجال تجاههن. يفرض هذا على الرجال الذين هم على استعداد حقيقي للالتزام ان يُقَدِّموا براهين أخرى على مدى فترة زمنية اطول. وهذا سيجعل الرجال غير الراغبين في الحقيقة بأكثر من مجرد علاقة جنسية عابرة دون التزام، يجعلهم يسأمون بسرعة بسبب هذا التاجيل، متحركين صوب نساء اخريات ساذجات او يسهل استغلالهن والوصول الجنسي اليهن.

يعني هذا ان رجال ونساء اليوم هم نتاج سباق التسلح هذا بين استراتيجيات الخداع من جهة، ودفاعات كشف الخداع من الجهة الأخرى. تنجح بعض النساء في النجاة من الشِرك، فيما تقع اخريات فيه.

التخدير، الإكراه، والاغتصاب

تمارس غالبية النساء الجنس تطلعا إلى نتائج ايجابية، ولتكن اللذة الجنسية، الحب والوفاء، الثأر، التقليل من التوتر، او للحيلولة دون ذهاب القرين إلى امرأة أخرى. لكن في بعض الاحيان يكون الشيء الايجابي الوحيد الذي تتوخاه المرأة من ممارسة الجنس هو تجنب الاذى ـ نفسيا كان او جسديا او كلاهما.

راينا في الفصل السادس كيف ان النساء يقبلن ممارسة الجنس أحيانا دون رغبة منهن فيه لأجل ارضاء شركائهن، او للتخلص من تذمرهم، او للحفاظ على العلاقة، او لأنهن يشعرن انه «من واجبات الزوجة»، او لأنهن ببساطة لايعرفن كيف يقلن لا. مما لا يمكن أنكاره، ان الجنس



تحت هذه الظروف يمكن أن يعتبر جنسا بالاكراه. اذ غالبا ما يكون هناك خط رفيع يفصل بين الموافقة على ممارسة الجنس لإسكات شريك مِلحاح من جهة، وبين الاكراه اللفظي على ممارسة الجنس ضد رغبة المرأة. الا انَّ بعض المواقف واضحة لا لبس فيها. عندما يتم تخيير المرأة بين انهاء العلاقة او ممارسة الجنس، او ان يجعلها الطرف الآخرتشعر بالخوف او الذنب او بالاستياء حيال نفسها اذا ما رفضت، او ان يتم تخديرها بالمخدرات او الكحول لتقليل ممانعتها لكي «تستسلم»، عندها يصبح الجنس اكراهيا بوضوح. تحدثت بعض النساء في دراستنا عن هذه الضغوطات:

«ضغط علي حبيبي الأول كثيرا. كنت قد وضعت بالفعل حدودا بيني وبينه متوقعة منه ان يحترمها. لم اكن أعرف مااللذي كان ينتوي فعله في البداية. لاحقا، كما الحال مع اغلبية الفتيات، لم استطع ان اقول لا. كما أن خلفيتي الدينية التي تُحَبِّذُ انْ تكون المرأة سلبية وساذجة بشأن الجنس، كانت سببا رئيسيا في ما حدث لي. بعدها أيضا دفعني شريك آخرلممارسة الجنس. وقد استخدَمَ الكحول كعامل مساعد حيث دسَّه في مشروباتي دون علم مني. ومرة أخرى كانت خلفيتي الدينية عاملا مهما في عدم قدرتي على الرفض، سذاجتي بشان العلاقات الجنسية وكذا بشان الكحول)كانت الغرفة وكانها تدور بي ولم اكن أعرف أنني مخمورة ولا ما يعنيه ان تكون مخمورا). كذلك فقد حكى لي عدة قصص مُخْتَلَقَة ليجعلني اشعر بالشفقة عليه، وهو ماكان عاملا مهما آخرفي مطاوعتي له. هناك عدة ظروف مشابهة كهذه عندما يكون الحاح الشريك، او الاعيبه العاطفية، او الكحول، او سلبية شخصية الضحية،



وصعوبة الرفض عوامل حاسمة في الجنس. شعرت بالتوتر والارتباك والحيرة. لم اكن اريد اغضاب ذلك الشخص. وَثِقْتُ بأنه لن يقوم باستغلالي ولم افعل أي شيء من جانبي للتاكد من انه لن يقوم بذلك، وعندما وقع ما لم اكن قد حسبت حسابه، لم اكن أعرف ما الذي ينبغي علي فعله. كان هناك عنصر من الوهم في كل هذه العلاقات الجنسية وفقدان للتحكم في نفسي. مررت بكل هذه التجارب قبل عمر التاسعة عشرة، الا انني اصبحت بعد ذلك اقوى وأكثر حكمة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر23

يمكن للاكراه الجنسي والاغتصاب ان يحدث ـ وهو يحدث بالفعل ـ بين الغرباء. ولكن غالبا ما يحدث ذلك في سياق علاقة محتملة او علاقة قائمة بالفعل. تحدث هذه الافعال في جميع الثقافات، وفي اوساط أناس من جميع المستويات الاقتصادية، وجميع الاعمار. وتحدث أيضا مع الرجال والنساء، ولكن مع نسبة حدوث أعلى بكثير في صفوف النساء. فوفقا للمسح الوطني للعنف ضد النساء والذي شمل 8000 امرأة، تعرضت 15% من النساء للاغتصاب، و3% لمحاولة الاغتصاب[12]. وقد كانت 62% من حالات الاعتداء من قِبَلِ شريك حالي او سابق، وكانت احتمالية حدوث الاذى الجسدي خلال الاغتصاب أعلى عندما يكون من شريك حميم، منها عندما يكون الاغتصاب من قبل غريب.

التعنيف الجنسي والنساء اليافعات

افصحت اعدادٌ مخيفة من النساء في دراستنا عن تعرضهن للاكراه الجنسي او الاغتصاب في مراهقتهن. تظهر الاحصائيات الصادمة ان أكثر



من ثلث الفتيات في المدارس الاعدادية قد تعرضن للاكراه او العنف الجنسي في علاقاتهن[13]. واذا ما اخذنا في الحسبان ان أكثر من 70% من المراهقين الامريكيين افادوا بأنهم قد اقاموا علاقة رومانسية واحدة على الأقل قبل عمر الثامنة عشرة، فإن الكثير من النساء اليافعات يختبرن تجارب جنسية مؤلمة في عمر مبكرة.

وتكون المراهقات بالخصوص معرضات أكثر للاكراه الجنسي مقارنة بالنساء الأكبر عمرا. ذلك لأن النساء اليافعات يفتقرن غالبا إلى المعرفة بشان العلاقات والتي تتاتى من خلال المواعدة. وبالتالي فإنهن لا يعرفن بالضبط ما المتوقع منهن كشريكات رومانسيات، وقد يفشلن في التقاط الاشارات المنذرة بحدوث اعتداء وَشيك عليهن.

تزداد احتمالية وقوع الاكراه الجنسي للفتيات اليافعات عندما يكون هناك فرق كبير بين الشريكين في الذكاء، المكانة الاجتماعية، او االعمر[14]:

«عندما كنت بعمر السابعة عشرة، كنت اواعد شابا بعمر السادسة والعشرين. كنت أريد أن اكتفي بالمواعدة وقتها لكنه كان يريد أكثر من ذلك. لم اكن أريد أن اخسره، لذا فإنه عندما كان يرغب بالجنس كان يجبرني على ذلك، كان يجبرني عليه لمدة طويلة دون أن يكترث حتى لبكائي أحيانا. لكني واصلت العلاقة معتقدة ان هذا جزء مما يجب علي القيام به لكي احصل على شريك».

امرأة غيرية الجنس، العمر 38

يكون الرجل الأكبر عمرا بكثير من امرأة ما، أكثر خبرة جنسية منها عموماً، ويميل لأن تكون له السيطرة عليها. وهذا العامل يجعل من



المحتمل ان يقوم الرجل بالضغط على المرأة الاصغر سنا منه لممارسة الجنس قبل ان تكون هي مستعدة لذلك. كذلك فإن النساء صغيرات السن وعديمات الخبرة الجنسية غالبا ما يتقبلن فكرة انهن المسؤولات عن الواقعة. قد تشعر المرأة أحيانا ان الخطأ خطئها لأنها تعتقد انها هي من «اغرته»، او لأنه كان يجب عليها ان تعرف كيف تتملص من الموقف. وجدت دراسة انَّ مابين رُبْع إلى ثُلُث طَلَبة الاعداديات في الولايات المتحدة يعتقدون أنه من المقبول انْ يقوم الفتى باجبار الفتاة على الجنس إذا كانت تسمح له بلمس صدرها، او كانت ترتدي ملابس فاضحة، أو إذا وافقت على أن تذهب معه إلى منزله، او إذا كانت تواعده منذ مدة طويلة[15].

قد يكون الاكراه الجنسي او الاغتصاب خلال المراهَقة أكثر اذىً منه بعد البلوغ. إذ إن المراهَقة هي المرحلة التي تبدأ فيها النساء بتشكيل هوياتهن ككائنات جنسية، وتطلعاتهن في العلاقات المستقبلية. فإذا تَعَلَّمْنَ في سِنٍّ مبكرة ان الجنس الاجباري هو جزء من العلاقة، فإنهن سيتوقعن حدوث هذا السلوك في العلاقات المستقبلية كشيء طبيعي، مِن ثَمَّ يخلق هذا دائرةً من العنف[16].

بغض النظر عن العمر الذي يحدث فيه الاعتداء او التعنيف الجنسي، فإن النتائج النفسية التي تنجم عنه بعيدة المدى، ويمكن أن تؤثر سلبا على جمع مناحي حياة المرأة الضحية تقريبا. يمثل الجنس الاجباري من قبل شريك مواعدةٍ خيانة كبرى للثقة. ان هذه الخيانة قد تجعل من الصعب على المرأة ان تثق بشريك جنسي مستقبلا. وتصاب الكثير من النساء اللائي يتعرضن للاغتصاب بما يسمى باضطراب غمٍّ ما بعد الصدمة post – traumatic



stress disorder او ما يعرف اختصارا بـ PTSD، وهي متلازمة تتميز باستعادة تَذَكُّر أو تَخَيُّل حُدوث النواحي المرعبة والمؤلمة عاطفيا من الاغتصاب، او الفزع، او مشاكل النوم، او الشعور بالتبلد العاطفي. قارنت إحدى الدراسات بين 40 امرأة بالغة قد سبق لهن التعرض للاغتصاب، مع مجموعة ضابطة مكونة من 32 امرأة مماثلات في السن للمجموعة الأولى قد سبق لهن التعرض لاحداث قاسية مهددة للحياة ولكنها غير جنسية، كحوادث السيارات، الاعتداءات البدنية، او السطو المسلح[17]. وقد تبين ان 95% من مجموعة ضحايا الاغتصاب مصابات باضطراب غَمٍّ ما بعد الصدمة، مقارنة بـ 47% من المجموعة الضابطة.

كما أن 90% من مجموعة ضحايا الاغتصاب قد عانين من مشاكل ما بعد الاغتصاب الجنسية، كانعدام الرغبة الجنسية 93%، النفور من الجنس 85%، او الالم في العضو التناسلي 83%. اُصيبت العديد من ضحايا الاغتصاب أيضا باضطرابات الاكل كالنُهَام والافراط في الاكل 68%، او الاسهال 48%، وكذا اضطرابات القلق والتوتر ناهيك عن اضطراب غَمٍّ ما بعد الصدمة 38%. اتجهت بعض الضحايا للادمان على الكحول اوالمخدرات، وتعاني الكثير منهن من القلق، الاكتئاب، نوبات غضب، قرف، تشوش، الشعور بالعجز، الخوف، او انخفاض تقدير الذات[18]. وباختصار، فعادة ما تكون الاثار النفسية الناجمة عن الاغتصاب مدمِّرة جداً للضحية.

هنا تصف إحدى النساء في دراستنا كيف كان تأثير العنف الجنسي الذي تعرضت له في عمر مبكر على حياتها:

«عندما كنت بسن صغيرة جدا،اُجْبِرتُ على الجنس الفموي من قبل



رَجُلٍ لمرتين على الأقل، كان هو بعمر السادسة عشرة. كنت مرتبكة ولا أعرف ما هذا الذي يفعله معي. وعندما كبرت بما فيه الكفاية لافهم ماحدث لي، شعرت بالحزن والاشمئزاز. وقد خضعت لجلسات علاج نفسي كثيرة مع أصدقاء ومحترفين لكي اجتاز الامر وافهم كيف انه قد اثر على جنسانيتي وحياتي الجنسية. أنا متاكدة انه قد اثر على حياتي من نَواح لن اتمكن حتى من اكتشافها، لكنني على الأقل استطيع ان أعرف أن هذه التأثيرات موجودة من خلال شعوري بالنقص، افتقاد اللذة الجنسية، قلق الاداء الجنسي، وانخفاض تقديري لذاتي. وقد قطعت شوطا طويلا في سبيل تجاوز هذه المشاكل».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 27

بينما ينمو البشر نحو البلوغ، يُنمِّي معظمهم هوية اجسامهم وملكيتهم لها. لكن عندما يتم انتهاكهم جسديا، وبالخصوص في عمر مبكر، فإنهم قد يصبحون معتقدين انْ لا سلطة لهم على اجسادهم، وانهم لا يمتلكون حدودا جسدية خاصة بهم يستطيعون حمايتها. تصف النساء عادة حدوث «انفصال ذهني» عن تجربة الانتهاك الجسدي في وقت حدوثها. ايْ انَّه إذا كانت المرأة غير قادرة على التخلص جسدياً من الموقف، فإن الطريق الوحيد المتاح امامها للـ«هروب» هو بالانفصال ذهنيا عن جسدها. حتى ان بعض النساء اللائي يتعرضن لتجربة الانتهاك هذه، عندما يدخلن لاحقاً في علاقة حب، يجدن صعوبة في التواصل و«عيش اللحظة» في أثناء ممارسة الجنس، لأنهن قد تعودن على التعامل مع الجنس بالانفصال الذهني. فإذا تعلمت امرأة انه ليس بوسعها فعل شيء لحماية جسمها من الاذى، فإنها قد تصبح أقل حذراً او مقاومة في التعامل مع نُذُر الخطر. وقد



تشعر بأن لاحول لها ولا قوة في اتخاذ القرار بشان الموافقة على الجنس او رفضه إذا ما اراد الشريك ذلك.

يعتقد بعض الباحثين ان هذه الاثار الناجمة عن التعرض للاغتصاب قد تفسر جزئيا لمإذا تتعرض اعداد غير طبيعية من النساء للاعتداء الجنسي بشكل متكرر. تتراوح تقديرات نِسَب تكرار التعرض للانتهاك الجنسي في صفوف النساء بين 15 الى 72 في المئة. وجدت دراسة ان احتمالية تعرض النساء اللاتي تعرضن للانتهاك الجنسي في الطفولة، للاغتصاب عند البلوغ، هي تقريبا ضعف احتمالية تعرض النساء اللاتي لم يسبق لهن التعرض له في طفولتهن[19]. وعلى الرغم من انه قد تم توثيق نسب عالية من تكرار التعرض للانتهاكات الجنسية عند النساء، فإن العوامل المساهمة في هذا لاتزال غير مفهومة. لقد ظهر ان الكحول وتعاطي المخدرات يُعَدَّان من العوامل المساعدة في بعض الحالات، ولكن لا يبدو أنهما قادرين على تفسير تكرار التعرض هذا بشكل كامل. كما وجد ان بعض الصفات المميِّزة لحالة الانتهاك ـ مدى قسوته، مدى استخدام القوة فيه، وما إذا كان الاعتداء قد تم من قبل احد افراد العائلة ـ تزيدُ من فُرَص التعرض لتكرار حالة الاغتصاب او الانتهاك الجنسي. وقد وجدت دراسة حديثة، ان التقدير الذاتي المنخفض للجاذبية الجنسية، المستوى المرتفع من المخاوف الجنسية، والرغبة بالقيام بسلوكيات جنسية خارج العلاقة ترتبط جزئيا أيضا بنوعية ضحايا الاغتصاب اللاتي لديهن احتمالية أكبر من نظيراتهن لتكرار التعرض له[20].

وصفت امراتان في دراستنا تجربتهما مع تكرار التعرض للاغتصاب:

«تعرضتُ للاغتصاب بعمر الخامسة عشرة، من قبل ثلاثة فتيان في



صفي في المدرسة بعد انتهاء الدوام. كنتُ عذراء حتى ذلك اليوم. كان هناك العشرات من الطلبة يمرون من خلف المدرسة.. وقد سمعوا جميعا نداءات استغاثتي ولكن أحداً لم يهب لنجدتي. لم استطع الفرار الا بعد ان عضضت واحداً منهم بقوة بحيث اسَلْتُ منه الدم. وهذا بالاضافة إلى الكدمات والخدوش التي سببوها لي وسببتها لهم في أثناء مقاومتي قد ساعد الشرطة على ادانتهم. ومع ذلك فلم تفعل المحكمة أكثر مِنْ ان رَبَّتَتْ على اكتافهم طالِبَةً منهم ان يكونوا مهذبين في العامين المقبلين. كنت اتعرض للاغتصاب باستمرار أيضا من قبل (شريكي) الحقيقي الأول ـ كنا نعيش كزوجين عرفيا لا رسميا لعام ونصف. واغتُصبت من قبل رجل تبعني خارجةً من نادٍ ليلي ودفعني إلى احد الممرات الضيقة واجبرني على الجنس. شاهده العشرات من الناس، وسمعوا استغاثاتي، ومرة أخرى لم يتدخل احد لمساعدتي.. حتى التقيت بزوجي الثاني (وهو زوجي الحالي)، لم اكن أعرف قبلها انه يمكن للرجال ان يكونوا طَيِّبين ورحماء هكذا. وقد غير ارائي السابقة عن الرجال».

امرأة غيرية الجنس، العمر35

«تم الاعتداء علي جنسيا من قبل بعض الاقارب عندما كنت طفلة. كما أني تعرضت للاغتصاب مرات قليلة بعمر المراهقة. لم اخبر الا اشخاصا قليلين، وحتى عندما فعلت ذلك لم ياخذني احد على محمل الجد.. وهو امر محزن.. كنت تحت حماية حكومة الولاية في سنٍّ مبكرة، واُرسِلتُ إلى ملجأ للاطفال. كنت اكره ذلك المكان لذا فقد اعتدت مع بعض الفتيات اللاتي يشاطرنني هذا الشعور على الخروج برفقة بعض الفتيان من المنطقة المجاورة. في إحدى المرات كنت مع اثنين من الفتيان وفتاة



اعرفها. وكان جميع الثلاثة يكرهونني ويعتقدون أنني عاهرة لأنهم سمعوا انني قد ضاجعت احدهم. ربما كان هذا صحيحا ففي ذلك الوقت لم أَكُنْ أكِنُّ اي احترام لنفسي ولم اكن اكترث بما يحدث لي. وقد هبط الليل ووجدنا غرفة في الطابق تحت الارضي لاحد المباني. فقام احد الفَتَيَيْن باجباري على ممارسة الجنس معه. لم افعل شيئا سوى ان استلقيت وانفصلت ذهنيا عما كان يحدث لي. شعرت بالالم والامتهان ـ كما لو ان هذا هو كل ما لدي».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر28

الاعتداء الجنسي في العلاقات الملتزمة

«كان زوجي السابق يسيء إلي لفظياً وجسدياً، وكان يمارس معي الجنس بالاجبار في معظم سنوات علاقتنا الخمس عشرة. وعندما كنت ارفض ممارسة الجنس معه كان يبقى غاضبا ويوجه الاساءات لي لمدة قد تطول إلى ثلاثة ايام. وفي النهاية لم اعد احاول الرفض لأنه كان الاسهل لي ان استسلم واتقبل 15 دقيقة من الجنس من ان اتحمل اذاه لايام».

امرأة غيرية الجنس، العمر36

غالبا ما يكون هناك خط رفيع بين الجنس غير المرغوب وبين الاغتصاب. وهذا ينطبق بالخصوص في حالة وقوع الاغتصاب في اطار علاقة طويلة الأمد، حيث يكون الطرفان قد مارسا الجنس بالتراضي من قبل. لا تُعَرِّف النساء اللاتي يتعرضن للاعتداء الجنسي ضمن اطار الزوجية هذه الاعتداءات على أنها اغتصاب عادةً الا إذا تضمنت استخداما للقوة الجسدية والحاقاً للاذى. وتظهر البحوث انه عندما تتعرض المرأة لاعتداء



جنسي ضمن علاقة ملتزمة فإنها تميل إلى التماس الاعذار لشريكها مثل «انه لا يفعل ذلك الا عندما يكون مخمورا » أو «كان يجب علي الا استفزه»[21]. كما أنهن يَمِلْنَ أيضا إلى التقليل من خطورة الوضع بمزاعم مثل « لم يحدث هذا الا مرتين يتيمتين».

ان امتناع النساء عن الاقرار بأنهن تعرضن للاغتصاب من قِبَلِ شركائهن يسببه خوفهن من الانتقام، او دمار سمعتهن، او الخوف من قيام شركائهن بايذائهن جسديا. في الواقع، كثيرا ما يكون الانتهاك الجنسي والاعتداء البدني مترافقين في العلاقات التي تشهد هذه الاعتداءات. ان اجبار الزوجة على الجنس هو تاكيد على السلطة والهيمنة اساسا، وفي العديد من الحالات فإن تاكيد الهيمنة هذا يمتد إلى مناطق أخرى من العلاقة. يحاول الرجال الذين يمارسون هذه الاعتداءات عادةً عزل المرأة ومنعها من التواصل مع عائلتها وأصدقاءها، وتحطيم تقديرها لنفسها، والحط من شانها بعشرات الطرق الأخرى. وبذلك فإنهم يجعلون شريكاتهم أكثر اعتمادا عليهم ومن ثم أكثر اذعانا لمطالبهم. يبرر بعض الرجال اجبارهم لزوجاتهم على ملازمة البيت بأنه «لا يمكن الوثوق بهن».

توصل عالما الاجتماع ديفيد فينكلور David Finkelhor وكيرستي ايلو Kersti Yllo في دراسة اجرياها على نساء تعرضن للاغتصاب من قبل ازواجهن، إلى تصنيف ثلاثة أنماط من الاغتصاب الزوجي[22]. يشكل احدها، وهو ما سمياه «بالاغتصاب الساحق»، نسبة 40% من حالات الاغتصاب الزوجي. وفي هذا النوع من الاغتصاب لا يقوم الازواج باغتصاب الزوجات فحسب، بل بضربهن أيضا ـ قبل ممارسة الجنس أحيانا وبعده أحيانا أخرى. اما اغتصاب «الاجبار المجرد» ففيه يستخدم



الازواج الحد الادنى من القوة اللازم لاجبار زوجاتهم على ممارسة الجنس معهم، ويشكل نسبة 40% أيضا من الحالات. في اغتصاب الاجبار المجرد يكون الزوج راغبا بسلوك جنسي بعينه لا تطيقه الزوجة.

اما النوع الثالث فهو «الاغتصاب الهَوَسِي». وهو الأقل شيوعا ولكنه الأكثر تدميرا، ويحدث في حالة الازواج المهووسين بالجنس والمستعدين لاستخدام اي نوع من القوة تقريبا للحصول عليه. يقوم المغتصبون المهووسون غالبا بتصرفات سادية، وتكون جنسانية الرجال في هذه الحالة حاوية على رغبة في اهانة واذلال زوجاتهم والهيمنة عليهن. وصفت إحدى النساء في دراستنا هذا النوع من التجارب المذلة والمروعة:

«كثيرا ما تعرضت للاغتصاب في طفولتي وفي زواجي الأول. في طفولتي، صوب احدهم مسدسا إلى راسي وهددني باطلاق النار علي إنْ رَفَضْتُ ممارسة الجنس معه. وفي زواجي الأول، كان زوجي يُعِيرُنِي إلى أصدقاءه كسلعة جنسية. وقد هددني بأنه سيقتلني في أثناء نومي إذا امتنعت عن ذلك، وكان يحتفظ بِسِكِّينٍ تحت وسادته ليبرهن على أنه جاد في تهديداته».

امرأة مثلية الجنس غالبا، العمر 26

في عدة دراسات، قام الباحثون بوصف سيناريوهات مختلفة للاغتصاب ومن ثم سألوا الناس ان يقَيِّموا نواحي من الاغتصاب مثل مدى قسوته او مدى الضرر الناشئ عنه. وغالبا ما قيم المشاركون في الدراسات الاغتصاب على أنه أقل ضررا عندما يكون المرتكب هو الزوج وليس



شخصا غريبا[23]. ربما يمكننا ايجاد الجذور التاريخية لهذا الموقف من الاغتصاب الزوجي إلى المعتقد الذي كان سارياً بأنَّ الجنس من حقوق الرجل، وان الاغتصاب ضمن اطار الزوجية ليس مخالفا للقانون. لقد تم قبل عقودٍ إعتماد رؤية القانوني البريطاني من القرن الثامن عشر لورد هيل Lord Hale في التشريعات الخاصة بالاغتصاب في امريكا: «لكن لا يمكن ادانة الزوج بالاغتصاب إذا كان قد ارتكبه بحق زوجته القانونية، ذلك لأنَّه بموجب رضاهما بالزواج والعقد الذي أُبْرِمَ بينهما، فإن الزوجة قد وهبت نفسها بهذا العنوان للزوج وليس من حقها النَكْث».

وبقي الامر على هذه الحال حتى وقت متأخر في العام 1993 حين غيرت جميع الولايات الخمسين هذه القوانين الجاثمة منذ امد طويل، وجرَّمت الاغتصاب الزوجي. حاليا، لازالت القوانين الزوجية في ثلاثين ولاية لا توجِّهُ تهمة الاغتصاب للزوج إذا كان الفعل قد تم تحت ظروف معينة، كأنْ تكون الزوجة غير واعية، او نائمة، او معاقة جسديا او عقليا.

ولا زالت هناك بلدان إلى يومنا هذا لا تُجرِّم الاغتصاب الزوجي، بل في الواقع، تم سَنُّ قانون في افغانستان مؤخرا يُشَرِّعه[24]. ينص احد البنود القانونية على أنه «مادام الزوج غير مسافر، فإن له الحق في مجامعة زوجته كل اربعة ليالٍ». فيما ينص بند آخر»ما لم تكن الزوجة عليلة او مصابة بمرض قد يتفاقم بسبب ممارسة الجنس، فإنها مُلزَمة بأن تتجاوب مع رغبة زوجها الجنسية». ينطبق هذا القانون على الشيعة فقط، والذين يشكلون نسبة 20% من سكان افغاسنتان البالغ عددهم 30 مليونا. فيما يُستثنى السُنَّة من هذا القانون. وقد وصف الرئيس الامريكي باراك اوباما القانون بالـ«مَقيت». فيما طالبت مظاهرات واحتجاجات عالمية بالغائه،



وقد تنجح في مساعيها. ومع ذلك فإن هذا القانون المثير للجدل يسلط الضوء على الاغتصاب الزوجي ـ وهي مشكلة تعاني منها ملايين النساء حول العالم، حتى في البلدان التي تجرمه.

علاوة على الاثار النفسية السلبية الكثيرة المُتَرَتِّبَةِ على التعرض للانتهاك الجنسي، فإن الاغتصاب يمكن أيضا ان يضر بالوظائف الجنسية للمراة في العلاقات الطبيعية ـ اي التي تتم بالتراضي ـ مستقبلا. يُظهر بحث أُجْري في مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية ان الكثير من النساء اللائي تعرضن للانتهاكات الجنسية افصحن عن صعوبات استمرت معهن عقودا بعد التعرض للاعتداء. افادت بعضهن بعدم وجود رغبة جنسية لديهن على الاطلاق، فيما افصحت اخريات عن العكس ـ القيام بأنشطة جنسية خطرة جدا ومع اي كان وبكثرة. وقد افصحت بعضهن عن اصابتهن بخوف ورهاب شديدين من الجنس بحيث قد يتعرضن لنوبات هلع عندما يحاول شركاءهن بدء ممارسة الجنس. افادت اخريات بصعوبات في وصولهن للاثارة الجنسية والنشوة، فيما تعاني بعضهن آلَامَاً شديدة خلال الجماع مع شركائهن. تصاب بعض النساء أيضا بالتشنج المهبلي vaginismus، وهو نوع خاص من اضطراب جنسي يتميز بأَلَمٍ وتقلصٍ لا إرادي في العضلات المحيطة بفتحة المهبل بحيث تضيق الفَتحة فيصبح الجماع غير ممكن بتاتا، بل لا يمكن حتى ادخال سدادة قطنية tampon.

ان مدى فائدة العلاج تعتمد على نوع الاعتداء الجنسي وما إذا كان قد تضمن الايلاج والاذى الجسدي، عدد مرات التعرض للاعتداء، عمر الضحية في وقت حدوث الاعتداء، وهوية الشخص المعتدي. تحمل



بعض الاخبار أَمَلاً بأنه خلال العقد المنصرم طور الباحثون تقنيات علاجية ناجعة، كتمرين التطعيم بالاجهاد Stress Inoculation Training والتعرض طويل الأمد، لعلاج النساء اللاتي عانين من الاعتداءات الجنسية. تتضمن تقنية تمارين التطعيم بالاجهاد علاجا نفسيا، تمثيلَ ادوارٍ، إرخاءً عميقاً للعضلات وتمارين تَنَفُّس، مهارات تأقلم، وتقنيات لايقاف التفكير لمنع اجترار التفكير القهري بالتجربة الاليمة. يتضمن التعرض طويل الأمد ان تقوم المرأة باعادة عيش التجربة بأن تتخيلها بأوضح ما يمكنها ان تفعل، وان تقوم بوصفها بصوت عالٍ على مسامع المعالج النفسي، وبصيغة الزمن المضارع. ويطلب إلى المرأة انْ تكرر وصف سيناريو الاغتصاب عدة مرات خلال الجلسة العلاجية الواحدة. عادة ما تخضع المرأة لعشر جلسات علاجية، وتقوم خلال تلك المدة بسماع تسجيل صوتها وهي تحكي حكاية الاعتداء، كواجب بيتي في منزلها لمرة واحدة في اليوم على الأقل. على المدى القصير، يزيدُ تَخَيُّلُ مشهد الإغتصاب من التوتر، ولكن بعد مدة من الزمن يقل التوتر والخوف بشكل كبير حيث تعتاد المرأة على ذلك. قارنت إحدى الدراسات نتائج استخدام ثلاث تقنيات علاجية مختلفة هي العلاج بالارشاد والدعم، تقنية التعرض طويل الأمد، وتمارين التطعيم الاجهادي، وقد كان عدد الجلسات العلاجية في كل تقنية تسع جلسات، تستغرق كل واحدة ساعة ونصف الساعة، تتلقى الضحايا جلسة كل اسبوعين، وقد وجدت الدراسة ان جميع التقنيات الثلاثة احدثت تحسنا هائلا عند المريضات في حالات الإغتمام الناتج عن التعرض للاغتصاب، القلق العام، اضطراب اغتمام ما بعد التعرض للصدمة، والاكتئاب في ضحايا الاغتصاب من النساء. لكن



فعالية تقنية التعرض طويل الأمد كانت تدوم لفترة اطول في حالة اعراض اغتمام ما بعد الصدمة[25].

وَثَّقَتْ إحدى النساء في دراستنا كيف ساعدتها جلسات تقديم المشورة النفسية على استعادة احساسها بقيمتها:

«عندما دخلتُ الجامعة بعمر السابعة عشرة، ذهبت في موعد مع صديق. قضينا وقتا ممتعا وتناولنا البيتزا وتجولنا في الكلية. ثم اتى معي إلى غرفتي ونمنا على السرير، وهو امر اعتدنا على القيام به، حيث كنا أصدقاء. لكنني استيقظت ليلا على وقع قيامه بتحسس مناطقي التناسلية وعندما حاولت الرفض لم يكترث واجبرني على الجماع. كان أكبر مني حجما بكثير وكنت خائفة من المقاومة بأكثر من الكلام لأني خفت ان يقوم بضربي. وفي الصباح عندما طردته شعرت بالامتهان والعار. ذهبت إلى المستشفى لطلب المساعدة ولكني قضيت الاشهر القليلة التالية في اكتئاب عميق. ثم تلقيت جلسات مشورة نفسية وقد ساعدني ذلك على أن استعيد تقديري لذاتي من جديد وعلى أن اؤمِنَ بانني انسانة رائعة مرة أخرى».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

يُجري مختبر ميستون دراسة امدها 5 سنوات لفحص فعالية علاج بسيط يعتمد على الكتابة، في مساعدة النساء اللاتي تعرضن للانتهاك في عمر مبكر، على التغلب على ما يواجههن حاليا في علاقاتهن وحيواتهن الجنسية. اختبرت جميعُ النِّساء المشاركات في هذه الدراسة التعرضَ لتجارب انتهاك جنسي اليمة في الماضي، الا انهن داخلات في علاقات



جنسية طَوعيِّة حاليا. في هذه الدراسة، تكتب النساء لمدة 30 دقيقة مرة واحدة في الأسبوع، ولمدة ثلاثة اسابيع على الأقل، عن كيفية رؤيتها لنفسها من الناحية الجنسية. ونقوم بِحَثِّهِنَّ على ربط افكارهن بعلاقاتهن وتجاربهن الجنسية الماضية والحالية والمستقبلية، ونحثهن أيضا على الكتابة باقصى ما يمكنهن من التفصيل. وتبدو النتائج مشجعة إلى حد الآن. اذ ظهر على الكثير من النساء اللاتي اكملن فترة العلاج تحسن ملحوظ في قدرتهن على الاستمتاع بالأنشطة الجنسية مع شركائهن الحاليين. والمشجع أكثر ان عددا من النساء قلن إن مشاركتهن في دراستنا هذه قد غيرت حياتهن.

لا نعرف على وجه التحديد كيف يمكن للكتابة عن حدثٍ اليم ان يكون لها تأثير علاجي ايجابي، لكن هناك عدة تفسيرات محتملة. احدها ان الكتابة تساعد الشخص على التنفيس عن مشاعره السلبية والتخلص منها في محيط ملائم وآمن، وهو ما قد لا يتيسر له في ظروف أخرى. اذ تسمح له الكتابة بطرد الانفعالات السلبية في ما يشبه اسهالا نفسيا. وهناك تفسير آخرمفاده ان الكتابة تتيح للشخص ان يعيد ترتيب الذكرى الاليمة نفسيا بطريقة منظمة ومتماسكة. عندما تكتبُ عن حدث ما، فإنك ستكون مُجبَراً بالطبع على أن تضع له بداية ووَسَطَاً ونهاية، وهذا ما لايتيسر في حالة قيامك بمجرد التفكير به فقط. هذا التنظيم يضع ذكرى الاعتداء في سياق الماضي، وربما يساعد هذا على جعلها «تبقى» في الماضي حيث تنتمي، عِوضاً عن انْ تطفو على افكار الشخص باستمرار في حياته اليومية. واخيرا، فمن خلال عملية الكتابة يتعرض الافراد لمشاعر وافكار كريهة. ورغم أن هذا يزيد من التوتر والقلق على المدى القصير، فإن تكرار



التعرض للذكرى الكريهة هذه من خلال تكرار الكتابة عنها يجعل تأثيرها الانفعالي يقل شيئا فشيئا.

دفاعات النساء ضد الاغتصاب

هناك ادلة قوية على أنَّ الاغتصاب ليس ظاهرة حديثة النشوء، بل يمتد تاريخه المقيت بعيدا في الماضي. قامت الأنثروبولوجية بيغي ساندي Peggy Sanday بتقصي 156 مجتمعا قَبَلِيًّا بالاستفادة من قاعدة البيانات المسماة بالعيِّنَة عبر الثقافية القياسية [26]. وقد وجدتْ ان نِسب الاغتصاب تكون عالية بالخصوص في الثقافات ابوية الاقامة patrilocal cultures اي تلك التي يقيم فيها الزوجان مع او بجوار وَالِدَي الرجل الزوج. فيما تؤكد دراسات أخرى انه عندما لا يكون للمرأة اقرباء وراثيين في الجوار القريب، فإن احتمال تعرضها للانتهاك من قبل الزوج يزداد، كما يزداد احتمال تعرضها للاغتصاب[27]. كذلك وجدتْ ساندي نِسباً عالية للاغتصاب في المجتمعات التي تشهد حروبا ونزاعات بين القبائل. في الواقع، فإن من بين الخصائص التي تميز المجتمعات ذات نسب الاغتصاب المرتفعة، كافتقار المرأة للسلطة وانعدام مشاركتها في صنع القرار السياسي، فإن الثقافات التي تتميز بالايديولوجيا الذكورية التي تُحَبِّذ الجلافة والقدرة على القتال، تتميز بمعدلات الاغتصاب الاعلى.

يؤكد السِجِلُّ التاريخي للبشر وجود الاغتصاب في جميع الثقافات وعبر جميع العصور. إذ تكتظ التوراة بالقوانين الخاصة بالاغتصاب وبالتعامل مع المغتصبين. يحتوي قانون آشوريٌّ من الالفية الثانية قبل



الميلاد على الفقرة التالية: «إذا اخذ إقطاعيٌ امرأةً عذراء بالقوة واغتصبها، اما في المدينة.. او في احتفالات المدينة، فإنَّ والد العذراء ياخذ زوجة المعتدي ليتم اغتصابها»[28]. وفي انجيل الملك جيمس، سِفْر العَدَد، 31 (17 ـ 18): «فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال، واقتلوا كل امرأة عرفت ذَكَرَاً بمضاجعته، لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيات.. واثنين وثلاثين الفاً من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر». وفي سِفْر التكوين 34، يغتصب احدُ امراء الحيثيين دينةَ ابنة يعقوب: فقد «راها.. واخذها، واضطجع معها ودنَّسها».

تُظهر المدونات التاريخية كذلك ان الاغتصاب كان شائعا بالخصوص في الحرب[29]. وفي الواقع فإن بعض الأنثروبولوجيين يُنَظِّرون بأن الاستحواذ الجنسي على النساء بالقوة كان السبب الرئيسي لشن الحروب اساسا. حتى ان الغازي المَهيب جنكيز خان (1162 ـ 1227م) يَصِفُ بصراحة الاغتصاب كواحدة من الفوائد التي يجنيها من خلال الحروب: «تتجلَّى السعادة العظمى في انْ تقهر اعداءك، ان تسوقهم امامك، ان تسلبهم ثرواتهم، ان تريهم أحبابهم واقربائهم وهم غارقين بدموعهم، ان تمتطي احصنتهم وان تضطجع على بطون زوجاتهم وبناتهم البيضاوات»[30]. وفي كتابها المُعَنْوَن (رغما عنَّا Against Our Will)، وثَّقت سوزان براون ميلر Susan Brown ـ miller بِإسْهابٍ أنماطاً مماثلة من الاغتصاب ما زالت مستمرة في الحروب الحديثة. ففي الاحتلال الياباني لمدينة نانكينغ في الصين خلال الحرب العالمية الثانية، اغتصب اليابانيون ما يقدر بعشرين الف امرأة وفتاة يافعة. كما أن أعداداً هائلة من النساء اغتصبت خلال الاجتياح الروسي لالمانيا في نفس الحرب عام



1945، حيث «عامَل الجنود السوفييت النساء الالمانيات كغنائم جنسية حصلوا عليها من الحرب»[31]. وحتى إلى عهد قريب جدا، تم اغتصاب حوالي عشرين الف امرأة مسلمة في البوسنة من قبل الصرب خلال الحرب في اواسط تسعينات القرن المنصرم. وفي جلسة سماع هيلاري كلينتون عندما رشحت لمنصب وزيرة الخارجية في يناير 2009، أدْرَجت كلينتون الانتشار الكبير للاغتصاب كجزء من الحرب في الكونغو، على أنها واحدة من المشاكل الملحة التي يتوجَّب على السياسة الخارجية الامريكية التعامل معها عاجلاً.

لقد تم تصوير تاريخ الاغتصاب عند البشر من قبل الفنانين والادباء أيضا. فمثلا في قصة (اغتصاب النساء السابيانيات The rape of the Sabine women) التي كتبها ليفي وبلوتارخ، يحكي الكاتبان اسطورة مفادها ان الرومان دعوا قبيلة السابيانيين إلى احتفال بِنِيَّة الغدر بهم وقتل رجالهم وخطف نساءهم لاتخاذهن كزوجات. انتجت هذه الاسطورة ثروة من الفنون في عصر النهضة، وقد رسم بيكاسو لوحة لها في القرن العشرين.

ان ما أَرَدْنَاهُ من هذا التلخيص الموجز لتاريخ الاغتصاب هو ان نُظهِر للقارئ ان الاغتصاب كان رعباً مقيماً للنساء في جميع الثقافات وعبر تاريخ الجنس البشري. ومع اننا لا نحتاج إلى نظرية علمية لتؤكد لنا فداحة الاضرار التي تلحق بضحايا الاغتصاب من النساء، الا انه من المهم ان نفهم لماذا تختبر النساء مشاعر أَليمة جدا بسبب تجربة الاغتصاب. من منظور تطوري، فإن اضرار الاغتصاب تتضمن اعاقة الاختيار التزاوجي للنساء، احد المكونات او الاركان الرئيسية للاستراتيجية الجنسية للنساء.



اذ تعاني المرأة المغتصبة من خطر الحمل غير الرغوب وفي الوقت غير المرغوب ومن رجل لم تختره. كذلك فقد تتعرض ضحايا الاغتصاب للتوبيخ والعقاب، مما ينتج عنه بالتالي دمار سمعتهن الاجتماعية وانحسار مرغوبيتهن مستقبلا في سوق الاقتران. وإذا كان للمرأة المغتصبة حبيب او زوج فإنه قد يهجرها. واخيرا، تعاني النساء المغتصبات عادةً من الشعور بالمَهانة، القلق، الخوف، الغضب، والاكتئاب كما راينا في الشهادات المؤلمة للنساء اللاتي شملتهن دراساتنا.

وبالاخذ بالحسبان هذه الاضرار الفادحة التي يُلحقها الاغتصاب بالنساء، فإنه سيكون مناقضا للمنطق ان لا تكون النساء قد طورت دفاعات مصممة للوقاية منه ولتصليح الاضرار الناجمة عنه في حالة حدوثه[32]. وقد كان لِلنساء العاملات في حقول الأنثروبولوجيا التطورية وعلم النفس التطوري القِدْح المعلَّى في استقصاء هذه الدفاعات التي تمتلكها النساء ضد الاغتصاب ومنها:

- تكوين تحالفات مع الذكور كأصدقاء خاصين من أجل الحماية (عالمة الأنثروبولوجيا باربارا سمتز Barbara Smuts).
- اختيار القرين وفقا لصفات معينة في الرجل كالحجم الجسدي والهيمنة الاجتماعية بحيث يرتدع بقية الرجال عن محاولة الاعتداء الجنسي (عالمتا النفس ماغرو ويلسن وسارة ميسنيك Margo Wilson and Sarah Mesnick).
- إنشاء تحالفات أنثى ـ أنثى للتعاون في الحماية (باربارا سمتز).
- تطوير مخاوف متخصصة تدفع النساء لتجنب المواقف التي يكون خطر تعرضهن للاغتصاب فيها عاليا (عالما النفس تارا تشافاني



وغوردن غالوب Tara Chavanne and Gordon Gallup).

- تَجَنُّب الأنشطة التي تحمل مجازفة في وقت الاباضة, لتقليل فرصة حدوث الاعتداء في الوقت الذي يكون فيه احتمال حمل المرأة اعلى ما يكون (تارا تشافاني وغوردون غالوب).

- الالم النفسي الناتج عن الاغتصاب, والذي يدفع النساء لمحاولة تجنب الاغتصاب في المستقبل (الأنثروبولوجية نانسي ثورنهيل والبيولوجي راندي ثورنهيل Nancy Thornhill and Randy Thornhill).

تتناثر بعض الادلة هنا وهناك على فعالية هذه الدفاعات، على أننا نرى ان دفاعات النساء ضد الاغتصاب قد أُهمِلت كثيرا من جانب المجتمع العلمي، وانها كموضوع بحثي، تستحق مزيدا من التمويل.

ومن جانبنا فإننا نطرح ثلاثة من الدفاعات النسائية ضد الاغتصاب بالاضافة إلى تلك التي سبق ذكرها. الأول هو المحافظة على القرب المكاني من الاقارب. ففي الظروف التي عاشها اسلافنا، كانت النساء تترعرع في محيط من مجموعات صغيرة، محاطة بالاقارب الوراثيين - الاب، الاخوة، الاجداد، الاخوال والاعمام، الام، الجدات، الخالات والعمات والاخوات - وكان هؤلاء الاقارب يردعون المغتصبين او يكبدونهم ثمنا فادحا. اما في ظروف الحياة المعاصرة، فإن النساء يغادرن دائرة الحماية هذه اما للدراسة في الجامعات او للحصول على وظائف في المدن الكبيرة، مما يجعلهن أكثر عرضة للمغتصبين المحتملين. نحن لا نريد هنا ابدا ان نثني النساء عن متابعة تعليمهن في الجامعات او الحصول على وظائف في المدن الكبيرة بالطبع. بل ارَدنا ان نشير إلى انَّ واحداً من الدفاعات الرئيسية التي من المؤكد تقريبا انها قد حَمَت النساء السالفات



من الاغتصاب، لم يعد متاحا للكثير من النساء في وقتنا الحاضر. وعليه فمن الأفضل للنساء اللاتي يفتقرن إلى وجود اقارب في الجوار ان يلجأن إلى تفعيل دفاعات أخرى لحمايتهن من الاغتصاب، كَتَكْوِينِ تحالفات أنثى ـ أنثى، او «أصدقاء خاصين» من الرجال ممن يمكنهم توفير الحماية وردع المغتصبين المحتملين.

من منظور تطوري، فإن احد الدفاعات المحتملة الأخرى هو خَيالات الاغتصاب التي تختبرها النساء ـ اي الخيالات التي تتضمن العناصر الثلاثة: القوة (او التهديد باستخدامها)، الجنس، والاكراه[33]. انَّ أعدادا هائلة من النساء ـ حوالي31 ـ 57 % ـ قد سبق لهن ان اختبرن خيالات الاغتصاب في وقت ما من حياتهن. ومن شبه المؤكد ان هذه الارقام أقل من الحقيقية، ذلك لأن خيالات الاغتصاب تعد غير مقبولة اجتماعيا، لذا فإنه من المخجل الاعتراف بها بالنسبة للنساء حتى في حالة الاستبيانات التي تبدو وكانها تحافظ على مجهولية المشارِكات.

كيف كان من الممكن لخيالات الاغتصاب ان تعمل كدفاعات ضده؟ لقد تبين ان خيالات الاغتصاب عند النساء تاتي بنوعين رئيسيين على الأقل. الأول هو خيالات الاغتصاب الشهوانية. وهذا النوع مختلف تماما عن الصورة التي تتبادر إلى اذهان الناس عند التفكير بالاغتصاب. في خيالات الاغتصاب الشهوانية، يكون الذَكَر المُتَخَيَّل عادة جذّابا، مسيطرا، ومتوقدا بالرغبة الجنسية تجاه المرأة. ورغم أنها تُظهر عدم الرضى في السيناريو المتخيل، فإنها عادة ما تتخيل قيامها بقدرٍ ضئيل من المقاومة فقط. ببساطة، فإن الرجل المسيطر والجذاب «ياخذها» جنسيا. رغم أن النساء اللاتي يتخيلن هذه الخيالات يختبرن خوفا منخفضا إلى متوسط



الشدة، فإن هذه الخيالات لا تحتوي عادة على عنف حقيقي. تثير هذه الاشكال من الخيالات الجنسية، والتي هي كما سبق ان رأينا موجودة في الكثير من الروايات الرومانسية، تثير النساء من طريقين احدهما التوتر، وهو ما سنناقشه من الناحية الصحية في الفصل القادم، والثاني هو مثالية القرين المتخيَّل.

اما خيالات الاغتصاب المُنَفِّرَة، النوع الثاني، فإن لها طبيعة ووظيفة مختلفتان كليا. فعلى العكس من خيالات الاغتصاب الشهوانية، عادة ما يكون الرجل المغتصب في خيالات الاغتصاب المنفرة غريبا وليس معروفا للمرأة، أكبر منها عمراً لا اصغر، وغير جذاب بالمرَّة. تتضمن هذه الخيالات قَدْرا معتبرا من الاكراه والتعنيف المؤذي. وكمثال عليه، يقوم الرجل بِمَسك المرأة وطرحها ارضا، ثم يمزق ملابسها بينما تقاوم هي بشدة لمنعه[34]. تميل النساء اللاتي يختبرن خيالات الاغتصاب المنفرة إلى أن يكنَّ أكثر خوفا من الاغتصاب الفعلي، مقارنة بالنساء اللاتي لا تراودهن هذه الخيالات، كما أن بعضهن - أي بعض النسوة اللاتي يراودهن هذا النوعه من الخيالات - قد سبق لهن انْ تعرضن للاعتداء الجنسي في طفولتهن. ورغم أن هذا لا يعدو ان يكون افتراضا، فإن من الممكن ان تكون خيالات الاغتصاب المنفرة هذه تعمل كدفاع ضد الاغتصاب من حيث إنها تخلق عند النساء مخاوف تدفعهن ليكنَّ أكثر حذراً.

وسواء ثبتت صحة هذا التخمين أم لا، فإنه يجب ان يكون واضحا جدا انه ما من دليل اطلاقا على أن النساء يرغبن بأن يتم اغتصابهن واقعيا، وفي المقابل هناك جَبَل من الادلة على أنهن لا يرغبن بذلك ابدا. تجد



النساءُ الاغتصاب الواقعي ـ كَضِدٍّ على الاغتصاب في الخيالات ـ مَقيتا ومدمِّراً، ويساوي في البشاعة تقريبا أكبر جرم يمكن أن يرتكب بحقهن، اي القتل[35]. ان بعض الاشخاص أيضا تراودهم خيالات واحلام مخيفة تتضمن سقوطهم من مكان شاهق، لكن هذا لا يعني أنهم يتمنون ان يسقطوا واقعيا من اماكن مرتفعة ويموتوا، بل العكس تماما. وبالمثل، فإن كون بعض النساء تراودهن خيالات الاغتصاب، لا يعني بأنهن يتمنين ان يتم اغتصابهن واقعيا. حيث إن هذه الخيالات المُنَفِّرَة قد تساعد على حمايتهن من خلال دفعهن ليكن أكثر حذرا، كما يتجلى في هذا المثال من الدراسات التي اجراها مختبر ميستون:

«اعتقدتُ انه قد اراد اغتصابي. كنا انا وصديقتي نمشي ذاهبتين إلى السينما في منطقة سيئة من البلدة في وقت متأخر ليلا، وقد بدأ الرَجُل يتبعنا دون سبب جلي.. وعندما بدأ بالركض، اعتقدتُ انه قد عزم على الامر. اعتقدتُ انه سياخذني مع صديقتي تحت تهديد سلاح ما بحوزته إلى مكان منعزل)كانت في الجوار الكثير من الامكنة التي تصلح لهذا الغرض(، ثم يغتصبنا ويقتلنا بسلاحه. ربما كنا نتخيل فقط. لكننا كنا خائفتين فاتجهنا عدْواً إلى مبنى السينما. كنا نعرف اننا إذا ركضنا فسننجح في الوصول إلى مكان مُضاءٍ جيداً قَبْلَ ان يلحق بنا. لا أعرف حقا ما إذا كان الرجل قد انتوى اغتصابنا في تلك الليلة، لكننا لم نكن لنراهن على الحظ في وقتها»[36].

واخيرا، ربما يكون من الدفاعات التي تمتلكها النساء ضد الاغتصاب، تطويرهن لخوف متخصص من الاغتصاب من قبل الغرباء[37]. ان الكثير من حالات الاغتصاب في التاريخ البشري قد



حدثت في ظروف الحرب، والتي قام فيها المنتصرون باجبار نساء المهزومين على الجنس. على الأقل فإن بعض استراتيجيات الوقاية من الاغتصاب عند النساء مصمَّمة اساسا لجعلهن حذرات جنسيا من الذكور الغرباء، رغم حقيقة ان الكثير من حالات الاغتصاب في عصرنا يرتكبها احد معارف المرأة او حتى شريكها.

من الممكن ان يكون خوف النساء من اغتصاب الغرباء لهن لايزال فَعَّالا سيكولوجياً في عصرنا الحاضر، مما يقلل من نسب الاغتصاب من قبل الغرباء، عما يمكن أن تكون عليه لو لم تمتلك النساء هذا الدفاع النفسي. ان فَهْمَاً أعمق لما تمتلكه النساء من سيكولوجية مضادة للاغتصاب وكيفية تأديتها لوظيفتها في وقتنا الحاضر قد يساعد على تقليل معدلات حصول هذه الجريمة البشعة. كما أن هناك حاجة ملحة إلى القيام بدراسات تاخذ على عاتقها تقصي الاستراتيجيات المضادة للاغتصاب ومعرفة الفعالة وغير الفعالة منها في مجتمعاتنا المعاصرة. ان دراسات الفعالية الاستراتيجية هذه، يجب ان لا تضع اللوم على ضحايا جرائم الاغتصاب اطلاقا. بل يجب ان تكون مصممة لتزود النساء واقاربهن باحدث المعارف العلمية في مجال الدفاع عن النفس. تعمل السيكولوجية الجنسية القديمة للنساء في عالمٍ حديثٍ اليوم، ولذا فإنها نوعاً ما، غير فعالة في التعامل مع تهديدات هذا العالم الجديد ـ وهو الامر الذي لا ينطبق على موضوع فصلنا التالي والاخير: كيف تفيد الخواص العلاجية للجنس النساء في عصرنا الحاضر.



هوامش المؤلفين على الفصل العاشر

1 _ Parker, G. A. (1979). «Sexual Selection and Sexual Conflict،» in M. S. Blum and A. N. Blum (eds.), Sexual Selection and Reproductive Competition among Insects (London: Academic Press), 123 _ 66؛ Parker, G. A. (2006). «Sexual Selection over Mating and Fertilization: An Overview،» Philosophical Transactions of the Royal Society B, 361:235 _ 59؛ Buss, D. M. (2001). «Cognitive Biases and Emotional Wisdom in the Evolution of Conflict between the Sexes،» Current Directions in Psychological Sciences 10:219 _ 53.

2 _ Buss, D. M. (2003). The Evolution of Desire: Strategies of Human Mating (New York: Basic Books).

3 _ Madden, M., and Lenhart, A. (2006). «Online Dating: Americans Who Are Seeking Romance Use the Internet to Help Them in Their Search, but There Is Still Widespread Public Concern about the Safety of Online Dating،» Pew Internet & American Life Project, www.pewinternet.org/pdfs/PIP_Online_Dating.pdf.

4 _ Toma, C. L. Hancock, J. T., and Ellison, N. B. (2008). «Separating Fact from Fiction: An Examination of Deceptive Self _ Presentation in Online Dating Profiles،» Personality and Social Psychology Bulletin 34(8):1023 _ 36.



5 _ Gibbs, J. L., Ellison, N. B., and Heino, R. D. (2006). «Self _ Presentation in Online Personals: The Role of Anticipated Future Interaction, Self _ Disclosure, and Perceived Success in Internet Dating،» Communication Research 33:1 _ 26؛ Madden, M., and Lenhart, A. (2006). «Online Dating».

6 _ Buss, D. M. (2006). «The Evolution of Love،» in R. J. Sternberg and K. Weis (eds.), The New Psychology of Love (New Haven, Conn.: Yale University Press), 65 _ 86.

7 _ Cassell, C. (1984). Swept Away: Why Women Confuse Love and Sex (New York: Simon & Schuster), 155.

8 _ Haselton, M., Buss, D. M., Oubaid, V., and Angleitner, A. (2005). «Sex, Lies, and Strategic Interference: The Psychology of Deception between the Sexes،» Personality and Social Psychology Bulletin 31:3 _ 23.

9 _ Buss, D. M., and Haselton, M. G. (2005). «The Evolution of Jealousy،» Trends in Cognitive Science 9:506 _ 7.

10 ـ انظر الرابط:

www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/200530/06//AR2005063001734.html.

11 _ Haselton, M. G., and Buss, D. M. (2000). «Error



Management Theory: A New Perspective on Biases in Cross – sex Mind Reading, Journal of Personality and Social Psychology 78:81 – 91.

12 – Tjaden, P., and Thoennes, N. (2000). Full Report of the Prevalence, Incidence, and Consequences of Violence Against Women: Findings from the National Violence Against Women Survey (Washington, D. C.: National Institute of Justice and Centers for Disease Control and Prevention).

13 – Buzy, W. M., McDonald, R., et al. (2004). «Adolescent Girls' Alcohol Use as a Risk Factor for Relationship Violence،» Journal of Research on Adolescence 14:449 – 70.

14 – Craig, M. E. (1990). «Coercive Sexuality in Dating Relationships: A Situational Model،» Clinical Psychology Review 10:395 – 423.

15 – Davis, T. C., Peck, G. Q., and Storment, J. M. (1993). «Acquaintance Rape and the High School Student،» Journal of Adolescent Health 14:220 – 23.

16 – Koss, M. P. (1985). «The Hidden Rape Victim: Personality, Attitudinal, and Situational Characteristics،» Psychology of Women Quarterly 1:193 – 212.

17 – Faravelli, G., et al. (2004). «Psychopathology after Rape،» American Journal of Psychiatry 161:1483 – 85.



18 _ Russell , D. E. H. (1975) . The Politics of Rape: The Victim's Perspective (New York: Stein and Day) .

19 _ Messman _ Moore , T. L. , and Brown , A. L. (2004) . «Child Maltreatment and Perceived Family Environment as Risk Factors for Adult Rape: Is Child Sexual Abuse the Most Salient Experience?» Child Abuse and Neglect 28:1019 _ 34.

20 _ Bruggen , L. K. , Runtz , M. G. , and Kadlec , H. (2006) . «Sexual Revictimization: The Role of Sexual Self _ esteem and Dysfunctional Sexual Behaviors،» Child Maltreatment 11:131 _ 45.

21 _ Lloyd , S. A. , and Emery , B. C. (1999) . The Darkside of Dating: Physical and Sexual Violence (Thousand Oaks , Calif.: Sage Publications) .

22 _ Finkelhor , D. , and Yllo , K. (1985) . License to Rape: Sexual Abuse of Wives (New York: Holt , Rinehart & Winston) .

23 _ Monson , C. M. , Byrd , G. , and Langhinrichsen _ Rohling , J. (1996) . «To Have and To Hold: Perceptions of Marital Rape،» Journal of Interpersonal Violence 11:410 _ 24.

24 ـ انظر الرابط:

http://www.nydailynews.com/news/us_



world/200917-04-2009/17/04/_afghanistan_president_hamid_karzai_backpedals_on_afghan_marital_rape_law.html

25 _ Foa, E. B., Rothbaum, B. O., Riggs, D. S., and Murdock, T. B. (1991). «Treatment of Posttraumatic Stress Disorder in Rape Victims: A Comparison between Cognitive _ behavioral Procedures and Counseling،» Journal of Consulting and Clinical Psychology 59:715 _ 23.

26 _ Sanday, P. (1981). «The Sociocultural Context of Rape: A Cross _ cultural Study،» Journal of Social Issues 37:5 _ 27.

27 _ Figueredo, A. J. (1995). Preliminary Report: Family Deterrence of Domestic Violence in Spain, Department of Psychology, University of Arizona.

28 _ Quoted in Scholz, S. (2005). « 'Back Then It Was Legal': The Epistemological Imbalance in Readings of Biblical and Ancient Near Eastern Rape Legislation،» Bible and Critical Theory 1 (22):36.

29 _ Symons, D. (1979). The Evolution of Human Sexuality (New York: Oxford University Press)؛ Chagnon, N. A. (1983). Yanomamö: The Fierce People (New York: Holt, Rinehart and Winston)؛ Ghiglieri, M. P. (1999). The Dark Side of Man: Tracing the Origins of Male Violence (Reading, Mass.: Perseus Books).



30 _ Quoted in Royle, T. (1989). Dictionary of Military Quotations (New York: Simon & Schuster).

31 _ Beevor, A. (2002). Berlin: The Downfall, 1945 (New York: Viking Press), 326 _ 27.

32 _ Buss, D. M. (2003). «Sexual Treachery،» Australian Journal of Psychology 55:36.

33 _ Critelli, J. W., and Bivona, J. M. (2008). «Women's Erotic Rape Fantasies: An Evaluation of Theory and Research،» Journal of Sex Research 45:57 _ 70.

34 _ Kanin, E. J. (1982). «Female Rape Fantasies: A Victimization Study،» Victimology 7:114 _ 21., 117.

35 _ Buss, D. M. (1989). «Conflict Between the Sexes: Strategic Interference and the Evocation of Anger and Upset،» Journal of Personality and Social Psychology 56:735 _ 47.

36 _ Duntley, J. D., and Buss, D. M., unpublished data.

37 _ Buss, D. M. (2005). The Murderer Next Door: Why the Mind Is Designed to Kill (New York: Penguin Press).




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الحادي عشر:

الطِبّ الجنسي
الفوائد الصحية لحياةٍ جنسيةٍ

«إذا صادف الحيض مع كسوف الشمس او خسوف القمر، فإنَّ الشرور التي ستنتج عن ذلك جَمَّة..ومجامعة المرأة في ظرف كهذا ستجلب للرجل الموت والدمار».

بليني الأكبر (32 ـ 79) م

ناقشنا حتى الآن بعضاً من الأسباب المعروفة جيدا لإقدام النساء على ممارسة الجنس: لمنح الحب او تَلَقِّيه، للشعور بالارتباط العاطفي، وللاستمتاع بالجاذبية الجنسية واحاسيس الاثارة الجنسية والنشوة. وقد تقصينا الاستراتيجيات التي تتبعها النساء لممارسة الجنس لتحقيق هدف معين ـ كالحصول على الموارد، الثأر، او الحصول على قرين او استبقاءه. كما حلَّلنا لماذا تمارس بعض النساء الجنس بدافع الشعور بالإلزام او الواجب او بسبب خداعهن عاطفيا او اجبارهن بالقوة. وتقصينا كيف ان بعض النساء يمارسنه لتعزيز تقديرهن لذواتهن وثقتهن بأنفسهنَّ، او لاكتساب الخبرة، او للتخلص من العذرية، او لارضاء الفضول المزعج.



انما توجد أيضا تشكيلة من الأسباب النفعية لممارسة الجنس، والتي تتمحور حول الصحة النفسية والجنسية للمرأة، وغالبا ما تكون لها أَوجه فائدة متعددة.

أفضل من الايبوبروفين

لابد ان كل شخص قد سمع (او ربما استخدم، في ظرف ما) العبارة الخالدة «ليس الليلة يا عزيزي، اشعر بصداع في رأسي». ان هذا صحيح بالفعل، وليس مجرد عذر شائع،يمكن للجنس أن يفاقم الصداع، او يسببه حتى. اذ عادةً ما تتصلب عضلات الرأس والرقبة في أثناء الجنس، كما أن ضغط الدم يرتفع في أثناء النشوة الجنسية، مما يُوَسِّع الاوعية الدموية في الدماغ في ما يعرف طبيا بصداع الجنس coital cephalgia.

ومع ذلك فقد اكتشفنا في دراستنا ان بعض النساء يمارسن الجنس بهدف التخلص من الصداع:

«اعاني من الصداع النصفي، ورغم أن نوبات الصداع قليلة ومتباعدة ومعتدلة عموما، فقد وجدت انني عندما أمارس الجنس في أثناء نوبة الصداع، فإنه يختفي بسرعة، خصوصا إذا وصلت إلى نشوة جنسية قوية».

امرأة غيرية الجنس، العمر42

قالت إحدى النساء ان الطبيب وصف لها الجنس كعلاج للشقيقة:

«وصف لي اخِصَّائيُّ الاعصاب الوصولَ للنشوة الجنسية كعلاج للتخلص من الم الشقيقة. وقد جربتُ ذلك ونجح أحيانا بالفعل. فبعد ان اتناول علاج الشقيقة، تَخِفُّ حِدَّة الالم وأدْخُلُ في حالة اسميها «مرحلة



ضاجعني». حيث يبقى مقدار يسير من الالم في مؤخرة رأسي لا يلبث ان يختفي بممارسة الجنس والوصول إلى النشوة. كنت افعل هذا مع شريكي، لكنني استخدم الالعاب الجنسية أحيانا كالهزازvibrator، حيث إن استخدامه للوصول إلى النشوة يساعد على عدم تكرار النوبات».

امرأة غيرية الجنس، العمر43

وحتى قديما في القرن السابع عشر، لا حظ «ابو» علم الاعصاب توماس والاس Thomas Willis زيادة في الرغبة الجنسية عند مريضته السيدة كاثرين عندما كان يصيبها الصداع.

كيف يمكن للجنس ان يعمل كمسبب وكعلاج للصداع معا؟ تحدث خلال النشاط الجنسي تفاعلات علاجية: عندما يفرز الجسمُ دفقات الاوكسيتوسين، تسبب المستويات العالية من هذا الهرمون اطلاقَ الأندورفينات، وهي مواد كيميائية دماغية تشبه المورفين كثيرا. يربط الكثير من الناس بين الأندورفينات و«نشوة العَدْو او الرَكْض»، او بينها وبين انشطة دماغية أخرى تسبب شعورا بالسعادة والتي تحدث عادة بعد بذل جهد رياضي كبير. تعمل الأندورفينات بالفعل كمهدئات قوية للالم. يفرز جسم المرأة مقادير ضئيلة من الأندورفينات خلال اليوم. ولولا هذه الأندورفينات، لكانت حتى الالام العادية البسيطة التي نختبرها يوميا لا تطاق)يعتاد مدمنو المورفين والهيرويين على تلقي مهدئات الم صناعية، بحيث تكف اجسامهم بعد مدة عن افراز مهدئات الالم الدماغية الحقيقية، فإذا مُنِع عنهم المخدر، لن تكون اجسامهم حاوية الا على مقادير قليلة من مهدئات الالم، او سَتَخْلو منها تماما، طبيعية او صناعية).



ان إطلاق الأندورفينات في أثناء الجنس يمكن أن يخفف الصداع ـ وبشكل فعال جدا بالنسبة لبعض النساء وفقا لدراسة اجراها مستشفى الصداع في جامعة ايلينوي الجنوبية على 58 امرأة[1].اذ افادت نصف هؤلاء النسوة تقريبا انهن اختبرن على الأقل انخفاضا في حدة الم الشقيقة عند الوصول للنشوة الجنسية. فيما قالت ثلاث نساء فقط ان صداعهن النصفي تفاقم عند الوصول للنشوة. ومع هذا فإن النشوة تخفف الالم خلال دقائق، كما أنها مجانية! ولنقارن هذا بالعلاجات الطبية للشقيقة مثل التربتان triptan. فعندما يتم حَقن التربتان، والحَقْنُ هو الطريقة الاسرع لإحداث التأثير المطلوب للعَقار، فإن الامر يتطلب 15 دقيقة على الأقل لتخفيف الالم كما افادت غالبية النساء، فيما يصل الوقت إلى ساعة كاملة عند اخريات قبل ان يخف الالم، كما أن سعر الجرعة الواحدة يصل إلى 70 دولارا تقريبا (اثبت العلاج فعاليته في 80% من المرضى).

يعتقد بعض الباحثين في امراض الصداع ان هناك «مُوَلِّدا للصداع» في منطقة معينة من الدماغ وان النشوة الجنسية تقوم بشكل ما بـ«اطفاء» هذا المولد. وهذا قد يفسر لماذا يزول الالم لمدة اطول بعد النشوة الجنسية، مقارنة بمدة اقصر إذا كان زوال الالم سببه اطلاق الأندورفينات فقط[2]. وجدتْ الباحثة من جامعة روتجرز بيفرلي ويبل Beverly Whipple ان تحفيز بقعة جي الكائنة في جدار مدخل المهبل قد رَفَعَ عَتَبَة الألم بمقدار كبير يصل إلى 40%. وتكون النساء خلال النشوة الجنسية، قادرات على تحمل ألمٍ يزيد بمقدار 75% عما يمكنهن تحمله في الحالات العادية[3].

إذن فإنه ليس من المفاجيء ان يكون النشاط الجنسي مخفِّفاً لالام



الصداع، وكذلك مخففا ولو وقتيا لجميع انواع الالام الأخرى من التهاب المفاصل إلى الام خلع الرقبة وضمور العضلات والام الظهر:

«كان ذلك منذ عشر سنوات، أُصِبْتُ في ظهري ولم اكن استطيع التحرك اطلاقا. كنت استخدم مسكنات الم قوية جدا. ثم قرأت دراسة تقول ان النشوة الجنسية تطلق مواد كيميائية شديدة الفعالية في الدماغ تعمل على تخفيف الالم. وقلت لنفسي: لِمَ لا؟ وعرض علي زوجي ان نتحقق من مصداقية الدراسة بأنفسنا. لم اكن استطيع التحرك لذا قام هو بالعمل. كان كل ما فعلته هو الاستلقاء. وقد نجح الامر! انا لا امزح. عملت النشوة الجنسية عمل المهديء تيلينويل ـ 3».

امرأة لم تصرح بعمرها ولا ميلها الجنسي

الجنس في أثناء الحيض

يمكن للجنس أيضا ان يخفف الام التشنجات الحيضية. ففي الفترة التي تسبق الوصول لسن اليأس عند بعض النساء، تفرز بطانة الرحم كل شهر مجموعة من الهرمونات تدعى بالبروستاغلاندينات. تطلقُ هذه الهرموناتُ تقلصاتٍ عضلية تدفع الانسجة والدم خارج الرحم، لكن هذه التقلصات تسبب أيضا التشنجات الحيضية المعروفة. وقد تبين ان للنشاط الجنسي تأثيرا كبيرا على ما تحدثه البروستاغلاندينات في الجسم، وهذا يفسر لماذا قالت بعض النساء في دراستنا انهن يمارسن الجنس أحيانا لتخفيف التشنجات الحيضية:

«اللذة الجسدية للجنس واحدة من أفضل مخففات التشنجات الحيضية بالنسبة لي. كثيرا ما مارست الجنس لهذا الهدف».

امرأة غيرية الجنس، العمر 47



يتقلص رحم المرأة خلال النشوة الجنسية، وخلال هذه العملية يتم استنفاد البروستاغلاندينات الفائضة عن الحاجة والمسببة للتشنجات (والتي يسميها البعض بالبروستاغلاندينات الشريرة)، وهذا هو ما يخفف التشنجات الحيضية. كما أن هناك فائدة أخرى لممارسة الجنس خلال فترة الحيض، فقد يساعد هذا على تقصير مدة الحيض. اذ افادت بعض النساء ان الحيض انقطع فجأة خلال يوم واحد من ممارسة الجماع. حتى انهن قد تسائلن ما إذا كان الجماع يعمل على «تكديس جميع محتويات الرحم في الداخل إلى الحيض القادم». ولكن على عكس ما يتصورن، فإن زيادة عدد التقلصات الرحمية خلال النشوة الجنسية يساعد على طرد محتويات الرحم الحيضية بشكل اسرع ـ مما يجعل الحيض يتم بشكل أفضل. في اواسط ستينات القرن المنصرم، قام الباحثان الجنسيان ويليام ماسترز وفرجينيا جونسون بمراقبة النساء في حالة النشوة الجنسية بشكل مباشر في المختبر، لتسجيل التغيرات الفسيولوجية التي تحدث. وباستخدام منظار طبي، استطاعا ان يرصدا كيف ان الضغط الجنسي يسبب اطلاق السوائل الحيضية خارج عنق الرحم خلال المرحلة الاخيرة من النشوة الجنسية[4].

تقلل ممارسة الجنس كذلك من فرصة حدوث الإِنْتِبَاذ الرَحِمِي، وهو مرض نسائي شائع يتميز بنمو الانسجة الرحمية خارج الرحم في مناطق كَأُنْبُوبَي فَالوب او المبيضين. وقد يسبب نمو الانسجة غير الطبيعي آلآماً في أثناء ممارسة الجنس، او الاما في الحوض، او العقم أحيانا. فقد وجد الباحثون في مدرسة الطب بجامعة يال، ان النساء اللاتي يمارسن الجنس او الاستمناء بانتظام خلال فترة الحيض، أقل تعرضا بنسبة مرة ونصف



للاصابة بالانتباذ الرحمي مقارنة بالنساء اللاتي يمتنعن عن الجنس خلال الحيض (من المدهش ان استخدام السدادة القطنية يقلل أيضا من فرصة الاصابة بالانتباذ الرحمي) [5].

بمعنىً ما، فإن الجنس يمثل عامل نظافة يعتني بالمهبل. يحتوي دم الحيض على شظايا صغيرة من بطانة الرحم، ويمكن لهذه الشظايا ان تعود ناكِصَةً إلى داخل منطقة الحوض. وتعرف هذه الظاهرة بـ«الطمث الراجع»، وهي ترفع من احتمال اصابة المرأة بالانتباذ الرحمي، لذا فإن ممارسة الجنس في فترة الحيض تقلل من فرصة حدوث ذلك لأنها تحفز تنظيف الرحم من بقايا الأنسجة التالفة. كما أن النشوة الجنسية، سواء كانت من طريق الجماع او الاستمناء، يمكن أن تساعد على تقليل احتمال الاصابة بالانتباذ الرحمي حيث إن التقلصات في أثناء النشوة تدفع بقايا الأنسجة خارج الرحم. وعلى نفس الصعيد، وجد الباحثون في نفس المدرسة الطبية في جامعة يال، ان النساء اللاتي يستخدمن الفُوَطَ في أثناء الحيض، أكثر احتمالية بمقدار مرتين، للاصابة بالأنتباذ الرحمي مقارنة بالنساء اللاتي يستخدمن السدادات القطنية فقط. وهذا يرجح ان السدادات القطنية تزيل السوائل وبقايا الأنسجة الرحمية بكفاءة أكبر من الفوط. اما بالنسبة للغسل الداخلي للمهبل douching، سواء كان في أثناء الحيض ام لا، فلم يثبت أي ارتباط بينه وبين الاصابة بالانتباذ الرحمي.

إذن، فالجنس في فترة الحيض، يخفف التشنجات، ويُقَصِّر مدة الحيض، ويقلل احتمال الاصابة بالانتباذ. ويتضح إذن ان الادلة العلمية لم تكن متوفرة حينما كتب بليني الأكبر قائمته الخاصة بالاخطار الناجمة عن ممارسة الجنس في فترة الحيض. وبحسب بليني، فإن ملامسة دم الحيض



تفسد النبيذ، تهلك الزرع، تُذهِب حِدَّة النِصال، تمحق لمعة العاج، وتسبب الجنون للكلاب، بل حتى ان النمل يتقزز من حبوب الذرة الملوثة بدم الحيض[6].

التأثير المهديء

«يعالج الجنس التوتر، ولنكن صريحين هنا، فالرجال لا يهمهم السبب الذي نمارس معهم الجنس من أجله، فهم مستعدين لتقديم المساعدة دوما على هذا الصعيد».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 22

لا بد ان الجميع يعرف كيف للغضب او التوتر ان يغير من نظرتنا لمختلف الامور. يمكن للافكار السلبية ان تحتل او حتى تستولي بالكامل على اذهاننا وتمنعنا من ملاحظة الاشياء السارة في حياتنا. وكما راينا، يمكن للافكار السلبية أحيانا ان تطفو في أثناء الجنس وتشتتنا لِتَمْنَعَنَا بالتالي عن التركيز على المثيرات الجنسية كالاحاسيس اللذيذة لملامسة الشريك او عواطفنا الايجابية تجاهه. يسمي ماسترز وجونسون هذا بـ«التَفَرُّج»، حيث إن الفرد بدلا من ان ينغمس كليا في الفعل الجنسي، يصبح وكإنَّهُ» شخص ثالث» منفصل نفسيا عن التجربة[7]. بالطبع، إذا كنت تفكر بسفالة تصرفات مديرك في العمل معك، او ترتب قائمة بالاثنين والاربعين شيئا التي ينبغي عليك فعلها غدا بدلاً من ان تركز على المثيرات الجنسية، فإن هذا لن يؤدي بك للوصول للاستثارة الجنسية والنشوة قطعاً. ان هذا النوع من الضغوطات هو ما يمنع النساء أحيانا من الاستمتاع بالجنس او حتى عدم الرغبة به.



لكن هناك أيضا مجموعة كبيرة من التغيرات الجسدية التي تحدث في الجسم في حالة الضغط والتوتر، تؤدي إلى زيادة رغبة النساء بممارسة الأنشطة الجنسية. عندما يكون الشخص متوترا، ينشط جزء من الجهاز العصبي، يدعى بالجهاز العصبي الوِدِّي او السمبثاوي. يزيد نشاطُ هذا الجهاز من معدل ضربات القلب وضغط الدم، ويحفز افراز مزيد من العرق للتخلص من الماء الزائد في الجسم، ويرخي عضلات المثانة (وهذا ما يسبب لبعض الناس والحيوانات أيضا التبول اللا ارادي في حالة الخوف)، وهو مسؤول أيضا عن تقليل نشاط الجهاز الهضمي، كما يُحَرِّضُ الكبِدَ على افراز الغلوكوز لتوفير الطاقة. ويحفز تنشيطُ الجهاز العصبي الودي افرازَ الادرينالين، وهو مركب كيميائي دماغي يشبه في تركيبه الجزيئي مُنَبِّه الامفيتامين. تعمل كل هذه التغيرات على تهيئة الجسم للقيام برد الفعل المناسب والسريع في المواقف المهددة والخطرة، مُحْدِثاً التأثير المعروف بـ «اضرب او اهرب fight or flight».

ان الجهاز الودي هذا مُعَدٌّ ليتم تنشيطه فقط في الحالات والمواقف الحاسمة ـ إلى أن يتم التعامل مع التهديد اما بالمواجهة او بالهروب. اما إذا استمر الجهاز نَشِطا لسبب ما، كعدم قيامنا بالتخلص من الضغط او التهديد بشكل كامل، عندها نصبح مشوشين نفسيا وشاعرين بعدم الارتياح جسديا إلى درجة كبيرة.

لا يختلف اثنان على أنه لا يمكنك ان تسترخي وتركز على عملك إذا كنت ترتجف وتتعرق بشدة وقلبك ينبض بسرعة 110 نبضة في الدقيقة. ان تنشيط الجهاز الودي لفترة طويلة، قد يسبب مختلف امراض القلب والاوعية الدموية، واضطرابات الجاهز المناعي والعصبي. يتعاطى



الكثير من الناس الذين يعانون من فرط استثارة الجهاز العصبي عقاقير مثل حاصِرات بيتا beta ـ blockers او عقاقير أخرى مضادة للتوتر، مثل كلونازابام أو زاناكس، للتخلص من الاعراض. وفي دراستنا، افادت بعض النساء ان الجنس يمكن أن يكون له نفس التأثير:

«أحيانا تكون الحياة صعبة، عادة بسبب ضغوطات العمل، فيتطلع المرء لشيء من التفريج عن همومه. وفي هذه الحالة تصبح ممارسة الجنس بشغف طريقة مُثْلَى للتنفيس».

امرأة غيرية الجنس، العمر44

«اعتقد ان التعبير الادق هو اني قد سبق ان مارست الجنس للتخلص من العدائية التي يسببها شعوري بالملل. أحيانا عندما أكون برفقة شريكي أُلاحِظُ انني سريعة الغضب، وهذا يجعلني عدوانية. عادةً يكون ذلك بسبب شعوري بالملل. لذا أمارس الجنس لأنه ببساطة أفضل من الشجار. وعلاوة على ذلك فإنه شيء يمكنني فعله لتمضية الوقت».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر27

«أكون أحيانا محبَطة وغاضبة، لذا احتاج إلى تنفيسٍ جسديٍ لهذه الطاقة الزائدة. وقد وجدتُ ان ممارسة الجنس هي طريقة ايجابية للتعامل مع هذه الانفعالات السلبية ولتحقيق الهدوء المنشود. هناك انشطة مماثلة أخرى للتنفيس عن هذه الطاقات، كالرياضة مثلا، لكنها لا تعمل دائما».

امرأة غيرية الجنس، العمر23

بالنسبة للكثير من النساء في دراستنا، فإن ممارسة الجنس عند الشعور



بالتوتر والضغوط، ساعدتهن على تصفية اذهانهن بحيث استطعن التركيز بشكل أفضل على اهدافهن، كما ساعدتهن على التعامل مع المشاكل بموضوعية أكبر:

«أحيانا تسبب لي المَدْرَسة احباطا شديدا. عندما اقع في مشكلة تبدو مستعصية الحل، آخُذُ استراحة عنها مؤقتا وأمارس الجنس مع حبيبي. عادة ما اجد بعد ذلك ان حل المشكلة اسهل مما كنت اتصور، لأنني قد اخذت استراحة منها وتخلصت من الاحباط بممارسة الجنس».

امرأة غيرية الجنس، العمر19

وبالنسبة لبعضهن، فإن هذا ينطبق أيضا على ممارسة الجنس مع الشريك بعد الشجار معه:

«كنت في علاقة طويلة الأمد في سِنٍّ مبكرة... كنت اعتقد ان ممارسة الجنس بعد الشجار تصلح الامور. هذا صحيح للامانة، ولو بشكل مؤقت».

امرأة غيرية الجنس، العمر25

ان ممارسة الجنس في فترة الخصام بين الشريكين او بعدها قد تساعد على حل الخلافات بينهما. حيث إن الجنس يمكن أن ينفس الغضب المكبوت والاحباطات، وهذا بدوره يساعد اجسامنا على أن تعود إلى المستويات الاعتيادية من الاستثارة، كما أن ذلك قد يساعد على تصفية اذهاننا، ولو بشكل مؤقت على الأقل، من الافكار السلبية التي كانت سببا في اندلاع الشجار. ومع ان الجنس لا يحل واقعيا المشكلة التي تسببت في الشجار، الا انه قد يساعد المرأة على مواجهة المشكلة بعقلانية وتَرَوٍّ بدلا من مواجهتها بانفعال وغضب:



«دائما ما يكون الجماع الصُلحي ممتعا ومنعشا. على أنه لا يحل جميع المشاكل.. لكنه يجعلك بشكل ما تُخْرِجُ كل الانفعالات والطاقات السلبية على شكل شهوة ولذة جنسية واشياء جيدة أخرى، فينتهي الامر بأن تكون أقل شعورا بالتوتر بمئات المرات».

امرأة غيرية الجنس، العمر24

وبالنسبة للازواج الذين يتمتعون بعلاقة متينة، فإن ممارسة الجنس بعد الشجار تعمل كتذكير بما بينهما من عهد بالوفاء. كما أنه ولجميع الأسباب التي تقدم ذكرها في الفصل الثالث عن الحب والترابط العاطفي، فإن الجماع الصلحي قد يساعد الناس على اعادة الترابط.

الدواء المنوم

ان الضغوط الحادة التي يعانيها البشر قد تكون ذات تأثير مدمر على الجسم بطرائق عديدة. هناك أكثر من 20 مليون امريكي مصابون بصعوبات الخلود إلى النوم او صعوبات الاستمرار بالنوم ـ ثلثا هذا العدد من النساء ـ كما أن عددا أكبر من الناس يعانون في بعض الاحيان من الارق العرضي سواء بسبب الفرح او التوتر او شرب الكثير من الكافايين او الكحول، وهي «علاجات منزلية» يفضلها الكثير من الناس للتعامل مع الضغوط. تتضمن التوصيات النموذجية للاشخاص الذين يعانون من مشاكل النوم ارشادات مثل الذهاب للفراش والاستيقاظ في اوقات متماثلة كل يوم، تجنب الكافايين والنيكوتين والكحول وكذا تجنب تناول وجبات ثقيلة ليلا، استخدام الفراش للنوم والجنس فقط، ممارسة الرياضة بانتظام، وجعل غرفة النوم هادئة، مظلمة، ومريحة.



فيما تقترح العديد من الشهادات التي قدمتها النساء في دراستنا، ان نضيف أيضا ممارسة الجنس إلى قائمة العلاجات المنومة:

«عندما كنت على وشك انهاء دراساتي الأولية في الكلية، عانيت من الارق والتوتر. كنت احاول جاهدة التغلب على هذه الامور، كنت اعمل بجد كما أنني اصبحت محتاجة للترفيه واراحة دماغي، وللاندورفينات كي تمنحني الشعور براحة البال، وكانت النشوة الجنسية تحقق لي ذلك. لم اكن على علاقة باحدهم لكي افعل هذه الامور معه، لذا فقد كنت كثيرا ما استخدم القضيب الاصطناعي، وهذا ما يوفر ميزة اخرى تتمثل في الانانيَة الكاملة دون ان يصاحبها شعور بالذنب».

امرأة غيرية الجنس، العمر29

وإذا ارادت امرأة ان تتبع هذه التوصية، فيجب لها الأنتباه للتالي: ان ممارسة النشاط الجنسي ذي الحركية العالية والذي قد يزيد من دقات القلب، سيجعل المرأة نشطة ومليئة بالطاقة بدلا من ان يسبب لها النعاس. وعليه فإذا ارادت المرأة استخدام الجنس كمنوِّم، فيجب ان يكون نوعا من الجنس الهاديء.

قد تساعد الأندورفينات التي تفرز في أثناء النشوة الجنسية على استجلاب النعاس واسترخاء الذهن والبدن. لكن النقطة الأهم ربما، هو ان الجسم يفرز هرمون البرولاكتين في أثناء النشوة - وهو هرمون مرتبط بشدة بالنوم. يرتفع مستوى البرولاكتين طبيعيا عند النوم، وتظهر البحوث انه عند حقن الحيوانات بالبرولاكتين، تصاب بنعاس شديد. كذلك يرتبط افراز البرولاكتين بالشعور بالتخمة. وفي الرجال، يكون البرولاكتين



مسؤولا جزئيا عن فترة الحِرَان. اما في النساء فلا يكون له ذات التأثير المُثَبِّط، وهذا ما يفسر لماذا تشتكي الكثير من النساء غيريات الجنس من خلود شركائهن للنوم بعد الجنس مباشرةً.

ومن المثير للاهتمام، ان البحوث اظهرت ان هناك زيادة في افراز البرولاكتين عند الوصول للنشوة الجنسية عن طريق الجماع بمقدار 400% عما هو عليه عندما تكون النشوة عن طريق الاستمناء(8). ان هذا منطقي من المنظور التطوري: إذا كانت النشوة الجنسية المُتَأَتِّيَةُ عن طريق الجماع تجعل النساء يشعرن باشباع أكثر مما لو كانت النشوة من طريق الاستمناء، فإن هذا سيدفع النساء لممارسة الجنس مع الرجال، وهذا على العكس من الاستمناء، يؤدي غرضا تكاثريا مباشرا. وبالنظر إلى وظيفة البرولاكتين هذه، فسيكونُ دوره الاكبر أنْ يحرض النعاس بعد الجماع أكثر منه بعد الاستمناء، حيث إنه سيدفع المرأة للاضطجاع والاسترخاء، وهو ما يسهل وصول الحيامن إلى البيضة.

التوتر كمحفز جنسي

مع ان الجنس قد يساعد على التخلص من مشاعر القلق والتوتر، فإن التوتر قد يزيد من الاثارة الجنسية للمرأة. افادت بعض النساء في دراستنا انهن قد مارسن الجنس لأن التوتر جعلهن يشعرن باستثارة أكثر:

«عندما اعاني من ضغوط كبيرة او قلق، اصبح مستثارة جنسيا بشدة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 20

«اوه، كيف أحببت زوجي؟ كنا متزوجين لمدة 64 عاما، ولم نبتعد عن



بعضنا يوما واحدا خلال كل تلك السنين. استمتعنا كثيرا. بالتاكيد تشاجرنا أحيانا، لكن الجنس الصلحي كان ممتعا أيضا!».

امرأة غيرية الجنس، العمر86

تُقاس تأثيرات القلق على الاستثارة الجنسية باستخدام تقنية رسم ازدياد الضوء المهبلي، والتي سبق ذكرها في الفصل الثاني من هذا الكتاب. في إحدى الدراسات، قامت مجموعة من النساء بمشاهدة وَثَائِقِيِّ رحلات لا يسبب أي توتر. ثم شاهدن بعدها مباشرة فِلْمَاً يصور رجلا وامرأة يمارسان مداعبات ما قبل الجنس، الجنس الفموي، ثم الجماع. وفي وقت اخر، شاهدت النساء فلما مصمما ليحرض نشاط الجهاز العصبي الودي، ثم فلما شهوانيا مماثلا للفلم الذي سبق ذكره. وقد ظهر على النساء اكتظاظ مهبلي عند مشاهدة الفلم الشهواني في المرة التي شاهدن فيها قبله الفلم المحفز للجهاز العصبي الودي، أكثر من الاكتظاظ المهبلي عند مشاهدتهن الفلم الشهواني بعد مشاهدة فلم الرحلات، ذلك على الرغم من ان الفلم المحفز للجهاز العصبي الودي لم يكن يحتوي أي مشاهد تستدعي افكارا جنسية[9]. ولذا فإن التفسير الذي يفرض نفسه هنا، هو ان تنشيط االجهاز العصبي الودي بسبب مشاهدة الفلم المثير للتوتر، زاد من الاستثارة الجنسية للنساء.

في مختبر ميستون للفسيولوجيا النفسية الجنسية، قررنا ان نختبر تأثير التمارين الرياضية، وهي نشاطٌ يزيدُ مِنْ نشاطِ الجهاز العصبي الودي أيضا. حضرت النساء للمختبر في يومين مختلفين. شاهدن في احدهما وثائقي رحلات بسيطا ثم فلما شهوانيا. وفي اليوم الاخر، قمن بتمارين رياضية لمدة 20 دقيقة على الدراجة الهوائية الثابتة او جهاز الركض،



ثم شاهدن فلما شهوانيا مشابها للاول. وكانت قلوبهن خلال التمارين تعمل بنسبة 70% من سرعة النبض القصوى، وهذا مجهود شديد بالنسبة لغالبية الناس. وفي كلا اليومين قمنا بقياس الاستثارة الجنسية للنساء في أثناء مشاهدتهن الفلم الشهواني، بتقنية رسم الضوء السابق ذكرها. وقد تبين ان النساء اظهرن اكتظاظا مهبليا عند مشاهدتهن الفلم الشهواني في اليوم الذي مارسن فيه التمارين الرياضية، أكثر بكثير من الاكتظاظ التي تم قياسه في اليوم الاخر الذي شاهدن فيه وثائقي الرحلة. في الواقع، كانت الاثارة التي وَلَّدَها فيهنَّ الفلم في اليوم الذي مارسن فيه الرياضة، أعلى بنسبة150% مما كانت عليه في اليوم الذي شاهندن فيه وثائقي الرحلات. وهذا يعني ان تنشيط الجهاز العصبي الودي، بالاضافة لقيامه بتهيئتنا لرد فعل «اضرب او اهرب»، فإنه يهيء النساء للاستثارة الجنسية[10].

ان هذه النتائج مختلفة تماما عما هو عليه الحال عند الرجال بحسب البحوث العلمية. إذ إن تنشيط الجهاز الودي يضعف القدرة على الانتصاب، خصوصا لو كان الرجل يعاني من مخاوف بشان قدراته الجنسية. فيما ترجح بحوث مختبر ميستون العكس تماما في حالة النساء ـ بمعنى ان تنشيط الجهاز الودي قد يساعد النساء اللاتي يعانين من مشاكل جنسية. فإذا كانت المرأة راغبة نفسيا بممارسة الجنس، ولكن جسمها لا يستجيب، فيمكنها ان تجرب شيئا يضخ فيها الطاقة ـ كَأنْ تقوم بمطاردة شريكها حول طاولة او ما شابه (والأفضل من ذلك ان يقوم هو بمطاردتها)، الرقص، او مشاهدة فلم رعب مع شريكها. تقترح الكثير من كتب مساعدة الذات على النساء اللاتي يعانين من مشاكل في الاستثارة الجنسية او الوصول للنشوة العكس تماما ـ أي الاسترخاء والاستماع لموسيقى هادئة، او اخذ حمام فقاعات، او



ممارسة التامل الهاديء. من المؤكد ان هذه التقنيات تساعد على الاسترخاء وتصفية الذهن، لكن بحوث مختبر ميستون تظهر انها لن تحفز الرغبة الجنسية عند النساء بنفس كفاءة التمارين المنشطة الرافعة للطاقة.

الحب من النظرة الأولى

منذ سنوات قليلة، قام الفريق البحثي لمختبر ميستون بجولة في عدة مدنٍ للملاهي في تكساس، لاختبار ما إذا كان ركوب القطار الافعواني، وهو شيء يزيد من نشاط الجهاز العصبي الودي، يقوي الاستجابة الجنسية عند النساء. وحيث إن مدن الملاهي تلك كانت مخصصة للعوائل، فإن استخدام المسبار المهبلي لقياس الاستثارة الجنسية بشكل مباشر لم يكن متاحا. لذا قام الفريق بقياس الانجذاب الجنسي بدلا من ذلك. وقد قضى الفريق عدة ايام في اجراء مقابلات مع النساء اللاتي كنَّ ينتظرن في الطابور لركوب القطار الافعواني، وكذا مع النساء اللاتي كنَّ قد نزلن للتو من تلك اللعبة. وقد كانت النساء اللاتي نزلن للتو من اللعبة، ما زلن في حالة استثارة كبير للجهاز العصبي الودي خاصتهن. طلب الباحثون من النساء النظر إلى صورة رجل ثم الاجابة على اسئلة الاستبيان التي تضمنت: ما تقديرهن لجاذبية الرجل، ما مقدارغبتهن في تقبيله، ومدى استعدادهن لمواعدته. ورغم أن جميع النساء قد شاهدن نفس الصورة لرجل متوسط المظهر، فإن النساء اللاتي تَرَجَّلْنَ للتو من القطار الافعواني قيَّمن الرجل على أنه أكثر جاذبية وأكثر اهلية للمواعدة، مقارنة بالنساء اللاتي كن ينتظرن في الطابور للصعود في اللعبة. إذن، يبدو أن الانجذاب زاد بسبب نشاط الجهاز الودي الناتج عن ركوب اللعبة[11].



هنا قد يتسائل محترفو المواعدة واساتذتها ما إذا كانت نتائج هذه الدراسة تعني ان لديهم فرصة أكبر في الظفر بالنساء إذا اختاروا التردد على اماكن يتم فيها الرقص بدلا من الاستلقاء والاسترخاء، او إذا ما ذهبوا إلى النادي الرياضي بدلا من المقهى. ان الاجابة على هذا السؤال ليست بتلك البساطة. ففي المواعدة على ارض الواقع، يعتمد ذلك على ما إذا كان هناك على الأقل مستوى بسيط من الانجذاب. وإذا كان ذلك متحققا، فيمكن أن نقول نعم، ربما. اما إذا كانت المرأة لا تشعر باي انجذاب نحو الرجل الذي يسعى لكسب ودها، فحتى قيامها بالركض في ماراثون لن يجعلها ترغب بمواعدته، فضلا عن ممارسة الجنس معه.

ان هذه الملاحظة عن انَّ نشاط الجهاز العصبي الودي يزيد الاستثارة والانجذاب الجنسيين عند المرأة، هي مفهوم جديد لمعظم الناس الآن. الا ان بعض الرجال الاذكياء قد لاحظوا ذلك منذ زمن غابر. فقد كُتِبَ في سجلات السيرك الروماني عام 550 م:

«وقفتْ النساء على مقاعد الجمهور واخذن يُطَبِّلْنَ بايديهن على اظهُرِ المتفرجين الجالسين في المقاعد امامهن صارِخاتٍ بهستيريا: اقتل! اقتل! اقتل! قبل ان تبدأ المُجَالَداتُ حتى، وقد لاحظ بعض الشباب الحاذقين النساء المأخوذات كليّاً بهذا الجنون، واستفادوا من الوضع. اذ كانت النسوة المصابات بالهستيريا غير منتبهات لاي شيء اطلاقا عدا المباريات، فكان هؤلاء الشباب يعبثون بهن بينما هن يصرخن متحمسات للمشاهد الدموية اللتي يشاهدنها» (12).



الجانب المشرق للجنس

تؤكد دراسات عبر العالَم ان النساء أكثر عرضة من الرجال للاصابة بالاكتئاب بمقدار الضِعف. اذ يصاب 20% من النساء في مقابل 10% من الرجال بالاكتئاب خلال حياتهم[13]. تفسِّر الاختلافاتُ بافراز الهرمونات الجنسية جزئياً السببَ في شيوع الاكتئاب أكثر لدى النساء. من الادلة العلمية التي تذكر في هذا المجال ان الفتيات أكثر عرضة للاصابة بالاكتئاب من الفتيان ـ لكن ذلك يحدث فقط عندما يبدأن بالحيض ويختبرن التقلبات الهرمونية المصاحبة للبلوغ ـ. بينما لا تتفاوت مستويات هرمون الشحمون الخصوي عند الرجال الا بمقادير ضئيلة خلال اليوم، وتكون باعلى مستوى لها صباحا. اما في النساء، فتتفاوت مستويات الهرمونات الجنسية كالبروجسترون والاستروجين بمقادير كبيرة خلال الدورة الحيضية. تستغرق الدورة الحيضية للمرأة 28 يوما في العادة، وإذا عدَدْنا اليوم الأول للحيض على أنه اليوم الأول للدورة الشهرية، فإن الاستروجين يبلغ اقصى مستوى له في اليوم الثاني عشر (قبل الاباضة مباشرة)، اما البروجسترون فيكون في اعلى مستوى له بين اليومين التاسع عشر والثاني والعشرين.

تتقلب الهرمونات الجنسية للنساء بشكل دراماتيكي أيضا مع احداث الحياة المختلفة، كالبلوغ، الحمل، الولادة، والنفاس. انَّ لهذه التقلبات الهرمونية الحادة تأثير سلبي على عدد من الكيميائيات الدماغية والعمليات الفسيولوجية، وهذا ما يسبب الاكتئاب. وقد يفسر هذا أيضا لمإذا تشعر حوالي 5% من النساء باعراض الاكتئاب والقلق قبل اسبوع من الحيض، وهي الحالة المعروفة باضطراب ما قبل الطمث الاكتئابي. كما تساعد في



تفسير السبب في كون نسبة عالية من النساء يعانين من الاكتئاب عندما تحصل تقلبات حادة في مستويات الهرمونات الجنسية في اجسامهن.

يمكن للاختلاف بين الجنسين في انتاج هرمون الميلاتونين ان يفسر لماذا تكون احتمالية اصابة النساء بالاضطراب العاطفي الموسمي seasonal affective disorder ثلاثة امثال احتمالية اصابة الرجال به ـ وهذا الاضطراب هو نوع من الاكتئاب يحدث نتيجة لتغير شدة الضوء الطبيعي تبعا لتغير الفصول الاربعة. ـ اذ تستجيب اجسامنا لنقصان ضوء النهار بافراز هرمون الميلاتونين من الغدة الصنوبرية، غدة صغيرة تقع عميقا في ادمغة الثدييات. يؤدي الميلاتونين إلى الشعور بالنعاس (لهذا يتناول الكثير من الاشخاص المصابين بالارق ادوية تحتوي على الميلاتونين). وعندما يطلع الصباح ويضرب الضوء قرنية العين، ينخفض مستوى الميلاتونين، وهذا بدوره يُحدث اليقظة والانتباه. وحيث إن الليل يكون في الشتاء اطول منه في الصيف، فإن البشر والحيوانات الثديية الأخرى تفرز مقادير أكبر من الميلاتونين خلال الشتاء. ولان معظم الاشخاص الذين يعانون من الاضطراب العاطفي الموسمي يصابون بالاكتئاب في الشتاء، يعتقد العلماء ان الاضطراب العاطفي الموسمي هذا قد يكون بسبب زيادة افراز الميلاتونين.

إذا كانت جميع الثدييات تفرز الميلاتونين بكميات أكبر في الشتاء، فلماذا يكون الاضطراب العاطفي الموسمي أكثر شيوعا في النساء منه في الرجال. لقد اظهر الباحث توماس وير Thomas Wehr وزملاؤه في المعهد الوطني للصحة العقلية ان ذلك قد يكون بسبب ان النساء أكثر استجابة فسيولوجياً للتعرض للضوء مقارنة بالرجال[14]. نتعرض خلال



حياتنا اليومية للكثير من الاضواء الاصطناعية خلال الليل، وقد يعتقد المرء ان هذه الاضواء سـ«تخدع» الدماغ فتجعله يَسْلُك كَمَا لو كان الوقت نهاراً. على أنَّ الباحثين عندما اختبروا هذه الفرضية وجدوا اختلافات جندرية مثيرة للاهتمام: اذ كانت اجسام النساء تتأثر بالضوء الطبيعي فقط، بغض النظر عن كمية الاضواء الاصطناعية التي يتعرضن لها. لذا فإن افراز الميلاتونين يكون في الشتاء أكثر منه في الصيف بالنسبة للنساء. اما بالنسبة للرجال، فيبدو أن الاضواء الاصطناعية تعوض عن الضوء الطبيعي، لذا فإن افراز الميلاتونين في اجسامهم لا يتاثر باختلاف الفصول بنفس درجة تاثره عند النساء.

ان التعرض للضغوط لفترة طويلة قد يخل بالتوازن الهرموني الهش، وهذا بدوره قد يسبب الاكتئاب في كل من الرجال والنساء. يَستخدم الدماغُ النواقلَ العصبية الكيميائية لنقل المعلومات التي تتحكم بافكارنا وسلوكياتنا. وهناك العديد من هذه النواقل، لكن ثلاثة منها بالخصوص ترتبط بشدة بالحالة المزاجية: السيروتونين، النورايبينفرين، والدوبامين. فإذا حدث نقص في انتاج هذه النواقل العصبية لسبب ما، يحدث خلل في وظيفة منطقة من الجهاز الطرفي في الدماغ limbic system. يتحكم الجهاز الطرفي بعواطفنا، شهيتنا، نومنا، انواع معينة من عمليات التفكير، وبالغريزة الجنسية ـ ومن ثم تضعف كل هذه الوظائف عندما يكون الفرد مكتئبا. ـ

يُحَرِّض التوترُ أيضا الغدتين الكظريتين الموجودتين أعلى الكليتين، على افراز المزيد من الكورتيزول. والكورتيزول هو هرمونٌ يزيد من معدل العمليات الأيْضِيَّةِ في الجسم. يزداد افراز الكورتيزول ضمن



المستويات الطبيعية للتوتر ثم يعود لمستواه الاعتيادي تدريجيا. الا ان التعرض للضغوط والتوتر لفترات طويلة قد يسبب افراز الكورتيزول باستمرار، وهذا قد يكون من المسببات الأخرى للاكتئاب. وقد اصبحنا نعرف اليوم ان مستويات الكورتيزول عالية بشدة في حوالي نصف الافراد المصابين بالاكتئاب الحاد. وقد تبين ان هرمون الاستروجين، الذي يفرز في النساء بكميات أكبر بكثير من كميته في الرجال، لا يزيد فحسب من افراز هرمون الكورتيزول، بل يُضعف أيضا قدرةَ الجسم على ايقاف افرازه بعد زوال التوتر والضغوط. ان هذا قد يقدم تفسيرا اخر للسبب في كون أعداد النساء اللاتي يعانين من الاكتئاب أكبر من أعداد الرجال الذين يعانونه. وبالاخذ بالحسبان ان الاثارة الجنسية في النساء مرتبطة بانخفاض مستوى الكورتيزول، فيمكن أن يكون ارتفاعه مضعفا للاستجابة الجنسية في اجسامهن(15). في دراسة اجراها مختبر ميستون مؤخرا، تبين ان النساء اللاتي اظهرت اجسامهن ازدياداً في افراز الكورتيزول عند مشاهدة فلم شهواني، يعانين من مشاكل في الرغبة والاستثارة الجنسيتين أكثر من النساء اللاتي اظهرن الانخفاض المتوقع في افراز الكورتيزول عند مشاهدة الفلم(16). ومن جهة أخرى، فإن ممارسة الجنس قد تساعد، ولو مؤقتاً، على تخفيف القلق والاكتئاب من خلال خفضها لمستوى الكورتيزول.

اظهرت الكثير من الدراسات، انه عند اصابة النساء بالاكتئاب، فإنهن كثيرا ما يُصَبْنَ بمشاكل جنسية كانخفاض الاستثارة والرغبة الجنسيتين. وكما ناقشنا في الفصل الثاني، فإن بعض العقاقير المستخدمة لعلاج الاكتئاب قد تسبب خللا في الوظائف الجنسية. لذا بالنسبة للنساء اللاتي



يتناولن العقاقير لعلاج الاكتئاب، يكون من الصعب أحيانا معرفة ما إذا كانت المشاكل الجنسية لديهن ناتجة عن الاكتئاب نفسه او عن العقاقير المضادة للاكتئاب. في دراسة أخرى اجراها مختبر ميستون، طُلِبَ إلى حوالي 100 امرأة جامعية داخلات في علاقات جنسية، ملء استبيان مصمم لقياس الاكتئاب والوظائف الجنسية أيضا. وقد تم استخدام رقم مشفر وسري لطمئنة النساء ان احدا لن يعرف لمن تعود الاجوبة، وهذا ساعد على جعلهن يشعرن بحرية أكبر للاجابة على الاسئلة بصدق وانفتاح. ولم تكن أي واحدة من النساء تتناول عقاقير مضادة للاكتئاب. وعندما تَمَّتْ مقارنة الاجوبة الخاصة بالوظائف الجنسية للنساء اللاتي يعانين من مستويات متوسطة من الاكتئاب، مع تلك الخاصة بالنساء اللاتي لا يعانين من الاكتئاب، وجد الباحثون ان النساء المكتئبات يعانين من ترطيب مهبلي أقل، وألم في أثناء الجنس أكثر، وصعوبات في الوصول للنشوة الجنسية، ويشعرن باشباع جنسي ولذة جنسية أقل اجمالا، بالمقارنة مع االنساء غير المكتئبات. كشفت الدراسة أيضا عن نتيجة جديدة ومفاجئة: مارست النساء المكتئبات الاستمناء أكثر بكثير من غير المكتئبات[17].

لماذا تجد النساء المكتئبات الاستمناء أكثر لذة من ممارسة الجنس مع شريك؟ احد التفسيرات الممكنة هو ان النساء المكتئبات يمارسن الاستمناء كعلاجٍ « ذاتي» ـ في محاولةٍ للتخلص من المشاعر السلبية بواسطة الوصولً للنشوة. ـ تخلق الاندورفينات التي يتم اطلاقها في أثناء النشوة الجنسية احساسا فائقاً بالسعادة، ولو انَّه مؤقَّت. وحيث إن النساء المكتئبات لا يجدن الا القليل جدا من المسرات في حياتهن، فحتى هذا



الاحساس قصير الأمد بالمتعة، والذي يتاتى من النشوة الجنسية، يوفر لهن مهربا يُحَسِّنَّ به مزاجهن. تجد غالبية النساء، حتى غير المكتئبات، الوصول للنشوة الجنسية من خلال الاستمناء اسهل من الوصول لها من خلال ممارسة الجنس مع شريك ـ حيث إنهن يعرفن بالضبط الاماكن التي ينبغي لمسها والمقدار المطلوب من الضغط لخلق اقوى شعور باللذة. كذلك فإن ممارسة الجنس مع شخص اخر تتطلب مقدارا معينا من التفاعل الاجتماعي ـ وهو شيء يحاول الاشخاص المكتئبون تجنبه. كما أن ممارسة الاستمناء لا تسبب « قلق الاداء الجنسي»، ولا الخوف من قيام الشخص الاخر بالتقييم كما يحدث أحيانا في ممارسة الجنس مع شريك.

إكْسِيُر المزاج

يتفوق الاستمناءُ أحيانا على الجنس مع شريك ببعض الميزات، لكن بحثا اجراه عالم النفس غوردون غالوب في جامعة ولاية نيويورك بمدينة الباني، يرجح ان هناك فوائد لممارسة المرأة الجنس مع شريك ـ أي رجل[18]. في دراسة غالوب قامت 293 امرأة جامعية بملء استبيان يخص الاكتئاب، واستبيان اخر عن حياتهن الجنسية يحوي اسئلة مثل كم مرة يمارسن الجنس في مدة معينة، متى كانت اخر مرة قمن فيها بنشاط جنسي، وأي نظام استخدمن لمنع الحمل. وقد تبين في هذه الدراسة ان النساء اللاتي مارسن الجنس دون استخدام الواقي الذكري (لكن ربما استخدمن عقاقير منع الحمل) كُنَّ أقل تعرضا للاكتئاب بشكل واضح من النساء اللاتي كُنَّ يستخدمن الواقي الذكري بانتظام كوسيلة لمنع الحمل. كما كنَّ أكثر سعادة من النساء اللاتي لا يمارسن الجنس بالمرة. وربما



كانت النتيجة الأكثر اثارة للدهشة من بين نتائج هذه الدراسة قد انبثقت من السؤال عن ما إذا كانت المرأة قد حاولت الانتحار. لقد تبين ان أكثر من 13% من النساء اللاتي قلن إنهن يستخدمن الواقي الذكري بانتظام، قد سبق ان حاولن الانتحار في وقت ما، مقارنة بـ 5% فقط من النساء اللاتي لا يستخدمن الواقي الذكري.

تُرجِّح هذه النتائج ان هناك شيئا في السائل المنوي «يداوي الاحزان»، شيئٌ لم تحصل عليه النساء المحرومات من االجنس والنساء اللاتي يستخدمن الواقي الذكري. من المعروف منذ زمن انَّ المني يحتوي على مواد مغذية تساعد النطفة على شق طريقها عبر انبوب فالوب وصولاً إلى البيضة. لكن ما لا يعرفه الا القلة من الناس، هو ان المنيَّ يحوي أيضا هرمونات مثل التيستوستيرون، الاستروجين، الهرمون المحفز للحويصلات، الهرمون المحرض للجسم الاصفر، البرولاكتين، وعدة انواع من البروستاغلاندينات. من الممكن لجميع هذه الهرمونات ان تؤثر على الحالة المزاجية، حيث يمكن أن تدخل إلى مجرى دم المرأة بعد امتصاصها من قبل جدران المهبل. في الواقع، تم اكتشاف وجود بعض هذه الهرمونات في مجرى دم النساء بعد عدة ساعات فقط من تعرضهن للسائل المنوي[19]. ويبدو أن البروستاغلاندينات والاستروجين هي التي تحسن المزاج على الارجح من بين جميع المواد التي يحويها المني. حيث اظهرت الدراسات ان مستويات البروستاغلاندينات والاستروجين تكون منخفضة عند المصابات بالاكتئاب[20]، كما اظهرت أيضا ان للاستروجين تأثيرا مُحَسِّنَاً للمزاج عند النساء اللاتي تجاوزن سن اليأس[21]. اما في حالة



النساء الاصغر سنا، فقد اظهرت تقارير قليلة ان موانع حمل معينة تعتمد على الاستروجين، لها خواص محسنة للمزاج[22].

وفي نفس الدراسة، تبين ان النساء اللاتي كُنَّ يمارسن الجنس بانتظام دون واقٍ ذكري، شعرن باكتئاب اشد كلما كانت المدة منذ اخر جماع لهن اطول. على أن هذا لم يحصل مع النساء اللاتي كن يمارسن الجنس بالواقي الذكري ثم توقفن عن ممارسة الجنس المنتظمة. يرجِّح الباحثون ان هذا قد يعني ان النساء اللاتي كن يمارسن الجنس دون واقٍ قد أُصِبْنَ بنوع من اعراض «انسحاب المخدر» عندما توقفن عن ممارسة الجنس وبالتالي حُرِمن من السائل المنوي. لقد سبق ان ناقشنا في الفصل الثاني التفسيرات التطورية العديدة للسبب في تطور النشوة الجنسية عند النساء، وقد كان احدها هو ان النشوة تمنح المرأة شعورا لذيذا وبالتالي فهي «تكافئها» على ممارسة الجنس. اما عالم النفس روي ليفين Roy Levin فيقترح انَّ التأثير المحسن للمزاج للمنيَ ربما قد تطور ليجعل الجنس مُشبِعا للنساء حتى لو لم يصلن للنشوة الجنسية.

ان لهذه الدراسة المذهلة بالاضافة إلى نتائجها المتعلقة باثر المني في تحسين المزاج، مضامين أخرى مهمة تتعلق بجنسانية النساء عموما. كما سبق ان رأينا، فإن انخفاض مستوى التيستو ستيرون قد يؤدي إلى ضعف الغريزة الجنسية عند بعض النساء، فيما يتم امتصاص التيستوستيرون من خلال جدران المهبل بشكل اسرع من امتصاصه عن طريق الجِلد[23]. لذا فبقدر ما يتم امتصاص التستوستيرون المُحتَوَى في المني عن طريق جدران المهبل إلى مجرى دم المرأة، فإنه قد يكون له تأثير معزز لرغبتها الجنسية. وجد الباحثون باستخدام التصوير المزدوج



بالموجات فوق الصوتية، ان البروستاغلاندين ايه prostaglandin E1، وهو واحد من المكونات السحرية الموجودة في المَنيِّ، يزيد كثيرا كمية الدم المتدفق للاعضاء التناسلية للنساء[24]. وفي دراسة لاحقة، وُجِد انه عند قيام النساء المصابات بِعَطَبٍ في الاستثارة الجنسية، بتطبيق مَرْهَم مُحْتَوٍ على البروستاغلاندين ايه 1 على منطقة الفرج قبل الجماع، فإنهن اظهرن ازديادا كبيرا في الاستثارة الجنسية[25]. ولم يظهر نفس الاثر على النسوة اللاتي استخدمن مرهما وهميا (بلاسيبو) بدلا من المرهم المحتوي على بروستاغلاندين ايه1.لذا فقد يؤثر البروستاغلاندين ايه 1 الموجود في السائل المنوي، إذا ما تم امتصاصه إلى مجرى الدم، ايجابيا على الاستثارة الجنسية للمرأة.

يحتاج الامر بالتاكيد إلى مزيد من الدراسات قبل ان يبدأ الاطباء بوصف قناني السائل المنوي كجيلٍ جديد من العلاجات المضادة للاكتئاب لمريضاتهم! الا انَّ هذه النتائج على اية حال تزودنا بتفسير فسيولوجي لما افادت به العديد من النساء من قيامهن بممارسة الجنس للـ«تخلص من الاكتئاب وللـ «شعور بالتحسن».

واحد، هو الرقم الأكثر وحدةً

«أحيانا، اشتهي فقط ان اشعر بوزن شخص اخر فوقي».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 20

تعد الوحدة سببا شائعا للاكتئاب. ويتباين الناس كثيرا في مقدار التواصل الذي يريدونه او يحتاجونه مع الاخرين. فمن جهة، هناك الفراشات الاجتماعية، وهم الناس الذين يزدهرون في جو من التفاعل



الاجتماعي، وعلى الجهة الأخرى هناك الاشخاص المُتَرَهْبِنون الذين لا يرغبون بمغادرة منازلهم الا نادرا. لكن الغالبية العظمى من الناس ترغب او تحتاج حتى، إلى مقدار معين من التواصل مع الاخرين لتحقيق الشعور بالترابط والسعادة. اذ يؤدي الافتقار إلى التواصل الاجتماعي، او الحميمية على مستوى اعمق، إلى الوحدة بمرور الزمن. ويعد الافتقار إلى الحميمية والشعور بالوحدة من المشاكل الواضحة بالخصوص عند النساء غيريات الجنس عندما يتقدمن بالسن. فحيث إن النساء غالبا ما يتزوجن رجالا أكبر منهن سنا، ولان اعمار الرجال تكون عموما اقصر من اعمار النساء، تعيش النساء عموما لفترة بعد موت ازواجهن. وبما ان النساء العزباوات المتقدمات بالسن، أكثر بكثير من الرجال الأكبر منهن عمرا،فانَّهُ يصبح من الصعب عليهن الحصول على قرين.

وفي دراستنا، قالت نساء من جميع الاعمار والميول الجنسية، انهن قد مارسن الجنس أحيانا كمحاولة للتخلص من الشعور بالوحدة:

«عندما اعاني من الوحدة، أكون أكثر استعداداً للتحدث مع شخص اخر وربما ممارسة الجنس معه. اعتقد ان الترابط العاطفي والجنسي يتعلق في النهاية بالوحدة. ان السبب الوحيد للانخراط في سلوك حميمي مع شخص اخر هو لتحقيق الترابط مع اناس اخرين واللذة الجسدية. وحيث إنه يمكن تحقيق اللذة الجسدية بشكل فردي، لذا فإن السبب الأكبر للجنس هو الترابط البشري. تنشأ الحاجة للترابط مع الاخرين من الوحدة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 27

يمكن للشعور بالوحدة ان يكون مُلِحّاً جدا بحيث يدفع بعض النساء



لاتخاذ قرارات غير حكيمة في ما يخص العلاقات، بسبب خوفهن من ان يصبحن وحيدات:

«مارستُ الجنس في علاقتي الاخيرة لكي لا اشعر بأنني وحيدة منبوذة. كان قرارا غبيا لأنه انتهى بأن اصبحتُ اشعر بالمرارة أكثر. وقتها لم يكن قد مضى على تعارفنا الا شهر او نحوه. كنا نداعب بعضنا البعض (جسديا) بعد نقاش جِدِّي حول علاقتنا وإلى اين نحن ماضيان. قال انه يريد ان (يُضَاجِع) ولم اكذب خَبَراً لأنني كنت راغبة بأن اشعر باحدهم يحتضنني، كي لا اشعر ان جسدي مجرد قطعة شحم. انا نادمة الان لاننا لم نكن نعرف بعضنا جيدا ولم نكن نعرف ماذا نريد من علاقتنا.. هكذا هي الحياة».

امرأة غيرية الجنس، العمر 31

خلال معظم فترة علاقتي مع زوجي السابق، كنت اعتقد ان الجنس سيساعد على ابقاءه معي. كان الجنس يتعلق به كليا، ويتمحور حول جَعْلِهِ سعيدا. كنت صغيرة السن لِأَعرف، لكنه كان حقا يفتقر للمهارات الجنسية كليّاً ولم يكن قادرا على اشباعي. لم يكن أيضا يمتلك تعاطفا ولا اهتماما ولا حبا صادقا تجاهي. كان شخصا انانيا تماما. لم اكن احصل على اية لذة في لقاءاتنا الجنسية. كان الامر متعلقا به وبجعله سعيدا لكي لا يتركني فاشعر بالوحدة».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر 39

وصفت إحدى النساء في دراستنا كيف ان خوفها من ان تصبح بلا شريك حميمي دفعها لتصرفات يائسة وخطرة:



«دائما ما كنتُ فتاة جيدة ولم اكن أمارس الجنس مع أي كان. وفي احد الايام اكتشفت انني أُصِبْتُ بِدَاءِ الهربس المنقول جنسياً من شريك سابق لي كنت قد تركته. كنت محطَّمة. حدث ذلك في السبعينات، عندما كان ذلك هو اسوء ما قد يحدث لفتاة على الاطلاق. اعتقدت انه يعني انني لن اتمكن من انجاب الاطفال، وكنت متيقنة انه يعني أيضا ان رجلا لن يرغب بي. لذا بدأتُ أمارس الجنس مع كلِ مَن يمكنني ممارسته معه محاولةً مني لايجاد زوج. مارست الجنس عمداً عندما استفحل المرض لكي انقل العدوى لشخص اخر واجعله معي في نفس المركب. لم يكن الأمر أنني أريد انتقاما عشوائيا لما حدث لي. بل لأنني كنت مرعوبة من أن اصبح وحيدة. اعتقدت انني إذا أَصَبْتُ شخصا اخر بالمرض فسيرتبط بي ولن يهجرني بسببه».

امرأة غيرية الجنس، العمر 49

كما نعرف، يؤدي الجنس أحيانا إلى احساس عميق بالترابط العاطفي. لكن هذا يحدث دائما تقريبا عندما يكون مصحوبا بمشاعر الحب والود، الاهتمام والرعاية، الماضي المشترك، او على الأقل الرغبة بمستقبل مشترك. ونحن لا نريد ان نقول هنا ان علاقة ليلة واحدة لا يمكن أن تكون فائقة اللذة بالنسبة لبعض النساء. بل ما نعنيه هو انه عندما يكون الدافع الاساسي لممارسة الجنس هو للتخلص من الشعور بالوحدة، فغالبا ما يكون الجنس في هذه الحالة مخيبا للامال:

«كنت وقتها اشعر بالوحدة، وكنت أعرف انَّ ذلك الشاب على استعداد لممارسة الجنس معي.. وقد فعلنا ذلك. شعرت حقا بأنني محبوبة وقتها.. وحالما تركني عاد الي الشعور بالوحدة مجددا».

امرأة غيرية الجنس، العمر 24



كما لخصت إحدى النساء في دراستنا ببلاغة، فإن الحاجة لممارسة الجنس هي جزء من الحاجة للحميمية والترابط، وليست العبرة بالجنس وحده:

«بعد شهر او نحوه من انهائي علاقة دامت ثلاث سنوات، اقمت علاقة جنسية عابرة (ليلة واحدة). كان الامر مزيجا معقدا من الحرية، القدرة المستجدة على خوض المغامرة، الوحدة، الحزن على فقدان الحميمية، والامل بأن اجد شيئا أفضل ههنا. ومع ذلك لم اتخلص من الشعور بالوحدة. وقد كان للشخص الاخر أسباب أخرى تختلف عني، وشعرتُ بالخجل والقلق. الجنس على وجه الخصوص لم يكن فكرة جيدة لأنني لم اكن أعرف ذلك الشخص جيدا وقد لعب الكحول دورا كبيرا في الموضوع، تعلمتُ من ذلك انَّ الجنس ليس علاجا للوحدة، فهو من الاشياء التي تصاحب الحميمية، لكنه ليس كفيلا وحده بايجادها».

امرأة غيرية الجنس، العمر29

لكن لم تصف كل النساء في دراستنا ممارسة الجنس للتخلص من الوحدة كتجربة سلبية. اذ قالت بعض النسوة أنَّ ذلك ساعدهن على اجتياز فترة ازمة، او التوقف عن القيام بسلوكيات مدمِّرة للذات، او رفعت من ثقتهن بأنفسهنَّ.

الحِمْيَة الجنسية

«كنتُ وحبيبي نتبع حمية غذائية لتخفيف وزننا، وقد شعرنا اننا لانمارس ما يكفي من التمارين، لذا قررنا ان نستمتع بحرق بعض



السعرات الاضافية من خلال ممارسة الجنس مرات قليلة يوميا. كان الامر ممتعا وقد كنا نشعر بالاحتراق فعلا».

امرأة غيرية الجنس غالبا، العمر25

اعتماداً على التقرير الذي تقرأه، تحرق جلسة ممارسة الجنس الواحدة حوالي 100 ـ 225 سعرة حرارية. ويعتمد المقدار بالطبع على مدى الجهد الحركي المبذول. فالحركة النشطة في أثناء الجنس تحرق أكثر مما يفعل الاستلقاء وترك الطرف الاخر يفعل كل شيء. فوفقا لمسح اجري على 152 ثُنائياً كَنَدِيّاً غَيرِيِّي الجنس، فإن مدة الجلسة الجنسية الواحدة بالنسبة للنساء تستغرق 18.3 دقيقة. مقسمة إلى 11.3 دقيقة من مداعبات ماقبل الجنس، و7 دقائق من الجماع)من المثير للاهتمام ان الرجال في نفس الثنائيات التي اجريت عليهم الدراسة قدَّروا مدة مداعبات ما قبل الجنس بـ13.4 دقيقة وهي مدة اطول مما قدرتها النساء في نفس الثُنائيات).

ان المدة المثالية لمداعبات ماقبل الجنس كما تَمَنَّتْها النساء هي 19 دقيقة، وللجماع 14 دقيقة، وهي مدة اطول بكثير من مما يحصلن عليه بالفعل[26]. وفقاً لبحث شمل أكثر من 1400 امرأة تتراوح اعمارهن من 18 ـ 59 عاما، فإن النساء الامريكيات يمارسن الجنس 6.3 مرة في الشهر في المعدل. ويكون المعدل اعلى قليلا في الفئة العمرية بين 20 ـ 30 عاما7.5)مرة في الشهر (، وأقل قليلا في الفئة العمرية 50 ـ 60 (اربع مرات في الشهر)[27].

فإذا عَلِمْنا أنَّ الرطل الواحد من الشحم يساوي 3500 سعرة حرارية، فإن المرأة الامريكية تحرق في المعدل 3.78 رطلاً من الشحم سنويا عن



طريق ممارسة الجنس. وعليه فإذا توقفت النساء الامريكيات فجأة عن ممارسة الجنس، فإن كل واحدة ستكتسب وزنا مقداره 38 رطلا خلال عشر سنوات. ومن جهة أخرى، إذا مارست الامريكيات الجنس اربع مرات اسبوعيا بدلا من مرتين، أو لَو انَّهُنَّ استطعن اطالة مدة الجلسة الواحدة من المرح من 18.3 إلى 36.6 دقيقة، فستخسر كل واحدة اربع ارطال اضافية من الدهون في العام الواحد. او سيمكنها ان تبقى محافظة على نفس وزنها، مع تناول 17 طبق ايس كريم بالشوكولاته، و23 قطعة من الكعك المحلى، واربعة عشر قطعة من حلوى الشوكولاته الفرنسية في العام ـ حقائق تستحق التوقف عندها.

الجنس حتى آخِر نَفَس

لا تحرق «التمارينُ الجنسية» السعرات الحرارية فحسب، كما الحال مع التمارين الأخرى، بل تمنح كمًّاً كبيرا من الفوائد الصحية. فقد تزيد من معدل العمليات الايضية، تمدد العضلات وتزيد من مرونتها، ترفع الطاقة، توجه توازن الكولسترول الجيد/ الكولسترول الضار في الاتجاه الصحيح، تُنَشِّطُ تدفق الدم إلى جميع اجزاء الجسم بما فيها الدماغ، وربما تقلل فرصة حدوث النوبات القلبية وتطيل العمر المتوقع للشخص. وجدتْ دراسة استمرت على مدى 25 عاما، وكان الباحثون فيها يسألون الرجال والنساء بين فترة وأخرى عن انشطتهم الجنسية، وجدت تلك التدراسة ان الجنس مرتبط بشدة بطول العمر[28]. لكن تلك الدراسة اكتشفت أيضا فروقات جندرية مثيرة. فبالنسبة للرجال، فإن عدد مرات ممارسة الجنس كان مرتبطا باطالة العمر، كلما زاد عدد مرات ممارستهم



الجنس، كلما طالت اعمارهم. اما بالنسبة للنساء، فإن نوعية الجنس هي العامل المهم، كلما شعرنَ باستمتاع أكثر في الجنس، كلما طالت اعمارهن. وفي دراسة اجريت حديثا على حوالي 2500 رجل وامرأة من كبار السن في تايوان، تَبَيَّنَ ان كُلّاً من الرجال والنساء اللذين يمارسون الجنس مرة واحدة في الأسبوع على الأقل، قد عَمَّروا أكثر من الرجال والنساء الذين كانوا يمارسونه أقل من مرة خلال الشهر او لا يمارسونه اطلاقا. في الواقع، كان احتمال بقاء النساء بعمر 65 عاما فأكثر، اللاتي يمارسن الجنس أكثر من مرة في الأسبوع، كان احتمال بقائهن حيَّات 14 عاما أخرى، ضعف احتمال بقاء النساء من نفس الفئة العمرية واللاتي لا يمارسن الجنس الا قليلا او لا يمارسنه اطلاقا(29). وجدت دراسة ان الراهِبات واللاتي يفترض انهن ممتنعات عن الجنس كُلِّيّاً، أكثر استعدادا للاصابة بسرطان الثدي بنسبة 20% من النساء الامريكيات العاديات(30). وعلى كل حال، فإن النساء اللاتي لا يخضن تجربة الحمل، يظهرن ذات الزيادة في خطر الاصابة بسرطان الثدي. ولذا فلا يُعرف على وجه الدقة ما إذا كانت زيادة خطر الاصابة بسرطان الثدي عند الراهبات ناتجة عن حرمانهن من الجنس أَم من الحمل.

لا يعرف العلماء على وجه التحقيق السبب في هذا الارتباط بين الجنس وطول العمر. هناك الكثير من العوامل الأخرى المتعلقة بنمط حياة الشخص قد تؤثر على طول مدة بقاءه حيا (كممارسة الرياضة، الحِمْية، العوامل الوراثية، الضغوط) مما يجعل من الصعب حسم الامور في هذه المسألة. على أنَّ من المُرَجَّح انْ يكون ارتباط الجنس بطول العمر مُتَأتِّيَاً جزئياً من حقيقة ان الممارسة المنتظمة للجنس تزيد افراز



هرموني الشحمون الخصوي والاستروجين. ويُعرف أن لِكِلا الهرمونين دورٌ في الحماية من امراض القلب. ان استعداد النساء في الفئة العمرية ماقبل سن الياس للاصابة بامراض القلب التاجِّية هو أقل بمقدار النصف من استعداد الرجال للاصابة به. لكن ما إن تبلغ المرأة سن اليأس فيقلل مبيضاها من افراز الهرمونات الجنسية (التيستوستيرون، البروجسترون، والاستروجين)، حتى يصبح استعدادها للاصابة بامراض القلب التاجية مساويا لذلك الخاص بالرجال[31]. حتى انَّ النساء الاصغر سنا واللاتي خضعن لاستئصال المبيضين بسبب السرطان، لديهن استعداد كبير للاصابة بامراض القلب التاجية[32]. وعلى الجهة الأخرى، تظهر الكثير من البحوث ان النساء اللاتي تجاوزن سن اليأس ويتناولن الاستروجين الطبي المُصَنَّع، يتمتعن بخطر اصابة أقل بامراض القلب التاجية تلك[33]. تختار بعض النساء طبعا الامتناع عن تناول الاستروجين المصنع خشية من انَّهُ قد يزيد من خطر الاصابة بسرطان الثدي. على أن موضوع تأثير تناول الهرمونات المصنعة على خطر الاصابة بسرطان الثدي عند النساء ما زال موضع اخذ ورد ولم يحسم بعد. وحيث إن الجنس يحرض الجسم على افراز الاستروجين الطبيعي)كضد للاستروجين المصنع(، فربما تساعد ممارسة الجنس بانتظام على تقليل خطر الاصابة بامراض القلب دون أن تزيد من خطر الاصابة بسرطان الثدي.

تعزيز المناعة، وفوائد أخرى

من الطرق الأخرى التي قد يطيل الجنس العمر من خلالها، هي انَّ المستويات المعتدلة من الجنس (مع شريك معافى جنسيا بالطبع) قد



تعزز وظائف الجهاز المناعي. قد يفسِّر هذا لماذا قالت بعض النساء في دراستنا انهن يمارسن الجنس ببساطة « للحفاظ على صحتهن» او «لِيَعِشْنَ عُمراً اطول». يرتبط الغلوبيولين المناعي أ IgA (Immunoglobulin A)، وهو جسم مضاد، يرتبط بالجراثيم المُمْرِضَة عند دخولها الجسم ويبطل فعاليتها. تُشَكِّل هذه الاجسام المضادة خطّاً دفاعياً للجسم ضد الامراض كالانفلونزا وامراض البرد الشائعة. وتُعَدُّ مستويات الجسم المناعي أ، والذي ينتشر في اللعاب والاغشية المخاطية، مؤشرا على سلامة الجهاز المناعي. تظهر الدراسات ان سماع موسيقى ممتعة، او مصاحبة حيوان اليف قد ترفع من مستويات هذا الجسم المناعي كثيرا وخلال مدة قصيرة جداً 20 ـ 30 دقيقة. كذلك يمكن للعلاقات الرومانسية ان تُحدِث تأثيراً هائلاً على الوظائف المناعية، سواء كان تأثيراً سلبياً او ايجابياً. وبالاجمال، يتعرض الاشخاص المتزوجون إلى امراض أقل، ويجتازون الامراض على نحو أفضل مقارنة بالعُزَّاب. لكن الرجال والنساء الداخلون في علاقة سيئة يظهرون ضعفاً كبيراً في وظائف الجهاز المناعي[34].

لاختبار ما إذا كان عدد مرات ممارسة الجنس يؤثر على وظائف الجهاز المناعي، قام عالما النفس كارل تشارنزكي Carl Charnetski وفرانسيس بريتان Francis Brennan بسؤال 112 فرداً من طلبة الجامعات معظمهم من النساء، كم مرة مارسوا الجنس خلال الشهر الماضي. ثُمَّ قام الباحثان بجمع عينات اللعاب من جميع المشاركين في الدراسة لفحص مستوى الغلوبيولين المناعي أ. وقد اظهر الطلبة الذين مارسوا الجنس مرات قليلة (أقل من مرة في الأسبوع) مستوى من الجسم المناعي أ أعلى قليلاً من مستواه في الاشخاص الذين لم يمارسوا الجنس خلال الشهر



الفائت بالمرَّة. اما الطلبة الذين كانوا يمارسون الجنس بانتظام (مرة او اثنتان في الأسبوع)، فقد اظهروا مستويات من تركيز الجسم المناعي المذكور أعلى بمقدار 30% من مستواه في الفئتين السابقتين ـ مما يؤشر على تمتع جهازهم المناعي بصحة أكبر. ربما يتعلق الامر بأن ممارسة الجنس بانتظام تساعد هؤلاء الطلبةعلى الاسترخاء والشعور بالسعادة ـ وقد ثبت ان كلاهما يزيدان من مستويات الجسم المناعي أ[35]. كما أن الزيادة في افراز الببتيدات الافيونية opioid peptides في أثناء النشوة الجنسية قد تُنَشِّطُ وظائف الجهاز المناعي.

لكن النتيجة الاصعب تفسيرا من بين نتائج تلك الدراسة كانت ان الاشخاص الذين مارسوا الجنس بكثرة، قد اظهروا اوطأ مستوىً من الجسم المناعي أ من بين جميع الطلبة، بما فيهم الممتنعون عن الجنس كليا. يرجح هذا ان هناك حدوداً لعدد مرات ممارسة الجنس التي تعزز المناعة. تظهر الدراسات انَّ المستويات المعتدلة من افراز الببتيدات الافيونية تقوي الجهاز المناعي، لكن إحدى الدراسات وجدت انَّ فَرْطَ افراز الببتيدات الافيونية هذه يُضعف الجهاز المناعي[36].

اخيرا، وصفت بعض النساء في دراستنا فوائد صحية أخرى دفعتهن لممارسة الجنس. فبالاضافة إلى قدرته على توليد النعاس، يحرض هرمون البرولاكتين نمو خلايا عصبية جديدة في المنطقة الشَمِّيَة في الدماغ. لذا يمكن للجنس ان يقوي حاسة الشم. ومن الفوائد الجانبية الأخرى لممارسة الجنس بانتظام، انها تقوي التحكم بالمثانة، لأنها تقوي نفس العضلات التي تتحكم بالتبول. وبالنسبة للنساء اللاتي عَبَرْنَ سن اليأس، فقد تَقِي ممارسة الجنس بانتظام من ضمور المهبل، وهي حالة



مرضية تصاحب النقص في افراز الهرمونات الجنسية الذي يصاحب التقدم في السن. وجدت إحدى الدراسات ان النساء اللاتي بلغن سن الياس واللاتي يمارسن الجنس ثلاث مرات في الشهر على الأقل، أقل استعداداً للاصابة بضمور المهبل من النساء اللاتي يمارسن الجنس أقل من 10 مرات في العام[37]. قد ترفع ممارسة الجنس مستويات الاستروجين والتيستوستيرون، يقوي افرازُ التيستوستيرون الطبيعي في الجسم العظامَ والعضلات، ويعزز الاستروجين صحةَ انسجة المهبل، ونعومة الجلد، ولمعان الشعر. ربما يفسر هذا لماذا قالت الممثلة جوان كراوفورد «احتاج إلى الجنس للمحافظة على نَضَارتي».

ومن طريف ما يُذكر هنا، ان بعض المجلات ومواقع الأنترنت الرجالية المغمورة، اوردت أسباباً أخرى تحت عنوان «لماذا يجب على النساء ممارسة الجنس». وقد تضمنتهذه الاسباب اقوالاً مثل انَّ التقبيل يزيد افراز اللعاب مما يساعد على تنظيف ما يَعْلَق بين الاسنان، وكذلك انَّ الجنس يساعد على إسالةِ المخاط من الأنف وبالتالي يمنح شعوراً بالراحة بعد الفَرَاغ منه. ربما تتوفر ادلة بشكل ما على صحة هذه المزاعم، لكننا غير مقتنعون انها قد تشكل دافعا للمرأة لممارسة الجنس. لكن الأهم هو انَّه لم تذكر أيَّة امرأة في دراستنا مُطلَقاً واحداً من هذه الأسباب المزعومة.

هوامش المؤلفين على الفصل الحادي عشر

1 _ Couch, J., and Bearss, C. (1990). «Relief of Migraine with Sexual Intercourse،» Headache 30:302.

2 _ Weiller, C., May, A., et al. (1995). «Brain Stem Activation



in Spontaneous Human Migraine Attacks،» Natural Medicine 1:658 _ 60.

3 _ Whipple, B., and Komisaruk, B. R. (1985). «Elevation of Pain Threshold by Vaginal Stimulation in Women،» Pain 21:357 _ 67.

4 _ Cited in Levin, R. (2007). «Sexual Activity, Health and Well _ being—The Beneficial Roles of Coitus and Masturbation،» Sexual and Relationship Therapy 22:135 _ 48.

5 _ Meaddough, E. L., Olive, D. L., et al. (2001). «Sexual Activity, Orgasm and Tampon Use Are Associated with a Decreased Risk for Endometriosis،» Gynecologic and Obstetric Investigation 53:163 _ 69.

6 _ Cited in O'Dowd, M. J., and Philipp, E. E. (2000). The History of Obstetrics and Gynecology (New York: Pantheon Group), 291 _ 92.

7 _ Masters, W., and Johnson, V. E. (1970). Human Sexual Inadequacy (Boston: Little, Brown).

8 _ Brody, S., and Kruger, T.H.C. (2006). «The Post _ orgasmic Increase Following Intercourse Is Greater than Following Masturbation and Suggests Greater Satiety،» Biological Psychology 71:312 _ 15.



9 _ Palace, E. M., and Gorzalka, B. B. (1990). «The Enhancing Effects of Anxiety on Arousal in Sexually Dysfunctional and Functional Women،» Journal of Abnormal Psychology 99:403 _ 11.

10 _ Meston, C. M., and Gorzalka, B. B. (1995). «The Effects of Sympathetic Activation on Physiological and Subjective Sexual Arousal in Women،» Behaviour Research and Therapy 33:651 _ 64.

11 _ Meston, C. M., and Frohlich, P. F. (2003). «Love at First Fright: Partner Salience Moderates Roller Coaster _ Induced Excitation Transfer،» Archives of Sexual Behavior 32:537 _ 44.

12 _ Mannix, D. P. (1958). Those About to Die (New York: Ballantine Books), 91.

13 _ Weissman, M. M., and Olfson, M. (1995). «Depression in Women: Implications for Health Care Research،» Science 269:799 _ 801.

14 _ Cited in Leibenluft, E. (1998). «Why Are So Many Women Depressed?» Scientific American, summer.

15 _ Exton, M. S., Bindert, A., et al. (1999). «Cardiovascular and Endocrine Alterations after Masturbation _ induced Orgasm in Women،» Psychosomatic Medicine 61:280 _ 89.



16 _ Hamilton, L. D., Rellini, A. H., and Meston, C. M. (2008). «Cortisol, Sexual Arousal, and Affect in Response to Sexual Stimuli،» Journal of Sexual Medicine 5:2111 _ 18.

17 _ Frohlich, P. F., and Meston, C. M. (2002). «Sexual Functioning and Self _ Reported Depressive Symptoms Among College Women،» Journal of Sex Research 39:321 _ 25.

18 _ Gallup, G. G., Burch, R. L., and Platek, S. M. (2002). «Does Semen Have Antidepressant Properties?» Archives of Sexual Behavior 31:289 _ 93.

19 _ Benziger, D. P., and Edelson, J. (1983). «Absorption from the Vagina،» Drug Metabolism Reviews 14:137 _ 68.

20 _ Abdullah, Y. H., and Hamadah, K. (1975). «Effect of ADP on PGE1 Formation in the Blood Platelets from Patients with Depression, Mania and Schizophrenia،» British Journal of Psychiatry 127:591 _ 95.

21 _ Coope, J. (1996). «Hormonal and Non _ Hormonal Interventions for Menopausal Symptoms،» Maturitas 23:159 _ 68.

22 _ Roy _ Byrne, P. P., Rubinow, D. R., Gold, P. W., and Post, R. M. (1984). «Possible Antidepressant Effects of Oral Contraceptives: Case Report،» Journal of Clinical Psychiatry 45:350 _ 52.



23 _ Wester, R. C., Noonan, P. K., and Maibach, H.I. (1980). «Variations in Percutaneous Absorption of Testosterone in the Rhesus Monkey Due to Anatomic Site of Application and Frequency of Application, Archives of Dermatological Research 267:229 _ 35.

24 _ Becher, E. F., Bechara, A., and Casabe, A. (2001). «Clitoral Hemodynamic Changes After a Topical Application of Al _ prostadil،» Journal of Sex and Marital Therapy 27:405 _ 10.

25 _ Padma _ Nathan, H., Brown, C., Fendl, J., Salem, S., Yeager, J., and Harning, R. (2003). «Efficacy and Safety of Topical Alprostadil Cream for the Treatment of Female Sexual Arousal Disorder (FSAD): A Double _ blind, Multicenter, Randomized, and Placebo Controlled Clinical Trial،» Journal of Sex and Marital Therapy 29:329 _ 44.

26 _ Miller, S. A., and Byers, E. S. (2004). «Actual and Desired Duration of Foreplay and Intercourse: Discordance and Misper _ ceptions Within Heterosexual Couples،» Journal of Sex Research 41:301 _ 9.

27 _ Laumann, E. O., Gagnon, J. H., et al. (1994). The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States (Chicago: University of Chicago Press), 368 _ 74.



28 _ Palmore, E. B. (1982). «Predictors of the Longevity Differences: A 25 _ Year Follow _ up،» Gerontologist 22:513 _ 18.

29 _ Chen, H., Tseng, C., et al. (2007). «A Prospective Cohort Study on the Effect of Sexual Activity, Libido and Widowhood on Mortality Among the elderly People: 14 _ Year Follow _ up of 2453 elderly Taiwanese،» International Journal of Epidemiology 35:1136 _ 42.

30 _ Meurer, J., McDermott, R. J., and Malloy, M. J. (1990). «An Exploratory Study of the Health Practices of American Catholic Nuns،» Health Values 14:9 _ 17.

31 _ U.S. Department of Health and Human Services (1988). Vital Statistics of the United States 1986. Volume 11— Mortality. Part A. (Hyattsville, Md.: Centers for Disease Control, National Center for Health Statistics).

32 _ Stampler, M. J., Colditz, G. A., and Willett, W. C. (1990). «Menopause and Heart Disease: A Review،» Annals of the New York Academy of Science 592:193 _ 203.

33 _ Stampler, M. J., and Colditz, G. A. (2004). «Estrogen Replacement Therapy and Coronary Heart Disease: A Quantitative Assessment of the Epidemiologic Evidence،» International Journal of Epidemiology 33:445 _ 53.



34 _ Kiecolt _ Glaser, J. K., Glaser, R., et al. (1998). «Marital Stress: Immunologic, Neuroendocrine, and Autonomic Correlates،» Annals of the New York Academy of Science 840:656 _ 63.

35 _ Charnetski, C. J., and Brennan, F. X. (2004). «Sexual Frequency and Salivary Immunoglobulin A (IgA)،» Psychological Reports 94:839 _ 44.

36 _ Van Epps, D. E., and Saland, L. (1984). «Beta _ endorphin and Metenkephalin Stimulate Human Peripheral Blood Mononuclear Cell Chemotaxin،» Journal of Immunology 132:3046 _ 53.

37 _ Leiblum, S., Bachman, E., et al. (1983). «Vaginal Atrophy in the Post Menopausal Woman: The Importance of Sexual Activity and Hormones،» Journal of the American Medical Association 249:2195 _ 98.



خاتمة: التعقيدات الجنسية عند النساء

لماذا تمارس النساء الجنس، واحد من أهم الاسئلة واشدها تعقيدا وغموضا التي تواجه علم نفس الدوافع البشرية. تطرقنا خلال هذا الكتاب للعديد من الدوافع ـ من الرغبة المُلِحَّة باستعادة ماء الوجه بعد التعرض للرفض، إلى الرغبة باتمام الحب الحقيقي، من الدافع الإيثاري المتمثل بالرغبة في رفع ثقة الشريك بنفسه إلى الدافع الأناني المتعلق بالثأر للنفس، من روح المغامرة إلى الجانب المظلم للخداع، ومن الدافع المادي المتمثل في الرغبة في التخلص من الصداع إلى الروحي المتمثل في الرغبة في الاقتراب من الرب.

رغم أننا اعتمدنا تصنيف أسباب ممارسة النساء للجنس إلى اجزاء توخِّياً للوضوح والاختصار، فلا بد انْ نعترف ان ما يدفع امرأة ما لممارسة الجنس، غالبا ما يكون أسبابا معقدة ومتنوعة متراكبة مع بعضها. قد تمارست امرأة الجنس لاكتساب التفوق على نظيراتها ولاشباع فضولها أيضا. وقد تمارس امرأة الجنس لأنها مفتونة بمظهر الشريك الجسدي ولأنها غير سعيدة في علاقتها الأساسية. او تمارسه لتتخلص من التوتر ولِتعزز من ثقة شريكها بنفسه وتترابط معه أكثر على الصعيد العاطفي.

ويجب ان نشير أيضا إلى أن الدوافع الجنسية لامرأة ما قد تتناقض مع



بعضها أحيانا. فقد تكون المرأة راغبة في الجنس من الموعد الأول لأنها تشتهي الاحاسيس التي يولدها افراز الاوكسيتوسين، لكنها ترغب بتاجيل ممارسة الجنس أيضا لكي لا تظهر كامرأة «سهلة جداً». أو قد تتقاذفها الرغبات بين الرغبة في ممارسة الجنس مع عاشق جديد، وبين رغبتها في الحفاظ على اخلاصها لزوجها. أو تعيش صراعا بين رغبتها في تسليم زمام الامور لشريكها للشعور باثارة الخضوع الجنسي، وبين رغبتها في التحكم بالممارسة الجنسية وتحقيق سطوتها الخاصة.

لقد حاولنا تغطية مدى واسع من الدافعيات الجنسية للنساء بالاستفادة من عدة نظريات. كانت احداها دراسة الدافعيات من منظور تطوري، بأن وضعناها في اطار المشاكل التكيفية المتنوعة التي واجهتها النساء السوالف بشكل متكرر لدهور من الزمن. اما المنظور الثاني فكان فسيولوجياً، أي دراسة كيف تؤثر الهرمونات، تدفق الدم، والخواص التشريحية على جنسانية النساء. وكان الثالث المنظور الطبي السريري، بمعنى دراسة الصعوبات التي تواجهها النساء وتتغلب عليها أحيانا في ما يتعلق بالرغبة الجنسية، الاستثارة الجنسية، والنشوة. اما المنظور الرابع فكان النفسي، ذلك بأن عَرَّجنا على مخزون المعرفة العلمية المتوسع سريعا في ما يخص تأثير الحالات الذهنية المختلفة على جنسانية النساء، وكذا تأثير التجارب الجنسية نفسها على الحالة الذهنية للمرأة. نأمل ان تكون دراستنا متعددة المناظير هذه قد كشفت من الجوانب العديدة للدافعية الجنسية النساء، ما لم تكن أي دراسة مفهومية أُحادية المنظور لِتكشفه.

وفضلا عما احتوته من التفسيرات النظرية، نأمل أيضا ان تكون دراستنا نابضة بالحياة من خلال ما احتوته من تجارب النساء اللاتي تفَضَّلْنَ



مشكورات بمشاركتها معنا. فَوَصْفَ امرأة ما لتجربتها الجنسية مع شريكها بأنها «زهرة حبهما المتفتحة»، قد يحتوي من التجربة الحقيقية ما لا توفره نظرية مثلث الحب. كما أن افادات النساء اللاتي وصفن معاناتهن من الشعور بالاهانة والذل بعد أن تم خداعهن جنسيا من قبل رجل ما، تعْرِضُ بِحيويةٍ ظاهرة الخداع والاستغلال الجنسي أكثر مما يفعل تحليلنا النظري للسبب في شيوع الخداع الجنسي عند بني البشر. إنَّ المرأة التي وصفت تجربتها الجنسية المثيرة عندما كان الرجل محترف الرقص الذي مارست الجنس معه «يرقص حرفيا في أثناء الجنس « تزودنا باضافة مفيدة لمعرفة أهمية الكفاءة الحركية والرشاقة في الجاذبية الجنسية.

تعلمنا الكثير عن الجنسانية البشرية من النساء اللاتي شملتهن دراستنا، ونأمل ان تكونوا قد استفدتم أيضا.




مكتبة
الفكر الجديد

شكر وتقدير

كَتَبَتْهُ: سيندي ام. ميستون

لم يكن والداي يُعَلِّقَان علي الكثير من الامال. أرادت لي والدتي ان اتزوج من مدير احد المتاجر المشهورة في الولايات المتحدة، لكي تحصل على خصم بمقدار10% من سعر اللحم، واراد أبي ان اتزوج شخصاً بامكانه ان يصلح محرك سيارته. إذ كانا ينحدران من مكان يقدر قيمة العمل الجاد والتضحية بالنفس، ولا يعير أهمية للتعليم. الا انني شققت طريقي الخاص في الحياة، وانا ممتنة إلى الابد لاولئك الذين ساعدوني على ذلك، اذكر منهم مارادين بروت، ومشجعتي الدائمة كلوديا ماك نيل. لضحكهما على كل قصة غبية حكيتها، وايمانهما بكل خطة جديدة ارسمها، ووقوفهما معي في كل مراحل حياتي الصعبة منذ ان ابتدأت صداقتنا في صف الآنسة فونك في الثاني الابتدائي، كما أنني مدينة لشيري رامبل (اسفة على كل مرة آذيتك فيها عندما كنتِ طفلة ـ خصوصا عندما ألْبَسْتُكِ شجرة عيد الميلاد واوصلتكِ بالكهرباء في حفلة عشاء في منزلنا).

هناك الكثير من الاشخاص الذين كان لهم تأثير كبير في مسيرتي الاكاديمية. اتقدم بالشكر لبوريس غورزالكا، المشرف على بحثي في



مرحلة البكلوريوس، والذي ابْعَدَتْنِي مهاراته التعليمية عن مكائن الخياطة وحببتني بعلم النفس. أشكر أيضا جوليا هيمان، مشرفتي في مرحلة ما بعد الدكتوراه لارشاداتها الحكيمة ودعمها المستمر لي، وأشكر ايروين غولدستاين لتحمسه الكبير لبحوثي، أشكر كذلك ساندرا ليبيلوم، راي روزن، ولورين دينيرستين، لكل كلمة حق قالوها. كما أنني ممتنة جدا لقسم علم النفس بجامعة تكساس في أوستن لكل الدعم الذي تلقيته منه طوال الاحد عشر عاما الماضية. وشكرٌ خاصٌ لراندي ديل عميد كلية الفنون الحرة، جيمي بينبيكر رئيس قسم علم النفس، وكارين كارلسون، رئيسة الشعبة السريرية: دعمكم المستمر وارشاداتكم قد صنعا كل الفرق. كما أشكر طلبتي السابقين والحاليين بيني فروليتش، اليساندرا ريليني، كاتي ماك كال، آن برادفورد، برووك سيل، ليزا داون هاميلتون، كريستوفر هارت، تيرني ارولد، ياسيسكا بويولز، كايلي ستيفينسون، وكوري ان بالاتو، لكل ما اضفوه على مختبري من الطاقة والحماس والابداع والتحفيز الفكري طوال العقد الماضي.

شكرٌ خاصٌ لتايمز بوكس وهنري هولت وشركته لانهم أوصلوا اصوات هؤلاء النساء للقراء، وكذا لروبن دينيس، المحرر صاحب الرؤية الثاقبة وقلم الرصاص السحري الذي لا يقدر بثمن.

لا تزال الصداقة أهم شيء في الحياة بالنسبة لي ولذا فلدي الكثير من الأصدقاء الذين يتوجب علي شكرهم. تقديرٌ خاصٌ لأولئك الذين لعبوا دوراً في كتابتي لهذا الكتاب: سام غوزلنغ، جاين سبينسر، ديل سيفيرين، لاورين ميكي، ليزا تيمار، ليندا ايدورثي، ولوسيا أوسوليفإن. شكرٌ خاصٌ جداً للكاتبة الاستثنائية ماري روتش على تشجيعها لي وعلى كل الأوقات



التي جَعَلَتْ فيها معدتي تؤلمني من شدة الضحك. شكر خاص لشريكي في تاليف هذا الكتاب ديفيد ام.باس، الذي بصداقته وتعاونه اخرجنا هذا الكتاب ونفذنا الدراسات ـ الناجحة منها بالذات ـ التي استقى منها ـ الكتاب ـ مادته. ولحفاظه علي من البرد، ومساعدته اياي على النوم، وتخليصه اياي من المخاوف. كما أنني مدينة بشدة لِقِطَّتَيَّ رودي وميمي، ولكلبي تشارلي. واخيراً توم، لكل ما قَدَّمتَه لي على جميع الاصعدة بحيث ما كنت لِأستطيع كتابة هذا الكتاب لولاك ـ انت ملاذي.




مكتبة
الفكر الجديد

شكر وتقدير

كتبه: ديفيد ام. باس

اشعر بأنني محظوظ بجميع العالِمات الرائعات اللاتي تعاونَّ معي طوال أكثر من عقدين من الزمن من اجراء البحوث النفسية العلمية التجريبية، اذكر منهن: ابريل بليسكي ريتشيك، ليزا تشيودو، جيمي كونفير، ليزا ديدن، جوديث ايستون، ماريان فيشر، ديانا سانتوس فليتشمان، كاري غويتز، ماري غوميز، ارليت غرير، هايدي غريلنغ، ماريكو هاسيغاوا، مارتي هازلتون، دوللي هيغنز، سارا هِل، سابين هوير، كارين لاوترباتش، مارغاريت لافالي، كاثرين مويستو، كارين بيرل لو، اليزابيث بلزوورث، جينيفر سيميلروث، ايميلي ستون، فيفيانا ويكيس شاكلفورد، مارغاريت فولراث. واقعاً انَّ عملي مع كل هؤلاء النساء الباحثات، جعلني ادرك ان قيود دماغي الذكري تجعل تعاوني مع النساء في استكشاف النفسية الجنسية للاناث شيئاً لا غنى عنه.

كما اعبر عن شكري للعديد من الرجال، والذين رغم معاناتهم من نفس القيود الناتجة من امتلاك الكروموسومY، تعاونوا معي في البحوث العلمية وقدموا مساهمات هائلة: الويز انغليتنر، مايك بارنز، كيفين بينيت، مايك بوتوين، برام بونك، جاي تشو، شون كونلان، كين كرايك، تود



ديكاي، جوش دينتلي، بروس ايليس، هارالد يولر، ستيف غانغستاد، ارون غويتز، جونغ هوان جون، بيتر جونسون، دوغ كينريك، لي كيركباتريك، باري كول، راندي لارسن، غريغ لابلانك، ديفيد لويس، نورم لي، نيل مالاموث، ويل ماكابين، ريتشارد ميكلسكي، فيكتور اوبيد، جاي بيترز، كيرن ريف، ديفيد شمِت، تود شاكلفورد، بيل تووك، باول فاسي، مارتن فوراسيك، ودرو ويستن.

ساهم العديد من الزملاء والأصدقاء الآخرين بطرق مختلفة، سواء من خلال النقاش او من خلال اعمالهم المنشورة، بتعميق فهمي للعقليات الجنسية للنساء: ريتشارد الكسندر، روزالند اردين، روبن بيكر، جيري باركو، لورا بيتزيغ، نانسي بيرلي، آن كامبل، ليز كاشدان، ليدا كوزميدز، هيلينا كرونين، مارتن دالي، لورا دين، ريتشارد دوكنز، مايك دوميان، كريستينا ديورين، بروس ايليس، أي. جاي.فيغوريدو، هيلين فيشر، مارك فلين، روبن فوكس، روبرت فرانك، ديفيد فيدرك، شيرلي غلاس، كارل غرامر، بيل هاملتون، هايدي ايلاند، دوغ جونز، زيغي كالوزني، بوبي لو، جانيت مان، ليندا ميلي، جيفري ميلر، باول مولن، راندي نيس، جيفري باركر، جون باتون، ستيف بنكر، ديفيد راكيسن، كاثرين سالمون، ديف سينغ، بارب سمتز، بيفرلي سبايسر، دون سيمنز، ديل ثيسن، اندي ثومبسن، نانسي ثورنهل، راندي ثورنهل، ليونيل تايغر، روبرت تريفرز، باول تورك، بل فون هابل، غريغوري وايت، جورج ويليامز، دي.اس. ويلسن، أي.او.ويلسن، مارغو ويلسن، وريتشارد رانغهام.

لا بد من إِفراد دون سيمنز لوحده لعمله المؤثر بخصوص الجنسانية البشرية، ولما رفدني به من الاستبصارات الذكية خلال عشرات النقاشات



التي دارت بيننا خلال عدة سنوات. كما اتقدم بشكرٍ خاصٍ لعميلتنا كاتينكا ماتسون من بروكمان وشركتها، التي رأت الامكانيةً في هذا الكتاب. ينبغي ان يفتخر كلُّ مؤلف يعمل مع المحرر الذي لا نظير له روبن دينيس، والذي ساهم ببلايين الطرق، صغيرها وكبيرها، باخراج هذا الكتاب بأفضل صورة. شكرٌ خاص لصديقيتي الرائعة وشريكتي في تاليف هذا الكتاب سيندي ميستون، ولولاها لما رأى هذا الكتاب النور. اخيرا، أشكر هؤلاء الذين تحملوا انشغالي بالعمل لساعات طوال، وقدموا لي الحُب والدعم والتشجيع، والافكار أيضا طوال مدة كتابتي لهذا الكتاب ـ وبالخصوص سيندي ار. وابنتي تارا.




مكتبة
الفكر الجديد

عن المؤَلِّفَيْن

سيندي ام.ميستون، إحدى أهم الباحثين على مستوى العالم في جنسانية النساء، واستاذة علم النفس السريري في جامعة تكساس بمدينة اوستن، حيث تُدير مختبر الفسيولوجيا النفسية الجنسية في الجامعة، وهو مختبر يحوي معدات فائقة التطور لدراسة التجربة الجنسية للنساء.

ديفيد ام.باس، أحَدُ مؤسسي فرع علم النفس التطوري، استاذ في جامعة تكساس، اوستن، ومؤلف لعدة كتب منها تطور الرغبة The Evolution of Desire والشغف الخطير The Dangerous.Passion أثارت مقالتهما المشتركة «لماذا يمارس البشر الجنس» Why Humans Have Sex اهتماماً عالمياً عندما نشرت في دورية. Archives of Sexual Behavior




مكتبة
الفكر الجديد

الفهرس

إهداء المؤلِّفَين 5
إهداء المترجم: 7
مقدمة المترجم 9
تمهيدمن داخل العقل الجنسي 13
الفصل الأول: ما الذي يثير النِّساء جنسيا؟ 33
الفصل الثاني: لذة الجنس 85
الفصل الثالث: (الشيء المُسمَّى الحب) 123
الفصل الرابع: مُتعةُ الصيد من الحصول على قرين إلى سرقته 171
الفصل الخامس: المسخ أخضر العينين 207
الفصل السادس: إحساسٌ بالواجب 235
الفصل السابع: شغف المغامرة 279
الفصل الثامن: المقايضة والمتاجرة 315
الفصل التاسع: تعزيز الــأنا 357
الفصل العاشر: الجانب المظلم 389
الفصل الحادي عشر: الطِبُّ الجنسي 433
خاتمة: التعقيدات الجنسية عند النساء 477
شكر وتقدير 481
شكر وتقدير 485
عن المؤَلِّفَيْن 489




مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد


مكتبة
الفكر الجديد

وافق الرئيس الامريكي السابق جورج دبليو. بوش على اطلاق حملةٍ للعِفَّةِ (عدم ممارسة الجنس حتى الزواج) بَلغت كلفتها مليار دولار. ورغم انها كانت موجهة للرجال والنساء على السواء. فان الكثيرين يعتقدون انها كانت تهدف الى بث فكرة ان ممارسة النساء للجنس قبل الزواج شيء قبيح - بغض النظر عن كون الجنس آمِناً او انه تم بِرضى الطرفين. وقد رفعت الحملة شعارات مثل "كيف تاكل كعكعة سبق ان قضم منها احَدُهم قبلك" لإشعار الناس بان ممارسة الجنس قبل الزواج شيءٌ مخزٍ. وارتدى الشباب والفتيات الذين اكملوا برنامج العفة المذكور ميداليات فضية ليُظهِروا على الملأ وعدهم بالتعفف.لكن هل نجح البرنامج بتغيير عادات الشباب والفتيات الجنسية؟


ISBN 978-1-7732255-2-4


المعقدين للنشر والتوزيع
العراق - بصرة - شارع الفراهيدي
Dar.almuakadeen@gmail.com